مروج الذهب

ومعادن الجوهر

تصنيف الإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي

المتوفى عام ٣٤٦ من الهجرة

تأليف

محمد محيي الدين عبد الحميد

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

دار المعرفة

بيروت - لبنان

مروج الذهب

ومعادن الجوهر

تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل
أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى
المتوفى فى عام ٣٤٦ من الهجرة

بتحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد
عفا الله تعالى عنه !

الجزء الرابع

دار المعرفة
بيروت - لبنان

Marfat.com

جميع حق الطبع محفوظ للمحقق
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

Marfat.com

ذكر خلافة المأمون

موجز

وبويع المأمونُ عبدُ الله بن هارُونَ الرشيد ، وكُنيته أبو جعفر ، وأمه باذغيسية ، واسمها مراجل ، وقيل : [إن] كُنيته أبو العباس ، وهو ابن ثمان وعشرين سنةً وشهرين ، وتوفى بالبديدون[١] على عين القشيرة[٢] ، وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون ، وقيل : إن اسمها بالرومية أيضاً رقة ، وحُمِلَ إلى طوسوس ، فدفن بها على يسار المسجد ، سنة ثمانىَ عَشَرَةَ ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنةً ، فكانت خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها أربعة عشر شهراً كان يحارب أخاه محمد ابن زُبَيْدَةَ على ما ذكرنا ، وقيل : سنتان وخمسة أشهر ، وكان أهل خُراسَان فى تلك الحروب يُسَلِّمُون عليه بالخلافة ، وَيُدْعَى له على المنابر فى الأمصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حَوَاه طاهر وَغَلَبَ عليه ، وَيُسلِّم على محمد بالخلافة مَنْ كان ببغداد خاصة لا غيرها[٣] .

(١) فى ب « بالبليدون » (٢) فى ب « العشيرة » .

(٣) فى ب « لا غير » .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه

المأمون والفضل ابن سهل

وغلب على المأمون الفَضْلُ بن سهل ، حتى ضايقه فى جارية أراد شراءها ، فقتله ، وادعى قوم أن المأمون دَسَّ عليه من قتله ، ثم سلّم عليه الوزراء بعد ذلك : منهم أحمد بن خالد الأحول ، وعمرو بن مَسْعَدَة ، وأبو عبادة ، وكل هؤلاء سلّم عليهم(١) برسم الوزارة .

عمرو ابن مسعدة

ومات عمرو بن مَسْعَدَة سنة سبع عشرة ومائتين ، فعرض لماله ، ولم يعرض لمال وزير غيره .

وغلب على المأمون آخراً الفَضْلُ بن مروان ، ومحمد بن يزداذ .

على بن موسى الرضا

وفى خلافته قبض على بن [موسى] الرضا مسموماً بِطُوسَ ، ودُفن هنالك [وهو يومئذ ابن تسع وأربعين سنةً وستة أشهر ، وقيل غير ذلك] .

المأمون وعمه إبراهيم

وهجا المأمونَ إبراهيمُ بن المهدى المعروف بابن شِكْلَةَ عَمُّه ، وكان المأمون يظهر التشيع ، وابن شِكْلَةَ التسنن ، فقال المأمون :

إذا المُرْجِىءُ سَرَّكَ أن تراه ... يَمُوتُ لحينه من قبل مَوْتِهْ
فَجَدِّدْ عنده ذِكْرَى عَلِيٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النبيِّ وآل بيته

فأجابه إبراهيم رَادًّا عليه :

إذا الشِّيعِيُّ جَمْجَمَ فى مَقَالٍ ... فَسَرَّكَ أن يبوح بذات نَفْسِهْ
فَصَلِّ عَلَى النبيِّ وَصَاحِبَيْهِ ... وَزِيرَيْهِ وَجَارَيْهِ بِرَمْسِهْ(٢)

ولإبراهيم بن المهدى مع المأمون أخبار حسان ، هى موجودة فى كتاب الأخبار لإبراهيم بن المهدى .

المأمون وأبو دلف

ودخل أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى العِجْلِىُّ على المأمون ، فقال له : يا قاسم ، ما أَحْسَنَ أبياتَكَ فى صفة الحرب ، ولذاذتَكَ بها ، وزهدك فى المغنيات ! قال : يا أمير المؤمنين ، أى أبيات هى ؟ قال : قولك :

(١) فى ا « سلم عليه » (٢) الرمس : القبر ، وأراد أبا بكر وعمر

Marfat.com

لِسَلِّ السيوف وشَقِّ الصفوف ونَفْضِ التراب وضرب القُلَل

قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال :

ولبس العَجاجة والخافقات تُريكَ المنايا بروس الأسَل (١)

وقد كشفَتْ عن شبَا نابها [عروس المنية بين الشعَل]

[وجاءت تَهادَى وأبناؤها] كأنّ عليهم نُمُوقَ الطَّفَل

خَروس نَطُوق إذا استنطقت جهول يطيش على من جهل

إذا خطبت أخذت مهرها رءوسا تساقطُ بين القُلَل

ألذ وأشهى من المسمعات وشرب المدامة فى يوم طَل

أنا ابن الحسام،وتِربُ الصِّفاح، ورَيْب منون ، وقرب الأجل (٢)

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه لذتى مع أعدائك ، وقُوّتى مع أوليائك. ويدى معك ، ولئن استلَذّ مستلذ شيئاً من المعاقرة مِلْتُ إلى المصادمة والمحاربة ، قال : يا قاسم ، إذا كان هذا النمط من الأشعار شأنك واللذة لذتك فما ذا تركت للوسنان مما خلفت ، وأظهرت له من قليل ما سترت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وأى أشعارى ؟ قال : حيث تقول :

أيهـــا الراقد المؤرِّقُ عينى نَمْ ، هنيئاً لك الرقاد اللذيذ

عَـــلِمَ الله أنَّ قلبيَ مِمَّا قد جَنَتْ مُقْلَتاكَ فيه وَقيذُ

قال : يا أمير المؤمنين ، سهوة بعد سهرة غلبت ، وذلك [قسم] متقدم ، وهذا ظن متأخر ، قال : يا قاسم ، ما أحسن ما قال صاحبُ هذين البيتين :

أذمُّ لك الأيامَ فى ذات بيننا وما للَّيالى فى الذى بيننا عُذْرُ

إذا لم يكن بين المحبين زَوْرَة سوى ذكر شىء قدمضى دَرَسَ الفكر

قال أبودلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! هذا السيد الهاشمى والملك العباسى ، قال : وكيف أدّتك الفطنة ، ولم تداخلك الظِّنّة ، حتى

(١) فى ب « بروس القلل » (٢) هذا البيت يروى فى ب هكذا :
أنا ابن الحمام ، وترب الصفاح وترب المنون ، وترب الأجل

Marfat.com

تحققتَ أنى صاحبهما ، ولم يداخلك الشك فيهما ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما الشعر بساط صوف ، فمن خَلَط الشعر بنقيٍّ الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ، ونار ضوءه(١) عند التأليف .

من كلمات المأمون

وكان المأمون يقول : يغتفر كل شيء إلا القَدْح فى الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحرم .

وقال المأمون : أخِّرِ الحرب ما استطعت ، فإن لم تجد منها بداً فاجعلها فى آخر النهار .

وذكر أنه من كلام أنوشروان .

وكان المأمون يقول : أعْيَتِ الحيلة فى الأمر إذا أقبل أن يُدْبِر ، وإذا أدبر أن يُقْبِل .

ولما تأتى الملك للمأمون [وخلص] قال : هذا جسيم لولا أنه عديم ، وهذا ملك لولا أنه بعده مُلْك(٢) ، وهذا سرور لولا أنه غرور ، وهذا يوم لو كان يوثق بما بعده(٣) .

وكان المأمون يقول : البشر مَنْظَرٌ مُونِق ، وخَلْقٌ مشرق ، وزارع للقلوب ، ومحلٌ مألوف ، وفضل منتشر ، وثناء بسيط ، وتُحَف للأحرار ، وذَرْعٌ رحيب ، وأول الحسنات ، وذريعة إلى الجاه ، وأحمد للشِّيَمِ(٤) ، وباب لرضا العامة ، ومفتاح لمحبة القلوب .

وكان المأمون يقول : سادة الناس فى الدنيا الأسْخِياء ، وفى الآخرة الأنبياء(٥) وإن الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام على ميزاب البخل ، لو كان طريقاً ماسلكته ، ولو كان قميصاً ما لبسته .

وحضر المأمون إملاكاً لبعض أهل بيته ، فسأله [بعض] مَنْ حضر أن يخطب ، فقال : الحمد لله ، المحمود الله ، و [الصلاة على] المصطفى

(١) فى ا « وبان ضوءه » (٢) فى ا « لولا أن بعده هلك » .
(٣) فى ا « يوثق بعده » (٤) فى ا « وأحمد الشيم » .
(٥) فى ا « الأتقياء » .

Marfat.com

رسول الله ، وخَيْرُ ما عُمِلَ به كتابُ الله ، قال الله تعالى : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُغْنِهِم الله من فضله ، والله واسع عليم) ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة مُتَّبعة إلا ما جعل الله فى ذلك من تأليف البعيد والقريب لَسَارَعَ إليه الموفَّقُ المصيب ، وبادر إليه العاقل النجيب[1] ، وفلان مَنْ قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه ، خَطَبَ إليكم فتاتكم فلانة ، وبذل [لها] من الصداق كذا وكذا ، فشفِّعُوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا ، وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجَرُوا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

بين ثمامة ويحيى ابن أكثم عند المأمون

وذكر ثُمَامَةُ بن أشْرَسَ قال : كنا يوماً عند المأمون[2] ، فدخل يحيى ابن أكثم — وكان قد ثقل عليه موضعى منه — فتذاكرنا شيئاً من الفقه ، فقال يحيى فى مسألة دارت : هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر ، قلت : أخطأوا كلهم ، وأغفلوا وجه الدلالة ، فاستعظم [منى] ذلك [يحيى] وأكبره ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يخطِّىء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ، فقال المأمون : سبحان الله!! أكذا يا ثمامة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لايبالى ماقال ولاماشنَّع به ، ثم أقبلت عليه فقلت : ألست تزعم أن الحق فى واحد عند الله عز وجل؟ قال : نعم ، قلت : فزعمت أن تسعة أخطأوا وأصاب العاشر ، وقلت أنا : أخطأ العاشر ، فما أنكرت؟ قال : فنظر المأمون إلى وتبسَّمَ ، وقال: لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب[3] ، قال يحيى : وكيف ذلك ؟ قلت: ألست تقول : إن الحق فى واحد ؟ قال : بلى ، قلت : فهل يخلى الله عز و هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟قال: لا، قلت : أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحقَّ ؟ قال : نعم، قلت : فقد دخلت فيما عِبْتَ ، وقلت بما أنكرت وبه شنعت ،وأنا أوضح[4]

(١) فى ا « العاقل اللبيب » (٢) فى ا « فى مجلس المأمون » .
(٣) فى ا « تجيب بهذا الجواب » (٤) فى ا « وأنا أصح دلالة منك » .

Marfat.com

دلالة منك ، لأنى خطأتهم فى الظاهر ، وكل مصيب عند الله الحق ، وإنما خطأتهم عند الخلاف، وأدتني الدلالة إلى قول بعضهم ، فخطأت من خالفنى، وأنت خطأت من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل .

وفد الكوفة والمأمون

وقدم وَفْدُ الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا المأمون ، فأعْرَضَ عنهم ، فقال شيخ منهم : يا أمير المؤمنين ، يَدُكَ أحق يدٍ بتقبيل ؛ لعلوها فى المكارم، وبعدها[1] من المآثم ، وأنت يوسفى[2] العفو فى قلة التثريب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حَصِيدَ سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك ، فقال : يا عمرو ، نِعْمَ الخطيب خطيبهم ، اقْضِ حوائجهم [فقضيت] .

المأمون والزنادقة ومعهم طفيلى

وذكر ثُمَامة بن أشْرَسَ قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول مانى ، ويقول بالنور والظلمة ، من أهل البصرة ، فأمر بحملهم إليه بعد أن سُمُّوا واحداً واحداً ، فلما جُمِعُوا نظر إليهم طُفَيْلى فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع، فدخل فى وَسَطهم ، ومضى معهم ، و[هو]لا يعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة ، فقال الطفيلى : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان بأسرع من أن جىء بالقُيُود ، فقيد القوم والطفيلى معهم ، فقال الطفيلى : بلغ أمر تطفيلى إلى القيود ، ثم أقبل على الشيوخ فقال : فَدَيْتكم أيش أنتم ؟ قالوا : بل أيش أنت ؟ ومن أنت من إخواننا ؟ قال : والله ما أدرى غير أنى [والله] رجل طفيلى خرجت فى هذا اليوم من منزلى فلقيتكم فرأيت منظراً جميلا وعَوَارِضَ حسنة [وبزة] ونعمة[3] فقلت : شيوخ وكهول وشَبَابٌ جمعوا لوليمة ، فدخلت فى وسطكم، وحاذيت بعضكم كأنى فى جملة أحدكم ، فصرتم إلى هذا الزورق ، فرأيته قد فُرِش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفراً مملوءة وجُرُباً وسلالا ، فقلت : نزهة يمضون إليها إلى بعض القصور والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سروراً ، إذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم ، فورد علىَّ ما قد أزال عقلى ، فأخبرونى ما الخبر ، فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسُرُّوا ،

(١) فى ا « وبعدها عن المآثم » (٢) فى ا « وأنت توسع العفو المذنب ».
(٣) فى ا « وعوارض حسنة ونعمة ظاهرة » .

Marfat.com

ثم قالوا : الآن قد حصلت فى الإحصاء ، وأوثقت فى الحديد ، وأما نحن فمانية غُمِزَ بنا إلى المأمون ، وسندخل إليه ، ويسائلنا عن أحوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعونا إلى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن : منها إظهار صورة مانى لنا ، ويأمرنا أن نَتْفُلَ عليها ، ونتبرأ منها ، ويأمرنا بذبح طائر ماء ، وهو الدُّرَّاج ، فمن أجابه إلى ذلك نجا ، ومن تخلف عنه قتل ، فإذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ماتؤدِّيكَ الدلالة إلى القول به ، وأنت زعمت أنك طفيلى ، والطفيلى يكون معه مُدَاخلات وأخبار ، فاقْطَعْ سَفَرَنا هذا إلى مدينة بغداد بشىء من الحديث وأيام الناس ، فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالإسلام ؛ فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من مانى ويظهر له صورته ، ويأمره أن يَتْفُلَ عليها والبراءة منها ، وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ إلى الطفيلى بعد فراغه من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : مَنْ هذا ؟ قالوا : والله ماندرى ، غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتى طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئاً ، وإنما أنا رجل طفيلى ، وقَصَّ عليه خبره من أوله إلى آخره ، فضحك المأمون ، ثم أظهر له الصورة ، فلعنها وتبرأ منها ، وقال : أعطونيها حتى أسْلَحَ عليها ، والله ما أدرى ما مانى : أيهوديا كان أم مُسْلماً ، فقال المأمون : يؤدَّبُ على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه .

وكان إبراهيم بن المهدى قائماً بين يدى المأمون ، فقال : ياأمير المؤمنين ، هَبْ لى ذنبه وأحدثك بحديث عجب فى التطفيل عن نفسى ، قال : قل يا إبراهيم .

إبراهيم بن المهدى يتطفل

قال : ياأمير المؤمنين ، خرجت يوماً فمررت فى سِكَكِ بغداد متطرفاً ، حتى

Marfat.com

انتهيت إلى موضع ، فشممت رائحة أبازير من جناح [فى] دار عالية ، وقدور قد فاح قتارها ، فتاقت نفسى إليها ، فوقفت على خَيَّاط فقلت : لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرفعت طرفى إلى الجناح ، فإذا فيه شباك ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك وَمِعْصَم ما رأيت أحْسَنَ منهما قط ، فشغلنى يا أمير المؤمنين حُسْنُ الكف والمعصم عن رائحة القدور ، فبقيت باهتاً وقد ذُهِلَ عقلى ، ثم قلت للخياط : هو ممن يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، ولا ينادم إلا تجاراً مثله [مستورين] فأنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لى الخياط : هذان منادماه ، قلت : ما أسماهما ؟ وما كُناهُمَا ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتى حتى دخلت بينهما ، وقلت : جعلت فدا كما ، قد استبطأ كما أبو فلان أعَزَّه الله ، وسايرتهما حتى انتهينا إلى الباب ، فَقَدَّمَانِى ، فدخلت وَدَخَلاَ ، فلما رآنى صاحبُ المنزل لم يَشُكَّ إلا أنى منهما بسبيل ، فرحَّبَ وأجلسنى فى أجَلِّ موضع ، فجىء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ؛ فكان طعمها أطيب من رائحتها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها ، وبقى الكف والمعصم ، ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة ، فإذا هو أنْبَلُ مجلسٍ وَأجَلُّ فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بى ويقبل علىَّ بالحديث ، والرجلان لا يشكان أنه منى بسبيل ، وإنما كان ذلك الفعل منه بى لمَّا ظَنَّ أنى منهما بسبيل ، حتى إذا شربنا أقداحاً خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غُصْنُ بَانٍ ، فسلَّمت غير[1] خَجِلَة ، وهيئت لها وسادة ، وأتى بعُودٍ فوضع فى حجرها ، فجسَّتْهُ فتبينت الحذق فى جسها ، ثم اندفعت تغنى

(١) فى ا « فأقبلت وسلمت غير خجلة » .

Marfat.com

توهَّمها طَرْفى فآلَمَ خَدَّها فصار مكان الوهم من نظرى أثْرُ
وَصافحها كَفِّى فآلَم كفها فمن لَمْسِ كفى فى أناملها عَقْرُ
ومَرَّتْ بقلبى خاطراً فجرحتها ولم أر شيئاً قط يَجْرَحُه الفكر

فهيجت والله يا أمير المؤمنين علىّ بلا بلى ، وطربت لحسن غنائها وحذقها ، ثم اندفعت تغنى :

أشَرْتُ إليها : هل علمت مودتى فردَّتْ بطرف العين : إنى على العهد
فحدت عن الإظهار عمداً لسرها وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد

فصحت : السلامة ، وجاءنى من الطرب ما لا أملك [معه] النفس ولا الصبر ، واندفعت تغنى :

أليس عجيباً أن بيتاً يضمنى وإياك لا نخلو ولا نتكلَّمُ
سوى أعْيُنٍ تشكو الهوى بجفونها وترجيع أحشاء على النار تضرم
إشارة أفواه ، وغَمْزُ حواجب وتكسير أجفان ، وكفٌ يسلِّم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حِذْقها ، ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها معنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذى ابتدأته ، فقلت : بقى عليك يا جارية شىء ، فغضبت وضربت بعودها الأرض ، ثم قالت : متى كنتم تُحْضِرُونَ مجالسكم البُغَضَاء ؟ فندمت على ما كان منى ، ورأيت القوم قد تغيروا [علىّ] ، فقلت : أليس ثَمَّ عُودٌ ؟ قالوا : بلى ياسيدنا ، فأتيت بعود ، فأصلحت من شأنه ما أردت ، واندفعت أغنى :

ما للمنازل لا يُجِبْنَ حزينا ؟ أصممن أم بَعُدَ المَدَى فبلينا ؟
رَاحُوا العشيَّةَ روحةً مذكورة إن متن متن ، وإن حيين حيينا

فما استتممته جيداً حتى خرجت الجارية فأكبَّتْ على رجلى تقبلها ، وهى تقول : المعذرة والله لك[1] ياسيدى ، فما سمعت مَنْ يغنى هذا الصوت مثلك ، وقام

(١) فى ا « المعذرة والله إليك ياسيدى » .

Marfat.com

مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القوم ، واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة(١) ثم اندفعتُ أغنى :

أبالله هل تُمْسِينَ لا تذكرينني وقد سَجَمَتْ عيناى من ذكرك الدّمَا
إلى الله أشكو بُخْلَهَا وسَمَاحتى لها عسل منى وتبذل علقما
فردّى مُصَاب القلب أنت قتلته ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما(٢)
إلى الله أشكو أنها أجنبية وأنّى لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم [يا أمير المؤمنين] ما خشيت أن يخرجوا من عقولهم ، فأمسكت ساعة ، حتى إذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة :

هذا محبك مَطْوِىٌّ على كمده صَبٌّ ، مدامعُه تجرى على جَسَدِه
له يَدٌ تسأل الرحمنَ راحته مما به ، ويَدٌ أخرى على كبده
يا من رأى كَلِفاً مستهتراً أسفاً كانت منيته فى عينِهِ ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصبح : السلامة ، هذا والله الغناء يا مولاى ، وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد الشراب وندماه دونه ، فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم إلى منازلهم ، وخلوت معه فشربنا أقداحا ، ثم قال : يا سيدى ، ذهب والله ما خَلاَ من أيامى باطلا ، إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت يامولاى ؟ فلم يزل يلح علىّ حتى أخبرته [فقام] فقبل رأسى ، وقال : يا سيدى ، وإنى أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وإذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم ، وسألنى عن قصتى وكيف حَمَلْتُ نفسى على ما فعلته ، فأخبرته خبر الطعام والكف والمعصم ، فقال : يافلانة ، لجارية له ، قولى لفلانة تنزل ، فجعل ينزل إلىّ جواريه واحدة واحدة ، فأنظر إلى كفها وأقول : ليست هى ، حتى قال : والله ما بقى غير أمى وأختى ، ولأنْزِلَنَّهُما إليك ، فعجبت من كرمه وسَعَةِ صدره ، فقلت

(١) فى ا « بالطاسات » .
(٢) وقع هذا البيت فى اتاليا لما بعده .

Marfat.com

له : جعلت فداك ، ابدأ بالأخت قبل الأم ، فعسى أن تكون صاحبتى ، فقال : صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كفَّها ومعصمها قلت : هى هى ، جعلت فداك ، وأمر غلمانه من فَوْرِه فصاروا إلى عشرة مشايخ من جِلّةِ جيرانهم فأحضروا ، وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال : هذه أختى فلانة ، وأنا أشهدكم أنى قد زوجتها من سيدى إبراهيم بن المهدى ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبلتُ النكاح ، ودفعت إليها البدرة الواحدة ، وفرقت الأخرى على المشايخ ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذى حضرنى فى هذا الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ، ثم قال : يا سيدى أمهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك ، فأحْشَمَنِى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلى ، فقال : افعل ماشئت ، فأحضرت عمارية وحملتها إلى منزلى ، فوحقك يا أميرالمؤمنين لقد حمل إلى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى .

فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل ، وأطلق الطفيلى ، وأجازه بجائزة حسنة[1] وأمر إبراهيمَ بإحضار ذلك الرجل ؛ فصار بعدُ[2] من خواص المأمون وأهل مودته ، ولم يزل معه على أفضل الأحوال السارة فى المنادمة وغيرها.

إسحاق الموصلى وكلثوم العتابى عند المأمون

وذكر المبرد وثعلب قالا : كان كلثوم العَتَّابى واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكثم ، فقال له العتَّابى : إنْ رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى، قال : لست بحاجب ، قال : [قد] علمت ، ولكنك ذوفضل ، وذو الفضل مِعْوانٌ ، قال : سلكت بى غير طريقى ، قال : إن الله قد ألحقك بجاه ونعمة منه ، فهما مقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتقتير إن كفرت ، وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ، ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بَذْلُه للمستعين ، فدخل يحيى فأخبر المأمون الخبر ، فأدخل إليه العتابى ، وفى المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلى،

(١) فى ا « وأجازه جائزة سنية » . (٢) فى ا « فصار بعد » .

Marfat.com

فأمره بالجلوس ، وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه ، فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ فى مُداعبته ، فظن الشيخ أنه قد استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق [فغمزه بعينه] ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدى العَتَّابى ، ثم دعا إلى المفاوضة ، وأغرى المأمونُ إسحاقَ بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه ، فعجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال : أيأذن أمير المؤمنين فى مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فقال : افعل ، فقال له العتابى : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمى كل بصل ! فقال له العتابى : أما النسبة فقد عرفت(١) ، وأما الاسم فمنكر ، وما كل بصل من الأسماء ؟ فقال له إسحاق : ما أقلّ إنصافَكَ ، وما كلثوم ؟ والبصل أطيب من الثوم ، قال العتابى : قاتلك الله ! ما أملَحَكَ ! ! مارأيت كالرجل حلاوة ، أفيأذن أمير المؤمنين فى صِلَته بما وصلنى به فقد والله غلبنى ؟ فقال له المأمون : بل ذلك مُوَفَّر(٢) عليك ونأمر له بمثله ، فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادمه بقية يومه .

العتابى

وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم ، وسكن الرقة من ديار مُضَرَ ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجَوْدَة الحفظ(٣) وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس فى عصره .

وذكر أنه قال : كاتبُ الرجلِ لسانُه ، وحاجبه وَجْهُه ، وجليسه كله ، ونظم فى ذلك شعراً ، فقال :

لسان الفَتَى كاتبه ... وَوَجْهُ الفتى حاجبه

(١) فى ا « أما النسبة فمعروفة » (٢) فى ا « موفور عليك » .
(٣) فى ا « وجودة الخط » .

Marfat.com

وَنَدْمَانه كلٌّــــه وكلٌّ له واجبه

وذكر عنه أنه قال : إذا وليت عملا فانظر مَنْ كاتبك ، فإنما يعرف مقدارك مَنْ بعد عنك بكاتبك ، واستعقل حاجبك ، فإنما يقضى عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك ، واستكرم واستظرف جليسك ونديمك ، فإنما يُوزَنُ الرجل بمن معه .

بين كاتب ونديم

وقد فاخر كاتب نديماً فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم ، فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للنقمة ، وأنا للحُظْوَة وأنت للمهنة ، وتقوم وأجلس ، وتحتشم وأنا مؤنس ، تدأب لحاجتى ، وتَشقَى[1] بما فيه سعادتى ، وأنا شريك وأنت معين ، وأنا قرين وأنت تابع[2] ، وإنما سميت نديماً للنَّدَمِ على مفارقتى .

وللعتابى أخبار حسان ، وتصنيفات مِلَاحٌ ، فى ذكرها خروجٌ عما إليه قصدنا ، ونحوه يَمَّمنا ، وإنما ذكرنا عنه هذه الفصول اتغلغل الكلام بنا إليها وتشعبه نحوها .

رجل يرفع قصة للمأمون

وحكى الجوهرى عن العتبى ، عن عباس الديرى[3] ، قال : رفع رجل قصة إلى المأمون ، وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه ، والاستماع منه ، فأذن له ، فدخل فسلّم ، فقال له المأمون : تكلم بحاجتك ، قال : أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدهر وأعاجيب الأيام [ومحن الزمان] قصدتنى فأخذت منى ما كانت الدنيا أعطتنى ، فلم تبق لى ضيعة إلا خربت ، ولا نهر إلا اندفن[4] ، ولا منزل إلا تهدَّمَ ، ولا مال إلا ذهب ، وقد أصبحتُ لا أملك سَبَداً ولا لَبَداً ، وعلىَّ دَيْن كثير ، ولى عيال وأطفال وصبية صغار ، وأنا شيخ كبير ، قد قعدَتْ بى المطالب ، وكبرت عنى المكاسب ، وبى حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه ، قال : فبينما هو فى الكلام إذ ضَرَطَ ، فقال : وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ، ولا والله ماظهر منى قط إلا ف

---

(١) فى ا « وتشقى لمسا فيه سعادتى » (٢) فى ب « وأنا نائم وأنت قرين » .
(٣) فى ب « عباس الزيدى » (٤) فى ب « إلا أبدى » .

Marfat.com

موضعه ؛ فقال المأمون لجلسائه : ما رأيت قط أقوى قلباً ولا أربط جأشاً ولا أشدَّ نفسا من هذا الرجل، ثم أمر له بخمسين ألف درهم [مُعَجَّلة] .

المأمون وأبو العتاهية

قال أبو العتاهية : وَجَّه إلىَّ المأمون [يوما] فصِرْتُ إليه ، فألفيته مُطرِقاً متفكراً مغموماً ، فأحجمت [عن الدنو إليه وهو على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده : أن ادْنُ ، فدنوت] ، فأطْرَقَ مليا ثم رفع رأسه فقال : يا إسماعيل ، شأن النفس المَلَلُ ، وحُبُّ الاستطراف ، والأنس بالوحدة ، كما نأنس بالألفة(١) ، قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، ولى فى هذا بيت شعر ، قال : وما هو ؟ قلت :

لا يُصْلِح النَّفْسَ إذ كانت مُصَرَّفة … إلا التنقُّلُ من حال إلى حال

قال : أحسنت زدنى ، فقلت : لا أقدر على ذلك ، وآنسته بقية يومه ، وأمر لى بمال ، فانصرفت .

المأمون ورجل عامى

ويحكى أن المأمون أمر بعض خواصِّه من خَدَمِه أن يخرج فلا يرى أحداً فى الطريق إلا أتى به كائناً مَنْ كان من رفيع أو خسيس ، فأتاه برجل من العامة ، فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمرو(٢) الرومى ، وقد طبخ كل واحد منهم قِدْراً ، فقال محمد بن إبراهيم الطاهرى [للرجل العامى] : هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فأجبهم عما يسألون ، فقال المأمون : إلى أين خرجت فى هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاثُ ساعاتٍ ؟ فقال : غرنى القمر ، وسمعت تكبيراً فلم أشك أنه أذان ، فقال له المأمون : اجلس ، فجلس ، فقال له المأمون : قد طبخ كل واحد منا قِدْراً هو ذا يقدِّمُ إليك من كل واحد منها قَدْراً [فذق ذلك] فأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها ، فقال : هاتوا ، فقدمت فى طبق كبير كلها موضوعة عليه لا تمييز بينها ، ولكل واحدة ممن طبخها علامة ، فبدأ فذاق قِدْراً طبخها المأمون فقال : زه ، وأكل منها ثلاث لقمات ، وقال : أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ، ثم ذاق قدر المعتصم ، فقال : هذه والله فكأنها والأولى من يد واحدة خرجتا ، وبحكمة [متساوية]

(١) فى ب « كما تأنس بالإلف » (٢) فى ب « محمد بن عمر » .

Marfat.com

طبختنا ، ثم ذاق قدر محمد بن عمرو[1] الرومى فقال : وهذه قِدْرُ طباخٍ ابن طباخ أجاد ، ما أحكمه ، ثم ذاق قدر يحيي بن أكثم [القاضى] فأعرض بوجهه ، وقال : شه ، هذه والله جمل طباخها فيها مكان بصلها خرا ، فضحك القوم وذهب بهم الضحك [كل مَذْهَبٍ] ، وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهَّى معهم ، وطابوا معه ، فلما برق الفجر قال له المأمون : لا يخرجَنَّ منك ما كنا فيه ، وعلم أنه علم بهم[2] ، فوَصَله بأربعة آلاف دينار[3] ، وقَسَّط له على أصحاب القدور [كل واحد منهم على قدر مرتبته] ، وقال : إياك أن تعود إلى الخروج فى مثل هذا الوقت مرةً أخرى ، فقال : لا أعدمكم الله الطبيخ ولا أعدمنى الخروج ؛ فسألوه عن تجارته ، وعرفوا منزله ، وجعل [بعدُ] فى خدمة المأمون وخدمة الجميع ، وصار فى جملتهم .

عى المأمون عن جواب ثلاثة

وحدث أبو عباد الكاتب — وكان خاصًا بالمأمون — قال : قال لى المأمون : ما أعيانى إلا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم ذى الرياستين أعزيها عنه فقلت : لا تأسَيْ عليه ولا تحزَني لفقده ، فإن الله قد أخلَفَ عليك منى ولداً يقوم لك مقامه ، فمهما كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضين عنى منه ، فبكت ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولداً كسبنى ولداً مثلك ؟ وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له : مَنْ أنت ؟ قال : موسى بن عمران عليه السلام ، فقلت : ويحك ! ! إن موسى بن عمران عليه السلام كانت له آياتٌ ودلالاتٌ بانَ بها أمره ، منها أنه ألقى عصاه فابتلعت كَيْدَ السَّحَرة ، ومنها إخراجه يَدَه من جيبه وهى بيضاء ، وجعلت أعدِّد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة ، وقلت له : لو أتيتنى بشىء واحدٍ من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك ، وإلا قتلتك ، فقال : صدقت ، إلا أنى أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى ، فإن قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به ، والثالثة أن أهل الكوفة اجتمعوا يَشْكُونَ عاملا كنت أحمد مذهبه

(١) فى ب « محمد بن عمر » (٢) فى ا « وعلم أنه قد عرفهم »
(٣) فى ا « بأربعة آلاف درهم » .

Marfat.com

وارتضى سيرته ، فوجهت إليهم إنى أعلم سيرة الرجل ، وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد ، فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم ، فأنا أعلم بكثرة كلامكم ، فقالوا : مافينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين ، إلا رجل أطروش ، فإن صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك ، فوعدتهم الصبر عليه ، وحضروا من الغد ، فأمرت[1] بالرجال فدخلوا والأطروش ، فلما مثل بين يدىَّ أمرتهم بالجلوس ، ثم قلت له : ما تشكو من عاملكم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هو شر عامل فى الأرض ، أما فى أول سنة ولينا فإنا بعنا أثاثاتنا وعقارنا ، وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا ، وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطوّل علينا بالأمر بصرفه عنا ، فقلت له : كذبت[2] لا أمان لك ، بل هو رجل أحمدتُ سيرتَه ومذهبه ، وارتضيت دينه وطريقته ، واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم ، قال : يا أمير المؤمنين ، صدقتَ وكذبتُ أنا ! ولكن هذ العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته [وعفته] وعدله وإنصافه ، كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد [التى قد ألزمك الله عز وجل من العناية بأمورها مثل ما ألزمك من العناية بأمرنا ؟ فاستعمله على هذه البلاد] حتى يشملهم من إنصافه وعدله مثل الذى شملنا ، فقلت له : قم فى غير حفظ الله ، فقد عزلته عنكم .

وكان يحيى بن أكثم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومَنْ يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعوا أخفافكم ، ثم أحضرت الموائد ، وقيل لهم : أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ، ومن خفه ضيق فلينزعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ، ويناظرهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون ، قال : فإنه يوماً ‌مناظرة المأمون للفقهاء

(١) فى ا « فأمرت بإدخال الأطروش » (٢) فى ا « كذبت ، لا أم لك ».

Marfat.com

مجالسٌ إذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ، ويطلب الدخول للمناظرة ، فقلت[١] : إنه بعض الصوفية ، فأردت بأن أشير أن لا يؤذن له ، فبدأ المأمون فقال : ائذن له . فدخل رجل عليه ثيابٌ قد شمرها ونعله فى يده ، فوقف على طرف البساط فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال المأمون : وعليك السلام ، فقال : أتأذن [لى] فى الدنو منك ؟ قال : ادنُ ، فدنا ، ثم قال : اجلِسْ ، فجلس ، ثم قال : أتأذن فى كلامك ؟ فقال : تكلم بما تعلم أن لله فيه رِضاً ، قال : أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ، ورضاً منك ، أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك ؟ قال : لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم ، إنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أَحْمَدَه المسلمون[٢] إما على رضا وإما على كره ، فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى أعناق مَنْ حضرهُ من المسلمين ، فأخذ على من حضر بيتَ الله الحرام من الحاجِّ البَيْعَةَ لى ولآخر معى فأعطوه ذلك إما طائعين وإما كارهين ، فمضى الذى عقد له معى على هذه السبيل التى مضى عليها ، فلما صار [الأمر] إلىَّ علمت أنى أحتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على الرضا ، ثم نظرت فرأيت أنى متى تخلَّيْتُ عن[٣] المسلمين اضطرب حبل الإسلام [ومرج عهدهم] ، وانتقضت أطرافه ، وغلب الهرج والفتنة ، ووقع التنازع ، فتعطلَتْ أحكام الله سبحانه وتعالى ، ولم يحجَّ أحد بيته ، ولم يجاهد فى سبيله ، ولم يكن لهم سلطان يجمعهم ويَسُوسهم ، وانقطعت السبل ، ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم ، فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين ، ومجاهداً لعدوهم ، وضابطاً لسبلهم ، وآخذاً على أيديهم ، إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به فأسلِّم الأمر إليه ، وأكون كرجل من المسلمين ،

(١) فى ا « فعلمت أنه بعض الصوفية » (٢) فى ا « احتمله المسلمون » .
(٣) فى ا « متى خليت على المسلمين أمورهم اضطرب حبل الإسلام » .

Marfat.com

وأنت أيها الرجل رسولى إلى جماعة المسلمين ، فمتى اجتمعوا على رجل ورَضُوا به خرجت إليه من هذا الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله [وبركاته] ، وقام ، فأمر المأمون علىّ بن صالح [الحاجب] بأن ينفذ فى طلبه[(١)] مَنْ يعرف مقصده ، ففعل ذلك ، ثم رجع وقال : وَجَّهت يا أمير المؤمنين [من اتبع الرجل فمضى] إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا [فى هيئته وزيه] فقالوا له : لقيت الرجل ؟ فقال : نعم ! قالوا : فما قال لك ؟ قال : ما قال لى إلا خيراً ، ذكر أنه ضَبَطَ أمور المسلمين إلى أن تأمن سُبُلهم ، ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ، ويأخذ للمظلوم من الظالم ، ولا يعطل الأحكام ، فإذا رضى المسلمون برجل سلّم الأمر إليه وخرج إليه منه ، قالوا : ما نرى بهذا بأساً ، وافترقوا ، فأقبل المأمون على يحيى ، فقال : كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب ، فقلت : الحمد لله الذى ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول [والفعل] .

يحيى بن أكثم قاضى البصرة

قال المسعودى : وكان يحيى [بن أكثم] وقد ولى قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون ، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ، فقال المأمون : لو طعنوا عليه فى أحكامه قبل ذلك منهم ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر ، واستفاض ذلك عنه ، وهو القائل يا أمير المؤمنين فى صفة الغِلْمَان وطبقاتهم ومراتبهم فى أوصافهم [قوله المشهور] فقال المأمون : وما الذى قال ؟ فدفعت[(٢)] إليه القصة فيها جُمَلٌ مما رمى به وحكى عنه فى هذا المعنى ، وهو قوله :

أربعة تَفْتِنُ ألحاظهم ... فعين من يَعْشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه ... منافق ليست له آخره
وآخر دنياه مفتوحة ... من خَلْفِهِ آخره وافره

(١) فى ا «أن يوجه من يتبعه حتى يعلم أين يقصد» وهى أوضح مما أثبتناه عن ب
(٢) فى ا « فرفعت القصيدة إليه وفيها جمل مارمى به » .

Marfat.com

وثالث قد حاز كلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا ولا آخره[١]

فأنكر المأمون ذلك فى الوقت واستعظمه ، وقال : أبكم سمع هذا منه ؟ قالوا : هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين ، فأمر بإخراجهم عنه ، وعَزَلَ يحيى عنهم.

وفى يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبى نعيم :

يا ليت يحيى لم يلده أَكْثَمُهْ ولم تطأْ أرضَ العراق قَدَمُهْ
أَلْوَط قاضٍ فى العراق نَعْلَمُه أى دواة لم يلفها قلمه
* وأى شِعْبٍ لم يَلِجْهُ أرقمه *

وضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ، ورخّصَ له فى أمور كثيرة ، فقال له يوماً : يا أبا محمد ، من الذى يقول :

قاضٍ يرى الحدّ فى الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس

قال : ذلك ابن أبى نعيم يا أمير المؤمنين ، وهو القائل :

أميرُنَا يرتشى ، وحاكمنا يلوط ، والرأس شر ما راس
قاضٍ يرى الحدّ فى الزناء ، ولا يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضى وعلى الـ أمة وَالٍ من آل عباس

فأطرق المأمون خجلا ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : يُنْفَى ابن أبى نعيم إلى السند .

وكان يحيى إذا ركب مع المأمون فى سفر ركب معه بمنطقة وقَبَاء وسيف بمعاليق وساسية[٢] ، وإذا كان الشتاء ركب فى أَقْبِيَةِ الخز وقلانس السمّور والسروج المكشوفة ، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط أن المأمون أمره أن يفرض لنفسه فرضاً يركبون بركوبه ويتصرفون فى أموره ، ففرض أربعمائة غلام مُرْداً اختارهم حسان الوجوه ، فافتضح بهم ، وقال فى ذلك راشد بن إسحاق يذكر ما كان من أمر يحيى فى الفرض :

(١) عجز هذا البيت فى ا «ليس بذى دنيا ولا آخره» (٢) فى ا «وشاشية».

Marfat.com

خليليّ انظرا متعجبَيْنِ ... لأظرف منظر مَقلتَهُ عَيْنِي
لفرضٍ ليس يقبل فيه إلا ... أسيل الخــدّ حلوُ المُقْلَتين
وإلا كلُّ أشقرَ أكثمِيٍّ ... قليلُ نبات شعرِ العارِضَيْن
يُقدَّمُ دُونَ موقفِ صاحِبيه ... بقدر جمالِهِ وبقبحِ ذين
يقودُهُمُ إلى الهيجاءِ قاضٍ ... شديد الطعن بالرمح الرُّدَيْنى
إذا شهد الوَغى منهم شجاعٌ ... تجدَّل للجبين ولليــدين(١)
يقودهم على عِلْمٍ وحِلْمٍ ... ليوم سلامة لا يوم حَيْنِ
وصار الشيخ منحنياً عليه ... بمدمجه يجوزُ الركبتين(٢)
يغادرهم إلى الأذقان صَرْعَى ... وكلهم جريحُ الخصيتين

وفيه يقول راشد أيضاً :

وكنا نرجِّي أن نرى العدل ظاهراً ... فأعقبنا بعــد الرجاء قُنُوطُ
متى تَصْلُحُ الدنيا ويصلح أهْلُهَا ... وقاضى قضاة المسلمين يلوط ؟

وكان يحيى بن أكثم بن عمرو بن أبى رباح من أهل خراسان من مدينة مَرْوَ ، وكان رجلا من بنى تميم ، وسخط عليه المأمون فى سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر ، وبعث به إلى العراق مغضوباً عليه ، وكان قد كتب الحديث وتفقّه للبصريين كعثمان البَتِّيِّ وغيره] وله مصنفات فى الفقه وفى فروعه وأصوله ، وكتاب أفرده سماه بكتاب «التنبيه» يردُّ فيه على العراقيين(٣) وبينه وبين أبى سليمان أحمد بن أبى دُوَاد بن على مناظرات كثيرة .

وفاة الإمام الشافعى

وفى خلافة المأمون كانت وفاة أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف الشافعى ، فى رجب ليلة الجمعة ، وذلك سنة أربع ومائتين ، ودفن صبيحة الليلة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة ، وصلى عليه السرى بن

(١) يقع هذا البيت فى اتاليا لمـا ذكر بعده هنا وفاقا لما فى ب .
(٢) فى ب « بمصرعه يجوز الركبتين » .
(٣) فى ب « وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه » .

Marfat.com

الحكم أميرُ مصر يومئذٍ ، كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع ابن سليمان المؤذن ، وذكر أيضاً محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ، ودفن الشافعى بمصر بحو-ة[1] قبور الشهداء فى مقبرة بنى عبد الحكم ، وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير ، وكذلك عند رجليه ، وعلى العالى الذى عند رأسه حفر قد كتب فيه فى ذلك الحجر « هذا قبر محمد بن إدريس الشافعى أمين الله » وما ذكرنا فمشهور بمصر ، والشافعى يتفق نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف ؛ لأنه من ولد المطلب بن عبد مناف ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « نحن وبنو المطلب كهاتين » وأشار بأصبعيه مضمومتين ، وقد كانت قريش حاصَرَتْ بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشِّعْبِ .

وحدثنى فقير بن مسكين عن المزنى بهذا ، وكان فقير يحدث عن المزنى، وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة أسوان بصعيد مصر ، قال : قال المزنى : دخلت على الشافعى غداة وفاته ، فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا رَاحِلاً ، ولإخوانى مفارقاً ، وبكأس المنية شاربا ، ولا أدرى إلى الجنة تصير روحى فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ، وأنشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جَعَلْتُ الرجا منى لعفوك سُلّما
تعَاظَمَنِي ذنبي ، فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وفاة أبى داود الطيالسى

وفى هذه السنة التى مات فيها الشافعى — وهى سنة أربع ومائتين — مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسى ، وهو ابن إحدى وتسعين[2] سنة،

وابن الكلبى

وفيها مات هشام بن محمد [بن السائب] الكلبي .

المأمون ورجل يدعى النبوة

وادَّعى رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون ، فحمل إليه مُوثَقًا بالحديد ، فمثل بين يديه ، فقال له : أنت نبى مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنا مُوثَقٌ ،

(١) فى ب «نحو قبور الشهداء» (٢) فى ا «وهو ابن إحدى وسبعين سنة»

Marfat.com

قال : ويلك !! مَنْ غرك ؟ قال : أبهذا تُخَاطَبُ الأنبياء ؛ أما والله لولا أنى مُوثَقٌ لأمرت جبريل أن يُدَمْدِمها عليكم ؛ قال له المأمون : والموثَقُ لا تجاب له دعوة ؟ قال : الأنبياء خاصة إذا قُيدَتْ لا ترتفع دعاؤها ، فضحك المأمون ، وقال : من قيدك ؟ قال : هذا الذى بين يديك ، قال : فنحن نطلقك وتأمر جبريل أن يدمدمها ، فإن أطاعك آمنّا بك وصدقناك ، فقال : صدق الله إذ يقول : (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) إن شئت فافعل ، فأمر بإطلاقه ، فلما وجد راحة العافية قال : يا جبريل ، ومَدَّ بها صوته ، ابعثوا من شئتم فليس بينى وبينكم الآن عمل ، غيرى يملك لأموال وأنا لا شىء معى ، ما يذهب لكم فى حاجة إلا كشخان[1] فأمر بإطلاقه والإحسان إليه .

المأمون ورجل يدعى أنه إبراهيم الخليل

وحدث ثُمامة بن أشرس قال : شهدت مجلساً للمأمون وقد أتى برجل ادعى أنه إبراهيم الخليل ، فقال له المأمون : ما سمعت بأجرأ على الله من هذا، قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى كلامه ، قال : شأنك وإياه ، قلت : يا هذا إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين ، قال : وما براهينه؟ قلت : أضرِمَتْ له النار وألقى فيها فكانت عليه برداً وسلاماً ، فنحن نُضرِمُ لك ناراً ونطرحك فيها فإن كانت عليك بَرْداً وسلاماً كما كانت عليه آمَنّا بك وصدقناك ، قال : هات [ما هو] ألينُ علىّ من هذا ، قلت : فبراهين موسى عليه السلام ، قال : وما هى ؟ قلت : ألقَى العصا فإذا هى حية تسعى تَلقَفُ ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هات ما هو ألين [علىّ] من هذا قلت : فبراهين عيسى عليه السلام ، قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال : جِئْتَ بالطامَّةِ الكبرى، دعنى من براهين هذا، قلت: فلا بد من براهين ،قال:ما معى من هذا شىء ، [وقد] قلت لجبريل إنكم توجهونني إلى شياطين فأعطونى حجة أذهب بها

(١) فى ب « فليس بينى وبينكم الآن خير ، غيرى يملك الأموال وأنا لا شىء معى ، مايذهب لكم الا السجان » وهى عبارة قلقة كما ترى .

Marfat.com

وإلا لم أذهب ، فغضب جبريل عليه السلام عليّ ، وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم ، فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة .

وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خَلَعَ المأمون أخاه القاسم ابن الرشيد من ولاية العهد .

خروج أبى السرايا وابن طباطبا وقوم من العلويين

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السَّرَايَا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق ، واشتدّ أمره ، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم][1] بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو ابن طَبَاطبا ، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على رحمهم الله ، ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن [محمد بن] على بن [الحسن بن على] عليهم السلام ، وزيد بن موسى بن جعفر [بن محمد بن على بن الحسين بن على] ، فغلبوا على البصرة.

وفى هذه السنة مات ابن طباطبا الذى كان يدعو إليه أبو السَّرَايَا ، وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على.

وظهر فى هذه السنة باليمن — وهى سنة تسع وتسعين ومائة — إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد [بن على بن الحسن بن على] ، وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله ، وذلك فى سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، وإليه دعت السبطية[2] من فرق الشيعة وقالت بإمامته ، وقد افترقوا فرقاً : فمنهم مَنْ غَلاَ ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا فى كتاب « المقالات فى أصول الديانات » وفى كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا فى بَدْء أمره وعنفوان شبابه إلى محمد بن إبراهيم بن طَبَاطَبَا صاحب أبى السرايا ، فلما مات ابن طَبَاطَبَا — وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن —

(١) سقط هذا الاسم من ب (٢) فى « ب السمطية » .

Marfat.com

دعا لنفسه ، وَتَسَمَّى بأمير المؤمنين ، [وليس فى آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق ممن سلف وخَلَفَ قبله و بعده مَنْ تَسَمَّى بأمير المؤمنين] غير محمد بن جعفر هذا، وكان يسمى بالديباجة ؛ لحسنه وبهائه ، وما كان عليه من البهاء والكمال ، وكان له بمكة ونواحيها قصص حمل فيها إلى المأمون بخراسان ، والمأمون يومئذٍ بِمَرْو ، فأمنه المأمون ، وحمله معه إلى جرجان [فلما صار المأمون] مات محمد ابن جعفر ، فدفن بها ، وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب [ومقاتلهم ببقاع الأرض] فى كتابنا « حدائق الأذهان » فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الأرض .

ظهور ابن الأفطس

وظهر فى أيام المأمون أيضاً بالمدينة الحسين بن الحسن[1] بن على بن على بن الحسين بن على ، وهو المعروف بابن الأفطَسِ ، وقيل: إنه دعا فى بَدْء أمره إلى ابن طَبَاطبا ، فلما مات ابن طَبَاطبا دعا إلى نفسه والقول بإمامته وسار إلى مكة فأتى الناس وهم بِمِنًى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمى ، فهرب داود ، ومضى الناس إلى عرفة ، ودفعوا إلى مُزْدَلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفْطَس وَافى الموقف بالليل ، ثم صار إلى المزدلفة والناس بغير إمام ، فصلى بالناس ، ثم مضى إلى مِنًى ، فنَحَرَ ودخل مكة ، وجَرَّد البيت مما عليه من الكسوة إلا القبَاطى البيض فقط .

الظفر بأبى السرايا

وفى سنة مائتين ظفر حماد المعروف بالكندغوش بأبى السرايا[2] ، فأتى به الحسن بن سهل ، فقتله وصلبه على الجسر ببغداد، وقد أتينا فى كتابنا « أخبار الزمان » على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس ابن [محمد بن] أبى خالد ومن كان معه من قواد الأبناء واستباحته عسكره .

قال المسعودى : وفى سنة مائتين بعث المأمون رَجَاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم إلى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على[3] الرضا

(١) فى ب « الحسن بن الحسين » (٢) فى ب « ظهر حماد المعروف بالكيدعوس بن السرايا» محرفا كما ترى (٣) فى ب «بن على بن الحسن الرضا» .

Marfat.com

لإشخاصه ، فحمل إليه مكرماً ، وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً .

المأمون وعلى ابن موسى الرضا

ووصل إلى المأمونُ [أبو الحسن] على بن موسى الرضا ، وهو بمدينة مَرْوَ ، فأنزله المأمون أحْسَنَ إنزال ، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر فى ولد العباس وولد على رضى الله عنهم ، فلم يجد فى وقته أحداً أفضَلَ ولا أحَقَّ بالأمر من على بن موسى الرضا ، فبايَعَ له بولاية العهد ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وزوّج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام [وأظهر بدلا من ذلك الخضرة فى اللباس والأعلام وغير ذلك] ونمى ذلك إلى مَنْ بالعراق من ولد العباس ، فأعْظَمُوهُ إذ علموا أن فى ذلك خروج الأمر عنهم ، وَحَجَّ بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون ، واجتمع مَنْ بمدينة السلام من ولد العباس [ومواليهم وشيعتهم] على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدى المعروف بابن شِكْلَةَ ، فبويع له يوم الخميس لخمس ليالٍ خَلَوْنَ من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وقيل : إن ذلك فى سنة ثلاث ومائتين .

مقتل الفضل ابن سهل

وفى سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل ذو الرياستين فى حمام غِيلَةً ، وذلك بمدينة سرخس من بلاد خُرَاسان ، وذلك فى دار المأمون فى مسيره إلى العراق [فاستعظم المأمون ذلك وقتل قَتَلَتَه ، وسار المأمون إلى العراق] .

موت على ابن موسى الرضا

وَقُبِضَ علىُّ بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه ، وقيل: إنه كان مسموماً ، وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين ، وصلى عليه المأمون ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : سبع[1] وأربعين سنة وستة أشهر . وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، وكان المأمون زَوَّجَ ابنته أم حبيبة[2] لعلى بن موسى الرضا ، فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن على بن موسى ، والأخرى تحت أبيه على بن موسى .

(١) فى ا «وقيل تسع وأربعين سنة وستة أشهر» (٢) فى ا «ابنته أم حبيب»

Marfat.com

ابرهيم بن المهدى يخرج على المأمون

واضطربت بغداد فى أيام إبراهيم بن المهدى ، وثارت الرويبضة[١] ، وسموا أنفسهم المطوعة[٢] ، وهم رؤساء العامة والتوابع ، ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى إبراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر ، واختفى فى يوم الثانى من النحر ، وذلك فى سنة ثلاث ومائتين ، فخلعه أهلُ بغداد ، وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ، ولباسه الخضرة ، ثم غير ذلك ، وعاد إلى لباس السواد ، وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة إليه .

خروج بابك الخرمى

وفى سنة أربع[٣] ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها ، وفيها كان خروج بابك الخرَّمِيّ ببلاد البذين فى أصحاب جاويذان ابن شهرك ، وقد قدَّمنا ذكرنا بلاد بابك ، وهى البذين من أرض أذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبخ والباب والأبواب ونهر الراس وجريانه نحو[٤] بلاد البذين .

الظفر بإبراهيم

وَبَثَّ المأمون عيونه فى طلب إبراهيم بن المهدى ، وقد علم باختفائه فيها ، فظفر به ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زىّ امرأة ، ومعه امرأتان ، أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد ، فأدخل إلى المأمون فقال : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ولىُّ الثأر مُحَكَّم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار بما مُدَّ له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو ، كما جعل كل ذى ذنب دونى ، فإن تُعاقِبْ فبحقك ، وإن تَعْفُ فبفضلك ، قال : بل العفو يا إبراهيم ، فكَبَّرَ ثم خرَّ ساجداً ، فأمر المأمون فصيرت [المقنعة] التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ، ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياماً ينظر الناسُ إليه ،

(١) فى ب « الرويضية » (٢) فى ب « المطوعية » .
(٣) فى ب « وفى سنة إحدى ومائتين » وليس بشىء (٤) فى ا « تحت بلاد البذين »

Marfat.com

ثم حول إلى أحمد بن [أبى] خالد ، ثم رضى عنه من بعد أن كان وكَّلَ به ، فقال إبراهيم فى ذلك من كلمة له :

إن الذى قَسَمَ المكارم حازَهَا من صُلْبِ آدم للإمام السابع
جمع القلوبَ عليك جامعُ أهلها وحَوَى ودادك كل خير جامع
فبذلتَ أعظم ما يقوم بحمله وُسْعُ النفوس من الفعال البارع
وَعفوْتَ عمَّنْ لم يكن عن مثله عفو ، ولم يشفع إليك بشافع

زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل

وانحدر المأمون إلى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين ، وأمْلَكَ بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ، ونثر الحسن فى ذلك الإملاك من الأموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى إسلام ، وذلك أنه نثر على الهاشميين وَالقوَّاد وَالكُتَّاب وَالوُجُوه بَنادِقَ مسكٍ فيها رِقَاعٌ بأسماء ضِيَاعٍ وأسماء جَوَارٍ وصفات دوابَّ وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها ، فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها ، فيمضى إلى الوكيل الذى نصب لذلك ، فيقول له : ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طَسُّوج كذا من رُسْتَاق كذا ، وجارية يقال لها فلانة الفلانية ، ودابة صفتها كذا ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم وَنَوَافِجَ المسك وبَيْضَ العنبر ، وأنفق على المأمون وَقُوَّاده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده حتى المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره ، فلم يكن أحد من الناس يشترى شيئاً فى عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما أراد المأمون أن يصعد فى دجلة منصرفاً إلى مدينة السلام قال للحسن : حَوَائِجَكَ يا أبا محمد ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أسألك أن تحفظ عَلَيَّ مكانى من قلبك ، فإنه لا يتهيأ لى حفظه إلا بك ، فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنة ، فقالت فى ذلك الشعراء فأكثرت ، وأطنبت الخطباء فى ذلك وتكلمت ، فما استظارف مما قيل فى ذلك من الشعر قولُ [محمد] بن حازم الباهلى :

بارك الله للحَسَنْ وَلبُورَانَ فى الخَتَنْ

Marfat.com

يا ابن هارون قد ظَفِرْ تَ ولكن ببنت من

فلما نمى هذا الشعر إلى المأمون قال : والله ما ندرى خيراً أراد أم شرًّا .

أهل المأمون يحملونه على قتل إبراهيم ابن المهدى

ودخل إبراهيم بن المهدى يوماً على المأمون بعد مدة من الظفر به ، فقال : إن هذين يحملانِنِي على قتلك — يعنى المعتصم أخاهُ والعباس بن المأمون — فقال : ما أشارا عليك إلا بما يُشَار به على مثلك ، ولكن تدَعُ ما تخاف لما ترجو ، وأنشد :

رَدَدْتَ مالى ولم تَبْخَلْ عَلَىَّ به وقبل رَدِّكَ مالى قد حَقَنْتَ دمى

فبؤت منها وما كافيتها بِيَدٍ هما الحياتان من موت ومن عدم

البر وَطَّأ منك العذر عندك لى فيما أتيت ، ولم تعذل ، ولم تلم

وقام عُذْرُكَ بى فَاحْتَجَّ عندك لى مقام شاهد عـــدل غير مُتَّهَمِ

ولإبراهيم أخبار حسان ، وأشعار ملاح ، وما كان من أمره فى حال اختفائه فى سويقة غالب ببغداد ، وتنقله من موضع إلى موضع بها ، وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها ، قد أتينا على جميعها فيما سمينا من كتبنا التى كتابُنَا هذا تَالٍ لها [ومنبه عليها] .

وقد صَنَّف يوسف بن إبراهيم الكاتب صاحب إبراهيم بن المهدى كتباً منها كتابه فى أخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس ، وغير ذلك ، وكتابه المعروف بكتاب إبراهيم بن المهدى فى أنواع الأخبار ، وغير ذلك من كتبه .

من أخبار إبرهيم بن المهدى

ومن أحسن ما اختير من أخبار إبراهيم فى حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين ، وهو أن المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الباب من بَثِّهِ العيونَ طالباً[1] لإبراهيم بن المهدى ، وجعل لمن دَلَّ عليه جُعْلاً خطيراً من المال ، قال إبراهيم : فخرجت فى يوم صائف فى وقت الظهر لا أدرى أين أتَوَجَّهُ ، فصرت إلى زُقَاق ولا مَنْفَذَ له ،

(١) فى ب « من هذا الكتاب من بثه العيون طلبا لإبراهيم — إلخ » .

Marfat.com

فرأيت أسْوَدَ على باب دارٍ ، فصرت إليه وقلت له : أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح بابه ، فدخلت إلى بيت فيه حصير نظيف ووسادة[1] جلد نظيفة ، ثم تركنى وأغلق الباب فى وجهى وَمَضَى ، فتوهمته قد سمع الجعالة فِيَّ ، وأنه خرج ليدل عَلَيَّ ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه طبق[2] عليه كل ما يحتاج إليه من خبز ولحم ، وقدر جديد وآلتها ، وَجَرَّة نظيفة ، وكيزان نظاف ، كل ذلك جديد ، وقال لى : جعلنى الله فداك ، إنى حَجَّام ، وإنى أعلم[3] أنك تَتَقَذَّر ما أتَوَلاَّهُ ، فشأنك بما لم تقع عليه يدى ، وكانت بى حاجة شديدة إلى الطعام ، فقمت فطبخت لنفسى قدراً ما أذكر أنى أكلت أطيبَ منها ، ثم قال لى بعد ذلك : هل لك فى النبيذ ؟ فقلت : ما أكره ذلك ، ففعل مثل فعله فى الطعام ، وأتانى بكل شىء نظيف لم يَمَسَّ شيئاً منه بيده ، ثم قال لى بعد ذلك : أتأذن لى جعلنى الله فداك أن أقعد ناحية منك ، فآتى بنبيذ فأشرب منه سروراً بك ؟ قال : فقلت : افْعَلْ ذلك ، فلما شرب ثلاثاً دخل خزانة له وأخرج منها عُوداً وقال : يا سيدى ، ليس من قَدْرِى أن أسألك أن تغنى ، ولكن قد وجبت عليك حرمتى ، فإن رأيت أن تشرف عبدك بأن تغنيه ، قال : فقلت : وكيف توهمت عَلَيَّ أنى أحسن الغناء ؟ فقال متعجباً : يا سبحان الله ! ! أنت أشهر من أن لا أعرفك ، أنت إبراهيم بن المهدى الذى جعل المأمون لمن دَلَّ عليك مائة ألف درهم ، قال : فلما قال لى ذلك تناولتُ العود ، فلما هممت بالغناء قال : يا سيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك ؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة أصوات أتَقَدَّمُ فيها كلَّ مَنْ غَنَّى ، قلت : هَبْكَ عرفتنى ، هذه الأصوات من أين لك بمعرفتها ؟ قال : أنا أخدم إسحاق بن إبراهيم[4] الموصلى ، وكثيرا ما كنت أسمعه يذكر المحسنين وما يُجيدُونَهُ ، ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى ، فغنيته ، وأنست به ، واستظرفته . فلما كان

(١) فى ا « ومسورة جلد » (٢) فى ا « ومعه حمال عليه – إلخ » .
(٣) فى ا « وأنا أعلم » (٤) فى ب « إبراهيم بن إسحاق » .

Marfat.com

الليلَ خرجت من عنده ، وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير ، فقلت له : خذها فاصرفها فى بعض مُؤْنتك ، ولك عندنا مزيد إن شاء الله تعالى . فقال : ماأعجب هذا !! والله عزمت على أن أعرض عليك جملة ماعندى[1] ، وأسألك أن تتفضل بقبولها ، ثم أجللتك عن ذلك ، وامتنع من قبول شىء ، ومضى حتى دَلَّنِى على الموضع الذى احتجت إليه ، وانصرف ، وكان آخر العهد به .

يزيد بن هارون

وفى سنة ست ومائتين — وذلك فى خلافة المأمون — مات يزيد بن هارون بن زادان الواسطى ، وله تسع وثمانون سنة ، وكان مولده سنة سبعَ عشرَةَ ومائةٍ وهو مولى لبنى سُلَيم ، وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف ، ويزيد هذا عند أهل الحديث من عِليتهم[2] ، وعظيم من عظمائهم ، وكانت وفاته بواسط العراق

موت جماعة من أهل العلم

وفيها مات جرير بن خُزَيمة بن حازم ، وشيبة بن سَوَّار المدنى ، والحجاج ابن محمد الأعور الفقيه ، وعبد الله بن نافع الصائغ[3] المدنى مولًى لبنى مخزوم ، ووهب بن جرير ، ومؤمل بن إسماعيل ، وروح بن عبادة ، وفيها مات الهيثم بن عدىّ وكان يغمز عليه نسبه ، وفيه يقول القائل :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بنى ثُعَل فقدِّمِ الدال قبل العين فى النسب

قصة وفاء وإيثار

وفى سنة تسع ومائتين مات الواقدى ، وهو محمد بن عمرو بن واقد مولًى لبنى هاشم ، وهو صاحب السير والمغازى ، وقد ضعف فى الحديث ، وذكر ابن أبى الأزهر قال : حدثنى أبو سهل الرازى[4] ، عمن حدثه ، عن الواقدى قال : كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضَيْقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطّعوا قلبى رحمة لهم ؛

(١) فى ب « عزمت على أنى أعرض عليك جملة عندى » .
(٢) فى ب « وهذا عمدة أهل الحديث فى علمهم » .
(٣) فى ب « الصانع » . (٤) فى ب « الدارى » .

Marfat.com

لأنهم يَرَوْنَ صبيان الجيران قد تَزَيَّنُوا فى عيدهم وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثّةِ ، فلو احْتَلْتَ بشىء تصرفه فى كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديق الهاشمى أسأله التوسعة علىّ لما حضر ، فوجه إلى كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قرارى حتى كتب[1] إلىّ الصديقُ الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلى مستحيياً من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه ، فبينا أنا كذلك إذ وافى[2] صديق الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، فقال لى : اصْدُقْنِي عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته الخبر على جهته ، فقال : إنك وجهت إلى وما أملك على الأرض إلا ما بعثتُ به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه بكيسى بخاتمى ، قال : فتواسينا الألف ثلاثاً بعد أن[3] أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم ، ونمى الخبر إلى المأمون ، فدعانى ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار : لكل واحد ألفا دينارٍ ، وللمرأة ألف دينار ، وقُبِضَ الواقدى وهو ابن سبع وسبعين سنة .

وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين [بن على] ببغداد ، وصلى عليه المأمون ، وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا .

بين أزهر وأبى جعفر المنصور

وفيها مات أزْهَرُ السمان ، وكان صديقاً لأبى جعفر المنصور فى أيام بنى أمية وكانا قد سافرا جميعاً وسمعا الحديث ، وكان المنصور يألفه ، ويأنس إليه ، ويكبر عنده ، فلما أفضَتِ الخلافة إليه أشْخَصَ إليه من البصرة ، فسأله المنصور عن زوجته وبناته ، وكان يعرفهنَّ بأسمائهن ، وأظهر بره وإكرامه ، ووَصَله بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يقدم إليه مستميحاً ، فلما كان بعد حَوْلٍ صار إليه ، فقال له : ألم آمرك أن لا تسير إلى مستميحاً ، فقال له : ما صرت إليك إلا مسلماً ومجدداً بك عهداً ، قال :

(١) فى ب « إذ كتب » (٢) فى ا « إذ وافانى » .
(٣) فى ب « ثم إنا أخرجنا » .

Marfat.com

ما أرى الأمر[1] كما ذكرت ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره أن لا يصير إليه مسلماً ولا مستميحاً ، فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إنى لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتنى عنهما ، وإنما بلغنى أن علة عرضت لأمير المؤمنين فأتيته عائداً ، فقال : ما أظنك أتيت إلا مستوصلا ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما كان بعد[2] الحول ألح عليه بناته وزوجته ، وقالت له : أمير المؤمنين صديقكَ فارجع إليه ، فقال : ويحكن !! ماذا أقول لهوقد قلت له أتيتك مستميحاً ومسلماً وعائداً ؟ ماذا أقول فى هذه المرة ؟ وبم أحتجُ ؟ فأبوا على الشيخ إلا الإلحاح ، فخرج فأتى المنصور وقال : لم آتك مسترفداً ، ولا زائراً ، ولا عائداً ، وإنما جئت اسماع حديث كنا سمعناه جميعاً فى بلد كذا من فلان عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى مَنْ سال الله به لم يردَّه ولم يخيب دعوته ، فقال له المنصور : لا تُرِدْه فإنى قد جرَّبته فليس هو بمستجاب ، وذلك أنى مذ جئتنى أسأل الله به أن لا يردَّك إلى ، وها أنت ترجع لاتنفك من قولك مسلما أو عائداً أو زائراً ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وقال له : قد أعيتنى فيك الحيلة فصر إلى متى شئت .

مقتل ابن عائشة

وفى سنة تسع ومائتين ركب المأمون إلى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة ، وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب ، واسمه إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام أخى أبى العباس والمنصور ، وقتل معه محمد بن إبراهيم الإفريقى وغيره ، وابن عائشة هذا أول عباسى صُلِبَ فى الإسلام ، وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر :

إذا النار فى أحجارها مُستَكِنَّة ... متى ما يُهِجْهَا قادح تتضرمِ

وكان رجل من ولد العباس بن على بن أبى طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة ، وهو العباس بن العباس العلوى ، بمدينة السلام ، وكان المعتصم يَشْنَؤُه لحالٍ كانت بينهما ، فسكن فى نفس[3] المأمون أنه

(١) فى ا « ماأرى الأمر إلا كما ذكرت » (٢) فى ا « فلما مضت سنة » .
(٣) فى ا « فسكن فى قلب المأمون » .

Marfat.com

شانىء [له و] لدولته ، ماقِتٌ لأيامه ، فلما كان فى تلك الليلة لحق العباس بالمأمون على الجسر فقال له المأمون : مازلت تنتظرها حتى وقعت ، فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ولـكنى ذكرت قول الله عز وجل (ما كان لأهل المدينة ومَنْ حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) لحسن موقع ذلك منه ، ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق ، فلما قتل ابن عائشة قال : يأذن أمير المؤمنين فى الـكلام ؟ قال : تـكلم ، قال : الله الله فى الدماء ، فإن الملك إذا ضَرِيَ بها لم يصبر عنها ، ولم يُبْقِ على أحد ، قال : لو سمعت هذا الـكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفـكت دمًا ، وأمر له بثلثمائة ألف درهم .

وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا ، وما أراد من الإيقاع بالمامون ، وما كان من أمره فى كتابنا فى « أخبار الزمان » .

موت أبى عبيدة معمر بن المثنى

وفى سنة إحدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى بالبصرة ، وكان يرى رأى الخوارج ، وبلغ نحواً من مائة سنة ، ولم يحضر جنازته أحد من الناس ، حتى اكترى لها من يحملها ، ولم يكن يسلم عليه(١) شريف ولا وضيع إلا تـكلم فيه ، وله مصنفات حِسَانٌ فى أيام العرب وغيرها : منها كتاب المثالب ، ويذكر فيه [أنساب] العرب وفسادها ، ويرميهم بما يُسيء الناسَ ذِكْرُه(٢) ، ولا يحسن وصفه ، وكان أبو نُوَاسٍ الحسن بن هانىء كثير العبث به ، وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة إلى سارية من سَوَاريه ، فـكتب أبو نُوَاس عليها فى غيبته [عنها بهذين البيتين يعرِّضُ به] :

صَلَّى الإلٰهُ عَلَى لوطٍ وشيعته أبا عُبيـــدة قل بالله آمينا
[وأنت عندى بلا شك بقيتُهُمُ مذ احتلمت ، وقد جاوزت تسعينا]

فلما جاء أبو عُبيدة ليجلس فى مجلسه ويستند على تلك السارية رأى ذلك ، فقال : هذا فعلُ الماجِنِ اللواط أبى نواس ، حُـكُّوه وإن كان فيه صلاة على نبى .

(١) فى ب « ولم يكن يسلم منه – الخ » .
(٢) فى ا « ويرميهم بمـا ليس فى السياسة ذكره »

Marfat.com

موت أبى العتاهية وشىء من أخباره

وفى هذه السنة — وهى سنة إحدى عشرة ومائتين — مات أبو العتاهية إسماعيلُ بن القاسم، الشاعر، متنسكا لابسًا للصوف، وكان له مع الرشيد أخبار حسان : من ذلك ما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب، ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله إليه، وأمر أن لا يكلم فى طريقه، ولا يعلم ما يراد منه، فلما صار فى بعض الطريق كتب له بعض مَنْ معه فى الطريق(١) : إنما يراد قتلك، فقال أبو العتاهية من فوره :

ولعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجُوهُ سوف يكون

ولعل ما هَوَّنْتَ ليس بهين ولعل ما شَدَّدْتَ سوف يهون

وحج فى بعض الحجج مع الرشيد، فنزل الرشيد يومًا عن راحلته، ومشى ساعة، ثم أعيا، فقال: هل لك يا أبا العتاهية أن تستند إلى هذا الميل(٢)؟ فلما قعد الرشيد [أقبل على أبى العتاهية و] قال له : يا أبا العتاهية، حركنا، فقال:

[هب الدنيا تُوَاتيكا أليس الموت يأتيكا ؟]

ألا يا طالبَ الدنيا دع الدنيا لشانيكا

وما تصنع بالدنيا وظل الميل يكفيكا

ولأبى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان، قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملا مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه، وكذلك قدمنا من ذلك لمعًا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار خلفاء بنى العباس، ومما استحسن من ذلك قوله :

أَحْمَدٌ قال لى ولم يَدْرِ ما بى : أتحبُ الغداة عتبة حقًا ؟

فتنفَّسْتُ ثم قلت : نعم حُبًّا جرى فى العروق عِرْقًا فعرقًا

ليتنى مُتُّ فاسترحْتُ ؛ فإنى أبدًا ما حييت منها مُلَقًّى

لا أرانى أبقى، ومن يَلْقَ مالا قَيْتُ من لوعة الجوى ليس يبقى

فاحْتَسِبْ صحبتى، وقل : رحمة الله على صاحبٍ لنا مات عشقا

أنا عَبْدٌ لها وإن كنت لا أر زَقُ منها والحمد لله عتقا

(١) فى ا « كتب له بعض من معه على الأرض ».
(٢) فى ا « أن نستريح إلى ظل هذا الميل ».

Marfat.com

ومما استحسن من شعره أيضاً قوله :

يا عُتْبَ مالى ولَكِ يا ليتنى لم أرَكِ
ملكتنى فانتهكى ما شئت أن تنتهكى
أبيتُ ليلى ساهراً أرعى نجوم الفَلَكِ
مفترشا جَمْرَ الغَضَى ملتحفاً بالحَسَكِ

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله :

أخِلاَّىَ بى شَجْوٌ، وليس بكم شَجْوُ وكل امرىء من شَجْوِ صاحبه خِلْوُ
رأيت الهوى جَمْرَ الغضى، غير أنه على حَرِّه فى صدر صاحبه حُلْوُ
أذاب الهوى جسمى وعظمى وقُوتى فلم تَبْقَ إلاَّ الروحُ والبدن النِّضْوُ
وما من حبيبٍ نال ممن يحبه هوى صادقاً إلا يداخِله زَهْوُ
وإنى لنائى الطرف مِنْ غير خُلَّتى ومالى سواها من حديثٍ ولا لَهْوُ
لها دُون إخْوَانى وأهل مودتى من الود منى فَضْلَة ، ولها العَفْوُ

ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قولِهِ قولُه :

يالهف نفسى عَلَى الذِى اجتنبت بأى جُرْمٍ ترونها عَتَبَتْ
تبارك اللهُ بِئس ما صَنَعَتُ بى فى هواها، وبئس ما ارتكبت(١)
أتيتها زائراً فما انتجزتْ وَعْدِىَ إذْ جئتها وما احتسبت
كم من ديونٍ واللهُ يعلمها لنا عليها لم تُقْضَ إذ وجبت
ما وهبتْ لى مِنْ فضلها عِدَةً إلا استردَّتْ جميع ما وهبت
فأىُّ خَيْرٍ وأىُّ مَنْفَعَةٍ لِذَاتِ دَلٍّ تريق ما حلبت ؟
الله بينى وبين ظالمتى طلبتُ منها وصالها فأبت
ماذا عليها لو أنها بعثت منها رسولا إلىَّ أو كتبت
رغبت فى وصلها وقد زَهِدَتْ عتبة فى وصلنا وما رغبت

(١) فى ا « بى من هواها »

Marfat.com

وكان أبو العتاهية قبيح الوجه ، مليح الحركات ، حلو الإنشاد ، شديد الطرب ، ومن مليح شعره أيضاً قولُهُ :

من لم يَذُقْ لصَبَابة طعماً ... فلقد أحَطْتُ بطعمها علماً
إنى منحت مودتى سَكَناً ... فرأيته قد عَدَّها جُرْماً
ياعُتْبَ ماأبقيت من جسدى ... لحماً ، ولا أبقيت لى عظما
ياعتب ماأنامن صنيعك بى ... أعمى،ولـكنّ الهوى أعمى
إن الذى لم يدر ما كلَفِى ... ليرى عَلَى وجهى به وَسْمَا

وله أشعار خرج فيها عن العَرُوض مثل قوله :

هَمٌّ القاضى بيت يطرب ... قال القاضى لما عوتب
ما فى الدنيا إلا مذنب ... هذا عذر القاضى واقلب

وزنه فَعْلُنْ فعلن أربع مرات ، وقد قال قوم : إن العرب لم تقل على وزن هذا شعراً ، ولا ذَكَره الخليل ولا غيره من العروضيين(١) .

الزيادة فى العروض على الخليل

قال المسعودى : وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد فى العروض : من ذلك المديد ، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل ، وفيه عروض رابع وضربان مُحْدَثان ؛ فالضرب الأول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر :

مَنْ لعين لا تنام ... دمعها سَحٌّ سجام(٢)

والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر :

يا لبكر لا تَنُوا ... ليس ذا حين ونا

وغير ذلك مما قد تـكلموا فيه، وذكروه فى هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره فى كتابنا فى « أخبار الزمان » .

(١) هذا هو التدارك الذى زاده الأخفش ، ونظيره قول الآخر :
دارك قلبى بلمى ثغر ... فى مبسمه نظم الجوهر
(٢) فى ا « مالعينى لاتنام » .

Marfat.com

أبو العباس الناشىء

وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء الكاتب الأنبارى [على الخليل بن أحمد فى ذلك كتابا ذكر فيه أنواعا من هذا المعنى مما خرج فيه] الخليل بن أحمد عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل ، كان ذلك له لازما ، ولما أورده كاسرا، وللناشىء أشعار كثيرة حسان : منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل ، وأشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى أنواع من العلوم ، فما جوّد فيه قولُه حين سار من العراق إلى مصر ، وبها كانت وفاته ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره :

ياديار الأحباب هَلْ مِنْ مُجيبٍ عنك يشفى غليل نائى المَزَارِ ؟
ماأجابت،ولكنِ الصمتُ منها فيه للسائلين طول اعتبار
إن تكن أوحَشَتْ فبعد أنيسٍ أو خَلَتْ منهمُ فبعد قرار
قد لهونا بها زمانًا وحينا ووصلنا الأسحار بالأسحار
واغتبقنا على صَبُوحٍ ولهوٍ وحنين النايات والأوتار
بين وَرْدٍ ونرجسٍ وخُزَامى وبنفس وسوسن وبَهَارِ
وأقاح وكل صنف من النَّوْ ر الشهىّ الجَنِى والجُلُنَار
فرمتنا الأيامُ أحسن ما كـنا على حين غَفْلَة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع ونأينا بعد اقتراب الديار

نداء المأمون فى أمر معاوية وسببه

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين نادى منادى المأمون : برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه [على أحد] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وتكلم فى أشياء من التلاوة أنها مخلوقة ، وغير ذلك ، وتنازعَ الناس فى السبب الذى من أجله أمر بالنداء فى أمر معاوية ؛ فقيل فى ذلك أقاويل : منها أن بعض سُمّاره حَدّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفى ، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكار فى كتابه فى

Marfat.com

الأخبار المعروفة بالموفقيات التى صنفها[1] للموفق ، وهو ابن الزبير ، قال : سمعت المدائنى يقول : قال مطرف بن المغيرة بن شعبة : وَفَدْتُ مع أبى المغيرة إلى معاوية ، فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلىَّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العَشاء ، فرأيته مغتما ، فانتظرته ساعة ، وظننت أنه لشىء حدث فينا أو فى عملنا ، فقلت له : مالى أراك مغتما منذ الليلة ؟ قال : يا بنى ، إنى جئت من عند أخْبَثِ الناس، قلت له : وماذاك ؟ قال : قلت له وقد خلوت به : إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عَدْلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم فوصَلْتَ أرحامهم فوالله ماعندهم اليوم شىء تخافه ، فقال لى : هيهات هيهات !! مَلَكَ أخو تَيْمٍ فعدل وفعل مافعل ، فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل: أبو بكر ، ثم ملك أخو عَدِىٍّ ، فاجتهد وشَمَّرَ عشر سنين ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل : عمر ، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد فى مثل نسبه ، فعمل ما عمل [وعمل به] فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعلَ به ، وإن أخا هاشم يُصْرَخُ به فى كل يوم خمس مرات : أشهد أن محمداً رسول الله ، فأى عمل يبقى مع هذا ؟ لا أمَّ لك ؟ والله ألا دفنا دفنا ، وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ماوصفنا ، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعْظَمَ الناسُ ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة [منه] فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عما كان هَمَّ به .

وفاة أبى عاصم النبيل، و[illegible]اعة من أه[illegible]العلم

وفى خلافة المأمون كانت وفاة أبى عاصم النبيل ، وهو الضحاك بن مخلد ابن سنان الشيبانى ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة ومائتين ، وفيها مات محمد ابن يوسف الفارابى .

(١) فى ا « فى كتابه المترجم بكتاب الموفقيات التى ضمها للموفق » .

Marfat.com

وفى سنة خمس عشرة ومائتين — وذلك فى خلافة المأمون — مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبى بكر ، ويكنى بأبى الأشهب ، ببغداد ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بباب البردان ، فى الجانب الشرقى ، وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى ، وفيها مات إسحاق بن الطباع ، بأذَنَةَ من الثغر الشامى ، ومعاوية بن عمرو ، ويكنى بأبى عمرو ، وقبيصة[1] بن عقبة ، ويكنى بأبى عامر ، من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ .

غزو الروم

وفى سنة سبعَ عشرَةَ ومائتين دخل المأمون مصر ، وقتل بها عبدوس ، وكان قد تغلب عليها .

وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم ، وقد كان شرع فى بناء الطوانة ، مدينة من مدنهم على فم الدرب ، مما يلى طرسوس ، وعمد[2] إلى سائر حصون الروم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وخيرهم بين الإسلام والجزية والسيف ، وذلل النصرانية ، فأجابه خلق من الروم إلى الجزية .

قال المسعودى : وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقى بدمشق ، قال : لما توجَّه المأمون غازيا ، ونزل البديدون ، جاءه رسول ملك الروم فقال له : إن الملك يخيرك بين أن يَرُدَّ عليك نفقتك التى أنفقتها فى طريقك من بلدك إلى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويردَّه كما كان ، وترجع عن غزَاتِكَ ، فقام المأمون ودخل[3] خيمة ، فصلى ركعتين ، واستخار الله عز وجل وخرج ، فقال للرسول : قل له ، أما قولك تَرُدُّ علىَّ نفقتى ، فإنى سمعت

(١) فى ب « وقبض ابن عقبة »

(٢) فى ا « وعهد إلى سائر حصون الروم » .

(٣) ا « فدخل إلى خيمته »

Marfat.com

الله تعالى يقول فى كتابه[١] ، حاكياً عن بلقيس : (وإنّى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال : أتمدوننى بمال ؟ فما آتانى الله خيرٌ مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون) وأما قولك : إنك تخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم ، فما فى يدك إلا أحد رجلين : إمارجل طلب الله عزوجل والدار الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وإمارجل يطلب الدنيا ، فلا فَكَّ الله أسْرَهُ ، وأما قولك : إنك تعمر كل بلد المسلمين قد خربته الروم ، فلو أنى قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت عثرة فى حال أسرها ، فقالت : وا محمداه وا محمداه ، عُدْ إلى صاحبك، فليس بينى وبينه إلا السيف ، ياغلام اضرب الطبل ، فرحل ، فلم ينثن عن غَزَاتِهِ ، حتى فتح خمسة عشر حصناً[٢] ، وانصرف من غزاته ، فنزل على عَيْن البديدون ، المعروفة بالقشيرة على حسب ماقدمنا فى هذا الكتاب، فأقام هنالك حتى ترجع رُسُله من الحصون ، فوقف على العين ومنبع الماء، فأعجبه بَرْدُ مائها وصفاؤه وبياضه وطيب [حسن] الموضع وكثرة الخضرة ، فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر ، وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق الشجر ، وجلس تحت الكنيسة التى قد عقدت له والماء تحته ، وطرح فى الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو فى قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد يدخل يده فى الماء من شدة بَرْده، فبينا هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة ، فجعل لمن يخرجها سَبْقاً ، فبدر بعض الفراشين فأخذها وصعد ، فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذى عليه المأمون اضطربت وأفلتت[٣] من يد الفراش فوقعت فى الماء كالحجر ، فنضح من الماء على صدر المأمون

(١) فى ا « فى كتابه العزيز » (٢) فى ا «حتى فتح أربعة عشر حصنا»

(٣) فى ا « وانملست من يد الفراش » .

Marfat.com

ونحره وتَرْقُوتِهِ فبلّتْ ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدى المأمون فى منديل تضطرب ، فقال المأمون : تُقْلَى الساعة ، ثم أخذته رعدة من ساعته ، فلم يقدر يتحرك من مكانه ، فغطى باللحف والدواويج ، وهو يرتعد كالسعفة ، ويصيح: البرد البرد ، ثم حول إلى المضرب[1] ودثر وأوقدت[2] النيرانُ حوله ، وهو يصيح : البرد البرد ، ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها ، وشغَله ماهو فيه عن تناول شىء منها ، ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه فى ذلك الوقت عن المأمون وهو فى سكرات الموت ، وما الذى يدل عليه علم الطب من أمره ؟ وهل يمكن برؤه وشفاؤه ؟ فتقدم ابن ماسويه ، فأخذ إحدى يديه وبختيشوع الأخرى، وأخذا الجسة من كلتا يديه ، فوجدا نبضه خارجاً عن الاعتدال ، مُنْذِراً بالفناء والانحلال ، والتزقت أيديهما ببشرته لِعَرَقٍ كان يظهر منه من سائر جسده ، كالزيت[3] ، أو كلعاب بعض الأفاعى ، فأخبر المعتصم بذلك ، فسألهما عن ذلك ، فأنكرا معرفته ، وأنهما لم يجدا فى شىء من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد ، وأفاق المأمون من غَشْيته ، وفتح عينيه من رَقْدته ، فأمر بإحضار أناس من الروم ، فسألهم عن اسم الموضع والعين ، فأحضر له عدة من الأسارى والأدلة ، وقيل لهم : فسروا هذا الاسم القشيرة[4] ، فقيل له : تفسيره مُدّ رجليك ، فلما سمعها اضطرب من هذا الفأل وتَطَيَّرَ به ، وقال : سَلُوهم ما اسم الموضع بالعربية ، فقالوا : الرقة ، وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة ، وكان المأمون كثيراً مايحيد عن المقام بمدينة الرقة فَرَقاً من الموت ، فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذى وُعِدَ فيه فيما تقدم من

علة المأمون وموته

---

(١) فى ب « إلى المغرب » (٢) فى ب « وأوقد النيران حوله » .

(٣) فى ا « سائل كالرب » (٤) فى ا «ماتفسيرهذا الاسم وهو القشيرة»

Marfat.com

مولده ، وأن فيه وفاته ، وقيل : إن اسم البديدون تفسيره مُدَّ رجليك ، والله أعلم بكيفية ذلك ، فأحضر المأمون(١) الأطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه، فلما ثقل قال : أخرجونى أشرف على عسكرى ، وأنظر إلى رجالى ، وأتبين ملكى ، وذلك فى الليل ، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران ، فقال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ، ثم رُدَّ إلى مرقده وأجلسَ المعتصم رَجُلاً يشهده(٢) لما ثقل ، فرفع الرجل صوته ليقولها ، فقال له ابن ماسويه : لا تَصِحْ فوالله ما يفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ، ففتح [المأمون] عينيه من ساعته ، وبهما من العظم والكبر والاحمرار مالم يُرَ مثله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه، ورام مخاطبته ، فعجز عن ذلك ، فرمى بطرفه نحو السماء ، وقد امتلأت عيناه دموعاً ، فانطلق لسانه من ساعته ، وقال : يا مَنْ لا يموت ارحم مَنْ يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بَقِيَتْ من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس ، فدفن بها ، على حسب ما قدمنا فى أول [أخباره من] هذا الكتاب .

قال المسعودى: وللمأمون أخبار حسان وَمَعَانٍ وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة ، قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن ذكرها .

وفى المأمون يقول أبو سعيد المخزومى :

هل رأيت النجوم أغنت عَنِ المأ … مُون شيئاً وَمُلْكِهِ المأنُوسِ(٣)
خلّفوهُ بعرصــتى طرسوس … مِثل ما خلّفوا أباه بِطُوسِ

وكان المأمون كثيراً ما ينشد هذه الأبيات :

وَمَنْ لا يزل غَرَضاً للمنو … ن يَتْرُكْنَهُ ذات يوم عميدا
فإنْ هُنَّ أخطأنه مرة … فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينا يحيــد وتخطينه … قصدن فأعجلنه أن يحيدا

(١) فى ب «فأحضر المعتصم الأطباء» (٢) فى ا «رجلا يلقنه الشهادة لما ثقل»
(٣) فى ا « وملكه المأسوس » .

Marfat.com

ذكر خلافة المعتصم

موجز

وبويع المعتصمُ فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون، وهو يوم الخميس لثلاثَ عشْرَةَ ليلةً بَقِيَتْ من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، واسمه محمد بن هارون ، ويكنى أبا إسحاق[1]، وكان بينه وبين العباس بن المأمون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ، ثم انقاد العباسُ إلى بيعته ، والمعتصم يومئذٍ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين ، وأُمه يقال لها ماردة[2] بنت شبيب ، وقيل : إنه بويع سنة تسع عشر [ة ومائتين] ، وتوفى بسُرَّ مَنْ رأى سنة سبع وعشرين ، وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر ، فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ، وقبره بالجَوْسَقِ [بسُرَّ مَنْ رأى] على ما ذكرنا .

---

(١) فى ا « ويكنى بأبى إسحاق » .
(٢) فى ب « وأمه أساحية اسمها مارية بنت شبيب » .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه

ابن الزيات وزير المعتصم وأحمد بن أبى دؤاد

وَاسْتَوْزَرَ المعتصمُ محمدَ بن عبد الملك إلى آخر أيامه ، وغلب عليه أحمد ابن أبى دُؤَاد ، ولم يزل محمد بن عبد الملك فى أيام المعتصم والواثق إلى أن ولى المتوكل ، وكان فى نفسه عليه شىء ، فقتله ، وسنذكر لمعاً من [خبر] مقتله فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المتوكل ، وإن كنا قد أتينا على ذلك ملخصاً فى الكتاب الأوسط .

حب المعتصم للعمارة

وكان المعتصم يحب العمارة ، ويقول : إن فيها أموراً محمودة ، فأولها عمران الأرض التى يحيى بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : إذا وجدت موضعا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءنى بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرنى فيه .

بأس المعتصم وقوته

وكان المعتصم ذا بأس وشدة [فى جسمه ، وشجاعة] فى قلبه ، فذكر أحمد بن أبى دُؤاد — وكان به آنساً — قال : لما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوماً وعنده ابن ماسويه ، فقام المعتصم فقال لى : لا تبرح حتى أخرج إليه ، فقلت ليحيى بن ماسويه : وَيْحك !! إنى أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ، ونقصت قوته ، وذهبت سَوْرَته ، فكيف تراه أنت ؟ قال : هو والله زبرة من زُبَرِ الحديد ، إلا أن فى يديه فأساً يضرب بها تلك الزبرة ، فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : كان قبل ذلك إذا أكل السمك اتخذ له صباغاً من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل [والجوز] فأكله بذلك الصباغ ، يدفع أذى السمك وأضراره بالعصب ، وإذا أكل الرءوس اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطفها ، وكان فى أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتى ، فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيئاً خالفنى ، وقال : آكل هذا على رغم أنف

Marfat.com

ابن ماسويه [فما أقدر أن أصنع][١]، قال : وهو خلف[٢] الستر يسمع ما نحن فيه ، فقلت : ويلك يا أبا يحيى[٣] ! أدخل أصبعك فى عينيه[٤]، قال : جعلت فداك ، ما أقدِرُ أردُّه ولا أجترىء عليه فى خلاف ، فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم ، فقال لى : ما الذى كنت فيه مع ابن ماسويه ؟ قلت : ناظرته يا أمير المؤمنين فى لونك الذى أراه حائلا ، وفى قلة طعمك الذى قد هَدَّ جوارحى وأنحَلَ[٥] جسمى ، قال : فما قال لك ؟ قلت : شكا أنك كنت تقبل منه ما يشير به [عليك] وكنت ترى فى ذلك على ما يحب ، وأنك الآن تخالفه ، قال : فما قلت له أنت ؟ قال : فجعلت أصرف الكلام ، قال : فضحك وقال : هذا بعد ما دخل فى عينى أو قبل ذلك ؟ قال : فارْفَضَضْتُ عرَقًا ، وعلمت أنه قد سمع ما كنا فيه ؛ ورأى ما قد داخلنى ، فقال : يغفر الله لك يا أحمد ، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك إذ سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والأنس[٦] .

المعتصم وعلى بن الجنيد

وكان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الإسكافى ، وكان عجيب الصورة عجيب الحديث ، فيه سلامة أهل السواد[٧] ، فقال المعتصم يوماً لمحمد بن حمَّاد : اذهب بالغَدَاة إلى [على] بن الجنيد ، فقل له يتهيأ حتى يزاملنى ، فأتاه ، فقال : إن أمير المؤمنين يأمرك أن تُزامله ، فتهيأ لشروط مراملة الخلفاء [ومعادلتهم] فقال على بن الجنيد : وكيف أتهيأ ؟ أهيىء لى رأساً غير رأسى ؟ أأشترى لحية غير

(١) زيادة فى ا وحدها .
(٢) فى ا «والمعتصم خلف الستر»
(٣) فى ب « ويحك يايحيى »
(٤) فى ا «أدخل أصبعك فى عينه»
(٥) فى ب « وأحل جسمى »
(٦) فى ا « الانبساط والبسط »
(٧) فى ا « سلامة أهل السواد » .

Marfat.com

لحيتى ! أأزيد فى قامتى ! أنا متهيىء وفضلة ، قال : لست تدرى بعدُ ماشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ! فقال علىُّ بن الجنيد : وما هى ؟ هات يا من تَدْرِى[1] ، قال له ابن حماد، وكان أديباً ظريفاً، وكان برسم الحجَّابِ : شرط المعادلة الإمتاع[2] بالحديث والمذاكرة والمناولة ، وأن لا يبزق ، ولا يسعل ، ولا يتنحنح ، ولا يمخط ، وألاّ يتقدم الرئيسَ فى الركوب إشفاقاً عليه من الميل ، وأن يتقدمه فى النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان [هو] والمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة سَوَاء ، وليس له أن ينام وإن نام الرئيس، بل يأخذ نفسه بالتيقظ، ومراعاة حال مَنْ هو معه وما هو راكبه ؛ لأنهما إذا ناما جميعاً فمال جانب لا يشعر بميله كان فى ذلك ما لا خفاء به ، وعلىُّ بن الجنيد ينظر إليه ، فلما أكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السَّوَاد : آه حرها ، اذهب له فقل له : ما يُزَامِلك إلا مَنْ أمُّه زانية وهو كشخان[3] ، فرجع ابن حماد ، فقال للمعتصم ماقال ، فضحك المعتصم وقال : جئنى به ، فجاءه ، فقال : يا علىُّ ، أبعث إليك تزاملنى فلا تفعل ؟ فقال : إن رسولك هذا الجاهل الأزعر[4] جاءنى بشروط حَسَّان[5] الشاشى وخالويه المحاكى فقال : لاتبزق ، ولاتفعل كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمطِّطُ فى كلامه ، ويفرقع فى صاداته[6] ، ويشير بيديه ، ولاتسعل ، ولاتعطس ، وهذا لا يقوم لى ، ولاأقدر عليه ، فإن رضيتَ أن أزاملك فإن جاءنى الفُسَاء فَسَوْتُ عليك وضَرَطْتُ ، وإذا جاءك أنت فأده فافسُ واضرط ، وإلا فليس بينى وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه ، وذهب به الضحك كل مذهب ، وقال : نعم زاملنى على هذه الشريطة ، قال : نعم وكرامةً ، فزامَلَهُ فى قبة على بغلٍ ، فسارا ساعة ، وتوسَّطا البر ، فقال على : يا أمير المؤمنين حَضَر ذلك المتاعُ

(١) فى ا « هات ماتدرى » (٢) فى ا « الامتناع » .
(٣) فى ب « كشحان » بالمهملة . (٤) فى ا «الأرعن » .
(٥) فى ا « جساس الشاشى » . (٦) فى ب «ويترفع من صاداته » .

Marfat.com

فما ترى ؟ قال : ذلك إليك إذا شئتَ ، قال : تحضر ابن حماد ، فأمر المعتصم بإحضاره ، فقال له عليٌّ : تعال حتى أسارّكَ ، فلما دنا منه فسا ، وناوله كمه ، وقال : أجدُ دبيب شىء فى كمّى فانظر ما هو ، فأدخل رأسه ، فشم رائحة الكنيف ، فقال : ماأرى شيئاً ، ولكنى لم أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفاً ، والمعتصم قد غطّى فمه بكمه ، وقد ذهب به الضحك كل مذهب ، ثم جعل يفسو فُسَاء متصلا ، ثم قال لابن حماد : قلت لى لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط ، فلم أفعل ولكنى أخرَى عليك ، قال : فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ، ثم قال المعتصم : قد نضجت القدر ، وأريد أخرَى ، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه : وَيْلَكَ ! يا غلام الأرض ، الساعة أموت .

ودخل علىُّ بن الجنيد الإسكافى يوماً على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وهازَلَه : يا علىُّ ، مالى لا أراك ويلك ! ؟ أنسيت الصحبة وما حَفِظْتَ المودة ؟ فقال له حينئذٍ : بالغ الكلام الذى أريد أن أقوله قلته أنت ، ما أنت إلا إبليس ، فضحك ، ثم قال : لم لا تجيئنى ؟ قال : آه ، كم أجىء فلا أصل إليك ، أنت اليوم نبيل ، فكأنك من بنى مارية[1] وبنو مَارِيَةَ أناس من أهل السواد يَضرِبُ بهم أهلُ السواد الأمثال لكبرهم فى نفوسهم، فقال له المعتصم : هذا سندان التركى ، وأشار إلى غلام على رأسه بيديه مِذَبَّة ، وقال له : يا سندان ، إذا حضر علىّ فأعلمنى وإن أعطاكُ رقعة فأوصلها إلىّ ، وإن حمّلك رسالة فأخبرنى بها ، قال: نعم يا سيدى، وانصرف [على] فأقام أياماً ثم جاء يطلب سندان فقالوا : هو نائم ، فانصرف ثم عاد ، فقالوا : هو داخل ، ولا تصل إليه ، فانصرف وعاد ، فقالوا : هو عند أمير المؤمنين، فاختَالَ حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى ، فضاحكه ساعة وعاتبه ، وقال له : يا علىّ ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ،

(١) فى ا « من بنى مارمه ، وبنو مارمة » .

Marfat.com

إن رأيت سندان التركى فأقره منى السلام ، فضحك وقال : ماحاله ؟ قال : حاله أنك جعلتَ بينى وبينك إنسانًا رأيتك قبل أن أراه ، وقد اشتقتُ إليه فأسألك أن تبلغه منى السلام ، فغلب المعتصمَ الضحكُ ، وجمع بينه وبين سندان [ثانية] وأكد عليه فى مراعاة أمره ، فكان لا يمنع منه .

المعتصم وشيخ زلق حماره فى الطين

وعَبَرَ المعتصم من سُرَّ مَنْ رأى من الجانب الغربى — وذلك فى يوم مَطِير ، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة — وانفردَ من أصحابه ، وإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك ، وهو الشوك الذى توقد به التنانير بالعراق ، وصاحبُه شيخٌ ضعيف واقف ينتظر إنسانًا يمر فيعينه على حمله ، فوقف عليه ، وقال : مالك ياشيخ ؟ قال: فديتك ! حمارى وقع عنه هذا الحمل ، وقد بقيت أنتظر إنسانًا يعيننى على حمله ، فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين ، فقال الشيخ : جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذى أشمه من أجل حمارى هذا ؟ قال : لاعليك ، فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين ، فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ويتعجب منه ، ويترك الشغل بحماره[١] ثم شَدَّ عنان فرسه فى وسطه وأهوى إلى الشوك وهو حُزْمَتَانِ فحملهما فوضعهما على الحمار ، ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه ؛ فقال الشيخ السوادى : رضى الله عنك ، وقال بالنبطية : أشقل غرمى تاحوتكا[٢] ، وتفسير ذلك : فديتك يا شاب ، وأقبلت الخيول ، فقال لبعض خاصته : أعطِ هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح ، وتبلغ به قريته .

وفاة جماعة من العلماء

وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن مولى آل طلحة بن عبيد الله بالكوفة ، وبشر بن غياث المريسى ، وعبدالله ابن رجاء الغُدَانى[٣] .

(١) فى ا « وقد ترك الشغل بحماره » .
(٢) هكذا فى ا ، وفى ب « اسعل فرمى بأجوافنا » .
(٣) فى ب « العراق » .

Marfat.com

وفيها ضَرَب المعتصم أحمدبن حنبل ثمانية وثلاثين سوطاً ليقول بخلق القرآن.

محمد بن على ابن موسى ابن جعفر

وفى هذه السنة — وهى سنة تسع عشرة ومائتين — قبض محمد بن على ابن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ، ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر ، وصَلّى عليه الواثق ، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر ، وقيل غير ذلك ، وقيل : إن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سَمّتْه ، وإنما ذكرنا من أمره ما وصفنا لأن أهل الإمامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة أبيه ، وقد أتينا على ما قيل فى ذلك فى رسالة «البيان ، فى أسماء الأئمة » وما قالت فى ذلك الشيعةُ من القطعية .

محمد بن القاسم العلوى

وفى هذه السنة — وهى سنة تسع عشرة ومائتين — أخاف المعتصم محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله ، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع فى نهاية الوصف ، فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان ، فتنقّلَ من مواضع كثيرة من كُوَرِهَا كمرو وسرخس والطالقان ونَسَا ، فكانت له هناك حروب وكوائن ، وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس ، ثم حمله عبد الله ابن طاهر إلى المعتصم ، فحبسه فى أزج اتخذه فى بستان بسُرَّ مَنْ رأى ، وقد تنوزع فى محمد بن القاسم ، فمن قائل يقول : إنه قتل بالسم ، ومنهم من يقول: إن ناساً من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتّوا[1] للخدمة فيه من غَرْسٍ وزراعة ، واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به ، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية ، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزَّيْدية إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة — ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمداً لم يمت ، وأنه حى يرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً ، وأنه مهدىُّ هذه الأمة ، وأكثر

(١) فى ب « فتاقوا للخدمة فيه » .

Marfat.com

هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والدَّيْلَم وكثير من كُوَرِ خراسان، وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية فى محمد بن الحنفية، ونحو من قول الواقفية فى موسى [ابن موسى][1] بن جعفر، وهم المطورة، بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة، وقد أتينا على وصف قولهم [فى كتابنا] فى «المقالات فى أصول الديانات» ووصف قول غُلَاتهم من المعنوية[2] وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الأرواح فى أنواع الأشخاص من بهائم الحيوان وغيره فى كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة .

جمع المعتصم للأتراك

وكان المعتصم يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدى مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وأبانهم بالزى عن سائر جنوده، وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس، فسماهم المغاربة، واستعدَّ[3] رجالَ خراسانَ من الفراغنة وغيرهم من الأشروسية، فكثر جيشه، وكانت الأتراك تؤذى العوامَّ بمدينة السلام بجريها الخيولَ فى الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صَدْمِه لامرأةٍ أو شيخٍ كبير أو صبى أو ضرير، فعزم المعتصم على النقلة منهم، وأن ينزل فى فضاء من الأرض، فنزل البراذان[4] على أربعة فراسخ من بغداد، فلم يستطب هواءها، ولا اتسع له هواؤها، فلم يزل يتنقل ويتقرَّى المواضع والأماكن إلى دِجْلَة وغيرها حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالقاطول، فاستطاب الموضع، وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النَّبَطِ على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة، فبنى هناك قصراً وبنى الناسُ وانتقلوا من مدينة السلام، وخلت من السكان

(١) هذا الاسم ساقط من ا . (٢) فى ب «من العلوية» .
(٣) فى ب «واستنفذ» ومعنى استعد : اتخذهم عدة له .
(٤) فى ب «الراذان» .

Marfat.com

إلا اليسير ، وكان فيما قاله بعض العَيَّارِينَ فى ذلك معيراً للمعتصم بانتقاله عنهم:

أيا ساكن القاطُولِ بين الجَرَامِقَهْ   تركْتَ ببغداد الكِبَاشَ البَطَارِقَهْ

ونالت مَنْ مع المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه ، وتأذَّوْا بالبناء[1] ؛ فى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش :

قالوا لنا إن بالقاطول مَشْتَانا   فنحن نأمل صنع الله مولانا

الناس يأتمرون الرأى بينهمُ   والله فى كل يوم مُحْدِثٌ شانا

تخطيط سامرا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرَّى المواضع ، فانتهى إلى موضع سامُرَّا ، وكان هنالك للنصارى دَيْرٌ عادى، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع ، فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال : نجدها فى الكتب السالفة والأمم الماضية أنها مدينة سام بن نوح ، قال له المعتصم : ومن أى بلاد هى ؟ وإلام تضاف ؟ قال : من بلاد طبرهان[2] ، وإليها تضاف ، فنظر المعتصم إلى فَضَاء واسع تسافر فيه الأبصار ، وهواء طيب ، وأرض صحيحة ، فاسْتَمْرَأها واستطاب هواءها ، وأقام هنالك ثلاثا يتصيد فى كل يوم ، فوجد نفسه تَتُوقُ إلى الغذاء ، وتطلب الزيادة على العادة الجارية ، فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة [والماء] ، فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدَّيْرِ فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار ، وارتاد لبناء قصره موضعا فيها ، فأسس بنيانه ، وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسُرَّ من رأى ، وإليها يضاف التين الوزيرى ، وهو أعذب الأتيان وأرقُّها قشراً ، وأصغرها حبا ، لا يبلغه تين الشام ، ولا يلحقه تين أرجان وحلوان[3] ، فارتفع البنيان ، وأحضر له الفَعَلَة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار ، ونقل إليها من سائر البقاع أنواع الغُرُوسِ والأشجار، فجعل للأتراك قطائع متحيزة ، وجاورهم بالفراغنة والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان على

(١) فى ب «وتأذوا ليالى » . (٢) فى ب « طبرهات » .

(٣) فى ب « ولا تين أهان وحلوان » .

Marfat.com

قدر قربهم منهم فى بلادهم، وأقطع أشناس التركى وأصحابه من الأتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ، ومن الفراغنة مَنْ أنزلهم الموضِعَ المعروف بالعمرى والجسر ، واختطت الخطط ، واقتطعت القطائع والشوارع والدروب ، وأفرِدَ أهلُ كل صنعة بسوق ، وكذلك التجار ، فبنى الناس ، وارتفع البناء ، وشيدت الدور والقصور ، وكثرت العمارة ، واستنبطت المياه ، وجرت من دجلة وغيرها ، وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت ، فقصدوها وأجهزوا إليها من أنواع الأمتعة وسائر ماينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان ، وكثر العيش ، واتسع الرزق ، وشملهم الإحسان، وعمهم العدل [فاتسع الخصب، وأقبلت الأرض] وكان بَدْءُ ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين

واشتد أمر بابك [الخرمى ببلاد الران والبيلقان ، وكثرت غثرته فى تلك البلاد] وسار عساكره نحو تلك الأمصار ، ففرق الجيوش ، وهزم العساكر ، وقتل الوُلاَةَ ، وأفنى الناس ، فسير إليه المعتصم الجيوش وعليها الأفشين ، وكثرت حروبه واتصلت ، وضاق بابك فى بلاده حتى انفضَّ جمعه ، وقتل[1] رجاله ، وامتنع بالجبل المعروف بالبذين[2] من أرض الران، وهى بلاد بابك ، وبه يعرف هذا الموضع إلى هذا الوقت ، فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه ، وزال عن مكانه ، فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومَنْ تبعه من خواصه ، وقد تزيَّا بزى السفر وأهل التجارة والقوافل ، فنزل موضعاً من بلاد أرمينية [من أعمال سهل بن سنباط من بطارقة أرمينية] على بعض المياه ، وبالقرب منهم راعى غنم ، فابتاعوا منه شاة ، وساموا شراء شىء من الزادلهم ، فمضى من فَوْرِه إلى سهل بن سنباط الأرمينى ، فأخبره الخبر ، وقال : هو بابك لاشك فيه ، وقد كان الأفشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع ، أو ينضاف إلى بعض الأمم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف إليه فُلاّل عسكره ، فيرجع إلى ما كان

خروج بابك الخرمى

(١) فى ا «وقل رجاله» . (٢) فى ب «بابذ» وفى شعر أبى تمام «البذ» .

Marfat.com

من أمره ، فأخذه الطرق ، وكاتب البطارقة فى الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان ، وضمن فى ذلك الرغائب ، فلما سمع سهل بن سنباط من الراعى ما أخبره به سار من فَوْرِه فيمن حَضَره من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى فيه بابك ، فترجّل له ، ودَنَا منه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : أيها الملك ، قُمْ إلى قصرك الذى فيه وليُّكَ وموضع يمنعك الله فيه من عدوك ، فسار معه إلى أن أتى قلعته ، وأجلسه على سريره ، ورفع منزلته ، ووطأ له منزله ومن معه ، وقدمت المائدة ، وقعد سهل يأكل معه، فقال له بابك ـ بجهله[1] وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع إليه ـ : أمثلك يأكل معى ؟ ! فقام سهل عن المائدة ، وقال : أخطأت أيها الملك، وأنت أحق من احتمل عبده ؛ إذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مُدَّ رجلك أيها الملك ، وأوثقه بالحديد ، فقال له بابك : أغدراً يا سهل ؟ ! قال : يا ابن الخبيثة إنما أنت راعى غنم وبَقَر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ ! وقيد مَنْ كان معه ، وأرسل إلى الأفشين يخبره الخبر ، وأن الرجل عنده[2] ، فسرَّحَ إليه الأفشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد ، وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه ، وأتى به إلى الأفشين ومعه سهل بن سنباط، فرفع الأفشين منزلة سهل ، وخلع عليه ، وحمله ، وتَوّجه ، وقاد بين يديه ، وأسقط عنه الخراج ، فأطلقه ، وأطلقت الطيور إلى المعتصم ، وكتب إليه بالفتح ، فلما وصل إليه ذلك ضَجَّ الناس بالتكبير ، وعَمَّهم الفرح ، وأظهروا السرور ، وكتبت الكتب إلى الأمصار بالفتح ، وقد كان أفنى عساكر السلطان ، فسار الأفشين ببابك ، وتنقل بالعساكر ، حتى أتى سُرَّ مَنْ رأى ، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتلقى الأفشينَ هرونُ بن المعتصم وأهلُ بيت الخلافة ورجال الدولة ، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، وبعث إليه بالفيل الأشهب ، وكان قد حمله بعض

(١) فى ا « بعتوه وجبروته » .
(٢) فى ا « وأن الرجل فى يده، فلما اتصل بالأفشين سرح إليه بأربعة آلاف » إلخ.

Marfat.com

ملوك الهند إلى المأمون ، وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الأحمر والأخضر وأنواع الحرير الملون ، ومعه ناقة عظيمة بُخْتية[١] قد جللت بما وصفنا ، وحمل إلى الأفشين دُرَّاعَة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رُصِّعَ صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ، ودراعة دونها ، وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر ، وألبس بابك الدراعة [الجليلة] ، وألبس أخوه الأخرى ، وجعلت القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها ، وقُدِّمَ إليه الفيل ، وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال : ما هذه الدابة العظيمة ؟ واستحسن الدراعة ، وقال : هذه كرامة ملك عظيم جليل ، إلى أسير فقد العز ذليل ، أخطأته الأقدار ، وزالت عنه الجدود ، وتَوَرَّطته المحن[٢] ، إنها لفرحة تقتضى ترحة ، وضرب له المصاف صفين فى الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود ، من القاطول إلى سامُرَّا ، مدد واحد متصل غير منفصل ، وبابك على الفيل وأخوه وراءه على الناقة ، والفيل يخطر بين الصفين به ، وبابك ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ، ويميز الرجال والمُدَدَ ، ويظهر الأسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، وذلك يوم الخميس لليلتين خَلَتَا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ، ولا مثل تلك الزينة ، ودخل الأفشين على المعتصم فرفع منزلته ، وأعلى مكانه ، وأتى ببابك فَطَوَّفَ به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب ، وكررها عليه مراراً ، وبابك ساكت ، فمال إليه الأفشين وقال : الويل لك! أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟ فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، وأمر بقطع يديه ورجليه .

قال المسعودى : ورأيت فى كتاب أخبار بغداد أنه لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه مَلِيًّا ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك وغلامك ،

(١) فى ب « بجية » (٢) فى ا « وأورطته المحن » .

Marfat.com

وكان اسم بابك الحسن(١) ، واسم أخيه عبد الله ، قال : جَرِّدُوه ، فسَلَبَه الخدَّامُ ما عليه من الزينة ، وقطعت يمينه ، وضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ فى النطع فى دمه ، وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب فى أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه ، وأمر السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ، ففعل ، ثم أمر بجز لسانه(٢) وصلب أطرافه مع جسده [فصلب] ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ، ونصب على الجسر ، وحمل إلى خراسان بعد ذلك ، يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ، لما كان فى نفوس الناس من استفحال أمره ، وعظم شأنه ، وكثرة جنوده ، وإشرافه على إزالة مُلكٍ وقلب ملة وتبديلها ، وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ، ففعل به إسحاق بن إبراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، وصلبت جثة بابك على خشبة طويلة فى أقاصى سامرا ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بخشبة(٣) بابك ، وإن كانت سامرا فى هذا الوقت قد خلا منها ساكنها ، وبَانَ عنها قاطنها ، إلا يسيراً من الناس فى بعض المواضع بها.

ولما قتل بابك وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام فى مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء : فمن قام فى ذلك اليوم إبراهيم ابن المهدى فقال شعراً بدلا من الخطبة ، وهو :

يا أمين الله ، إن الحمد لله كثيرا(٤)
هكذا النصر فلا زال لك الله نصيرا
وعلى الأعداء أعطيت من الله ظَهِيرَا
وهنيئاً هَنَّأ الله لك الفتح الخطيرا
فَهْوَ فتح لم ير الناس له فتحاً نظيرا

(١) فى ب « الحسين » .
(٢) فى ا « ثم أمر بجذ رأسه وضم أطرافه إلى جسده » .
(٣) فى ب « بكنيسة بابك » . (٤) فى ا « يا أمير المؤمنين الحمد لله كثيرا » .

Marfat.com

وَجَزَى الأَفْشِينَ عبدا لله خَـــيراً وَحُبُورَا
فلقـــــد لاَقَى به بَا بَكُ يوماً قَمْطَرِيرَا
ذاك مولاك الذى ألـــفَيْتَهُ جَلْداً صَبُورَا
لك حَتَّى ضَرَّجَ السَّيْـــفُ له خداً نَضِـــيرَا
ضَرْبَةً ألقت عَلَى الدَّهْـــرِ له فى الوَجْهِ نُورَا

وتوج الأفشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر ، وإكليل ليس فيه من الجوهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين ، وزوج المعتصم الحسن بن الأفشين بأترجة بنت أشناس ، وزفت إليه ، وأقيم لها عُرْسٌ يجاوز المقدار فى البهاء والجمال ، وكانت توصف بالجمال والكمال ، ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواصَّ الناس وكثيراً من عوامهم ، قال المعتصم أبياتاً يصف حسنهما وجمالها واجتماعهما ، وهى :

زفت عَرُوسٌ إلى عَرُوسٍ بنت رئيس إلى رئيس
أيهما كان ليت شعرى أَجَلَّ فى الصدر والنفوس
أصاحب المُرْهَفِ المحلى أم ذو الوشاحين وَالشُّمُوس[1]

غزو الروم زبطرة

وفى هذه السنة — وهى سنة ثلاث وعشرين ومائتين — خرج توفيل[2] ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة ، وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم ، حتى نزل على مدينة زِبَطْرَةَ من الثغر الخزرى[3] ، فافتتحها بالسيف ، وقتل الصغير والكبير [وسبى] وأغار على بلاد ملطية ، فضج الناس فى الأمصار ، واستغاثوا فى المساجد والديار ، فدخل إبراهيم بن المهدى على المعتصم ، فأنشده [قائماً] قصيدةً طويلةً يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا [ويحضه على الانتصار] ويحثه على الجهاد ، فمنها :

---

(١) فى ب «أصاحب المذهب المحلى » . (٢) فى ب «نوفل ».
(٣) فى ب « منْ الثغر الجورى » .

Marfat.com

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى هتك النساء وما منهن يرتكب[(١)]
هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وإبراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره « يَا غَارَةَ اللهِ[(١)] » .

فخرج المعتصم من فَوْرِه نافراً عليه دُرَّاعَةٌ من الصوف بيضاء ، وقد تعمم بعمامة الغُزَاة ، فعسكر فى غربى دجلة ، وذلك يوم الاثنين ، لليلتين خَلَتَا من جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونصبت الأعلام على الجسر ، ونودى فى الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين ، فسارت إليه العساكر والمطوعة من سائر الإسلام ، وجعل على مقدمته أشناس التركى ، ويتلوه محمد ابن إبراهيم ، وعلى ميمنته إيتاخ التركى ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار [الخياط] وعلى ساقته بُغَا الكبير [ويتلوه دينار بن عبد الله] وعلى القلب عجيف ، وسار المعتصم من الثغور الشامية ، ودخل من درب السلامة ، ودخل الأفشينُ من درب الحدث[(٢)] ، ودخل الناس من سائر الدروب ، فلم يكن يحصى الناس هزيمة الروم المدد ، ولا يضبطون كثرة ، فمن مكثر ومقلل ؛ فالمكثر يقول : خمسمائة ألف ، والمقلل يقول : مائتى ألف . ولقى ملك الروم الأفشين ، فحاربه فهزمه الأفشين ، وقتل أكثر بطارقته وأصحابه ، وحَمَاهُ رجل من المتنصرة يقال له نصير فى خلق من أصحابه ، وقد كان الأفشين قصر عن أخذ الملك فى ذلك اليوم حين ولى ، وقال : هو ملك ، والملوك تُبْقِى بعضُها على بعض ، وفتح المعتصم حصوناً كثيرة ، ونزل على مدينة عمورية ، ففتحها الله على يديه ، وخرج إليه لاوى البطريق منها ، وَسَلَّمَهَا إليه ، وأسر البطريق الكبير منها ، وهو باطس ، وقتل منها ثلاثين ألفاً ، وأقام المعتصم عليها أربعة أيام يهدم ويحرق ، وأراد المسير إلى القسطنطينية ، والنزول على خليجها ، والحيلة فى فتحها برًّا وبحراً ، فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون ، وأن ناساً قد بايعوه ، وأنه كاتب طاغية الروم ، فأعجل المعتصم فى مسيره وحبس العباس وشيعته .

(١) فى ا « ياغيرة الله » . (٢) فى ب « درب الحارث » .

Marfat.com

وفى هذه السنة مات العباس بن المأمون .

خروج المازيار صاحب طبرستان وموته

وفى سنة خمس وعشرين ومائتين أدخل المازيار بن قارن[1] بن بندارهرمس صاحب جبال طبرستان إلى سامرا [وقد كان اصطنعه المأمون ، فعصى فى أيام المعتصم ، وكثرت عساكره ، واتسعت جيوشه ، وكتب المعتصم إليه يأمره بالحضور ، فأبى ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بحربه ، فسير إليه من نيسابور عمه الحسن بن الحسين بن مصعب ، فنزل مدينة السارية من بلاد طبرستان ، بعد حروب كثيرة كانت له مع المازيار ، وأتت الحسن ابن الحسين عيونُه بركوب محمد بن قارن ـ وهو المازيار ـ إلى الصيد فى نفر يسير ، فبادره الحسن وناوشه الحرب ، فأسر وحمل إلى سامرا] فأقر على الأفشين : أنه بعثه على الخروج والعصيان ، لمذهبٍ كانوا اجتمعوا عليه ، ودِينٍ اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس ، وقبض على الأفشين قبل قدوم المازيار [بسامرا] بيوم ، وأقر عليه كاتب له يقال له : سابور ، فضرب المازيار بسوط حتى مات ، بعد أن شهر وصلب إلى جانب بابك ، وقد كان المازيار رَغَّبَ المعتصم فى أموال كثيرة يحملها [إليه] إن هو مَنَّ عليه بالبقاء ، فأبى قبول ذلك ، وتمثل :

إنّ الأسود أسود الغيل همتها ... يوم الكريهة فى المَسْلُوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك ، فتدانت أجسامهما ، وقد كان صلب فى ذلك الموضع باطس بَطْرِيق عمورية ، وقد انحنت نحوهما خشبته ، ففى ذلك يقول أبو تمام حبيب بن أوس من كلمة له :

ولقد شفَى الأحشاء من بُرَحَائِهَا ... إذ صار بَابَكُ جارَ مَازِيَّارِ

ثانيه فى كَبِدِ السماء ، ولم يكن ... لاثنين ثَانٍ إذ هُمَا فى الغار

فكأنما انحنيَا لِكيما يَطْوِيَا ... عن باطس خبراً من الأخبارِ

ومات الأفشين فى الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار ، فأقر عليه ، وأخرج

(١) فى ب «المازيار بن مازن »

Marfat.com

الأفشين ميتا ، فصلب بباب العامة ، وأحضرت أصنام زعموا أنها كانت حملت إليه ، فألقيت عليه ، وأضرمت النار ، فأتت على الجميع .

موت أبى دلف العجلى

وفى سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دُلَفَ القاسم بن عيسى العجلى، وكان سيد أهله ، ورئيس عشيرته ، من عجل وغيرها من ربيعة ، وكان شاعراً مجيداً ، وشجاعاً بطلا ، مغنيا مصيباً ، وهو القائل :

يوماً ترانى عَلَى طِمِرٍّ ترهبنى الأَجْبُلُ الرواسى
ويوم لهو أحثُّ كاسا وخلف أذنى قضيب آس

وذكر أن أبا دُلَفَ طعن فارساً ، فنفذت الطعنة إلى أن وصل السنان إلى فارس آخر كان من خلفه فقتلهما ؛ فى ذلك يقول بكر بن النطاح من كلمة له :

قالوا : وينظم فارسَيْنِ بطعنة يوم الهياج ولا نراه كليلا
لا تعجبوا فَلَوَ اَنَّ طول قناته ميل إذا نَظَمَ الفوارس ميلا

وذكر عيسى بن أبى دُلَفَ أن أخاه دُلَفَ — وبه كان يكنى أبوه أبا دُلَفَ — كان ينتقص على بن أبى طالب ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل ، وأنه قال يوماً — وهو فى مجلس أبيه ، ولم يكن أبوه حاضراً — : إنهم يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلا كان لغير رشدةٍ ، وأنتم تعلمون غيرة الأمير ، يعنى أباه ، وأنه لا يتهيأ الطعن على أحد من حرمه ، وأنا أبغض علياً ، قال : فما كان بأوْشَكَ من أن خرج أبو دُلَفَ ، فلما رأيناه قُمْنَا له ، فقال : قد سمعت ما قاله دُلَفُ ، والحديث لا يكذب ، والخبر الوارد فى هذا المعنى لايختلف ، هو وَاللهِ لِزَنْيَةٍ وَحَيْضَةٍ ، وذلك أنى كنت عليلا فبعثت إلىَّ أختى جاريةً لها ، كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً فعلقت به ، فلما ظهر حَمْلها وَهَبَتها لى .

عداوة أبى دلف وابنه

فبلغ من عداوة دُلَف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته له لأن الغالب على أبيه التشيع والميل إلى على أن شنع عليه بعد وفاته ، وهو ما حدث به [محمد بن على] القُوهِسْتَانِي[1]

(١) فى ب « القرهيسانى » محرفا .

Marfat.com

قال : حدثنا دُلَفُ بن أبى دلف ، قال : رأيت فى المنام آتياً أتانى بعد موت أبى ، فقال لى : أَجِبِ الأمير ، فقمت معه ، فأدخلنى داراً وَحْشَة وَعْرَة ، وأصعدنى على درج منها ، ثم أدخلنى غرفة فى حيطانها أثر النار ، وفى أرضها أثر الرماد ، وإذا به عُرْيَان واضع رأسه بين ركبتيه ، فقال كالمستفهم : دُلف ؟ قلت : دُلف ، فأنشأ يقول :

فلو أنا إذا مُتنا تُرِكْنَا ... لكان الموت رَاحَةَ كل حَىّ

ولكنَّا إذا مُتنا بُعِثْنَا ... وَنُسْأَل بعده عَنْ كل شى

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت .

موت جماعة من العلماء

وفى خلافة المعتصم — وذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين — مات جماعة من نَقَلَة الأخبار وعِلْيَة أصحاب الحديث : منهم عمرو بن مرزوق الباهلىّ البصرىّ ، وأبو النعمان حازم بن محمد بن الفضل السدوسى ، وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشجى البصرى من الأزد ، وسعيد بن الحكم بن أبى مريم البصرى ، وأحمد بن عبد الله الغُدَانِى ، وسليمان الشاذكونى ، وعلى المدنى .

وفى سنة سبع[1] وعشرين ومائتين مات بِشْرٌ الحَافِى ببغداد ، وكان من بلاد مَرْوَ ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسى بالبصرة ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحى ، وإبراهيم بن يسار الرَّمَادِى ، وقيل : إن فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدى ، والصحيح أن وفاته كانت فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

قال المسعودى : وفى سنة سبع وعشرين ومائتين كانت وفاة المعتصم ، على دجلة فى قصره المعروف بالخاقانى ، يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة بَقِيَتْ من شهر ربيع الأول ، وقيل : لساعتين من ليلة الخميس ، وهو ابن ثمان

(١) فى ب «وفى سنة تسع وعشرين » وليس بشىء ؛ فإن وفاة بشر — على ماذكره ابن خلكان — كانت » سنة ٢٢٧ وقيل سنة ٢٢٦ .

Marfat.com

وأربعين سنة ، وقيل : ست وأربعين سنة ، على ما قدَّمنا فى صدر هذا الباب ، وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمانين[١] ومائة فى الشهر الثامن من السنة ، وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، ومات عن ثمانية بنين ، وثمان بنات .

وللمعتصم أخبار حسان ، وما كان من أمره فى فتح عَمُّورِيَّةَ ، وما كان من حُرُوبه قبل الخلافة فى السفارة[٢] نحو الشام ومصر ، وغير ذلك ، وما كان منه بعد الخلافة ، وما حُكِى عنه من حُسْن السيرة واستقامة الطريقة أحمدُ[٣] بن أبى دُؤَاد القاضى ، ويعقوب بن إسحاق[٤] الكندى، فى لمع أوْرَدَها فى رسالته المترجمة بسبيل الفضائل ، وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وقد ذكرنا فى هذا لمعاً مُنَبِّهَة على ما سلف ، وباعثة على دَرْسِ ما تقدم .

(١) فى ب « فى سنة ثمان وسبعين ومائة » ولا يتفق مع ماذكره فى صدر هذا الباب ، وما أثبتناه عن ايواقه ، فقد ذكرهناك أنه بويع فى سنة ٢١٨ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة

(٢) فى ب « فى أسفاره » .

(٣) فى ب «ابن دواد القاضى» ولم يذكر فيها اسمه

(٤) فى ب «ويعقوب بن الليث الكندى » .

Marfat.com

ذكر خلافة الواثق بالله

وبويع هارونُ بنُ محمدِ بنِ هارونَ الواثقُ [بالله] ، ويكنى بأبى جعفر، موجز
وأمه أمُّ ولد رومية ، وتسمى قَرَاطِيسَ ، وذلك فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المعتصم ، وهو يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة خلَتْ من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وبُويع وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر [وتوفى بسامرّا وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر] ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : إنه توفى فى يوم الأربعاء لست بَقِينَ من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، ووزيره محمد(١) بن عبد الملك ، على حسب ما قدَّمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب ، والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان .

(١) فى ا « وعلى وزارته محمد بن عبد الملك » .

Marfat.com

ذكر لمع من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه

صفات الواثق

كان الواثق كثير الأكل والشرب ، واسع المعروف ، متعطفاً على أهل بيته ، متفقداً لرعيته ، وسلك فى المذهب مذهب[1] أبيه وعمه من القول بالعدل .

غلب عليه اثنان

وغلب عليه أحمد بن أبى دُؤَاد[2] ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، فكان لا يَصْدُر إلا عن رأيهما ، ولا يعتب[3] عليهما فيما رَأَياه ، وقلدهما الأمر[4] وفَوَّض إليهما ملكه .

أعرابى يصف الواثق وأعوانه

وذكر أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الجاسمى ، نسبة إلى جاسم — وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الأردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ، ويعرف بجاسم على أميال من الجابية وبلاد نوى ، وهى من مراعى أيوب عليه السلام — قال : خرجت فى [أول] أيام الواثق إلى سُرَّ من رأى ، فلما قربت منها لقينى أعرابى ، فأردت أن أعلم خبر العسكر منه ، فقلت : يا أعرابى ، ممن أنت ؟ قال : من بنى عامر ، قلت : وكيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال : قَتَلَ أرضاً عالمها ، قلت : ما تقول فى أمير المؤمنين ؟ قال : وَثِقَ بالله فكفاه ، أشْجَى العاصية ، وَقَصَم العادية ، وعدل فى الرعية ، ورغب عن كل ذى جناية ، قلت : فما تقول فى أحمد بن أبى دُؤَاد[2] ؟ قال : هَضَبَة لا تُرَام ، وجبل لا يضام ، تشحذ له المدى ، وتنصب له الحبائل ، حتى إذا قيل قد هلك وثب وَثْبَةَ الذئب ، وَخَتَل خَتْلَةَ الضب ، قلت : فما تقول فى محمد بن عبد الملك الزيات ؟ قال : وسع الدانى شره ، ووصل إلى البعيد ضره ، له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر نابٍ ولا مِخْلَب ، قلت : فما تقول فى عمرو بن فرج ؟ قال : ضخم نهم ، استعذب الدم ، ينصبه القوم تُرْساً للوغى ، قلت : فما تقول فى الفضل بن مروان ؟ قال : رجل نُبِشَ بعد ما قبر ، ليس تعدُّ له حياة

(١) فى ا « طريقة أبيه » (٢) فى ب « أحمد بن أبى داود » محرفا .
(٣) ب فى « ولا يعاب عليهما » (٤) فى ا « وقلدهما أمره » .

Marfat.com

فى الأحياء ، وعليه خَفْقة الموتى ، قلت : فما تقول فى أبى الوزير ؟ قال : تخاله كبش الزنادقة ، أما تراه إذا أخمله[(١)] الخليفة سَمِنَ وَرَتَع ، وإذا هزه أمطر فأمْرَعَ ، قلت : فما تقول فى أحمد بن الخصيب ؟ قال : ذاك أكل أكلة نهم ، فزرق زرقة بشم ، قلت : فما تقول فى إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء وما يشعرون أيَّانَ يبعثون ، قلت : فما تقول فى أحمد بن إبراهيم[(٢)] ؟ قال : لله دره ! أى فاعل هو ؟ وأى صابر هو ؟ اتخذ الصبر دِثَاراً ، والجود شعاراً ، [وأهون عليه بهم] ، قلت : فما تقول فى المُعَلى[(٣)] بن أيوب ؟ قال : ذاك رجل خير ، نصيح السلطان ، عفيف اللسان ، سلم من القوم وسلموا منه ، قلت : فما تقول فى إبراهيم بن رَبَاح ؟ قال : ذاك رجل أوثقه كرمه ، وأسلمه فَضْله ، وله دعاء لا يسلمه ، ورب لا يخذله ، وفوقه خليفة لا يظلمه ، قلت : فما تقول فى الحسن ابنه ؟ قال : ذاك عود نُضَار ، غُرِس فى منابت الكرم ، [حتى إذا اهتزَّ حصدوه][(٤)] ، قلت : فما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! ! أى طالب وِتر ، ومدرك ثأر ؟ يلتهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة فى الأحيان جلسة تزيل نعماً ، وتُحِلُّ نقماً ، قلت : يا أعرابى ، أين منزلك حتى آتيك ؟ قال : اللهم غَفْراً مالى منزل ، أنا أشتمل النهار ، وألتحف الليل ، فحيثما أدركنى الرقاد رقَدْتُ ، قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : لا أخلق وجهى بمسألتهم ، إن أعطونى لم أحمدهم ، وإن منعونى لم أذمهم ، وإنى كما قال هذا الغلام الطائى :

وما أبَالى وَخَيْرُ القول أصْدَقُه ... حَقَنْتَ لى ماء وجهى أو حقنت دمى

---

(١) فى ا « أهمله الخليفة » (٢) فى ب « أحمد بن إسرائيل » .

(٣) فى مكان ذكر المعلى بن أيوب فى ا وقع ما يلى «قلت: فما تقول فى سليمان بن وهب ؟ قال : ذلك رجل السلطان، وبهاء الديوان ، قلت : فما تقول فى أخيه الحسن؟ قال : عود نضير، غرس فى منابت الكرم ،حتى إذا اهتزلهم حصدوه» ثم يليه السؤال عن إبراهيم بن رباح كما هنا عن ب (٤) وقع ما بين الحاصرتين سؤالا عن الحسن بن وهب كما سمعت فيما ذكرناه ، وتقدم على إبراهيم بن رباح.

Marfat.com

قلت : فأنا قائل هذا الشعر ، قال : أئنك أنت الطائى ؟ قلت : نعم ، قال : لله أبوك ، وأنت القائل :

ماجُودُ كَفِّكَ إن جادت وإن بخلت ... من ماء وجهى وقد أخلقته عِوَضُ

قلت : نعم ، قال : أنت أشعر أهل زمانك .

[وفى رواية أخرى ليست فى الكتاب : قلت : أنشدنى شيئاً من شعرك ، فأنشدنى :

أقول وجنح الدجا مُلْبَدُ ... وَلِلَّيلِ فى كلِّ فجٍّ يَدُ
ونحن ضجيعان فى مُجْسَد ... فلله ما ضُمِّنَ المجسَدُ
فيا غَدُ إن كُنت بى مُحْسِناً ... فلا تَدْنُ من ليلتى يا غَدُ
ويا ليلة الوصل لا تنفدى ... كما ليلة الهجر لا تنفدُ

فقلت : لله أبوك ! !][1] ورددته معى حتى لقيت ابن أبى دُوَادٍ وحدثته بخبره ، فأوصله إلى الواثق ، فأمر له بألف دينار ، وأخذ له من سائر الكتَّاب وأهل الدولة ما أغناه به ، وأغنى عقبه بعده .

وهذا الخبر فمخرجه عن أبى تمام ، فإن كان صادقاً فيما قال ، ولا أراه ، فقد أحسن الأعرابى فى الوصف ، وإن كان أبو تمام هو الذى صنعه وَعزَاه إلى هذا الأعرابى فقد قَصَّر فى نظمه ، إذ كانت منزلته أكبر من هذا .

أبو تمام الطائى — وكانت وفاة أبى تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وكان خليعاً ماجناً [فى بعض أحواله] ، وربما أداه ذلك إلى ترك موجبات فرضه ، تماجناً لا اعتقاداً .

وحدث محمد بن يزيد المبرد ، عن الحسن بن رجاء ، قال : صار إلىَّ أبو تمام وأنا بفارس ، فأقام عندى مقامًا طويلا ، ونمى إلىَّ من غير وجه أنه لا يصلى ، فوكلت به مَنْ يراعيه ، ويتفقده فى أوقات الصلاة ، فوجدت الأمر على ما اتصل بى عنه ، فعاتبته على فعله ذلك ، فكان من جوابه أن قال : أترانى أنشط للشخوص إليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات

(١) سقط ما بين الحاصرتين من ا .

Marfat.com

الشاقة ، وأكسل عن ركعات لا مئونة علىّ فيها ، لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثوابًا أو على مَنْ تركها عقابًا ، قال : فهممت والله بقتله، ثم تخوّفتُ أن يصرف الأمر إلى غير جهته ، وهو القائل :

وأحق الأنام أن يَقضِيَ الدَّيْـــنَ امرُؤٌ كَانَ لِلإِلٰهِ غَرِيمَا

وهذا قول مباين لهذا الفعل ، والناس فى أبى تمام فى طرفَىْ نقيض : متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ويتجاوز به فى الوصف قدره ، ويرى أن شعره فوق كل شعر ، أو منحرف له معاند ، فهو ينفى عنه حسنه ، ويعيب مختاره ، ويستقبح المعانى الظريفة التى سَبَقَ إليها وتفرد بها .

وذكر عبد الله بن الحسن بن سعد[1]، أن المبرد قال : كنت فى مجلس القاضى أبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، وحضر جماعة سَمَّاهم منهم الحارثى الذى قال فيه على بن الجهم الشامى :

لم يَطلُعَـــا إلا لآبدة الحارثِىُّ وَكَوْكَب الذنب

فجرى ذلك الشعر وإن كان الكلام تسلسل إلى ذكر أبى تمام وشعره ، وأن الحارثى أنشد لأبى تمام معاتبة أحسن فيها ، وأن المبرد استحيا أن يستعيد الحارثى الشعر ، أو يكتبه منه لأجل القاضى ، قال ابن سعد[1] : فأعلمت المبرد أنى أحفظ الشعر ، فأنشدته إياه ، فاستحسنه واستعاده منى مراراً حتى حفظه منى ، وهو :

جعلت فداكَ ا عبدُ الله عندى بعقب النأى عنـــه والبعاد
له لُمَة من الفتيانِ بيض قَضَوْا حق الصداقة والوداد
دعوتهُمُ عليكَ وَكُنتُ ممن أنادِيه على النُّوَبِ الشداد[2]

قال : وسألته عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر ؟ قال : لأبى تمام

(١) فى ب « الحسن بن سعدان عن المبرد » .
(٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصول « يعينه على الفقر الجياد » .

Marfat.com

استخراجات لطيفة ، ومعان ظريفة ، وجيده أجود من شعر البحترى ، ومن [شعر مَنْ] تَقَدَّمه من المحدَثينَ ، وشعر البحترى أحسن استواء من شعر أبى تمام ؛ لأن البحترى يقول القصيدة كلها ، فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب ، وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف ، وما أشبهه إلا بغائص البحر يخرج الدرة وَالمَخْشَلَبة فيجعلهما فى نظام واحد ، وإنما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل بأشعارهم ، وإلا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه ، فدعانى هذا القول منه إلى أن قرأت عليه شعر أبى تمام ، وأسقطت خواطئه وكل ما ذُمَّ من شعره ، وأفردت جيده ، فوجدت ما يتمثل به ويجرى على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتاً ، ولا أعرف شاعراً جاهليًا ولا إسلاميًا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ، ثم قال المبرد : وبالبحترى يُختَمُ الشعر ، وأنشدنى له بيتين زعم المبرد أنهما لو أضيفا إلى شعر زهير لجازا فيه ، وهما :

وما سَفَهُ السفيه وإن تَعَدَّى بأنجعَ فيك من حلم الحليم
متى أحفَظْتَ ذا كرم تخطَّى إليك ببعض أفعال اللئيم

قال : وكان مما ذكرناه من شعر البحترى فى هذا المجلس وَقَدَّمه محمد ابن يزيد على نظرائه قولُه فى ابنى صاعد بن مخلد :

وإذا رأيت مخايل ابنَىْ صاعدٍ أدَّتْ إليك مخايل ابنى مَخْلَدِ
كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يَعْلُ موضع فرقد من فرقد

وقوله :

مَنْ شاكِرٌ عنى الخليفةَ لِلَّذِى أولاهُ مِنْ بِرٍّ وَمِنْ إحسان ؟
حتى لقد أفضَلْتُ من إفضالِهِ وأريت نهج الجود حيث أرانى
أغنَتْ يداه يدى، وَشَرَّدَ جوده بخلى ، فأفقرنى كما أغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه ، وأعطيت الذى أعطانى

Marfat.com

وقوله :

وددتُ بياضَ السيفِ يوم لقيتني مكان بياض الشيب كان بمفرقى

وقوله :

دنوتَ تواضعاً وعلوت قدراً فشأناكَ انحــدار وارتفاع

كذاك الشمس تَبْعُدُ أن تُسامَى ويدنو الضوء منها والشعاع

وقوله فى الفتح بن خاقان ، وقد نزل إلى أسد فقتله :

حملت عليه السيفَ، لاعَزْمُكَ انثنى ولا يَدُكَ ارتدّتْ، ولاحَدُّه نبا

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وصَمّم لما لم يجد منك مهربا

وكنت متى تجمع يمينك والعلا لدى ضَيْغَم لم تبق للسيف مضربا[1]

وقوله :

مازال صرف الدهر يؤيس صَفْقَتِى حتى رَهَنْتُ على المشيب شبابِى

وقوله فى المنتصر :

وإن عليًا لأوْلَى بكم وأزكى يداً عندكم من عمر

وكلٌّ له فَضْلُه ، والحجو لُ يوم البراذين دون الغُرَرْ[2]

وقوله :

تعيب الغانيــات علىّ شيبى ومن لى أن أمتّع بالمشيب

ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال :

إذا ما الجرح رمّ على فساد تبيّنَ فيه تفريطُ الطبيبِ

وقوله :

ولَلسَّهْمُ الشريد أخفُّ غِبًّا على الرامى من السهم المصيب

وقوله :

---

(١) فى ا «ولضربته لم تبق للسيف مضربا» (٢) روى هذا البيت فى ب هكذا:

وكان له فضله ، والحجو ل يوم البراذين قبل الغرر

وسيذكر البيتين فى ص ١٣٥ وهناك « يوم التراهن » .

Marfat.com

وما منع الفَتحُ بن خاقان نيلَهُ ولكنها الأيام تُعطِى وتحرم
سحاب خَطَانِى جوده وهو مُسْبِل وبحر عَدَانِى فيضه وهو مُفعمُ
[وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا وموضِعُ رجلى منه أسود مظلم]
أأشكو نداهُ بعد أن وَسِعَ الورى ومن ذا يذم الغيث إلا مذمم ؟

وذكر محمد بن أبى الأزهر قال : كان إبراهيم بن المدبر — مع محلِّه فى العلم والأدب والمعرفة — يُسىء الرأى فى أبى تمام ، ويحلف أنه لا يحسن شيئاً قط ، فقلت له يوماً : ما تقول فى قول مَنْ يقول :

غدا الشيب مختطا بفَوْدَىَّ خطة سبيل الردى منها إلى النفس مَهْيَعُ
هو الزور يجفو ، والمعاشر يجتوى ، وذو الإلف يُقلَى ، والجديد يرقَّعُ
له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسْوَدُ أسْفَعُ
ونحن نرجِّيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول :

فإن ترم عن عمرو تداعى به المدى فخانَكَ حتى لم تَجِدْ فيه منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطّعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول :

شرف على أول الزمان وإنما الـ شرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول :

إذا أحسن الأقوام أن يَتطاولوا بلا نعمة أحْسَنْتَ أن تتطوّلاَ

وفيمن يقول :

مطر لى الحياة والمال لا أُلـ ـقاك إلا مستوهبا أو وَهُوبَا
وإذا ما أردت كنت رِشاء وإذا ما أردت كنت قليبا

وفى القائل :

خشعوا لصولتك التى عوّدْتهم كالموت يأتى ليس فيه عثار

Marfat.com

فالمشىُ همس ، والنداء إشارة ، خوف انتقامك والحديث سِرَارُ
أيامنا معقــودة أطرافهَا بك ، والليالى كلُّها أسحار
تَنْدَى عفَاتك للعُفاة ، ويغتدى رفقاً إلى زوارك الزوار

وفيمن يقول :

إذا أوهَدْت أرضاً كان فيها رضاك فلا تحنُّ إلى رُبَاهَا(١)

قال ابن أبى الأزهر : فوالله لكأنى أغريت ابن المدبر بأبى تمام ، حتى سبَّه ولعنه ، فقلت : إذا فعلت ذلك لقد حدثنى المعروف بأبى عمرو بن الحسن(٢) [الطوسى] الراوية أن أباه وَجَّه به إلى ابن الأعرابى يقرأ عليه أشعار هُذَيل ، قال : فمرت بنا أراجيز ، فأنشدته أرجوزة لأبى تمام ، لم أنسبها إليه ، وهى :

وعاذلٍ عذلته فى عذله فظن أنى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله مَنْ لك يوماً بأخيك كله
لبست رَيْعَانِى فدعنى أبْلِهِ ومَلَكٍ فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله بذلتُ مدحى فيه باغى بذله
فجزَّ حبل أملى من وصله من بعد ما استعبدنى بمَطْلِهِ
ثم اغتدى معتذراً بجهله ذا عَنَقٍ فى الجهل لم يخلّه
تلحَظُنى فى جده وهَزْله [يعجب من تعجبى من بخله]
لحظ الأسير حلقات كَبْلهِ حتى كأنى جئته بعذله
يا واحداً منفرداً بعدله أكسبتُكَ المالَ فلا تَمُلَّه
ما يصنع الغِمدُ بغير نصله والمدح إن لم يك عند أهله

(١) فى ا « فلا تحل إلى رباها » .
(٢) فى ب « حدثنى عمر بن أبى الحسين »

Marfat.com

فقال لابنه : اكتبها ، فكتبها على ظهر كتاب من كتبه ، فقال له : جعلت فداك ! إنها لأبى تمام ، فقال : خرق خرق .

وهذا من ابن المدبر قبيح مع علمه ، لأن الواجب أن لايُدْفَعَ إحسان محسن عدُوًّا كان أو صديقاً ، وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع ، فقد روى عن أمير المؤمنين على أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن ؛ فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك . وقد ذكر عن بزرجمهر بن البختكان — وكان من حكماء الفرس ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية — أنه قال : أخذت من كل شىء أحسن ما فيه ، حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب ، قيل له : ما أخذت من الكلب ؟ قال : إلْفَهُ لأهله ، وذَبَّه عن صاحبه ، قيل : فما أخذت من الغراب؟ قال : شدة حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال: بكوره فى حوائجه ، قيل : فمن الهرة ؟ قال : حسن نغمتها وتملقها لأهلها عند المسألة .

ومَنْ عاب مثلَ هذه الأشعار التى ترتاح لها القلوب ، وتُحَرِّك بها النفوس ، وتصغى إليها الأسماع ، وتشحذ بها الأذهان ، ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ فى الإجادة أبعد غاية وأقصى نهاية ، فإنما غَضَّ من نفسه ، وطعن على معرفته واختياره

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : الهوى إلهٌ معبود ، واحتج بقوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ) .

ولأبى تمام أشعار حسان ، ومعانٍ لطافٌ ، واستخراجات بديعة .

وحكى عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبى تمام ، فقال : كأنه جمع شعر العالم ، فانتخب جوهره ، وقد كان أبو تمام ألَّفَ كتاباً وسَمَّاه : «الحماسة» وفى الناس من يسميه «كتاب الحبية» انتخب فيه شعر الناس ، ظهر بعد وفاته .

Marfat.com

وقد صنف أبو بكر الصولى كتاباً جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره وتصرفه فى أنواع علومه ومذاهبه ، واستدل الصولى على ما وصف عن أبى تمام بما يوجد من شعره ، من ذلك قوله فى صفة الخمر :

جَهْمية الأوصاف ، إلا أنهم قد لَقّبوها جوهر الأشياء

وقد رثته الشعراء بعد وفاته ، والأدباء من إخوانه : منهم الحسن بن وهب الكاتب ، وكان شاعراً ظريفاً له حظ فى المنثور والمنظوم ، فقال :

سقى بالموصِلِ الجَدَثَ الغريبا سحائِبُ ينتحبن له نحيبا
إذا أظللنه أطلان فيه شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولَطّمت البروقُ له خدودا وشَقّقت الرعودُ له جيوبا
فإنّ تراب ذاك القبر يحوى حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيباً شاعراً فطناً أديباً أصيل الرأى فى الجُلّى أريبا
إذا شاهَدْته رواك فيما يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائىّ ، إنّا لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدْناَ منك علقا لا ترانا نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت أخاً لنا أبْدَى إلينا ضميرَ الود والنسب القريبا
فلما بِنْتَ كدرت الليالى قريب الدار والأقصى الغريبا
وأبدى الدهر أقبح صَفْحَتيه ووجها كالحا جَهْما قطوبا
فأحْرِ بأن يطيب الموت فيه وأحر بعيشنا أن لا يطيبا

وللحسن أشعار حسان ومعان جياد ، منها قوله :

أبت مقلتاك لفرط الحَزَنْ عليك الرُّقَادَ وبرد الوَسَنْ
وحق لعينيك أن لاتناما وقلبك مختلس مرتهن
وبين الجوانح داء دفين لعمرك مستتر قد كَمَنْ
[نجىّ الهموم،وقرن الكلوم ووهى الحلوم ، وبعد الوطَنْ][1]

(١) سقط هذا البيت من ا .

Marfat.com

[شديد النفار ، كثير العثار ، خليع العذار ، يجرُّ الرَّسَنْ][1]
أفى كل يوم تُطِيلُ الوقوف تناجى الديار وتبكى الدِّمَنْ ؟
وتستخبر الدار عن أهلها وَتُذْرِى الدموع على من ظَعَنْ
كأنك لم تر فيما مضى من الدهر ذا صَبْوَة مفتتن
عذرتك أيام شَرْخِ الشباب وفرعك فرع نضير الغُصُنْ
فأما وقد زال ظل الشَّبَا بِ عنك وَوَلَّى كأنْ لم يكن
وألبسك الشيب بعد الشَّبَابِ قناع بياض كلون القُطُنْ
وصرت قَذًى فى عيون الحسا نِ يَخُنَّكَ عهداً وإن لم تخُنْ
وَيَصْدِفْنَ عنك إذا رمتهنَّ وَكُنْتَ لهن زَمَانًا سكن
فما لك عُذْر وأنت امْرِؤٌ بما فيه رشدك طَبٌّ فطن

على بن الجعد — وفى خلافة الواثق مات علىّ بن الجَعْد مولى بنى مخزوم ، وكان من علية أصحاب الحديث وأهل النقل ، وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين .

قتيل فى المحنة — وفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين قَتَلَ الواثقُ أحمد بن نصر الخزاعى فى المحنة على القرآن .

نديم — قال المسعودى : وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء [وكان] يقوم قائما لصغر سنه ، ولم يكن لذلك يُلْحَقُ فى الجلوس بمراتب ذوى الأسنان وكان ذكيًّا مأذونًا له فى الإفاضة مع الجلساء[2] فى كل ما يعرض لهم الكلام فيه ، والتكلم بما يسنح ويختلج فى صدره : من مثل سائر ، وبيت نادر ، وحديث ممتع ، وجواب مُسْرِع ، قال : وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالَمة ، فقال لهم الواثق يوماً : ما تختارون من النُّقْلِ ؟ فبعض قال : نبات السكر ، وبعض قال : رمان ، وبعض قال : تفاح ، وبعض قال : قصب السكر[3] ينضح بماء

(١) سقط هذا البيت من ا (٢) فى ا « مع الندماء » .
(٣) فى ا « نبات السكر ينضح بماء الورد » .

Marfat.com

الورد ، وبعض أخرجته الفلسفة إلى النقيض ، فقال : ماح يغلى ، وبعض قال : صبر يمحى بمذاب النبيذ(١) ، ويجلى على سَوْرَة الشراب ومرارة النقل ، قال : ما صنعتم شيئاً ، ولكن ما تقول أنت يا غلام ؟ قال : خشكنانج مسير ، فوافق ذلك مراد الواثق [وقرع به ما فى نفسه] ، وقال : أصبت وأحسنت بارك الله لك ، وكان ذلك أول جلوسه .

محمد بن على ابن موسى

وقيل : إن أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفى فى خلافة الواثق ، وقد بلغ من السن ما قدَّمناه فى خلافة المعتصم من هذا الكتاب ، وقيل : إنه كتب إلى الواثق : يا أمير المؤمنين ! ليس من أحد وإن ساعَدَتْهُ المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه ، ومَنْ ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب .

عبد الله ابن طاهر

وفى سنة ثلاثين ومائتين — وذلك فى خلافة الواثق — توفى [أبو العباس] عبد الله بن طاهر [بن الحسين] فى ربيع الأول من هذه السنة ، وفيه يقول الشاعر ، وَقْتَ كون عبد الله بن طاهر بمصر :

يقول أناس : إنَّ مصر بعيدة ... ومابعدت مصر وفيها ابنُ طاهرِ
وأبعد من مصر رجال تَرَاهُمُ ... بحضرتنا معروفُهُمْ غير حاضر
عن الخير مَوْتَى ، ماتبالى أزرتهم ... على طمع أم زرت أهل المقابر

مجلس للواثق فى الفلسفة والطب

وكان الواثق [بالله] محباً للنظر ، مكرماً لأهله ، مبغضاً للتقليد وأهله ، محباً للإشراف على علوم الناس وآرائهم ، ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة [وغيرهم من الشرعيين ، فحضرهم ذات يوم جماعة من الفلاسفة] والمتطببين ، فجرى بحضرته أنواع من علومهم فى الطبيعيات وما بعد ذلك من الإلهيَّات ، فقال لهم الواثق : قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك معرفة الطب ومأخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة ؟ أم يدرك بأوائل العقل ؟ أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع ، كما يذهب إليه جماعة من أهل الشريعة ؟ وقد كان

(١) فى ا «صبر مجلفا كذهب النبيذين وتجلداً إلى سورة الشراب ومرارة لنقل»

Marfat.com

ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر، وقيل: إن حنين بن إسحاق وسلمويه فيمن حضر فى هذا المجلس [أيضاً] .

فقال منهم قائل : زعم طوائف من الأطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذى يدرك به الطب هو التجربة فقط، وحَدُّوه بأنه علم يتكرر الحس على محسوس واحد فى أحوال متغايرة، فيوجد بالحس فى آخر الأحوال كما يوجد فى أولها، والحافظ لذلك هو المجرب، وزعموا أن التجربة ترجع إلى مَبَادٍ أربعة هن لها أوائل ومقدمات، وبها علت وصحت، وإليها تنقسم التجربة، فصارت بذلك أجزاء لها، فزعموا أن قسما من تلك الأقسام طبيعى، وهو ما تفعله الطبيعة فى الصحيح والمريض : من الرعاف، والعرق، والإسهال، والقىء التى تُعقِبُ فى المشاهدة منفعة أو ضرراً. [وقسما عرضياً، وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل، وذلك كما يعرض للإنسان أن يجرح أو يسقط فيخرج منه دم قليل أو كثير، أو يشرب فى مرضه أو صحته ماء بارداً أو شراباً، فيعقب فى المشاهدة منفعة أو ضرراً][1]، وقسما إراديا، وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة، وذلك كمثل منام يراه الإنسان، وهو أن يرى كأنه عالج مريضاً به علة مشاهدة معقولة بشىء من الأشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه، أو يخطر مثل ذلك بباله فى حال فكره، فيتردد ويعطب ظنه بمعطبه[2] فيجربه بأن يفعله كما يرى فى منامه، فيجده كما يرى أو يخالف ذلك، ويفعله مراراً، فيجده كذلك. وقسما هو نقل، وهو على ثلاثة أقسام : إما أن ينقل الدواء الواحد من مرض إلى مرض يشبهه، وذلك كالنقلة من ورم الحمرة إلى الورم المعروف بالنَّمْلَة، وإما من عضو إلى عضو يشبهه، وذلك كالنقلة من [العضد إلى الفخذ، وإما من دواء إلى دواء يشبهه، كالنقلة من] السفرجل إلى الزعرور فى علاج انطلاق البطن[3]، وكل ذلك لا يعمل به عندهم إلا بالتجربة .

(١) لم يذكر هذا القسم الثانى من التجريبات فى ب (٢) فى ا « بفطنة ».
(٣) لم يذكر القسم الثانى من النقلى فى ب .

Marfat.com

وذهبت طائفة أخرى منهم إلى أن الحيلة فى تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن تُرَدَّ أشخاص من العلل ومُوَلّداتها إلى الأصول الحاصرة الجامعة لها ، إذ كان لا غاية لتولدها ، وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود فى الحال والوقت ، دون الأسباب المؤثرة الفاعلة التى عدمت ، ودون الأزمان والأوقات والأسباب[1] والعادات ، ومعرفة طبائع الأعضاء وحدودها ، والرصد والتحفظ لـكل ما يكون فى كل علة وجدت أو لم توجد ، وَبَرْهَنُوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التى لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما فى حال ، وأن وجود أحدهما ينفى وجود الآخر فى الحال لا محالة ، قالوا : وليس هذا كشىء ظاهر يستدل به على كل شىء خفى ، والشىء الظاهر يحتمل الوجود ، فيختلف فى الاستدلال ؛ فيكون القطع على ما يوجبه غير[2] بين ، وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم فى اليونانيين مثل نامونيس[3] وساساليس وغيرهما ، وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الجبلى[4] .

قال الواثق لهم جميعاً : فأخبرونى عن جمهورهم الأعظم إلامَ يذهبون فى ذلك ؟ فقالوا : إلى القياس ، قال : وكيف ذلك ؟ قالوا جميعاً : زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون إلى معرفة الطب مأخوذ من مُقَدِّمَات أوَّلِيَّة ، فمنها معرفة طبائع الأبدان والأعضاء وأفعالها ، ومنها معرفة الأبدان فى الصحة والمرض ، ومعرفة الأَهْوِيَةِ واختلافها ، والأعمال والصنائع ، والعادات والأطعمة والأشربة والأسفار[1] ، ومعرفة قُوَى الأمراض ، وقالوا : ثبت فى الشاهد أن الحيوان يختلف فى صورته وطباعه ، وكذلك أعضاؤه مختلفة فى طباعها وَصُوَرها ، وأن الأجساد الحيوانية تتغير بالأهْوِيَة المحيطة بها وبالحركة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه والأعراض النفسانية من

(١) فى ا « الأسنان » (٢) فى ا « غير متيقن » .
(٣) فى ب « ماموس » (٤) فى ا « الطب الحيلى » .

Marfat.com

الغم والحزن[١] والغضب والهم ، قالوا : والغرض بالطب فى تدبير الأجسام حفظ الصحة الموجودة فى البدن الصحيح ، واجتلابها للعليل ، فالواجب أن يكون حفظ الصحة إنما هو بمعرفة الأسباب المصححة ، فالواجب على الطبيب لامحالة من هذه المقدمات التى قد صحت إذا أراد علاج المريض النظر فى طبائع الأمراض والأبدان والأغذية والعادات والأزمان والأوقات الحاضرة والأسباب ليستدل بجميع ذلك ، وهذا يا أمير المؤمنين قول أبقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم ، قالوا : وقد اختلفت هذه الطائفة فى كثير من الأغذية والأدوية ، مع اتفاقهم على ماوصفنا ، وذلك لاختلافهم فى كيفية الاستدلال ؛ فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشىء من الأغذية والأدوية بطعمه أوريحه أو لونه أوقوامه أو فعله أو تأثيره فى الجسد، وزعموا أن الوثيقة فى الاستدلال بالأجزاء إذا كانت الألوان والأرايح[٢] وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الأربع ، كما أن الإسخان والتبريد والتليين[٣] فعل لها ، وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا فى الحكم على طبيعة الدواء والغذاء بما أخذ من فعله فى الجسد دون الطعم والرائحة ، وما سوى ذلك ، فإن الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لايقطع به ، ولا يعول [فى الحكم] على طبيعة الدواء المفرد والمركب .

قال الواثق لحنين من بين الجماعة : ما أول آلات الغذاء من الإنسان ؟ قال : أول آلات الغذاء [من الإنسان] الفم ، وفيه الأسنان ، والأسنان اثنتان وثلاثون سنا ، منها فى اللَّحْيِ الأعلى ستة عشر سنا ، وفى اللَّحْيِ الأسفل كذلك، ومن ذلك أربعة فى كل واحد من اللحيين عِرَاضٌ محددة الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج إلى قطعه من الأطعمة اللينة ، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين ، وهى الثنايا والرَّبَاعِيَاتُ ، وعن جنبى هذه الأربعة فى كل واحد من اللحيين سِنَّانِ

(١) فى ا « والفزع » (٢) فى ا « والروائح » (٣) فى ا « والتيبيس » .

Marfat.com

رؤوسهما حادَّةٌ وأصولها عريضة ، وهي الأنياب، وبها يكسر كل ما يحتاج إلى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل ، وعن جَنْبَيِ النابين في كل واحد من اللَّحْيَيْنِ خمس أسنان أخر عوارض خشن ، وهي الأضراس ، ويسمها اليونانيون الطواحن؛ لأنها تطحن مايحتاج إلى طحنه مما يؤكل، وكل واحد من الثنايا والرَّبَاعِيَاتِ والأنياب له أصل واحد، وأما الأضراس فما كان منها في اللَّحْيِ الأعلى فله ثلاثه أصول، خلا الضرسين الأقصيين ، فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة ، وما كان من الاضراس في اللَّحْيِ الأسفل فلكل واحد منها أصلان ، خلا الضرسين الأقْصَيَيْنِ ؛ فإنه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة ، وإنما احتيج إلى كثرة أصول الأضراس دون سائر الأسنان لشدة قوة العمل بها ، وخصت العليا منها بالزيادة في الأصول لتعلقها بأعلى الفم .

قال الواثق : أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات ، فصنف لي كتاباً تذكر فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ذلك، فصنف له كتاباً جمله ثلاث مقالات، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل[1] وآلات الجسد .

الواثق وحنين ابن إسحاق أيضا

وقد ذكر أن الواثق سأل حُنَيناً في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وأن حُنَيناً أجاب عن ذلك ، وصنف في كل ذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المسائل الطبيعية » يذكر فيه أنواعاً من العلوم ، فكان مما سأل الواثق حُنَيناً من المسائل ، وقيل : بل أُحْضِرَ له [الواثق] نديماً من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل [والمجيب] ، إلى أن قال : فما الأشياء[2] المغيرة للهواء ؟ قال حُنَيْنٌ : خمس ، وهي أوقات السنة ، وطلوع الكواكب وغروبها ، والرياح ، والبلدان ، والبحار .

(١) في ا « والدواء المسهل » .
(٢) في ا « كم الأسباب المغيرة للهواء » .

Marfat.com

أوقات السنة

قال السائل : فكم هى أوقات السنة ؟ قال [حُنَيْنٌ] : أربع : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ؛ فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ، ومزاج الصيف حار يابس ، ومزاج الخريف بارد يابس ، ومزاج الشتاء بارد رطب .

الكواكب

قال السائل : أخبرنى عن كيفية تغيير الكواكب للهواء ، قال [حنين]: إن الشمس متى قربت منها أو قربت هى من الشمس كان الهواء أزيد سُخُونَةً ، وخاصة كلما كانت أعظم ، ومتى بعدت الشمس أو بعدت هى من الشمس كان الهواء أزيد برداً .

الرياح

قال [السائل] : أخبرنى عن كيفية أعداد الرياح ، قال [حنين] : أربع : الشَّمَال ، والجنوب ، والصَّبَا ، والدَّبور ؛ فأما قوة الشَّمال فباردة يابسة ، وأما الجنوب فحارة رطبة ، وأما الصَّبا والدَّبور فمعتدلان ، غير أن الصَّبا أَمْيَلُ إلى الحرارة واليبس ، والدَّبور أميل إلى البرودة والرطوبة من الصبا .

البلدان

قال : فأخبرنى عن أحوال البلدان فى ذلك ، قال : هى أربع ؛ الأول الارتفاع ، والثانى الانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار ، والرابع طبيعة تربة الأرض ، والنواحى أربع ، وهى: الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب ؛ فناحية الجنوب أسْخَنُ ، وناحية الشمال أبرد ، وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان ، واختلاف البلدان بارتفاعها [وانخفاضها ؛ لأن ارتفاعها] يجعلها أبرد ، وانخفاضها يجعلها أسخن ، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها ؛ لأن الجبل متى كان من البلد فى ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد برداً لأنه يستره من الرياح الجنوبية ، وإنما تهبُّ فيه الريح الشمالية فقط ، ومتى كان الجبل من البلد فى ناحية الشمال جعل ذلك البَلَدَ أسْخَنَ .

تأثير البحار فى البلدان

قال : فأخبرنى عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت؟ قال حنين : إن كان البحر من البلد فى ناحية الجنوب ، فإن ذلك البلد يسخن ويرطب ، وإن كان فى ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد .

Marfat.com

قال السائل : فأخبرنى عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها[١]، قال : إن كانت أرضها حَجَرِيَّةً[٢] جعلت ذلك البلد أبرد وأخف [وإن كانت تربة البلد حصبانية جعلت ذلك البلد أخف وأسخن] وإن كانت طيناً جعلته أبرد وأرطب .

قال : فَلِمَ اختلف الهواء من قبل البحار ؟ قال : إذا جاورت[٣] نقائع ماء أو جيفاً أو بُقُولاً عَفِنَةً أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها .

فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب أضْجَرَ ذلك الواثقَ ، فقطع ذلك ، وأجاز كل[٤] واحد ممن حضر ، ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره فى الزهد فى هذا العالم الذى هو عالم الدُّثُورِ والفناء [والغرور] فذكر كل واحد منهم ما سَنَحَ له من الأخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وديوجانس .

نطق الحكماء على جدث الإسكندر

قال الواثق : قد أكثرتم فيما وصفتم ، وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم ، فليخبرنى كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الإسكندر ، وقد جعل فى التابوت[٥] الأحمر .

فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، كل ما ذكروه حَسَنٌ ، وأحْسَنُ ما نطق به مَنْ حضر ذلك المشهد من الحكماء ديوجانس ، وقد قيل : إنه لبعض حكماء الهند ، فقال : إن الإسكندر أمس أنْطَقُ منه اليوم ، وهو اليومَ أوْعَظُ منه أمس .

و [قد] أخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال :

كَفَى حَزَناً بدفنك ثمَّ إنِّى نَفَضْتُ تراب قبرك مِنْ يَدَيَا

---

(١) فى ا « طبيعة تربة أرضها » . (٢) فى ا « صخرية » .

(٣) فى ا « إذا جاورته أنقع ماء أوجيف أوبقول عفنة ـ إلخ » .

(٤) فى ا « فقطع عليهم كلامهم، وأجاز ذلك اليوم سائر من حضره منهم » .

(٥) فى ا « فى تابوت الذهب الأحمر » .

Marfat.com

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوْعَظُ منك حيّا

فاشتد بكاء الواثق ، وعلا نحيبه ، وبكى معه كل من حضر من الناس ، ثم قام من فَوْرِه ذلك وهو يقول :

وَصُرُوف الدهر فى تقديره خُلِقَتْ فيها انخفاضٌ وَانْحِدَارْ
بينما المَرْء على إعــــلائها إذْ هَوَى فى هُوَّةٍ منها فَحَارْ
إنما مُتْعَـــــةُ قوم ساعة وحياة المَرْء ثوب مُسْتَعَارْ

قال المسعودى : وللواثق أخبار حِسَانٌ مما كان فى أيامه من الأحداث وما كان يجرى من المباحثة فى مجلسه الذى عَقَدَه للنظر بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم من العقليات والسمعيات فى جميع الفروع والأصول ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب فى باب خلافة القاهر بالله بن المعتضد بالله جُمَلاً من الأخبار فى أخلاق الخلفاء من بنى العباس لمعنى أوْجَبَ إيرادها فى باب خلافة القاهر.

واعتلّ الواثق فصلّى بالناس يوم النحر أحمد بن أبى دُوَاد ، وكان قاضى القُضَاة ، فدعا فى خطبته للواثق ، فقال : اللهم اشفه مما ابتليته ، وقد قدّمنا [ذكر وقت وفاته] فيما سلف من أخباره فى هذا الباب ، فأغنى ذلك عن إعادته .

Marfat.com

ذكر خلافة المتوكل على الله

وبويع جعفر بن محمد بن هارون ، ولقب المنتصر بالله ، فلما كان فى اليوم الثانى لقبه أحمد بن أبى دُوَاد « المتوكل على الله » وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثقُ أخوه ، وهو يوم الأربعاء لست بَقِينَ من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبى الفضل ، وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر ، وقُتل وهو ابن إحدى وأربعين سنة [فكانت خلافته أربع عشرة سنة] وتسعة أشهر وتسع لَيَالٍ ، وأمه أم ولد خُوَارزمية يقال لها شجاع ، وقُتل ليلة الأربعاء لثلاث خَلَوْنَ من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . موجز

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره، ولمع مما كان فى أيامه

أمره بترك الجدل وإظهار السنة

ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال، والترك لما كان عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق [والمأمون] وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر شيوخ[1] المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة، وأظهر لباس ثياب الملحمة[2]، وفضل ذلك على سائر الثياب، وَأَتْبَعَهُ مَنْ فى داره على لبس ذلك، وشمل الناس لبسه، وبالغوا فى ثمنه اهتماماً بعمله، واصطنع[3] الجيد منها؛ لمبالغة الناس فيها، وميل الراعى والرعية إليها، فالباقى فى أيدى الناس إلى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية، وهى نوع من ثياب الملحم[4] نهاية فى الحسن والصبغ وجودة الصنع.

أحدث اللعب والضاحك

وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وَأَنْضَرَهَا، من استقامة الملك، وشمول الناس بالأمن والعدل، ولم يكن المتوكل ممن يوصف فى عطائه وبذله بالجود، ولا بتركه وإمساكه بالبخل، ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب[5] والمضاحك والهزل مما قد استفاض فى الناس تركه إلا المتوكل؛ فإنه السابق إلى ذلك وَالمُحْدِثُ له، وأَحْدَثَ أشياء من نوع ما ذكر[نا] فاتبعه فيها الأغلب من خواصه وأكثر رعيته، فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده مَنْ يوصف بجود ولا إفضال، أو يتعالى عن مجون وطرب.

غلب عليه الفتح بن خاقان

وكان الفتح بن خاقان التركى مولاه أغلبَ الناس عليه، وأقربهم[6] منه،

---

(١) فى ب « الشيوخ المحدثين ». (٢) فى ب « ثياب اللحم ».
(٣) فى ب « واصطناع ». (٤) فى ا « من الثياب الملحمة ».
(٥) فى ا « فى العبث والهزل والمضاحك ». (٦) فى ا « وأقربهم إليه ».

Marfat.com

وأكثرهم تقدماً عنده ، ولم يكن الفتح – مع هذه المنزلة من الخلافة – ممن يُرْجَى فضله ويخاف شره ، وكان له نصيب من العلم ، ومنزلة من الأدب ، وألف كتاباً فى [أنواع من] الأدب ترجمه بكتاب « البستان » .

أحدث البناء الحيرى

وأحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحيرى والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سُمَّاره حَدَّثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نَصْر أحدث بنياناً فى دار قراره، وهى الحيرة ، على صورة الحرب وهيئتها للهجه[1] بها وميله نحوها[2] لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله ، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدرُ ، والكمان ميمنة وميسرة ، ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفى اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفى الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قدعم فضاؤه الصدر والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيرى والكمين ، إضافة إلى الحيرة ، واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماما بفعله ، واشتهر إلى هذه الغاية .

أخذه البيعة لأولاده الثلاثة

وبايع [المتوكلُ] لبنيه الثلاثة : محمد المنتصر بالله ، وأبى عبد الله المعتز بالله ، والمستعين بالله ، وفى ذلك يقول ابن المدبر فى ذكره لهذه البيعة :

يا بيعة مثل بيعة الشَّجَرَهْ ... فيها لكل الخلائق الخِيَرَهْ
أَكَّدَهَا جعفر وصيرها ... إلى بنيه الثلاثة البَرَرَهْ

وفى ذلك يقول على بن الجهم :

قل للخليفة جعفر : ياذا الندى ... وابن الخلائف والأئمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد ... ولَّيتَ عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد ... وجعلت ثالثهم أعزَّ مؤيدا

---

(١) فى ب « صورة الحرب وهيئته للهجته بها » . (٢) فى ا « وميله إليها » .

Marfat.com

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بمائة سنة ، وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتى سنة ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم ، على تفاوت التواريخ فى كمية[1] أوقاتهم وعَدَدِ سِنِيهِمْ والزيادة فى الأيام والشهور ونقصانها[2] من مدة ملكهم .

سخطة على ابن الزيات

وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر ، فقبض أمواله وجميع ما كان له ، وقلد مكانه أبا الوزير ، وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادَرِين والمغضوب عليهم تَنُّوراً من الحديد رءوس مساميره إلى داخل قائمة مثل رؤوس المسَالّ فى أيام وزارته للمعتصم والواثق ، فكان يعذب الناس فيه ، فأمر المتوكل بإدخاله فى ذلك التنور ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له فى دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد ، فاستأذن المتوكل فى ذلك ، فأذن له ، فكتب :

هى السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تُرِيكَ العين فى النوم
لا تجزعَنَّ رويداً إنها دُوَل ... دنيـــا تنقل من قوم إلى قوم

قال : وتشاغل المتوكل فى ذلك اليوم فلم تَصِلِ الرقعة إليه ، فلما كان الغد قرأها فأمر بإخراجه فوجده ميتاً ، وكان حَبْسُه فى ذلك التنور إلى أن مات أربعين يوماً ، وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، وهو القائل فى تحريض المأمون على إبراهيم بن المهدى [عمه] حين خرج عليه :

ألم تر أن الشىء للشىء علة ... تكون له كالنار تقدح بالزَّنْدِ
كذلك جَرّبنا الأمور ، وإنما ... يدلُّكَ ما قد كان قبل على البعد
وظَنّى بإبراهيم أن فكاكه ... سيبعث يوماً مثل أيامه النكد[3]
تذكَّرْ أمير المؤمنين قيامه ... وأيامه فى الهزل منه وفى الجد

(١) فى ا « كيفية أوقاتهم » . (٢) فى ب « والنقصان عن » .
(٣) فى ا « وظنى بإبراهيم أن مكانه » .

Marfat.com

إذا هزَّ أعواد المنابر باسمه تغنَّى بليلى أو بميَّةَ أو هند[١]

فى شعر طويل جداً .

ومن شعره قوله فى مرثية للمعتصم بالله :

وظـل له سيف النبى كأنما مدامعه من شدة الحزن تَذْرِفُ
حمائله والبُرْدُ تشـهد أنه هو الطيب الأولى الذى كان يعرف
أقول ومن حق الذى قلت أننى أقول وأثنى بعد ذاك وأحلف
لما هابَ أهل الظلم مثلك سائسا ولا أنصفَ المظلوم مثلُكَ منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره فى الكتاب الأوسط .

وزراؤه

فكانت أيام أبى الوزير فى الوزارة يسيرة ، وقد كان اتخذ للوزارة محمد ابن الفضل الجرجرائى[٢] ، ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ثلاث[٣] وثلاثين ومائتين إلى أن قتل ، وقد أتينا فى الكتاب الأوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان .

المبرد ومجنون بدير هرقل

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال : ذكرت للمتوكل لمنازعة[٤] جرت بينه وبين الفتح بن خاقان فى تأويل آية وتنازعَ الناسُ فى قراءتها ، فبعث إلى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمى ، وكانت إليه البصرة ، فحملنى إليه مكرما ، فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لى أن بدير هرقل جماعة من المجانين يُعالَجُونَ ، فلما حاذيته دعتنى نفسى إلى دخوله ، فدخلته ومعى شابٌ ممن يرجع إلى دين وأدب ، فإذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا إلى ، فقلت : ما يقعدك بينهم وأنت بائن عنهم ؟ فكسر جفنه ورفع عقيرته ، وأنشأ يقول :

إن وصفونى فَناحِلُ الجَسَدِ أو فتّشونى فأبيض الكبد
أضْعَفَ وجدى وزاد فى سَقَمِى أن لست أشكو الهوى إلى أحد[٥]

(١) فى ا «إذا هز أعواد المنابر باسته» . (٢) فى ب «الجرجانى»
(٣) فى ب «سنة ست وثلاثين ومائتين» .
(٤) فى ب «ذكرت للمتوكل منازعة-إلخ» . (٥) فى ا «أضعف حالى وزادنى سقما» .

Marfat.com

وضعت كَفِّى على فؤادِىَ من حَرِّ الأسى وانطويْتُ فوق يدى
آه من الحب آه من كبدى إن لم أمت فى غد فبعد غد
كأن قلبى إذا ذكرتهمُ فريسة بين ساعدَىْ أسَدِ

فقلت : أحسنت لله درك[1] ! زدنى ، فأنشأ يقول :

ما أقتَلَ البين للنفوس ! وما أوْجعَ فقد الحبيب للكبد ! !
عرَّضْتُ نفسى من البلاء لما أسرف فى مهجتى وفى جَلَدِى
يا حسرتى أن أموت معتقلا بين اعتلاج الهموم والكَمَدِ
فى كل يوم تفيض معــــولة عينى لعضو يموت فى جسدى

فقلت : أحسنت [لله درك ! و] لافضّ فوك ! زدنى ، فأنشأ يقول :

الله يعـــلم أنى كَمِدُ لا أستطيع أبثُّ ما أجد
نفسان لى نفس تضمنها بلد ، وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها صبر ، وليس يُعينها جَلَدُ
وأظن غائبتى كشاهدتى بمكانها تجد الذى أجد

فقلت : والله أحسنت ، فاستزدته ، فقال : أراك كلما أنشدتك استزدتنى ، وما ذاك إلا لفرط أدب أو فراق شجن ، فأنشِدْنِى أنت أيضاً ، فقلت للذى معى : أنشده ، فأنشأ يقول :

عَذْلٌ وبَيْنٌ وتوديع ومرتحل أى العيون على ذا ليس تنهَمِلُ ؟
تالله ما جلدى من بعدهم جلد ولا اختزان دموعى عنهمُ بَخَلُ
بلى ، وحرمة ما ألقيْنَ من خبل قلبى إليهنَّ مشتاق وقد رحلوا[2]
وددت أن البحار السبع لى مَدَدٌ وأن جسمى دموع كلها همل

(١) فى ا «أحسنت ، لله أبوك» .
(٢) فى ب «وما رحلوا» .

Marfat.com

وأنّ لى بدلا من كل جانحة ... فى كل جارحة يوم النوى مُقَلُ
لادرَّ دَرُّ النوى لو صادفَتْ جبلا ... لا نهدَّ منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والإبل ... طلائع يتراءى أنها الأجـــل

فقال المجنون : أحسنت ، وقد حضرنى فى معنى ما أنشدت إلىّ شعرٌ ، أفأنشده ؟ قلت : هات ، فأنشأ يقول :

ترحَّلوا ثم نيطت دونهم سُجُفٌ ... لو كنت أملكهم يوماً لما رحلوا
ياحادِىَ العِيسِ مهلا كى نودعها ... رفقاً قليلا فنى توديعها الأجل(١)
ما راعنى اليوم شىء غير فقدهم ... لما استقلّتْ وسارت بالدُّمى الإبل(٢)
إنى على العهد لم أنقُضْ مودتهم ... فليت شعرى وطال الدهر ما فعلوا

قال المبرد : فقال الفتى الذى معى : ماتوا ، فقال المجنون : آه آه ، إن ماتوا فسوف أموت ، وسقط ميتاً ، فما برحْتُ حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنتُه.

البحترى ينشد التوكل

ووردتُ سر من رأى ، فأدخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب ، فسئلت عن بعض ما وردتُ له ، فأجبت ، وبين يدى المتوكل البحترىُّ الشاعر ، فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل ، وفى المجلس أبو العنبس(٣) الصيمرى ، فأنشد البحترى قصيدته التى أولها :

عن أى ثغر تبتسم ؟ ... وبأى طرف تحتكم؟
حسن يضىء بحسنه ... والحسن أشبه بالكرم
قل للخليفة جعفر الـــ ... ـمتوكل ابن المعتصم
المرتَضَى ابن المجتبى ... والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فَهْى من ... أَمَنَاتِ عدلك فى حَرَمْ
ياباني المجـــد الذى ... قد كان قوض فانهدمْ

(١) يقع هذا فى ا متأخراً عما يليه هنا .
(٢) فى ب « حتى استقلت وسارت بالدمى الإبل » .
(٣) فى ب «أبو العتاهية الصيمرى » محرفا، واتفقت مع افيما يلى على ذكره مصححا .

Marfat.com

أَسْلِمْ لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى بك، والغنى بعد العَدَمْ

فلما انتهى [إلى ذلك] مشى القهقرى للانصراف ، فوثب أبو العنبس فقال : ياأمير المؤمنين ، تأمر برده ، فقد والله عارضته فى قصيدته هذه ، فأمر برده ، فأخذ أبو العنبس ينشد شيئاً لولا أن فى تركه بَتْراً للخبر لما ذكرناه، وهو:

من أى سَلْحٍ تلتقم وبأى كف تلتطم
أدخلت رأس البحترى أبى عُبادة فى الرَّحِمْ

ووصل ذلك بما أشبهه من الشَّتْم ، فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه، وفحص برجله اليسرى، وقال : يُدْفَع إلى أبى العنبس عشرة آلاف درهم ، فقال الفتح : يا سيدى البحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويدفع للبحترى عشرة آلاف درهم ، قال : ياسيدى ، وهذا البصريُّ الذى أشخصناه من بلده ، لايشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويدفع إليه عشرة آلاف درهم ، فانصرفنا كلنا فى شفاعة الهزل ، ولم ينفع البحتريَّ جده واجتهاده وحزمه .

حمار أبى العنبس

ثم قال المتوكل لأبى العنبس : أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان من شعره فى الرؤيا التى أريتها ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كان أعقل من القضاة، ولم يكن له جريرة[1] ولازلة ، فاعتلَّ [علة] على غفلة ، فمات منها ، فرأيته فيما يرى النائم، فقلت له : ياحمارى ، ألم أبرد لك الماء ،وأنق لك الشعير ، وأحسن إليك جَهْدِى ؟ فلم مُتَّ على غفلة ؟ وماخبرك ؟ قال : نعم ، لما كان فى اليوم الذى وقفتَ على فلان الصيدلانى تكلمه فى كذا وكذا مرت بى أتان حسناء ، فرأيتها فأخذَتْ بمجامع قلبى ، فعشقتها واشتد وجدى بها ، فمتُّ كمداً متأسفاً ، فقلت له : يا حمارى ، فهل قلت فى ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

هامَ قلبى بأتان عند باب الصيدلانى

(١) فى ا « جرية ولازلة » وليست بذاك .

Marfat.com

تيمتنى يوم رُحْنَا بثناياهـا الحسان[١]

وبخـدّيْنِ أسيلـين كلون الشنقرانى[٢]

فبها مُتُّ ولو عشـت إذًا طَالَ هوانى

قال : قلت : ياحمارى ، فما الشنقرانى[٣] ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ، فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح فى ذلك اليوم فرحاً شديداً ، وسُرَّ سروراً لم يُرَ مثله ، وزاد فى تكرمة أبى العنبس وجائزته .

المتوكل وعلى بن محمد العلوى

وحدث أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوى قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : قال المتوكل لأبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم : ما يقول ولد أبيك فى العباس بن عبد المطلب ؟ قال : ومايقول ولد أبى يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه ؟ فأمر له بمائة ألف درهم ، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه ، فعرَّضَ .

وقد كان سعى بأبى الحسن على بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن فى منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلا من الأتراك وغيرهم مَنْ هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره ، فوجده فى بيت وحده مغلق عليه وعليه مِدْرَعة من شَعَرٍ ، ولابساط فى البيت إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه مِلحَفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل إلى المتوكل فى جَوْفِ الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفى يده كأس ، فلما رآه أعْظَمه وأجلسه إلى جَنْبِه ، ولم يكن فى منزله شىء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذى فى يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) فى ا « تيمتنى بدلال » .

(٢) فى ب « وبخدى ذلال » مثل خد الشنقرانى » .

(٣) فى ب « لما الشنقرانى » .

Marfat.com

ما خامر لحمى ودمى قط ، فأعْفِنِي منه ، فعافاه ، وقال : أنشدنى [شعراً أستحسنه ، فقال : إنى لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لابد أن تنشدنى][1] فأنشده :

باتوا على قُلَلِ الأجْبَالِ تحرسهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... فأودعوا حُفَراً ، يابئس مانزلوا
ناداهمُ صارخ من بعد ماقبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل ؟
أين الوجوه التى كانت مُنَعَّمة ... من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وماشربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلُوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت مَنَازِلُهم قفْراً مُعَطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال : فأشفق كل من حضر على عَلِيٍّ ، وظن أن بادرة تبدر منه إليه ، قال : والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى مَنْ حضره ، ثم أمر برفع الشراب ، ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دَيْنٌ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، ورده إلى منزله من ساعته مكرماً .

وفاة ابن سماعة القاضى الحنفى

قال : وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضى صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبى حنيفة فى خلافة المتوكل ، وذلك فى سنة [ثلاث و] ثلاثين ومائتين ، وهو ابن مائة سنة، صحيح الجسم والعقل والحواس، يفتض الأبكار ، ويركب الخيل التى تقطف وتمنق ، لم ينكر من نفسه شيئاً .

وحكى ابنه سماعة بن محمد قال : قال لى أبى محمد بن سماعة : وجدت فى حياة سَوَّار بن عبد الله قاضى المنصور كتاباً له بخطه أراه من شعره أو أبيات استحسنها ، وهى :

(١) هذه الزيادة فى ب وحدها .

Marfat.com

سَلَبْتِ عظامى لحمهـــا فتركتها عوارِىَ فى أجلادها تتكسر
وأخلَيْتِ منهـــا مُخّهَا فكأنها قوارير فى أجوافها الريح تَصْفِرُ
[إذا سمعت ذكر الفراق ترعّدت فرائصها من خوف ما تتحذر][1]
خذى بيدى، ثم ارفعى الثوب وانظرى ضَنَى جَسَدى لكننى أتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان فى الفقه ، وروايات عن محمد بن الحسن وغيره ، منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن فى ألوف أوراق .

موت يحي ابن معين وجماعة من الأنباء

وفى هذه السنة — وهى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين — مات يحيى بن معين ، وفى سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبى شيبة والقواريرى، وكانا من عِلْيَةِ أصحاب الحديث وحُفاظهم، وفيها مات إسحاق ابن إبراهيم بن مصعب وكان على بغداد ، وولى [ابنه] مكانه ، وله أخبار حسان قد أتينا على غررها فى كتابنا « أخبار الزمان » .

قصة سجين

ومن ظريف[2] أخباره والمستحسن مما كان فى أيامه وسيره ببغداد ماحدث به عنه موسى بن صالح بن شيخ[3] بن عميرة الأسدى أنه رأى فى منامه كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : أطلق القاتل ، فارتاع لذلك رَوْعًا عظيما ، ونظر فى الكتب الواردة لأصحاب الحبوس[4] فلم يجد فيها ذكر قاتل ، فأمر بإحضار السندى وعباس ، فسألهما : هل رفع إليهما أحد ادعى عليه بالقتل ؟ فقال له العباس : نعم ، وقد كتبنا بخبره ، فأعاد النظر ، فوجد الكتاب فى أضعاف القراطيس ، وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقرّ به ، فأمر إسحاق بإحضاره ، فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له : إن صدقتنى أطلقتك ، فابتدأ يخبره بخبره ، وذكر أنه كان هو وعدّةٌ من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ، ويستحلّونَ كل محرم ، وأنه كان اجتماعهم فى منزل بمدينة أبى جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية ،

(١) سقط هذا البيت من ا . (٢) فى ا « ومن ظرائف أخباره » .
(٣) ب « بن سبيع » . (٤) فى ا « لأصحاب السجون » .

Marfat.com

فلما كان فى هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف إليهم للفساد ، ومعها جارية بارعة الجمال ، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة ، فبادرتُ إليها من بين أصحابى،فأدخلتها بيتاً وسَكَّنتُ روعها ، وسألتها عن قصتها ، فقالت : الله الله فىّ ، فإن هذه العجوز خدعتنى وأعلمتنى أن فى خزانتها حُقا لم يُر مثله ، فشوقتنى إلى النظر إلى مافيه ، فخرجت معها واثقة بقولها ، فهجمت بى عليكم ، وجَدِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمى فاطمة ، وأبى الحسن بن على ، فاحفَظُوهُم فىّ ، قال الرجل : فضمنت خلاصها ، وخرجت إلى أصحابى فعرفتهم [بذلك] فكأنى أغريتهم بها ، وقالوا : لمَّا قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها ، وبادروا إليها ، وقمت دونها أمنع عنها ، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتنى جراح ، فعمدت إلى أشدهم كان فى أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ، ولم أزل أمنع عنها إلى أن خَلصتها سالمة ، وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها ، فأخرجتها من الدار ، فسمعتها تقول : سترك الله كما سترتنى ، وكان لك كما كنت لى ، وسمع الجيران الضجة فتبادروا إلينا والسكين فى يدى والرجل يتشحَّطُ فى دمه ، فرفعتُ على هذه الحالة ، فقال له إسحاق : قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ، ووهبتك لله ورسوله ، قال : فوحقِّ من وهبتنى له لاعاوَدت معصية ولادخلت فى ريبة حتى ألقى الله ، فأخبره إسحاق بالرؤيا التى رآها ، وأن الله لم يضيعه له ذلك ، وعَرَضَ عليه براً واسعاً،فأبى قبول شىء من ذلك.

رضاه عن يحيى ابن أكثم

وفى سنة تسع[1] وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى ابن أكثم الصيفى ، فأشخص إلى سر من رأى ، وولى قضاء القضاة ، وسخط على أحمد بن أبى دُواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد ، وكان على القضاء ، وأخذ من أبى الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجوهراً بأربعين ألف دينار ، وأحضر إلى بغداد ، وقد كان أبو عبد الله

(١) فى ا « سبع وثلاثين ومائتين » وذكر ابن خلكان أن المتوكل عزل القاضى يحيى سنة أربعين ومائتين ، وأخذ أمواله .

Marfat.com

أحمد بن أبي دُوَاد فُلِج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] .

وفاة ابن أبي دؤاد

وفي سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بعد وفاة[ولده]أبي الوليد محمدبن أحمد بعشرين يوماً ، وكان ممن أجرَى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره ، وسَهَّل الله سبيله إليه، وحَبَّب إليه المعروف وفعله .

منزلة ابن أبي دؤاد عند المعتصم

وذكر أن المعتصم كان بالجوسق يوماً مع نَدمائه — وقد عزم على الاصطباح ، وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قِدْراً — إذ بصر بسلامة غلام ابن أبي دواد ، فقال : هذا غلام ابن أبي دواد يتعرف خبرنا ، والساعة يأتي فيقول: فلان الهاشمي،وفلان القرشي،وفلان الأنصاري،وفلان العربي ، فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه ، وأنا أشهدكم أني لا أقضي اليوم له حاجة ، فلم يكن بين قوله وبين استئذان الأتباع[1] لأبي عبد الله إلا هنيهة ، فقال لجلسائه : كيف ترون قولي ؟ قالوا : فلا تأذن له ، قال : سوءاً لكم ، حُمَّى سنة أهْوَنُ عليَّ من ذلك ، ودخل ، فما هو إلا أن سلم وجلس وتكلم حتى أسْفرَ وجه المعتصم وضحكت إليه جوارحه ، ثم قال له : يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قِدْراً ، وقد جعلناك حكما في طبخها ، قال : فلتحضر ثم آكل ثم أحكم [بحكم] بعلم ، فحملت إليه القُدُورُ ووضعت بين يديه ، فجعل يأكل من أول قدر أكلا تاماً ، فقال له المعتصم : هذا ظلم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني أراك قد أمعنت في هذا اللون ، وستحكم لصاحبه، قال : يا أمير المؤمنين عليَّ أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلت من هذا القدر ، فتبسم له المعتصم وقال له: شأنك إذا ، فأكل كما قال ، ثم قال : أما هذه فقد أحسَنَ طابخها إذ أكثر فلفلها وأقل كمونها ، وأما هذه فقد أجاد طابخها إذ أكثر خَلّها وأقل زَيْتَهَا ، وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها ، وأما هذه فقدحذق مَنْ عملها بقلة مائها وكثرة مرقها ، حتى وصف

(١) في ا « استئذان الإيتاخ » .

Marfat.com

القدور [كلها] بصفات سُرَّ أهلها بها[١] ، ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظفَ أكلٍ وأحسنه ، مرة يحدثهم بأخبار الأكَلَة فى صدر الإسلام : معاوية بن أبى سفيان ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، وسليمان ابن عبد الملك ؛ ومرة يحدثهم عن أكَلَة دهره مثل ميسرة التَّمَّار[٢] ، ودورق القصاب ، وحاتم الكيال ، وإسحاق الحمامى ، فلما رفعت الموائد قال له المعتصم : ألك حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اذكرها فإن أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وَطِئه الدهر فغيَّر حاله وخشن معيشته[٣] ، قال : ومَنْ هو؟ قال : سليمان بن عبد الله النوفلى ، قال : قدر له ما يصلحه ، قال : خمسين ألف درهم ، قال : أنفذت ذلك له ، قال : وحاجة أخرى ، قال : وما هى ؟ قال : ضِيَاعُ إبراهيم بن المعتمر تردُّهَا له ، قال : قد فعلت ، قال : وحاجة أخرى ، قال : قد فعلت ، قال : فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرةَ حاجةً لا يردُّه عن شىء منها ، حتى قام خطيباً فقال [فى خطبته] : يا أمير المؤمنين ، عمرك الله طويلا ، فبعمرك تُخْصِب جنات رعيتك ، ويلين عيشهم ، وتثمر أموالهم ، ولا زلت ممتعاً بالسلامة ، مَحْبُوًّا بالكرامة ، مرفوعاً عنك حوادث الأيام وغِيَرُها ، ثم انصرف ؛ فقال المعتصم : هذا والله يتزين بمثله ، ويبتهج بقربه ، ويعدل ألوفاً من جنسه ، أما رأيتم كيف دخل ؟ وكيف سلم ؟ وكيف تكلم ؟ وكيف أكل ؟ وكيف وصف القدور ثم انبسط فى الحديث ؟ وكيف طاب به أكلنا ؟ ما يردُّ هذا عن حاجة إلا لئيم الأصل خبيث الفرع ، والله لو سألنى فى مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رَدَدْته عنها ، وأنا أعلم أنه يكسبنى بها فى الدنيا حمداً وفى الآخرة ثواباً .

وفى أحمد بن أبى دواد يقول الطائى :

لقد أنسَتْ مساوىَ كلِّ دهرٍ مَحَاسنُ أحمد بنِ أبى دواد

(١) فى ا « سربها أصحابها » . (٢) فى ب « سردة التمار » .
(٣) فى ا « فعز حاله وخس معيشته » .

Marfat.com

فما سافرتُ فى الآفاق إلا ومن جَدْواه راحلتى وزادى
مقيم الظنّ عندك والأمانى وإن قَلِقَتْ ركابى فى البلاد

المتوكل يشتهى قدرا طبخها ملاحون

وحكى عن الفتح بن خاقان قال : كنت عند المتوكل وقد عزم على الصَّبُوح بالجعفرى ، وقد وَجَّه خلف الندماء والمغنين ، قال : فجعلنا نطوف وهو متكىء على وأنا أحادثه ، حتى وصلنا إلى موضع يشرف منه على الخليج ، فدعا بكرسى فقعد عليه ، وأقبل يحادثنى ، إذ بصر بسفينة مشدودة بالقُرْب من شاطىء الخليج ، ومَلاّح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر ، وقد فاحت روائحها ، فقال : يا فتح رائحة قدر سكباج والله، ويحك ، أما ترى ما أطيب رائحتها ، علىَّ بها على حالها ، فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدى الملاحين ، فلما عاين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فَرَقًا وخوفاً ، وجاءوا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها ، فوضعت بين أيدينا ، فاستطاب ريحها واستحسن لونها ، ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها إلىَّ ، وأخذ هو منه مثلها ، وأكل كل واحد منا ثلاث لُقم ، وأقبل الندماء والمغنون ، فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر ، وأقبل الطعام ووضعت الموائد ، فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه ، وأمر أن تملأ دراهم ، فجىء ببَدْرة ففرغت فيها ، فَفَضَلَ من الدراهم مقدار ألفى درهم ، فقال لخادم كان بين يديه : خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها [لأصحاب السفينة ، وقل لهم : هذا ثمن ما أكلنا من قدركم ، وادفع] إلى مَنْ طبخها ما فضل من هذه البَدْرَة من الدراهم هِبَةً له على تجويده طبخها ، قال الفتح : فكان المتوكل كثيراً مايقول إذا ذكر قدر الملاح : ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم .

وأخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد[1] بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة ، وكان

(١) فى ب « وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد » .

Marfat.com

الجاحظ يصحب محمد ابن إبراهيم فى حراقته

من حديثة الموصل ، قال : حدثنا أبو الحسن الصالحى ، قال : قال الجاحظ : ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآنى استبشع مَنظَرِى ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصَرَفَنِى ، وخرجت من عنده ، فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض على الخروج معه والانحدار فى حَرَّاقته ، فركبنا فيها ، فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء ، فاندفعت عَوَّادة فغنت :

كلَّ يوم قطيعةٌ وعتـــاب ... ينقضى دهرنا ونحن غِضَاب

ليت شعرى أنا خُصِصْتُ بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب؟

وسكتت ، فأمر الطُّنْبُورية فغنت :

وارحمتـــا للعاشقينا ... ما إنْ أرى لهمُ مُعِينا

كم يُهْجَرُونَ ويصرمو ... ن ويقطعون فيصبرونا ؟

قال : فقالت لها العَوَّادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ، وضربت بيدها إلى الستارة فهتكتها وبَرَزَتْ كأنها فلقة قمر فزجَّتْ بنفسها إلى الماء ، وعلى رأس محمد غلامٌ يضاهيها فى الجمال وبيده مِذَبَّة ، فلما رأى ما صنعت ألقى المِذَبة من يده وأتى الموضع ونظر إليها وهى تمر بين الماء ، فأنشأ يقول :

وأنا الذى غرقتنى ... بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه فى أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فإذا هما معتنقان ، ثم غاصا فلم يُرَيَا ، فهال ذلك محمداً واستعظمه ، وقال : يا عمرو لتحدثنى حديثاً يسليني عن فقد هذين وإلا ألحقتك بهما ، قال : فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك ، وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل ، فاغتاظ يزيد ، وأمر من يخرج إليه و يأتيه برأسه ، ثم أمر

Marfat.com

بأن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يُدْخِلَ إليه الرجل ، فلما وقف بين يديه قال له : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحلمك والاتكال على عفوك ، فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عُودُهَا ، فقال لها الفتى : غنى :

أفاطم مَهْلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

فغنته ، فقال له يزيد : قل ، قال : غنى :

تألقَ البَرْقُ نجديًّا ، فقلت له : ... يا أيها البرق إنى عنك مشغول
يكفيك عنى عدو ثائر حنق ... فى كفه صارم كالملح مسلول[1]

فغنته ، فقال : قل ، قال : تأمر لى برطل خمر ، فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه ، فمات ، فقال يزيد: إنا لله وإنا إليه راجعون ، أتراه الأحمق الجاهل ظن أنى أخرج إليه جاريتى وأردها إلى مالى[2] ، ياغلمان ، خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه ، فانطلقوا بها إلى أهله ، فلما توسطت[3] الدار نظرت إلى حفرة فى دار يزيد قد أعدت المطر ، فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول :

من مات عشقاً فليمت هكذا ... لا خــــير فى عشق بلا موت

فزجّتْ بنفسها على دماغها فماتت ، فسرى عن محمد وأحسن صلتى ، وقيل : إن هذا الخبر إنما كان مع سليمان بن عبد الملك [وليس هذا عن يزيد بن عبد الملك] قال : فذكرت هذا الحديث لأبى عبد الله محمد بن جعفر الأنبارى[4] بالبصرة فقال : أنا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذى حدثنى به ، حدثنى فائق[5] الخادم ، وكان مولى لمحمد بن حُمَيْد الطوسى ، أن محمد بن حُمَيْد كان جالساً مع ندمائه يوماً ، فغنت جارية من وراء الستارة :

(١) فى ا « كالرمح مسلول » وما هنا عن ب هو الصواب .
(٢) فى ا «وأردها إلى ملكى» . (٣) فى ا «توسطت قاعة الدار» .
(٤) فى ب « الأخبارى » . (٥) فى ب « واثق الخادم » .

Marfat.com

يا قَمَرَ القصر متى تطلع أشْقَى وغيرى بك يُستمتع ؟[١]
إن كان رَبِّى قد قضى مارأى منك على رأسى فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قَدَحٌ يسقيه ، فرمى بالقدح عن يده وقال : تصنعين هكذا ، ورمى بنفسه من الدار إلى دجلة ، فهتكت الجارية الستارة ، ثم رَمَتْ بنفسها على إثره ، فنزلت الغلمة خلفهما ، فلم يجدوا أحداً منهما ، فقطع محمد الشراب ، وقام عن مجلسه

سخط المتوكل على الرخجى

قال المسعودى : وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر ابن الفرج الرخجى[٢] ، وكان من عِلْيَةِ الكتاب ، وأخذ منه مالا وجوهراً نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وأخذ من أخيه نحواً من مائة ألف وخمسين ألف دينار ، ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد إليه ضياعه ، ثم غضب عليه غضبة ثانية ، وأمر أن يُصْفَعَ فى كل يوم، فأحصى ماصفع فكان ستة آلاف صفعة ، وألبسه جبة صوف ، ثم رضى عنه ، وسخط عليه ثالثة ، وأحدر إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات .

وأهدى الموبذان[٣] إلى المتوكل قارورة دهن ، وكتب إليه : إن الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى لها وأحسن ، وإن كانت من الكبير إلى الصغير فعظمت كان أرفع لها وأنفع .

وفاة الإمام أحمد بن حنبل

قال المسعودى : وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودُفن بباب حَرْبٍ فى الجانب الغربى ، وصلى عليه محمد بن طاهر ، وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة مَنْ سلف قبله ، وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الأمور : منها أن رجلا منهم كان ينادى: الْعَنوا الواقف عند الشبهات،وهذا بالضد عما جاء

(١) فى ب «ياقمر الغصن» . (٢) فى ب «عمر بن مصرح الراجحى» .
(٣) فى ب « وأهدى المؤيد » .

Marfat.com

عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك ، وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفاً بعد موقف أمام الجنازة وينادى بأعلى صوته :

وأظلمت الدنيا لفقـــد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل ، كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

انقضاض الكواكب

وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم ير مثله قط ، وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة ، وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل ، وهى الليلة التى وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة ، وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة .

وفاة جماعة من أهل العلم

وفى السنة التى مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الإسكافى ، وكان من أهل النظر والبحث ومن علية[1] أهل العدل ، وكانت وفاة جعفر بن المبشر سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ، ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين ، وهو رجل من همدان وَوُجوه قحطان ، وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب فى الجانب الغربى من مدينة السلام ، وهو شيخ البغداديين من المتكلمين [ومات عيسى بن طفج سنة خمس وأربعين ومائتين ، وكان من حُذاقهم وأهل الديانات منهم][2]، وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين، ثم تنازع أصحابه فى مولده ؛ فقال قوم: سنة إحدى وثلاثين ومائة] وقال قوم: سنة أربع وثلاثين ومائة، وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفى الخراز، وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه ، وكان أبو الهذيل يذهب إلى نفى التجسيم ورفع التشبيه ، وإلى ضد قول هشام فى التوحيد

بين هشام وأبى الهذيل

(١) فى ب « وما عليه أهل العدل » . (٢) هذه الزيادة لانوجد فى ا .

Marfat.com

والإمامة ، فقال هشام لأبى الهذيل : إذا زعمت أن الحركة ترى فلِمَ لا زعمت أنها تامس ؟ قال : لأنها ليست بجسم فيلمس ؛ لأن اللمس إنما يقع على الأجسام ، فقال له هشام : فقل أيضاً إنها لا ترى ؛ لأن الرؤية إنما تقع على الأجسام[1] ، فرجع أبو الهذيل سائلا فقال له : من أين قلت إن الصفة ليست الموصوفَ ولا غيره ؟ قال هشام : من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيرى ؛ لأن التغاير إنما أوقِعهُ على الأجسام والأعيان القائمة بأنفسها ، فلما لم يكن فعلى قائماً بنفسه ، ولم يجز أن يكون فعلى أنا وجب أنه لا أنا ولا غيرى ، وعلة أخرى أنت قائل بها : زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة : لأنها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة ، فلذلك قلت أنا : إن الصفة ليست أنا ولا غيرى ، وعلتى فى أنها ليست أنا ولا غيرى علتُكَ فى أنها لا تماس ولا تباين ، فانقطع أبو الهذيل ولم يردَّ جواباً .

وفاة جماعة من المعتزلة

وكانت وفاة أبى موسى المرّاء سنة ست وعشرين ومائتين ، وكان من شيوخ العَدْلية وكبار المتكلمين من البغداديين ، ومات واصل بن عطاء — ويكنى بأبى حذيفة[2] — فى سنة إحدى وثلاثين ومائة[3] ، وهو شيخ المعتزلة وقديمها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر ، وبه سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال : وقد قدَّمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى الأصول الخمسة ، فأغنى ذلك عن إعادته ، وكذلك فيما سلف من كتبنا على الشرح والإيضاح ، وقد بينا فيما سلف من هذا الكتاب خبر عمرو بن عُبَيْد ووفاته ، وكان شيخ المعتزلة والمقدَّمُ فيها ، وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين

(١) فى ب « لأن الرؤية لاتقع على الأجسام » .
(٢) فى ب « لايكنى بأبى خزيمة » وما أثبتناه عن اموافق لما فى ا ن خلكان .
(٣) كذا فى ا ، وفى ب « بمائتين » وكلاهما غير مستقيم ، فابن خلكان يذكر أنه توفى سنة إحدى وثمانين ومائة . ولعل ما فى ا محرف عن ذلك .

Marfat.com

بين هشام وعمرو ابن عبيد

ومائة ، وقد كان عمرو بن عُبَيْد اجتمع مع هشام بن الحكم ، وهشام يذهب إلى القول بأن الإمامة نَصٌّ من الله ورسوله على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعلى مَنْ يلى عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ، ومن يلى أيامهم ، وعمرو يذهب إلى أن الإمامة اختيار من الأمة فى سائر الأعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد : لم خلق الله لك عينين ؟ قال : لأنظر بهما إلى ما خلق الله من السموات والأرض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه ، فقال هشام : فلم خلق الله لك سمعاً ؟ قال : لأسمع به التحليل والتحريم والأمر والنهى ، فقال له هشام : [لم خلق الله لك لساناً ؟ فقال عمرو : لأعبر به عما فى قلبى وأخاطب به من افترض علىّ أمره ونهيه ، قال هشام]: فلم خلق الله لك قلباً ؟ قال عمرو : لتكون هذه الحواسُّ مؤدية إليه فيكون مميزاً بين منافعها ومضارها ، قال هشام : فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلباً تؤدى هذه الحواسُّ إليه ؟ قال عمرو : لا ، فقال هشام : ولم ؟ قال : لأن القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له ، فلو لم يخلق الله فيها انبعاثاً من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثاً يبعثها على ما خلقت له إلا بخلق القلب ، فيكون هو الباعث لها على ما تفعله ، والمميز لها بين مضارها ومنافعها ، ويكون الإمام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس[1] إذ كانت الحواس راجعة إلى القلب لا إلى غيره ، ويكون سائر الخلق راجعين إلى الإمام لا إلى غيره ، فلم يأت عمرو بفرق يعرف .

وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس ، وكانت وفاة أبى عيسى [ببغداد فى الجانب الغربى فى الموضع المعروف] بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين ، وله تصنيفات حسان كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الإمامة وغيرها من النظار .

ابن الراوندى

وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى برحبة مالك بن طَوْق ، وقيل : ببغداد سنة خمس[2] ومائتين ، وله نحو من

(١) فى ا « من سائر الحيوان » (٢) فى ا « خمس وأربعين ومائتين ».

Marfat.com

أربعين سنة ، وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتاباً .

وقد ذكرنا فى كتابنا فى « أخبار الزمان » وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل ، وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الأوسط ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وإنما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب فنذكر لهم لمعاً ، وكذلك غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث .

وفاة الصولى الكاتب

وفيها مات إبراهيم بن العباس الصُّولِىُّ ، الكاتب ، وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه ، وكان يكتسب فى حداثته بشعره ، ورحل إلى الملوك والأمراء ومدحهم طلباً لجدواهم .

وذكر رجل من الكُتَّاب أن إسحاق بن إبراهيم أخا زيد بن إبراهيم حدثه أنه كان يتقلد الصيمرة والسيروان ، وأن إبراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان ، والمأمون بها ، وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضا، وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم ،قال: فاستحسنت القصيدة وسألته أن ينسخها لى ، ففعل ، ووهبت له ألف درهم ، وحملته على دابة ، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك ، وكنت أحد عمال موسى ، وكان يحب أن يكشف أسباب موسى ، فعزلنى ، وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت ، وكثر على فيها ، وحضرت المناظرة عنها ، فجعلت أحتج بما لا يدفع ، فلا يقبله ، ويحكم لى الـكُتَّابُ فلا يلتفت إلى حكمهم ، ويُسْمِعنى فى خلال ذلك قذعا من الكلام (١) إلى أن أوجب علىَّ الـكُتَّاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت عليه فقال: ليست يمين السلطان عندك يميناً لأنك رافضى ، فقلت له : تأذن لى فى الدنو منك ؟ فأذن لى ، فقلت له : ليس مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر ، وها هو المتوكل إن كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسى ، وقد احتملت

(١) فى ب « بدعا من الـكلام » .

Marfat.com

كل شيء إلا الرفض(١)، والرافضيُّ : من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس ، وأن ولده أحقُّ من ولد العباس بالخلافة، قال :ومن قال ذلك؟ قلت : أنت وخطك عندي به ، وأخبرته بالشعر ، فوالله ما هو إلا أن قلت ذلك له حتى سُقِط في يده ، ثم قال : أحضر الدفتر الذي بخطي ، فقلت له: هيهات ! ! لا والله أو توثق لي بما أسكُنُ إليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي ، وتخرق هذه المؤامرة ، ولا تنظر لي في حساب ، فحلف لي على ذلك بما سكنْتُ إليه ، وخرق العمل المعمول ، وأحضرته الدفتر ، فوضعه في خفه ، وانصرفت وقد زالت عني المطالبة .

ولإبراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت، وفصول حسان من كلامه قد جمعت ، وقد أتينا على كثير منها في الكتاب الأوسط ، فما استحسن من فصوله وإن كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه : وقديمًا غَذت العصبة أبناءها فحلبت عليهم من دَرِّهَا مرضعة ، وبسطت لهم من أمانيها مطمعة ، وركبت فيهم مخاطرها مُوضِعَة ، حتى إذا رَتَعُوا فأمنوا ، وركبوا فاطمأنوا ، وانقضى رَضَاع وآن فِطَامٌ ، سقتهم سُمًّا ، ففجرت مجاري ألبانها منها دمًا ، وأعقبتهم من غذائها مُرًّا ، وحَطتْ بهم من معقل إلى عقال ، ومن عز إلى حسرة، قتلاً وأسراً ، وإباحة وقسراً، وقَلَّ من أوضع في الفتنة مرجمًا في لهبها ومقتحمًا عند ضلالها إلا استقحمته آخذة بمُخَنَّقِهِ ، وموهِنَة بالحق كيده ، حتى تجعله لعاجله جزراً ، ولآجله حطباً ، وللحق موعظة ، وللباطل حجة ، ذلك لهم جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد .

وله أشعار حسان ، فما استحسن من شعره الذي لم يسبقه عند جماعة أهل الأدب أحدٌ من زمانه قوله :

لنا إبِلٌ كُومٌ يضيقُ بها الفضَا ... وَيَفْتَرُّ عنها أرضها وسماؤها

(١) في ا « كل ما جرى إلا الرفض » .

Marfat.com

فمن دونها أن تُستَباح دماؤنا ومن دوننا أن يستدم دماؤها
حِمًى وقِرًى فالموت دون مرامها وأهوَنُ خطب فى الحقوق فناؤها[1]

وقوله :

ولكنّ الجواد أبا هشام وفىُّ الغيب مأمون المغيب
[غنىٌّ عنك ما استغنيتَ عنه وطلّاع عليك مع الخطوب]

وقوله :

هب الزمان رمانى الشأن فى الخلّانِ
فيمن رَمَانِى لمّا رأى الزمان زَمَانِى
ومن ذَخَرْتُ زمانِى شنأت فى الخلان
ومن ذخرت لنفسى فعاد ذُخْرَ الزمان
لو قيل لى خذْ أمانًا من أعظم الحدثان
لما أخذتُ أمانًا إلا من الإخوان

وقوله :

وإذا جزَى الله امرأ بفعاله فجزى أخا لك ماجداً سمحاً
نبهتَهُ مِنْ كذبه فكأنما نبهت إذ نبهتَهُ صُبْحاً

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله :

تزيده الأيامُ إن أقبلتْ حزماً وعلماً بتصاريفها
كأنها فى وقت إسعافها تسمعه صوتَ تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرَّز عن نظرائه قوله :

سَقْيًا ورَعْيًا لأيام لنا سلفت بكيت منها فصرتُ اليومَ أبكيها
كذاك أيامنا لا شكَّ نندبها إذا تقضت ونحنُ اليومَ نشكوها

وقوله :

(١) فى ا « وأيسر خطب يوم حق فناؤها » .

Marfat.com

أولى البرية طراً أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما [أيسروا] ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخَشِنِ (١)

وقوله :

لا تَلُمْنِي فإنَّ همك أن تُثْـرِى وهَمِّى مكارمُ الأخلاق
كيف يسطيع حفظ ما جمعت كفاه مَنْ ذاق لذة الإنفاق

وقوله :

أسدٌ ضارٍ إذا ما هِجْته وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَدَرَا
يعلم الأقصى إذا أثْرَى ، ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا

وكان إبراهيم بن العباس يقول : مثل أصحاب السلطان مثل قوم عَلَوْا جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم من الارتقاء ، وكان إبراهيم يدعى خؤولة العباس بن الأحنف الشاعر .

العباس ابن الأحنف

وحكى أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضى ، عن سليمان بن الحسن بن مخلد ، عن أبيه الحسن ، قال : أنشد إبراهيم بن العباس قول العباس بن الأحنف :

إن قال لم يفعل ، وإن سيل لم يبذل ، وإن عوتب لم يُعتِبِ
صَبٌّ بهجرانى ، ولو قال لى : « لا تشرب البارد » لم أشرب

فقال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ، القليل النظير ، ما سمعت كلاماً أجزل منه فى رقة ، ولا أسهل فى صعوبة ، ولا أبلغ فى إنصاف ، من هذا ، فقال له الحسن : كلامك والله أحسن من شعره :

ومما استحسن من شعر العباس بن الأحنف قوله :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم
فطوبى لمن أغفى من الليل ساعة وذاق اغتماضا ؛ إن ذاك لناعم

(١) فى ا « إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا » .

Marfat.com

وقوله :

اصرف فؤادك يا عباس معتمداً عنها ، وَ إلاّ تمُتْ فى حبها كمدا
لو أنها من وراء الروم فى بلد ما كنت أسكن إلا ذلك البلدا
يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا[1]

وقوله :

أغِبَّ الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه
وما صدَّ عنَّا ، ولكنه طريد ملالة أحبابه

وفاة العباس ابن الأحنف

حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال : حدثنا الرياشى ، قال : ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا : خرجنا نريد الحج ، فلما كنا ببعض الطريق إذا غلامٌ واقف على المحجَّة وهو ينادى : يا أيها الناس ، هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ قال : فملنا إليه[2] وقلنا له : ما تريد ؟ قال : إن مولاى لما به يريد أن يوصيكم ، فملنا معه . فإذا بشخص مُلْقًى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يُحِيرُ جوابا ، فجلسنا حوله ، فأحَسَّ بنا ، فرفع طرفه ، وهو لا يكاد يرفعه ضعفا ، وأنشأ يقول :

يا غريب الدار عن وطنه مفرداً يبكى على شَجَنِهْ
كلما جَدَّ البكاء به دَبَّتِ الأسقام فى بدنه[3]

ثم أغمى عليه طويلا ، وإنا لجلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة ، وجعل يغرد ، ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ، ثم قال :

ولقد زاد الفؤاد شجًى طائر يبكى على فَنَنِهْ
شفَّه ما شفَّنِى فبكى كلنا يبكى على سَكَنِهْ

قال : ثم تنفس تنفساً فاضت نفسه منه ، فلم نبرح من عنده حتى

(١) فى ا « صبراً لعلك تلقى ما تحب غداً » .
(٢) فى ا « فعدلنا إليه » . (٣) فى ا « زادت الأسقام » .

Marfat.com

غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف .

وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو إسحاق الزجاجي النحوي ، عن أبي العباس المبرد ، عن المازني ، قال : حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه .

وكانت وفاة أبي ثور إبراهيم بن خالد[1] الكلبي سنة أربعين ومائتين .

نفي المتوكل على بن الجهم

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نَفَى المتوكل عليَّ بن الجهم الشاعر إلى خُرَاسان ، وقيل : في سنة تسع وثلاثين ومائتين ، وقد أتينا على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك إلى العراق ، وخروجه يريد السفر ، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين ، فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشبات[2] لقيته خيل الكلبيين فقتلته ، فقال في ذلك وهو في الشرق :

أزِيدَ في الليل ليلُ ... أم سال بالصبح سَيْلُ ؟
ذكرت أهل دُجَيْلٍ ... وأين مني دُجَيْلَ ؟

وكان على بن الجهم الساميُّ هذا — مع انحرافه عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وإظهاره التسنن - مطبوعا مقتدرا على الشعر ، عذب الألفاظ ، غزير الكلام ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه ، وما قال الناس في عقب سَامَةَ بن لؤي بن غالب ، وقول على بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر :

وسَامَةُ منا فأما بنوه ... فأمرهُمُ عندنا مُظلِمِ
أناس أتونا بأنسابهم ... خُرَافةَ مضطجِعٍ يحلم
وقلت لهم مثل قول النبي ... وكل أقاويله محكم
إذا ما سئلت ولم تدر ما ... تقول فقل ربنا أعلم

(١) في ب « إبراهيم بن مخلد » . (٢) في ب « بخساف » .

Marfat.com

وقول العلوى فيه أيضاً :

لو اكتنفت النَّضْرَ أو مَعَدّا   أو اتخذت البيت كهفا مَهْدَا
وزمزما شريعـــة ووردا   والأخشبين محضرا ومَبْدَا
ما ازددت إلا من قريش بعدا   أو كنت إلا مصقليا وَغْدَا

وإنما أعدنا ذكر هذا الشعر فى هذا الموضع — وإن كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب — لما سنح لنا من ذكر على بن الجهم فى أيام المتوكل ، ولما احتجنا إليه عند ذكرنا لشعر على بن الجهم وإجابته العلوى على هذا الشعر ، فكان ما أجاب به على الجهم لعلى بن محمد بن جعفر العلوى :

لم تُذِقْنِى حلاوة الإنصاف   وتعسَّفْتَنِى أشَدَّ اعتساف
وتركت الوفاء علما بما فيـــه وأسْرَفْتَ غاية الإسراف
غير أنى إذا رجعت إلى حـــق بنى هاشم بن عبد مناف
لم أجد لى إلى التَّشَفِّى سبيلا   بقواف ولا بغير قواف
لِىَ نفس تأبى الدنية والإســـراف لا تعتدى على الأشراف

وله فى الحبس شعر معروف لم يسبقه إلى معناه أحد ، وهو قوله :

قالوا : حبست ، فقلت : ليس بضائرى   حبسى ، وأى مهند لا يُغْمَد ؟
أو ما رأيت الليث يألف غِيلَهُ   كبرا ، وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة   عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
والنـــار فى أحجارها مخبوأة   لا تُصْطَلَى إن لم تُثِرْهَا الأزنُدُ
والحبس ما لم تَغْشَـــه لدنية   شنعاء نِعْمَ المنزل المستورد[1]
بيت يجـــدد للكريم كرامة   ويُزَارُ فيه ولا يَزور ويحفد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه   لا يستذلك بالحجاب الأعبدُ

---

(١) فى ا « نعم المنزل المتودد » وهو أظهر .

Marfat.com

وبما أحسن فيه قوله :

خليليَّ ما أحْلى الهوى وأمَرَّهُ ... وأعلَمَنِى بالحلو منه وبالمر

بما بيننا من حرمة هل رأيتما ... أرق من الشكوى وأقسى من الهجر؟

وأفصح من عين المحب لسره ... ولاسيما إن أطْلَقَتْ عَبْرة تجرى(١)

ومما اختير من قوله :

حسرَتْ عَنِّى القناعَ ظلومُ ... وتولتْ ودمعها مسجوم

شر ما أنكرت تصرم عهد ... لم يَدُمْ لى ، وأى عهد يدوم ؟

أنكرت مارأت برأسى وقالت: ... أمشيب أم لؤلؤ منظوم

[قلت : أولاهما ، علمت ، فقالت : ... آية يستثيرها الهموم](٢)

ليس همّى من الهموم التى يحسن ... فيها العزاء والتسليم(٣)

إن أمراً أخنَى علىّ بشيب الـ ... ـرأس فى ليلة لأمرٌ عظيم

ليس عندى وإن تَعَزَّيت إلا ... طاعة حرة وقلب سليم(٤)

ومن جيد شعره :

هى النفس ما حَمَّلتها تتحمل ... وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأكمل أخلاق الرجال التفضل

ولا عار إن زالت عن المرء نعمة ... ولكن عاراً أن يزول التجمل

وما المال إلا حسرة إن تركته ... وغنم إذا قَدَّمته متعجّلُ

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله فى المتوكل :

إنَّ ذُلَّ السؤال والاعتذار ... خُطّة صعبة على الأحرار

ليس من باطل يوردها المر ... ء ولكن سوابق الأقدار

فارْضَ للسائل الخضوع وللقا ... رف ذنباً بذلة الاعتذار

(١) كذا فى ا ، ب ، وأحسب أنه محرف عن «وأفضح من عين المحب» بالضاد المعجمة
(٢) سقط هذا البيت من ا (٣) فى ب « هى عندى من الهموم — إلخ »
(٤) فى ا « ليس عندى وإن تقربت » .

Marfat.com

إن تجافيتَ مُنعِماً كنتَ أولى ... مَنْ تجافى عن الذنوب الكبار
أو تُعاقِبْ فأنت أعرف بالله ، وليس العقاب منك بعار

ومما جود فيه قوله لما قيد :

فملت لها والدمع شتى طريقه ... ونار الهوى بالقلب يَذْكُو وقودها
فلا تجزعى إمَّا رأيت قيوده ... فإن خلاخيل الرجال قيودها

وكان فى لسانه فضل قَلَّ مَنْ سَلِم معه منه ، وكان محمد بن عبد الله منحرفاً عنه ، فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ، ثم فسد عليه وصيف ، فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله ، وكتب إليه :

الحمد لله شكراً ... قلوبنا فى يديه
صار الأمير شفيعاً ... إلى شفيعى إليه(١)

وله أشعار نادرة ، وأمثال سائرة ، اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره ، وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله ، منهم أبو صاعد، فقال :

أربقى الدمع واجتنبى الهجوعا ... وصُونى شمل وَجْدِك أن يضيعا
وقولى : إنَّ كهف بنى لؤى ... غدَا بالشام منجدلا صريعا
عزاء يا بنى جَهْم بن بدر ... فقد لاقيتُمُ خطباً فَظِيعا
أمَا والله لو تدْرِى المَنَايَا ... بما لاقيتُمُ لبكَتْ نجيعا
ثوى كهف الأرامل واليتامى ... ومن كان الزمان به ربيعا
فَتًى كان السهام على الأعادى ... ولينًا دون حادثة منيعا(٢)

قال : وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق إلى سُرَّ من رأى ، فكان بين خروجه منها ورجوعه إليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام ، وفى خروجه يقول [يزيد] المهلبى شعراً طويلا اخترنا منه قوله:

أظن الشام يَشْمَتُ بالعراق ... إذا عزم الإمام على انطلاق
فإن تدَعِ العراق وساكنيها ... فقد تُبلَى المليحة بالطلاق

ولما نزل دمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغُوطَة [عليها]

(١) فى ا «صار الأمير شفيعى » (٢) كذا،ولعله «كان السهام على الأعادى»

Marfat.com

وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون ، وذلك بين داريّا ودمشق ، على ساعة من المدينة ، فى أعلى الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يُشْرِف على المدينة وأكثر الغُوطَة ويعرف بقصر المأمون إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

المتوكل فى دمشق

وذكر سعيد بن نكيس قال : كنت واقفاً بين يدى المتوكل فى مَضْرِبه بدمشق إذ شَغَبَ[1] الجند واجتمعوا وضَجُّوا يطلبون الأَعْطِيَةَ ، ثم خرجوا إلى تجريد السلاح والرمى بالنشاب ، وأقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق، فقال لى: يا أبا سعيد ، ادع لى رجاء الحضارى ، فدعوته، فقال له : يارجاء ، أما ترى ما خرج إليه هؤلاء ؟ فما الرأى عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت مُشْفقاً فى هذا السفر من مثل هذا ، فأشرت بما أشرت من تأخيره ، فال أمير المؤمنين إليه ، وقال : دَعْ ما مضى وقل الآن مما حضر برأيك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، توضع الأعطية ، فقال له : فهذا ما أرادوا ، وفيه مع ما خرجوا إليه ما يعلم ، قال : يا أمير المؤمنين ، مُرْ بهذا فإن الرأى بعده ، فأمر عبيد[2] الله بن يحيى بوضع الأعطية فيهم ، فلما خرج المال وبدىء بإنفاقه دخل رجاء فقال : مُرِ الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل إلى العراق ، فإنهم لا يأخذون مما أخرج إليهم شيئاً ، ففعل ذلك ، فترك الناس الأعطية [فرجعوا] حتى إن المُعْطِىَ ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه .

الأتراك يدبرون وقيعة

قال سعيد : وقد كان الأتراك قد رأوا أنهم يقتلون المتوكل بدمشق ، فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بُغاَ الكبير ، فإنهم دبّروا فى إبعاده عنه ، فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها : إن بُغَادر أن يقتل أمير المؤمنين ، والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله ، فيأخذ

(١) فى ب « إذ سعت الجند » . (٢) فى ب « عبد الله بن يحيى » .

Marfat.com

عليه أطراف عسكره ، ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به ، فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ، ودخل فى قلبه من بُغا كل مدخل ، وشكا إلى الفتح ذلك ، وقال له فى أمر بُغا والإقدام عليه ، وشاوره فى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذى كتب الرقاع قد جعل للأمر دلائل فى وقت بعينه [سمّاه له] من ركوب الرجل بالأطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه ، وبعد ذلك يتبين الأمر ، وأنا أرى أن تمسك ، فإن صح هذا الدليل نظرنا كيف نفعل ، وإن بطل ما كتب به فالحمد لله ، وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة [التنصح ، وأن فى أعناق من كتبها بيعة لم يجد معها بداً من] النصح والصدق ، فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الأمر كتبوا رقاعاً فطرحوها فى مضرب بُغا يقولون فيها : إن جماعة من الغلمان والأتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ، ودبّروا ذلك ، واتفقوا عليه ، وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحى كذا ، ونواحى كذا ، فالله الله إلا ما احترست لأمير المؤمنين ، وحرسته فى هذه الليلة من هذه المواضع ، وحصّنتها بنفسك ومن تثق به ، فإنا قد نصحنا وصدقنا ، وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة ، فلما وقف بُغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون ما كتب إليه فيها حقاً ، مع ما كان وقع عليه من الأمر قبل ذلك ، فلما كانت الليلة التى ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم إلى المواضع التى ذكرت ، فأخذها على المتوكل وحرسها ، واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق ، فأقبل يتوقع مَنْ يوافيه فيفتك به ، وسهر ليلته ، وامتنع من الأكل والشرب ، فلم يزل على تلك الحال إلى الغداة ، وبُغا يحرسه ، والأمر عند المتوكل على خلاف ذلك ، وقد اتهم بُغا ، واستوحش من فعله ، فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له : يا بُغا ، قد أبت نفسى مكانك منى ، ورأيت أن أقلدك هذا الصقع وأقر عليك ما كان لك

Marfat.com

من رزق وحِبَاء ونُزُل ومعونة وكل سبب ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرنى بما أحببت ، فخلفه بالشام وانصرف ، فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا ، فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ، ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة فى ذلك إلى أن تمت الحيلة .

تدبير المؤامرة ضد المتوكل

قال : ولما عزم بُغَا الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركى ، وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصِّلاَت ، وكان مقداما أهوج ، فقال له : ياباغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى إياك وإيثارى لك وإحسانى إليك ، وإنى قد صرت عندك فى حد من لا يُعْصَى له أمر ولا يخرج عن محبته[١] ، وأريد أن آمرك بشىء فعرفنى كيف قلبك فيه ، فقال: أنت تعلم كيف أفعل[٢] فقل لى ما شئت حتى أفعله ، قال : إن ابنى فارس قد أفسد علىّ عملى وعزم على قتلى وسَفْكِ دمى ، وقد صح عندى ذلك منه ، قال : فتريد منى ماذا ؟ قال : أريد أن يدخل على غداً فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتى فى الأرض ، فإذا أنا وضعتها [فى الأرض] فاقتله، قال : نعم ، ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد فى نفسك علىّ ، قال : قد آمنك الله من ذلك . فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب ، فلم يزل يراعى بُغَا أن يضع قلنسوته ، فلم يفعل ، وظن أنه نسى ، فغمزه بعينه أن أفعل[٣]؟ قال : لا ، فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا : أعلم أنى فكرت فى أنه حَدَثٌ وأنه ولدى ، وقدرُمْتُ أن أستخلصه هذه المرة ، فقال له باغر : أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ؛ ثم قال له: وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفنى كيف تريد أن تكون فيه ، قال له : قل ما شئت حتى أفعله ، قال : أخى وصيف قد صح عندى أنه يدبر عَلَىّ وَعَلَى رفقائى ، وأن مكاننا قد ثقل عليه ، وأنه عوَّنَ على أن يقتلنا ويفنينا وينفرد بالأمور[٤] ؛ قال : فماذا تريد أن يُصْنَعُ به؟ قال : افعل هذا فإنه يصير إلىّ

(١) فى ب « ولا يخرج عن محبسه » (٢) فى ا « أنت تعلم كيف هو »
(٣) فى ب « أى افعل » (٤) فى ب « وينفرد بالأمور »

Marfat.com

غداً فالعلامة أن أنزل عن المصلّى الذى يكون معى قاعداً عليه ، فإذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله ؟ قال : نعم ، فلما صار وصيف إلى بُغا حضر باغر وقام مقام المستعد ، فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف ، قال: فقال له بُغا: ياباغر إنى فكرت فى أنه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له ، فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ، ووصله وأعطاه . ثم إنه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به[١] فقال : يا باغر ، قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك ؟ قال . قلبى على ما تحبُّ فقل ما شئت حتى أفعله ، فقال : هذا المنتصر قد صح عندى أنه على إيقاع التدبير عَلَىَّ وَعَلَى غيرى حتى يقتلنا وأريد أن أقتله ، فكيفَ ترى نفسك فى ذلك ؟ ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه [طويلا] وقال : هذا لايجىء منه شىء ، قال : وكيف ؟ قال : يقتل الابن والأبُ باقٍ ؟ إذاً لايستوى لكم شىءويقتلكم أبوه كلكم به ؟ قال : فما ترى عندك ؟ قال : نبدأ بالأب أولا فنقتله ، ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك ، فقال له : ويحك ويُفعل هذا ويُتهيأ ؟ قال : نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله ، فجعل يردد عليه ، فيقول : لاتفعل غير هذا ، ثم قال له : فادخل أنت فى أثرى فإن قتلته وإلا فاقتلنى وضَعْ سيفك عَلَىَّ ، وقل : أراد أن يقتل مولاه ، فعلم بُغا حينئذ أنه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل .

وفاة شجاع أم المتوكل

وفى سنة سبع وأربعين [ومائتين] توفيت شجاع أم المتوكل ، وصلى عليها المنتصر ، وذلك فى شهر ربيع الآخر .

مقتل المتوكل

ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ، ليلة الأربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل ، وذلك لثلاث خلون من شوال سنةسبع وأربعين ومائتين وقيل: لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين.

وكان مولده بفم الصلح ، حدث البحترى قال : اجتمعنا ذات ليلة[٢] مع

---

(١) فى ا « ثم دعا به » (٢) فى ب « اجتمعنا ذات يوم » .

Marfat.com

الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف ، فقال بعض من حضر: بلغنى يا أمير المؤمنين أنه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم يُرَ مثله ، فأمر المتوكل بكتاب إلى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ ، فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن ، فأمر المتوكل بالبعث إلى اليمن بطلب السيف وابتياعه ، فنفذت الكتب بذلك، قال البحترى : فبينا نحن عند المتوكل إذ دخل عليه عبيد الله [بن يحيى] والسيف معه ، وعرّفه أنه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم ، فسر بوجوده ، وحمد الله على ما سهل من أمره ، وانتضاه فاستحسنه ، وتكلم كل واحد منا بما يحب ، وجعله تحت ثنى فراشه ، فلما كان من الغداة قال للفتح : اطلب لى غلاماً تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفاً به على رأسى لا يفارقنى فى كل يوم ما دمت جالساً ، قال : فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح : يا أمير المؤمنين ، هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة ، وهو يصلح لما أراد أمير المؤمنين ، فدعا به المتوكل فدفع إليه السيف ، وأمره بما أراد ، وتقدم أن(1) يزاد فى مرتبته ، وأن يضعف له الرزق، قال البحترى : فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذى دفع إليه إلاّ فى الليلة التى ضرب به فيها باغر بهذا السيف .

قال البحترى : لقد رأيت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجباً ،وذلك أننا تذاكرنا أمر الكبر ، وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية ، فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ، ثم حوّلَ وجهه إلى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعاً لله عز وجل ، ثم أخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته ورأسه ، وقال : إنما أنا عبد الله ، وإن من صار إلى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر .

(1) فى ا «وتقدم بأن يزاد» .

Marfat.com

قال البحترى : فتطيرت له من ذلك ، وأنكرت ما فعله من نَثْرِه التراب على رأسه ولحيته ، ثم قعد للشراب ، فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتاً استحسنه ، ثم التفت إلى الفتح فقال : يا فتح ، ما بقى أحد سمع هذا الصوت من مخارق غيرى وغيرك ، ثم أقبل على البكاء .

قال البحترى : فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية ؛ فإنا فى ذلك إذ أقبل خادم من خدم قبيحة[1] ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها إليه قبيحة ، فقال له الرسول : يا أمير المؤمنين تقول لك قبيحة : إنى استعملت هذه الخلعة لأمير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها ، قال : فإذا فيها دراعة حمراء لم أر مثلها قط ، ومُطْرَفُ خز أحمر كأنه ديبقى من رقّته ، قال : فلبس الخلعة والتحفَ بالمطرف[2] . قال [البحترى : فتصيدت لأبدره بنادرة تكون سبباً لأخذ المطرف] فإنى على ذلك إذ تحرك المتوكل فيه وقد كان ألتف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه إلى طرفه ، قال : فأخذه ولفه ودفعه إلى خادم قبيحة الذى جاء بالخلعة ، وقال : قل لها احتفظى بهذا المطرف عندك ليكون كفناً لى عند وفاتى ، فقلت فى نفسى : إنا لله و إنا إليه راجعون ، انقضت والله المدة ؛ وسكر المتوكل سكراً شديداً ، قال : وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه ، قال : فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم متلثمون والسيوف فى أيديهم تبرق فى ضوء تلك الشمع ، فهجموا علينا ، وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر ومعه آخر من الأتراك على السرير ، فصاح بهم الفتح : ويلكم ! ! مولاكم ؛ فلما رآهم الغلمان ومَنْ كان حاضراً من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم ، فلم يبق أحد فى المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحترى : فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذى كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن ، فقدّه إلى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك ،

---

(١) فى ب « فتيحة »

(٢) فى ب « والتحف المطرف » .

Marfat.com

وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبَعَجَه واحد منهم بالسيف الذى كان معه فى بطنه فأخرجه من متنه، وهو صابر لا يتنحَّى ولا يزول، قال البحترى: فما رأيت أحداً كان أقوَى نفساً ولا أكرم منه، ثم طرح بنفسه على المتوكل، فماتا جميعاً، فلفا فى البساط الذى قتلا فيه، وطرحا ناحية، فلم يزالا على حالتهما فى ليلتهما وعامة نهارها حتى استقرت الخلافة المنتصر، فأمر بهما فدفنا جميعاً، وقيل: إن قبيحة كفنته بذلك الطرف المخرق بعينه.

وقد كان بُغا الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الأتراك، وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر، فكان المتوكل يبغضه لذلك، وكان أوتامش يجتذب قلوب الأتراك إلى المنتصر، وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعتز، وكانا قد أوغَرا قلب المتوكل على المنتصر، فكان المنتصر لا يُبْعِدُ المتوكل أحدا من الأتراك إلا اجتذبه، فاستمال قلوب الأتراك وكثيرا من الفراغنة[1] والأشروسية، إلى أن كان من الأمر ما ذكرناه.

[وقد ذكر فى كيفية قتل المتوكل غير ماذكرنا]، وهذا ما اخترناه فى هذا الموضع، إذ كان أحسن ألفاظاً وأقرب مأخذاً، وقد أتينا على جميع ما قيل فى ذلك فى الكتاب الأوسط، فأغنى ذلك عن تكراره فى هذا الكتاب.

ولم يكن المتوكل يوماً أشد سروراً منه فى اليوم الذى قتل فيه؛ فلقد أصبح فى هذا اليوم نشيطاً فرحاً مسروراً، وقال: كأنى أجد حركة الدم، فاحتجم فى ذلك اليوم، وأحضر الندماء والملهين، فاشتد سروره وكثر فرحه، فانقلب ذلك الفرح ترحاً والسرور حزنا؛ فمن ذا الذى يغتر بالدنيا ويسكن إليها، ويأمن الغدر والنكبات فيها إلا جاهل مغرور؟ فهى دار لا يدوم نعيمها، ولا يتم فيها سرور؛ ولا يؤمن فيها محذور، قد قرنت منها السراء بالضراء، والشدة بالرخاء، والنعيم بالبلوى؛ ثم يتبعها الزوال، فمع نعيمها البؤس، ومع سرورها الحزن، ومع محبوبها المكروه، ومع صحتها

(١) فى ب «الفراعنة» بالعين المهملة، محرفا.

Marfat.com

السقم ، ومع حياتها الموت ، ومع فرحاتها الترحات ، ومع لذاتها الآفات ، عزيزها ذليل ، وقويُّها مَهين ، وغنيها محروب ، وعظيمها مسلوب ، ولا يبقى إلا الحى الذى لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم.

وفى ذلك يقول البحترى فى غدر المنتصر بأبيه وفتكه به ، من قصيدة له :

أكَان ولى العهد أضمر غَدْرَةً فمن عَجَبٍ أو وُلِّىَ العهد غادِرُهْ
فلا مُلِّىَ الباقى تراث الذى مضى ولا حملت ذاك الدعاء منابره[1]

وصف أيام المتوكل

وكانت أيام المتوكل فى حسنها ونَضَارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء ، كما قال بعضهم : كانت خلافة المتوكل أحسن من أمْنِ السبيل ، ورخص السعر ، وأمانى الحب ، وأيام الشباب ؛ وقد أخذ هذا [المعنى] بعض الشعراء فقال :

قربك أشهى موقعا عندنا من لين السعر وأمن السبيل
ومن ليالى الحب موصولة بطيب أيام الشباب الجميل

قال المسعودى : وقد قيل : إنه لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار ولا وقت من الأوقات مثلها فى أيام المتوكل .

ويقال : إنه أنفق على الهارونى والجوسق الجعفرى أكْثَرَ من مائة ألف ألف درهم ، هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم[2] وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات .

ويقال : إنه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ، ومات وفى بيوت الأموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ، ولا يعلم أحدفى

---

(١) فى ا « فلا ملك الباقى » .
(٢) فى ا « ودرور العطاء عليهم » .

Marfat.com

صناعته فى جد ولا هزل إلا وقد حَظِىَ فى دولته ، وسعد بأيامه ، ووصل إليه نصيب وافر من ماله .

الحسين الخليع بين يدى المتوكل

وذكر محمد بن أبى عون قال : حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم نيروز ، وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر ، وبين يديه الحسين(١) بن الضحاك الخليع الشاعر ، فغمز المتوكل خادماً على رأسه حَسَنَ الصورة أن يسق الحسين(١) كأساً ويحييه بتفاحة عنبر(٢) ، ففعل ذلك ، ثم التفت المتوكل إلى الحسين(١) فقال : قل فيه أبياتاً ، فأنشأ يقول :

وكالدرة البيضاء حَيًّا بعنبر ... من الورد يسعى فى قَرَاطِقَ كالورد(٣)
له عَبَثَاتٌ عند كل تحية ... بعينيه تستدعى الخلىَّ إلى الوجد(٤)
تمنيت أن أُسْقَى بكفيه شربة ... تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهراً لم أبِتْ فيه ساعة ... من الليل إلا من حبيب على وعد

قال المتوكل : أحسنت والله ، يُعطى لكل بيت مائة دينار ، فقال محمد ابن عبد الله : ولقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، ولولا أن يَدَ أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد ، فقال المتوكل عند ذلك : يعطى لكل بيت ألف دينار .

قال : ويروى أنه لما أتى بمحمد بن المغيث(٥) إلى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف ، قال له : يا محمد ما دعاك إلى المشاقّة ؟ قال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ، وإن لى فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك ، وهو العفو عن عبدك ، وأنشأ يقول :

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلى ... إمامَ الهدى ، والعَفْوُ بالحر أجمل
وهل أنا إلا جبلة من خطيئة ... وعفوك من نور النبوة يجمل

(١) فى ب « الحسن بن الضحاك» محرفا (٢) فى ا « بوردة عنبر » .
(٣) فى ا « يمشى » مكان « يسعى » وفى ب « فى قراطيس كالورد» محرفا
(٤) فى ا « تستدعي الحليم إلى الوجد » (٥) فى ا « محمد بن البعيث» .

Marfat.com

تضاءل ذَنْبِي عند عفوك قِلّة فمُنَّ بفضل منك، والمَنُّ أفضل
لأنك خير السابقين إلى العُلا وإنك خَيْرَ الفعلتين ستفعل[١]

فقال المتوكل : أفعل خيرهما ، وأمُنُّ عليك ، ارجع إلى منزلك ، قال ابن المغيث[٢] : يا أمير المؤمنين ، الله أعلم حيث يجعل رسالته .

من رثاء المتوكل

ولما قتل المتوكل رثته الشعراء ؛ فمن رثاه على بن الجهم ، فقال من قصيدة له :

عَبِيدُ أمير المؤمنين قتلنه وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم ، صبراً فكل مصيبة سَيَبْلَى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول يزيد بن محمد المهلبي[٣] من قصيدة طويلة :

جاءت منيته والعين هاجعة هلا أتته المنايا والقَنا قِصَدُ
عَلَتْكَ أسيافُ مَنْ لا دونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ولم يَضِعْ مثله روح ولا جسد

وفيه يقول بعض الشعراء :

سرت ليلا منيته إليه وقد خَلَّى مناعمه وناما
فقالت : قم ، فقام ، وكم أقامت أخا مُلْكٍ إلى هُلْك فقاما

وفيه يقول الحسين بن الضحاك الخليع :

إن الليالىَ لم تحسن إلى أحد إلا أساءت إليه بعد إحسان
أما رأيت خُطُوبَ الدهر مافعلت بالهاشميّ وبالفتح بن خاقان

محبوبة جارية المتوكل

وذكر على بن الجهم قال : لما أفضَتِ الخلافة إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أهدى إليه الناس على أقدارهم ، وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف ، وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت

(١) فى ا « ولاشك خير الفعلتين ستفعل » (٢) فى ا « ابن البعيث »
(٣) فى ب « أبو زيد المهلبى » .

Marfat.com

لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم [وكانت تقول الشعر وتلحنه وتغنى به على العود] وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس ، فحسن موقعها من المتوكل ، وحلّتْ من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده ، قال علي: فدخلتُ عليه[١] يوما للمنادمة ، فلما استقر بى المجلس قام فدخل بعض المقاصير ، ثم خرج وهو يضحك ، فقال لى : ويلك يا على ، دخلت فرأيت قَيْنَة قد كتبت فى خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه ، فقل فيه شيئاً ، فقلت : يا سيدى ، [وحدى] أو أنا ومحبوبة ، قال : لا ، بل أنت ومحبوبة ، قال : فدعت بدواه وقرطاس ، فسبقتْنِي إلى القول ، ثم أخذت العود فترنمت ، ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت منه مليا ، ثم قالت: يا أمير المؤمنين ، تأذن لى ؟ فأذن لها ، فغنت:

وكاتبة فى الخد بالمسك جعفرا ... بنفسى مخطُّ المسك من حيث أثرا
لئن أودَعَتْ خطا من المسك خدَّهَا ... لقد أودعت قلبى من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكُه ... مطيعا له فيما أسَرَّ وأجهرا
ويا من لعينى مَنْ رأى مثل جعفر ... سقى الله صوبَ المستهلات جعفرا

قال على : وتبلدت[٢] خواطرى حتى كأنى ما أحسن حرفا من الشعر ، قال : فقال لى المتوكل : ويلك يا على ! ! ما أمرتك به ، فقلت : يا سيدى أقِلْنِي فوالله لقد عَزَبَ عن ذهنى ، فلم يزل يضرب به على رأسى ويعير نى به إلى أن مات .

قال على : ودخلت عليه أيضاً لأنادمه ، فقال لى : ويلك يا على ، علمت أنى غاضبت محبوبة ، وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ونهيت الحشم عن الدخول إليها ، وأنفت من كلامها ؟ فقلت : يا سيدى ، إن كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ، ويديم الله سرور أمير المؤمنين ، ويمدُّ فى عمره ، قال: فأطرق مليًا ، ثم قال للندماء : انصرفوا ، وأمر برفع الشراب ، فرفع ، فلما كان

(١) فى ا « فدخلت عنده » (٢) فى ب « وتغللت » .

Marfat.com

من غد دخلتُ إليه ، فقال: ويلك يا على ، إنى رأيت البارحة فى النوم أنى قد صالحتها ، فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه : والله لقد سمعت الساعة فى مقصورتها هينمة لا أدرى ما هى ، فقال لى : قم ويلك حتى ننظر ما هى ، فقام حافياً وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها ، فإذا هى تحقق عوداً وتترنم بشىء كأنها تصوغ لحناً ، ثم رفعت عقيرتها وتغنت :

أدور فى القصر لا أرى أحداً ... أشكو إليـه ولا يكلمنى
حتى كأنى أتيتُ معصيـةً ... ليس لها توبة تخلصـنى
فمَنْ شفيعٌ لنـا إلى ملك ... قد زارنى فى الكَرَى وصالحنى
حتى إذا ما الصباحُ عاد لنا ... عاد إلى هجـره وصارَمَنى

قال: فصفق المتوكل طرباً، فصفقت معه، فدخل إليها فلم تزل تقبّل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيدها ، ورجعنا وهى ثالثتنا .

قال على : فلما قتل المتوكل ضمت هى وكثير من الوصائف إلى بُغا الكبير ، فدخلتُ عليه يوماً للمنادمة ،فأمر بهتك الستارة ، وأمر بالقَينات وأقبلن يرفلن فى الحلى والحلل ، وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلى والحلل ، عليها بياض ، فجلَسَتْ مُطرِقة منكسة ، فقال لها وصيف : غنى ، قال : فاعتلّتْ عليه ، فقال : أقسمت عليك ، وأمر بالعُود فوضع فى حجرها ، فلما لم تجد بُدًّا من القول تركت العود فى حجرها ، ثم غنت عليه غناء مرتجلاً :

أى عيش يَلَذُّ لى ... لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيتـهُ ... فى نجيـعٍ مُعَفَّرا
كل من كان ذا خَبَا ... لٍ وسقم فقد بَرَا
غـير محبوبة التى ... لو ترى الموت يشتَرَى
لاشـترته بما حوتـه ... يداها لِتُقبَرا

Marfat.com

قال : فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها ، فسجنت ، وكان آخر العهد بها.

وفاة جماعة من أهل العلم

قال المسعودى : ومات فى خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث: منهم على بن جعفر المدينى [1] بسامرا يوم الاثنين لثلاث بَقِينَ من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر .

وتنوزع فى السنة التى مات فيها ابن المدينى ، وقد قَدَّمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التى قيل فيها إن وفاته كانت فيها .

وفى هذه السنة مات أبو الربيع بن الزهرانى [2] ، وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها يحيى بن معين ؛ فمنهم مَنْ رأى ما قَدَّمنا فى هذا الكتاب ومنهم مَنْ رأى — وهو الأكثر — أنه مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبى زكريا مولى بنى مرة ، وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا ، بالمدينة ، وقيل : إن فى هذه السنة كانت وفاة أبى الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى ، وقيل : مات فى أيام الواثق فى سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها كانت وفاة مسدد بن مُسَرْهَد ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز .

وفيها مات الحمانى الفقيه ، وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص، ويكنى بأبى عبد الرحمن ، وهو من تَيْم قريش .

وفى خلافة المتوكل مات هُدْبة بن خالد ، وشيبان [3] بن فروخ الأبلى ، وإبراهيم بن محمد الشافعى ، وذلك فى سنة ست وثلاثين ومائتين .

وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد النَّرْسِى [4] بالبصرة، وعبد الله بن أحمد النَّرْسِى [5] ، وعبيد الله بن معاذ العنبرى [6] .

(١) فى ب «المدنى» هنا مع اتفاقها مع ا فى ذكر « المدينى » بعد ذلك بسطر
(٢) فى ب «ابن الزهرى» (٣) فى ب «سفيان بن فرج الأبلى» وفى ا «بن فرخ»
(٤) فى ب « الرسى » (٥) فى ب « وعبد الأعلى بن حماد الرسى »
(٦) فى ب « وعبيد الله بن معاذ العبدى » .

Marfat.com

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، وبشر بن الوليد القاضى الكندى صاحب أبى يوسف ، وقد قيل : إن فى هذه السنة مات العباس بن الوليد النَّرْسِى[1] .

وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبى شَيْبَة الكوفى بالكوفة ، والصَّلْتُ بن مسعود الجَحْدَرى .

وفى سنة أربعين ومائتين مات شباب[2] بن خليفة العصفرى ، وعبد الواحد بن عتاب .

وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقى ، وحميد ابن مسعود الناجى ، وعبد الله بن معاوية الجمحى ، وفيها مات يحيى بن أكثم القاضى فى الرَّبَذَة ، ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب .

وفى سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصى ، وعنبسة ابن إسحاق بن شمر ، وموسى بن عبد الملك .

قال المسعودى : وللمتوكل أخبار وسِيَرٌ حِسَان غير ما ذكرنا ، وقد أتينا عليها على الشرح والإيضاح[3] فى كتابنا « أخبار الزمان »[4] ، والله الموفق للصواب .

---

(١) فى ب « الرسى » (٢) فى ب « هياب » .

(٣) فى ب « على الشرح والاختصار » .

(٤) فى ا « فى كتابينا أخبار الزمان والأوسط » .

Marfat.com

ذكر خلافة المنتصر بالله

وبويع محمد بن جعفر المنتصر فى صبيحة الليلة التى قُتل فيها المتوكل ، وهى ليلة الأربعاء لثلاث خَلَوْنَ من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، ويكنى بأبى جعفر ، وأمه أم ولد يقال لها حبشية ، رومية ، واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى أحدث بناءه المتوكل ، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكانت خلافته ستة أشهر . موجز

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولمع مما كان فى أيامه

الموضع الذى قتل فيه المتوكل

كان الموضع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضع لذى قَتَلَ فيه شيرويه أباه كسرى أبرويز ، وكان الموضع يعرف بالماخورة ، وكان مقام المنتصر بعد أبيه فى الماخورة سبعة أيام ، ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع.

وحكى عن أبى العباس محمد بن سهل قال : كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية فى خلافة المنتصر ، فدخلت إلى بعض الأروقة ، فإذا هو مفروش ببساط سوسنجرد[١] ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة ، وحول البساط دارات فيها أشخاصُ ناسٍ وكتابة بالفارسة ، وكنت أحسن القراءة بالفارسية ، وإذا عن يمين المصلى صورة ملك ، وعلى رأسه تاج كأنه ينطق ، فقرأت الكتابة فإذا هى « صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك مَلَكَ ستة أشهر » ثم رأيت صور ملوك شتى ، ثم انتهى بى النظر إلى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب « صورة يزيد بن [الوليد بن[٢]] عبد الملك قاتل[٣] ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر » فتعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله ، فقلت : لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر ، فكان والله كذلك ، فخرجت من الرواق إلى مجلس وَصِيف وبُغا ، وهما فى الدار الثانية ، فقلت لوصيف : أعجَزَ هذا الفَرّاش أن يفرش تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذى عليه صورة يزيد ابن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه أبرويز ، وعاشا ستة أشهر بعد ما قتَلاَ ، فجزع وصيف من ذلك وقال : علىَّ بأيوب بن سليمان النصرانى خازن

---

(١) فى ب « سو سجرد » . (٢) ليست فى ب ، وما بعدها يؤيدها .

(٣) فى ب « قتل ابن عمه » .

Marfat.com

الفُرُشِ ، فمثل بين يديه ، فقال له وصيف : لم نجد ما يفرش فى هذا اليوم تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذى كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره ، وقد كان نالته آثار من الدماء ؟[1] قال: سألنى أمير المؤمنين المنتصر عنه ، وقال : ما فعل البساط ؟[2] فقلت : عليه آثار [دماء] فاحشة ، وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة ، فقال : لم لا تغسله وتَطوِيه ؟ فقلت : خشيت أن يشيع الخبر عندمن يرى ذلك البساط من أثر الحادثة ، فقال : إن الأمر أشهر من ذلك ، يريد قتل الأتراك لأبيه المتوكل ، فطويناه وبسطناه تحته ، فقال وصيف وبُغَا : إذا قام أمير المؤمنين من مجلسه نخذه وأحرقه بالنار ، فلما قام أحرق بحضرة وصيف وَبُغَا ، فلما كان بعد أيام قال لى المنتصر : افرش ذلك البساط الفلانى ، قلت : وأين ذلك البساط ؟ فقال : وما الذى كان من أمره ؟ فقلت : إن وصيفاً وبُغَا أمرانى بإحراقه ، قال : فسكَتَ ولم يُعِدْ فى أمره شيئاً إلى أن مات .

وقد كان المنتصر طرب فى هذه الأيام ، فدعا ببنَّان بن الحارث العواد ، وكان مطرباً مجيداً ، وقد كان غضب عليه ، فأحضره فغناه :

لقد طال عهـــدى بالإمام محمد ... وما كنت أخشى أن يطول به عهدى
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ ودارى قريبة ... فياعجبًا من قرب دارى ومن بُعْدِى
رأيتك فى بُرْدِ النبى محمـــد ... كَبدر الدجا بين العمامة والبُرْدِ
[فياليت أن العيد عاد ليَوْمه ... فإنى رأيت العيد وَجْهَكَ لى يُبْدِى]

وكان ذلك ثانى يوم [عيد] الأضحى ، وقد كان المنتصر صَلّى بالناس فى هذا العيد ، ومما غنى به من الشعر للمنتصر فى ذلك اليوم :

رأيتك فى المنـام أقلَّ بخلا ... وأطْوَعَ منك فى غير المنـام
فليت الصبح باد ولا نراه ... وليت الليل أُخِّرَ ألفَ عام
ولو أن النعاس يُبَاعُ بيعًا ... لأغليت النعاس على الأنام

---

(١) فى ب « نالته آثار الدماء » (٢) فى ب « مافعل بالبساط » .

Marfat.com

ومن شعر المنتصر أيضاً مما غنى بحضرته :

إنى رأيتك فى المنام كأنما أعطيتنى من ريق فيك البارد
وكأن كفّك فى يدى ،وكأنما بتنا جميعاً فى لحاف واحد
ثم انتبهتُ ومعصماكِ كلاهما بيدى اليمين وفى يمينك ساعدى
فظللت يومى كلــه متراقداً لأراكِ فى نومى ولستُ براقد

وزير المنتصر (ابن الخصيب)

وقد كان استوزر أحمد بن الخصيب وندم على ذلك ، وكان نفى عبيد الله [1] بن يحيى بن خاقان ، وذلك أن أحمد بن الخصيب ركب ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصة ، فأخرج رجله من الركاب فزجّ بها فى صدر المتظلم فقتله ، فتحدث الناس بذلك ، فقال بعض شعراء ذلك الزمان :

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكُلْ وزيرك ، إنه رَكّالُ
اشكله عن رَكْل الرجال ،فإن ترد مالاً فعند وزيرك الأموال

وزير المقتدر

قال المسعودى : ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس فى وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريباً مما ظهر من ابن الخصيب ، وذلك أنه خاطبه مخاطبٌ ذات يوم ، فقلب ثيابه على كتفه ولَكَمَ حَلْقَهُ .

ولقد دخلت عليه ذات يوم أمُّ موسى القهرمانة الهاشمية ، أو غيرها من القهارِمة ، تخاطبته فى شىء من الأموال [2] عن رسالة المقتدر ، فكان مما خاطبها به أن قال :

اضرطى والتقطى واحسبى لا تغلطى

فأخجلها ذلك ، فقطعها عما له قصدت ، فمضت من فَوْرِها إلى المقتدر والسيدة فأخبرتهما بذلك ، فأمر القيان [أن] يغنين ذلك اليوم بهذا الكلام ، وكان يوم طرب وسرور .

وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكُتّاب بنى أمية إلى هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ فى الكتاب الأوسط .

(١) فى ب «عبد الله بن خاقان» وانظر (ص١٤٥) (٢) فى ا «من المال»

Marfat.com

مرض المنتصر وموته

وأخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفُرَات قال : كان أحمد بن الخصيب سىء الرأى فى والدى ، وكان عاملا له ، فجاءنى مخبر من خَدَمِ الخاصة فقال : إن الوزير قد ندب لأعمالكم فلانًا ، وقد أمره فى والدك بكل مكروه ، وأن يُصادره على جملة من المال غليظة ذكرها ، فقعدت وعندى بعض أصدقائنا من الكُتَّاب أبادر بالكتاب إلى والدى بذلك ، فاشتغلت عن جليسى الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا ، فانتبه مرعوبًا ، وقال : إنى قد رأيت رؤيا عجيبة ، رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول لى: يموت الخليفة المنتصر إلى ثلاثة أيام ، قال: قلت له : الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان ، وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقدقدمنا الطعام ، فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال : رأيت الوزير بدار الخاصة غير مُسْفِر الوجه ، وإنى سألتُ عن سبب ذلك فقيل لى : إن الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق ، فدخل الحمام ونام فى الباذهنج[1] فضربه الهواء ، وركبته حمى هائلة ، فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال له : يا سيدى ، أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تبعا فتدخل الحمام ثم تخرج عرِقا فتنام فى الباذهنج ؟ فقال له المنتصر أتخاف أن أموت ؟ ! رأيت فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى : تعيش خمسا وعشرين سنة ، فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى ، وأنى أبقى فى الخلافة هذه المدة ، قال : فمات فى اليوم الثالث ، فنظروا فإذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة .

وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم

---

(١) الباذهنج ــ ويذكره كثير من الأدباء بادهنج بالدال المهملة ــ وهو المنفذ الذى يأتى منه الريح ، وفيه يقول أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا ... وجدت لروحها روح النعيم
صفاه جرى الهوا فيه رقيقا ... فسميناه راووق النسيم

Marfat.com

الخميس لخمس بَقِينَ من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر لخمس لَيَالٍ خَلَوْنَ من ربيع الآخر ، وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين ، وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره ، وذلك أن أمه حبشية سألت ذلك ، فأذن لها ، وأظهرته بسامرا .

الخلاف فى سبب موت المنتصر

وقد قيل : إن الطيفورى[1] الطبيب سَمَّه فى مشراط حَجَمَه به ، وقد كان عزم على تفريق جمع[2] الأتراك ، فأخرج وصيفاً فى جمع كثير إلى غَزَاة الصائفة بطرسوس ، ونظر يوماً إلى بُغا الصغير — وقد أقبل فى القصر ، وحوله جماعة من الأتراك — فأقبل على الفضل بن المأمون ، فقال : قتلنى الله إن لم أقتلهم وأفرق جمعهم ، بقتلهم المتوكل على الله ، فلما نظر[ت] الأتراكُ إلى ما يفعل بهم ، وما قد عَزَمَ عليه ، وجدوا منه الفرصة .

وقد شكا ذات يوم حرارة ، فأراد الحجامة ، فخرج له من الدم ثلثمائة درهم ، وشرب شربة بعد ذلك فحلت قواه ، ويقال : إن السم كان فى مبضع الطبيب حين فَصَدَه .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا ، عن عبد الملك بن سليمان بن أبى جعفر ، قال : رأيت فى نومى المتوكل والفتح بن خاقان ، وقد أحاطت بهما نار ، وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما ، فمنع الوصول ، ثم أقبل المتوكل علىّ فقال : يا عبد الملك قل لمحمد : بالكأس الذى سقيتنا تشرب ، قال : فلما أصبحت غَدَوْت على المنتصر فوجَدْته محموماً ، فواظبت على عيادته ، فسمعته فى آخر علته يقول : عَجَّلْنَا فعُوجلنا[3] فمات من ذلك المرض .

من صفات المنتصر

وكان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً فى الخير ، سخياً ، أديباً ، عفيفاً ، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق ، وكثرة الإنصاف ،

(١) فى ب « الصنفورى » (٢) فى ا « جيش الأتراك » .

(٣) فى ا « عجلت فعوجلت » .

Marfat.com

وحسن المعاشرة، بما لم يسبقه[1] خليفة إلى مثله.

وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير، كثير الشر، شديد الجهل.

صنيع المنتصر بآل أبي طالب

وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة، وخوف على دمائهم، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالديزج[2] بالسير إلى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وهَدْمِهِ ومَحْوِ أرضه وإزالة أثره، وأن يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر، فكل خشي العقوبة، وأحجَمَ، فتناول الديزج[2] مِسْحَاة وهدم أعالى قبر الحسين، فحينئذ أقدم الفَعَلَة فيه، وأنهم[3] انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها، ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر، فأمَّنَ الناس، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله تعالى عنه، ولا قبر غيره من آل أبي طالب، وأمر برد فدكَ إلى ولَدِ الحسن والحسين، وأطْلَقَ أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم، وفى ذلك يقول البحترى من أبيات له:

وإن علياً لأوْلَى بكم ... وأزكى يداً عندكم من عمر

وكلٌّ له فَضْلُه، والحجو ... ل يوم التراهن دون الغرر

وفى ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي — وكان من شيعة آل أبي طالب — وما كان امتحن به الشيعة فى ذلك الوقت وأغريت بهم العامة:

ولقد بررت الطالبية بعدما ... ذموا زمانا بعدها وزمانا

وَرَدَدْتَ ألفة هاشم، فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم إخوانا

(١) فى ب «بما لا يسبقه» (٢) فى ب «بالديزج» بالمهملة

(٣) فى ا «إلى أن انتهوا».

Marfat.com

آنست ليلَهُمُ وجُدْتَ عليهمُ حتى نَسُوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بَرَرْتَهم لرأوك أثقل مَنْ بها ميزانا

خلع أخويه من ولاية العهد

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وإبراهيم من ولاية العهد بعده ، وقد كان المتوكل على الله أخذ لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها ، وأفرد لكل واحد منهم جزءاً من الأعمال رَسَمَه له وجعل ولى عهده والتالى الملك محمداً المنتصر ، وتالى المنتصر وولى عهده المعتز ، وتالى المعتز وولى عهده إبراهيم المؤيد ، وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا ، وفرق فيها أموالا وعَمَّ الناس بالجوائز والصِّلات ، وتكلمت فى ذلك الخطباء ، ونطقت به الشعراء ، فما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان أبى الجنوب من قصيدة :

ثلاثة أملاك ؛ فأما محمد فنورُ هُدًى يَهْدِى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الإله فإنه شبيهك فى التقوى ويُجْدِى كما تجدى
وذو الفضل إبراهيم للناس عصمة تَقِىٌّ وفِىٌّ بالوعيد ، وبالوعد
فأولهم نور ، وثانيهمُ هدى ، وثالثهم رشد ، وكلهم مَهْدِى

وقوله المتوكل مما أجاد فيه وأحسن :

يا عاشر الخلفاء دُمْتَ ممتعاً بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون إمامهم وكأنهم زُهْرُ النجوم دَنَتْ لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى [من أبيات له] :

لقد شدَّ ركن الدين بالبيعة الرضا وطائر سعد جعفر بن محمد
بمنتصر بالله أثبت ركنه وأكَّدَ بالمعتز قبل المؤيد(١)

وممن قال فى ذلك فأحسن القول ، وأجاد النظم ، إدريس بن أبى حفصة حيث يقول :

(١) فى ب « لمنتصر بالله » وفى ا فى آخره « بالمعتز وبالمؤيد » .

Marfat.com

إنّ الخلافة مالها عن جعفر نورِ الهدى وبنيه من تحويل
فإذا قضى منها الخليفةُ جعفر [وَطَرا ، ومَلَّ وليس بالملول]
[فمحمد بعد الخليفة جعفر] للناس ـ لافقدوه ـ خيرُ بديلِ
فبقاء ملكك وانتظار محمد خير لنا وله من التعجيل

خروج الشارى باليمن

وقد كان خرج أيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى[(١)] . فحكم واشتد أمره فيمن انضاف إليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الأكراد ، فسرح إليه المنتصر جيشاً عليهم سيما التركى ، فكانت له مع الشارى[(١)] حروب ، فأسِرَ الشارى[(٢)] ، وأتى به المنتصر ، فجاد عليه بالعفو ، وأخذ عليه العهد ، وخَلّى سبيله .

وحكى عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى أنه قال حين رضى عن الشارى[(١)] : إن لذة العفو أعذب من لذة التشفى ، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، قال : رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول :

هذا الإمام المنتصر والمَلِكُ الحادى عشر
وأمــره إذا أمر كالسيف ما لاقى بَتَرْ
وطرفه إذا نظر كالدهر فى خير وشر

وقد كان أظهر الإنصاف فى الرعية فمالت إليه قلوب الخاصة والعامة . مع شدة الهيبة منها له .

وحدثنى أبو الحسن أحمد بن على بن يحيى المعروف بابن النديم ، قال : حدثنا على بن يحيى المنجم ، قال : ما رأيت أحداً مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ، ولا تكلف ، لقد رآنى يوماً وأنا مغموم شديد الفكر

---

(١) فى ا « الشاربى » (٢) فى ا « فأسره سما » .

Marfat.com

بسبب ضيعة مجاورة لضيعتى ، وكنت أحب شراءها ، فلم أزل أعمل الحيلة عند مالكها[١] حتى أجابنى إلى بيعه ، ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمة ثمنها ، فصرت إلى المنتصر وأنا على تلك الحال ، فتبين الانكسار فى وجهى ، وشغل القلب ، فقال لى : أراك مفكراً فما قضيتك ؟ فجعلت أزْوِى عنه خبرى ، وأستر قصتى ، فاستحلفنى، فصدقته عن خبر الضيعة ، فقال لى المنتصر : فكم مبلغ ثمنها ، فقلت: ثلاثون ألف درهم ، قال: فكم عندك منها ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمسك عنى ولم يجبنى ، وتشاغل عنى ساعة ، ثم دعا بدواة وبطاقة ، ثم وقع فيها بشىء لا أدرى ماهو ، وأشارَ إلى خادم كان على رأسه بما لم أفهم ، فمضى الغلام مسرعاً ، وأقبل يشغلنى بالحديث ويُطَاعمنى الكلام ، إلى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه ، فنهض المنتصر وقال لى : يا على ، إذا شئت فانصرف إلى منزلك ، وقد كنت قدرت عند مسألته أنه سيأمر لى بالثمن أو نصفه ، فأتيت وأنا لا أعقل غمّاً ، فلما وصلت إلى دارى استقبلنى وكيلى فقال : إن خادم أمير المؤمنين صار إلينا ومعه بغل عليه بدرتان ، فسلمهما إلىَّ وأخذ خطى بقبضهما ، قال : فداخلنى من الفرح والسرور ما لم أملك به نفسى ، ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل ، حتى أخرج إلى البدرتين ، فحمدت الله تعالى على ما حَبَاه لى ، ووجهت فى وقتى إلى صاحب الضيعة فوفيته الثمن ، وتشاغلت سائر يومى بتسليمه والإشهاد بها على البائع ، ثم بكرتُ إلى المنتصر من الغد ، فما أعاد على حرفا ، ولاسألنى عن شىء من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا .

حديث عن العشق

قال المسعودى : وذكر الفضل بن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال : حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين ، قال : كان المنتصر فى أيام إمارته ينادمه جماعة من أصحابه ، وفيهم صالح بن محمد[٢]

(١) فى ا « على مالكها » .
(٢) فى ب « صالح بن أحمد » مع اتفاقهما فيما بعد على ما أثبتناه .

Marfat.com

المعروف بالحريرى ، فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق ، فقال المنتصر لبعض مَنْ فى المجلس : أخبرنى عن أى شىء أعظم عند النفس فَقْداً، وهى به أشد تفجعاً ؟ قال : فَقْدُ خِلٍّ مُشاكل ، وموت شكل موافق ،وقال آخر ممن حضر : ما أشد جولة الرأى عند أهل الهوى ! وفطام النفس عند الصبا ، وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين ، فلوم العاذلين قُرْطٌ فى آذانهم ، ولوعات الحب نيران فى أبدانهم ، مع دموع المعانى ، كغروب السَّوَانِى ، وإنما يعرف ما أقول ، من أبكته المغانى والطلول[1] ، وقال آخر : مسكين العاشق ، كل شىء عدوه : هبوب الرياح يُقلقه ، ولمعان البرق يؤرقه، والعذل يؤلمه ، والبعد ينحله ، والذكر يسقمه ، والقرب يهيجه ، والليل يضاعف بلاءه ، والرقاد يَهْرُبُ منه . ورسوم الدار تحرقه ، والوقوف على الطلول يبكيه . ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد . فما نجع فيه دواء . ولا هداه عزاء . ولقد أحسن الذى يقول[2] :

وقد زعمــوا أنَّ المحب إذا دنا
يملُّ ، وأنَّ النأى يَشْفِى من الوجد
بكل تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا
على أن قرب الدار خــير من البعد

فكل قال : وأكثر الخطب فى ذلك ، فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريرى: ياصالح ، هل عشقت قط ؟ قال: إى والله أيها الأمير، وإن بقايا ذلك لَفِى صدرى قال : ويلك لمن ؟ قال : أيها الأمير[3] ، كنت آلف الرصافة فى أيام المعتصم .

---

(١) فى ا « من أبكته الطلول والمغانى » .
(٢) ينسب هذان البيتان لعبد الله بن الدمينة .
(٣) فى ب « أيها الملك » .

Marfat.com

وكانت لقَيْنَةَ أم ولد الرشيد جارية تخرج فى حوائجها[1] وتقوم فى أمرها ، وتلقى الناس عنها ، وكانت قينة تتولى أمر القصر إذ ذاك ، وكانت [الجارية] تمر بى فأحتشمها وأعاينها ، ثم راسلتها فطردت رسولى وهددتنى ، وكنت أقعد على طريقها لأكلمها ، فإذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعَبَثِ بى والهزء ، ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر : فهل لك أن أحضرها وأزوجكها إن كانت حرة أو أشتريها إن كانت أمة ؟ فقال : والله أيها الأمير إن بى إلى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة ، قال : فدعا المنتصر بأحمد بن الخصيب وسأله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفرداً ويكتب معه كتاباً مؤكداً إلى إبراهيم بن إسحاق وصالح الخادم المتولى لأمر الحرم بمدينة السلام ، فمضى الرسول وقد كانت [قينة] أعتقتها وخرجت من حد الجوارى إلى حد النساء البوالغ ، فحملها إلى المنتصر ، فلما حضر[ت] نَظَرْتُ إليها ، فإذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال ، فقال لها : أتحبين أن أزوجك ؟ قالت : إنما أنا أمتك أيها الأمير ومولاتك ، فافعل ما بدالك ، فأحضر صالحاً وأملكه بها وأمهرها ؛ ثم منح به فأحضر جوزاً مرصصاً وفركا مخلقاً فنثره عليه ، وأقامت مع صالح مدة طويلة ، ثم مَلّهَا ففارقها ، وقال يعقوب التمار فى ذلك :

منح الله أبا الفضـــل حيـاة لا تُنَغَّصْ
وتولاه ؛ فقـــد بالغ فى الحب وأخلص
عاشقاً كان على التزويج للعقد تَحَرَّصْ
من هوى مَنْ شعرها يخـــضب بالحنـا المفصص
[فتراه عندما ينصُـــلُ كالبرد المحرص]
فهى من أملح خلق الله فى التـاج المفصص

---

(١) فى ب « فى جواريها » .

Marfat.com

رُزِقَ الصبر عليها فتـــأنى وتربص
شيخة هام بها مِنْ وجْدِهِ شيخ مقرفص
قرنصت فى عهد نوح صاحب الفلك وقرنص
أىّ حظ نال لولا الـــفرك والجوز المرصص
ليته قد جعـل الأمـــر إليهـــا وتخلص
فأبو الجوزان منهـا حين يدنو يتقلص

صنيعه مع عاشق

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير ، قال : كان المنتصر فى أيام إمارته وَجَّهنى إلى مصر فى بعض أموره للسلطان ، فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع ، محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال ، فساومت مولاها فأبى أن يبيعها إلا بألف دينار ، ولم يكن ثمنها متهيئاً معى ، فأزعجنى السفر وقد عَلِقَهَا قلبى ، فأخذنى المُقِيمُ المُقْعِدُ من حبها ، وندمت على ما فاتنى من شرائها . فلما قدمت وفرغت ممـا وجهنى إليه وأديت إليه ما عملت حمد أثرى فيه ؛ وسألنى عن حاجتى وخبرى ، فأخبرته بمكان الجارية وكَلَفِى بها ، فأعرض عنى وجعل لا يزداد إلا حدة وقلبى لا يزداد إلا كلفاً وصبرى لا يزداد إلا ضعفاً ، وسليت نفسى عنها بغيرها ، فكأنى أغريتها ولم تتسل عنها(١) ، وجعل المنتصر كلما دخلت إليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى إليها ، وتحَيَّلْتُ(٢) إليه بندمائه وأهل الأنس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات أولاده وجدته أم الخليفة أن يشتريها لى ، وهو لا يجيبنى إلى ذلك ، ويعيرنى بقلة الصبر وكان قد أمر أحمد بن الخصيب أن يكتب إلى عامل مصر فى ابتياعها وحملها إليه من حيث لا أعلم ، فحملت إليه وصارت عنده ، فنظر إليها وسمع منها فعذرنى فيها ، ودفعها إلى قَيِّمَة جواريه فأصلحت من شأنها ، فلما كان يوما

(١) فى ا « ولم تسل عنها »
(٢) فى ا « وتحملت إليه » .

Marfat.com

من الأيام استجلسنى وأمرها أن تخرج إلى الستارة ، فلما سمعت غناءها عرفتها ، وكرهت أن أعلمه أنى قد عرفتها ، حتى ظهر فىّ ما كتمت ، وغلب علىّ صبرى ، فقال : مالك يا سعيد ؟ قلت : خيراً أيها الأمير ، قال: فاقترحَ عليها صوتاً كنت قد أعلمته أنى سمعته منها ، وأنى أستحسنه من غنائها . فغنته فقال : أتعرف هذا الصوت ؟ قلت : إى والله أيها الأمير ، وكنت أطمع فى صاحبته ، فأما الآن فقد أيست منها ، وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف إلى حياته ؛ فقال - والله يا سعيد ما اشتريتها إلا لك ويعلم الله أنى ما رأيت لها وجهاً إلا ساعةَ دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر ، وخرجت من شحوبة التبذل[1] فهى لك ، فدعوت له بما أمكننى من الدعاء ، وشكره عنى مَنْ حضره من الجلساء ، وأمر بها فهيئت وحملت إلىّ فردت إلىّ حياتى بعد أن أشرفت[2] على الهلكة ، ولا أحد عندى أحظى منها [ولا ولد أحب إلىّ من ولدها] .

شهادة الحمير

ومن ملاحات أحاديث الملهين المجان ما ذكره أبو الفضل بن أبى طاهر قال : حدثنى أحمد بن الحارث الجزار عن أبى الحسن المدائنى وأبى على الحرمازى قالا : كان بمكة سفيه يجمع بين ارجال والنساء على أخش الريب وكان من أشراف قريش ، ولم يذكر اسمه ، فشكا أهل مكة ذلك إلى الوالى فغرّبه إلى عرفات، فاتخذها منزلا ودخل إلى مكة مستتراً فلقى بها حرفاءه من الرجال والنساء ،فقال : وما يمنعكم منى ؟ فقالوا : وأين بك وأنت بعرفات ؟ فقال : حمار بدرهمين وصرتم إلى الأمن والنزهة والخلوة واللذة ؛ قالوا : نشهد إنك لصادق ؛ فكانوا يأتونه ، فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم ، فعادوا بالشكية إلى أميرهم ، فأرسل إليه فأتى به فقال : أى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت إلى المشعر الأعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنهم يكذبون علىّ

(١) فى ا « صعوبة التبذل » (٢) فى ا « بعد ما أشرقت » .

Marfat.com

ويحسدوننى ! فقالوا للوالى : بيننا وبينه واحدة ؛ تجمع حُمُرَ المكارين وترسلها إلى عرفات فإن لم تقصد إلى بيته لما تعودت من إتيان السفهاء والفُجّار [إياه] فالقول ما قال ؛ فقال الوالى : إن فى هذا لدليلا، وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله ، وأتاه أمناؤه فقال : ما بعد هذا شىء ، جرِّدُوه ! فلما نظر إلى السياط قال : ولا بد من ضربى ؟ قال : لا بد يا عدو الله · قال : اضرب فوالله ما فى هذا شىء بأشد من أن يسخر بنا أهل العراق ويقولون: أهلُ مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب ، قال : فضحك الوالى وقال : لا أضربك اليوم ، وأمر بتخلية سبيله وترك التعرض له .

قال المسعودى : وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار ومُلَح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة ، وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا « أخبار الزمان » من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، وكذلك فى الكتاب الأوسط ؛ إذ كنا ما ضمّنّاه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ، ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحداً ، وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتاباً نضمنه فنوناً من الأخبار [على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسْنَحُ من فوائد الأخبار] ونخلله بالآداب وفنون الآثار ، تالياً لما سلف من كتبنا ومعقباً لما تقدم من تصنيفنا . إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

ذكر خلافة المستعين بالله

موجز وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر ، وهو يوم الأحد لخمس خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ويكنى بأبى العباس ، وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق ، وخلع نفسه ، وسلم الخلافة إلى المعتز ، فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر — وقيل : ثلاث سنين وتسعة أشهر — وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْنَ من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه وكتابه

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش ، وكان المتولى لأمر الوزارة والقيم بها كاتباً لأوتامش يقال له شجاع [بن القاسم] ، وبعد أن قتل أوتامش وكاتبه [شجاع] صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ، ولما قتل وصيف وبغا باغر التركى تعصبت الموالى ، وانحدر وصيف وبغا إلى مدينة السلام ، والمستعين معهما ، فأنزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وذلك فى المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، والمستعين لا أمر له ، والأمر لبغا ووصيف ، وكان من حصار بغداد ما ذكرناه فى الكتاب الأوسط ؛ وفى المستعين بالله يقول بعض الشعراء [فى هذا العصر] :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب إلى إقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ونفى عبيد[1] الله بن يحيى بن خاقان إلى برقة ، واستوزر عيسى ابن فرخانشاه ، وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل .

سعيد بن حميد

وكان سعيد حافظاً لما يستحسن من الأخبار ، ويستجاد من الأشعار ، متصرفاً فى فنون العلم ، ممتعاً إذا حدث ، مفيداً إذا جولس ، وله أشعار كثيرة حسان ؛ فمما يستحسن ويختار من شعره قوله :

وكنت أخوفه بالدعاء وأخشى عليه من المأثم
فلما أقام على ظلمه تركت الدعاء على الظالم

---

(١) فى ب «عبد الله بن يحيى بن خاقان» وانظر (ص١٣٢) من هذا الجزء

Marfat.com

وقوله :

أسيدتى مالى أراكِ بخيلة ... مقيمٌ على الحرمان مَنْ يستزيدها
فأصبحْتِ كالدنيا نذم صروفها ... ونُتبعها ذمًّا ونحن عبيدها

وقوله :

الله يعلم ، والدنيا مُوَلِّيَة ... والعيش منتقل ، والدهر ذو دُوَلِ
فللفراق – وإن هاجت لجيعته ... عليك – أخوف فى قلبى من الأجل
وكنت أفرح بالدنيا ولذتها ... واليأس يحكم للأعداء فى الأمل

وقوله :

وما كان حبِّيها لأول نظرة ... ولا غمرة من بعدها فتجلَّتِ[1]
ولكنها الدنيا تولت، وما الذى ... يُسَلِّى عن الدنيا إذا ما تولت ؟

وقوله :

كأن انحدار الدمع حين تُجيله ... على خدِّها الرَّيَّان دُرٌّ عَلَى دُرّ

إلا أن سعيداً – على ما وصفنا عنه من الأدب – كان يتنصب ، ويظهر التسنن والتخيل[2] ، وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

ما رأينا لسعيد بـن حُمَيْدٍ من شبيه
ما له يؤذى رسولَ الله فى شَتْمِ أخيه
إنه الزنديق مستو لٍ على دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس ، وفيه يقول بعض الشعراء ، وهو أبو على البصير :

رأس من يَدَّعى البلاغة منى ... ومن الناس كلهم فى حِرِ أُمِّهْ
وأخونا ولست أعنى سعيد بـن حُمَيد تؤرخ الكتب باسمه

(١) فى ا « ولاعزة » محرفا (٢) فى ب « والتحليل » .

Marfat.com

وكان لسعيد بن حُمَيْد وأبى على البصير وأبى العَيْنَاء معاتبات ومكاتبات ومداعبات ، وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الأوسط .

أبو على البصير

وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه ، لا يزال يأتى بالبيت النادر ، والمثل السائر ، الذى لا يأتى به غيره ، وكان ابن مَيَّادة بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ، ويحسبه مقدماً على أهل عصره ، وهو فوق نظرائه فى وقته ، ودون البحترى ؛ فمن مشهور شعره قوله فى المعلى ابن أيوب :

لعمر أبيك ما نُسِبَ المُعَلَّى إلى كرم ، وفى الدنيا كريم
ولكنَّ البلاد إذا اقشعرَّت وصَوَّح نبتُها رُعِىَ الهشيم

ومما استحسن له من شعره قوله :

إذا ما اغتدت طلابة العلم مالها من العلم إلا ما يُخَلَّدُ فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم فمحبرتى سمعى ، ودفترها قلبى

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج :

خرجنا نبتغى مكـــة حُجَّاجاً وعُمَّارا
فلما شارف الحير ة راعى إبلى حارا
فقلت:احطط بها رحلى ولا تعبأ بمن جارا
فصادفنا بها لهواً وبستاناً وخَمَّارا
وظبياً عاقداً بين الـ نقا والخصر زُنَّارا
فما ظَنُّكَ بالحلفا ء إن أشعلتَها نارا

ظهور يحيى بن عمر الطالبى

وظهر فى هذه السنة ، وهى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، بالكوفة أبو الحسن[1] يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب الطيار ، [وأمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار] وقيل : إن ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه إلى بغداد وصلب ، فضج الناس من ذلك ، لما

(١) فيما رثى به من الشعر « أبو الحسين » انظر ص ١٤٩ و ١٥٢ .

Marfat.com

كان فى نفوسهم من المحبة له ، لأنه استفتح أموره بالكفِّ عن الدماء ، والتَّوَرُّع عن أخذ شيء من أموال الناس ، وأظهر العدل والإنصاف ، و كان ظهوره لذلّ نزل به ، وجفوة لحقته ، ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الأتراك ، ودخل الناس إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يهنئونه بالفتح ، ودخل فيهم[1] أبو هاشم الجعفرى — وهو داود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء — ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت أقعد نسباً فى آل أبى طالب وسائر بنى هاشم وقريش منه ، و كان ذا زهد وورع ونسك وعلم ، صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة ، وقبره مشهور ، وقد أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومَنْ شاهد من سلفه فى كتاب «حدائق الأذهان» فى أخبار [آل][2] النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لابن طاهر : ايها الأمير ، إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا لعُزِّى به ، فلم يجبه محمد وخرج من داره وهو يقول : يابنى طاهر ، البيتين ، وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بإنزاله لما رأى الناس وما هم عليه ، وفى ذلك يقول أبو هاشم الجعفرى :

يا بنى طاهر كُلوه وَبِيًّا ... إن لحم النبى غير مَرِىٍّ
إن وتراً يكون طالبه الله لَوِتْرٌ بالفَوْتِ غير حَرِىٍّ

وقد رُثِىَ أبو الحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة ، وقد أتينا على خبر مقتله وما رُثى به من الشعر فى الكتاب الأوسط ، ومما رُثى به ما قاله فيه أحمد بن طاهر الشاعر من قصيدة طويلة :

سلام على الإسلام فهو مودِّعٌ ... إذا ما مضى آل النبى فودَّعُوا
فَقَدْنا العلا والمجد عند افتقادهم ... وأضحت عروش المكرمات تَضَعْضَع
أنجمعُ عَينٌ بين نوم ومضجع ... ولابن رسول الله فى الترب مضجع

---

(١) فى ب « ودخل عليهم » (٢) فى ب « فى أخبار النبى » .

Marfat.com

فقد أقفرتْ دار النبي محمـــد من الدين والإسلام؛ فالدار بَلقعُ
وقُتِّلَ آل المصطفى فى خلالها وبُدِّدَ شمـــلٌ منهمُ ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى نفوسَهمُ أمُّ المنـــون فتتبع
بنى طاهر، واللؤم منكم سجية، وللغـــدر منكم حاسر ومُقنَّعُ
قواطعكم فى الترك غـير قواطع ولـكنها فى آل أحمـــد تقطع
لـكم كلَّ يوم مشرب من دمائهم وغُلّتها من شربهـــا ليس تَنقَعُ
وما حـكم للطالبيين شرع وفيكم رماح الترك بالقتل شُرَّعُ
لـكم مرتع فى دار آل محمـــد وداركمُ للترك والجيش مرتع
أخلتم بأن الله يرعى حقوقـكم وحقُّ رســول الله فيكم مضيَّعُ ؟
وأضحوا يُرَجُّون الشفاعة عندهُ وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب، ويقتل قاتل ويخفض مرفوع، ويدنى المرفع(١)

قال : وكان يحيى دَيِّناً ، كثير التعطف والمعروف على عوام الناس ، بارًّا بخواصهم ، واصلاً لأهل بيته ، مؤثراً لهم على نفسه ، مُثقَل الظهر بالطالبيات ، يجهد نفسه ببرهِنَّ والتحنن عليهن ، لم تظهر له زلة ، ولا عرفت له خزية .

ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، ورثاه القريب والبعيد ، وحزن عليه الصغير والـكبير ، وجزع لقتله المليء والدنيء ، وفى ذلك يقول بعض شعراء عصره ومَنْ جزع على فقده :

بكت الخيل شجْوَها بعد يحيى وبكاهُ المهنّدُ المصـــقول
وبكته العراق شرقاً وغرباً وبكاهُ الـكتاب والتنزيل
والمصلّى والبيت والركن والحِجْـــرُ جميعاً لهم عليـــه عَوِيل
كيف لم تسقط السماء علينا يوم قالوا : أبو الحسين قتيل(٢)

---

(١) فى ا «فيصلب مصلوب»
(٢) فى ب «يوم قالوا أخو الحسين قتيل»

Marfat.com

وبناتُ النبيِّ يندبن شجْواً مُوجَعَات ، دموعُهُنَّ تسيل
ويُؤَبِّنَّ للـــرزية بدراً فقده مفظع عزيز جليـــل
قَطّعت وجهه سيوف الأعادى بأبى جهه الوسيم الجميل
وليحيي الفـــتى بقلبى غليل كيف يؤذى بالجسم ذاك الغليل(1)
قَتْلُه مذكر لقتـــل علىّ وحسين ، ويوم أودى الرسول
فصلاة الإلٰهِ وقفا عليهم ما بكى مُوجَعٌ وحَنَّ ثكول

وكان ممن رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر ، وكان ينزل بالكوفة فى حمان ، فأضيف إليهم فقال :

يا بقايا السلف الصا لح والتّجْر الربيح
نحن للأيام من بيـــن قتيــل وجريح
خاب وَجْهُ الأرض كم غَيَّب من وجه صبيح
آه من يومك ما أو داه للقلب القريح(2)

وفيه يقول :

تَضَوّع مسكا جانِبُ القبر إذ ثوى وما كان لولا شِلْوُه يتضـــوَّعُ
مصارع فتيـــان كرام أعزة أتيح ليحيي الخير منهنَّ مَصْرَعُ

وقوله :

إنى لقومىَ من أحساب قومكم بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة إلا وهمتـه أمضى من السيف

وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا ـ وهو أخو إسماعيل العلوى لأمه ـ لما دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة ـ وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيى بن عمر ـ قعد عن سلامه ، ولم يمض إليه ، ولم يتخلّف عن سلامه أحد

---

(1) فى ا « إن يحيى أبقى بقلبى غليلا »
(2) فى ا « ما أنكاه للقلب القريح »

Marfat.com

من آل على بن أبى طالب الهاشميين ، وكان على بن محمد الحمانى نقيبهم[١] بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت ، فتفقده الحسن بن إسماعيل ، وسأل عنه ، وبعث بجماعة فأحضروه ، فأنكر الحسن تخلفه عن سلامه ، فأجابه على بن محمد بجواب مستقل آيس من الحياة ، فقال : أردت أن آتيك مهنياً بالفتح ، وداعياً بالظفر ، وأنشد شعراً لا يقوم على مثله مَنْ يرغب فى الحياة ، وهو :

قتلت أعزَّ من ركب المطايا وجئتك أَسْتَلِينُكَ فى الكلام
وَعَزَّ عَلَيَّ أن ألقاك إلا وفيما بيننا حَــــدُّ الحسام
ولكنَّ الجَنَاحَ إذا أهيضت قَوَادِمُهُ يَرِفُّ على الأكام[٢]

فقال له الحسن بن إسماعيل : أنت موتور ، فلست أنكر ما كان منك ، وخلع عليه ، وحمله إلى منزله .

بين الموفق وعلى بن محمد العلوى

قال : وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لأمر شنع به عليه من أنه يريد الظهور ، فكتب إليه من الحبس :

قد كان جدك عبد الله خَيْرَ أبٍ لابْنَيْ على حُسَيْنِ الخيرِ وَالْحَسَنِ
فالكَفُّ يوهن منها كل أنملة ما كان من أختها الأخرى من الْوَهَنِ

فلما وصل هذا الشعر إليه كفل وخلى إلى الكوفة .

وله أشعار ومراث فى أخيه إسماعيل وغيره من أهله ، وفى ذم الشيب ، قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكر أخبار الطالبيين ، وفى كتاب « مزاهر الأخبار ، وطرائف الآثار ، فى أخبار [آل] النبي صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) فى ب « مفتيهم »

(٢) هذا البيت فى ا هكذا :

ولكن ذو الجناح إذا استهيضت قوادمه يدف على الآكام

Marfat.com

ومما رَثَى به على بن محمد أيضاً أبا الحسين يحيى بن عمر فأجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله :

لعمرى لئن سُرَّتْ قريش بهلكه ... لما كان وَقَّافاً غَدَاةَ التوقف
فإن مات تلقاء الرماح فإنه ... لِمَنْ مَعْشَرٍ يَشْنَوْنَ موتَ الترف(١)
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهمُ ... على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم إما جدعتم أنوفكم ... مقامات ما بين الصَّفَا وَالْمُعَرَّف
تراث لهم من آدم ومحمد ... إلى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضاً فى الشيب :

قد كان حين بدا الشباب به ... يَقَقَ السوالف حالك الشَّعْرِ
وكأنه قمر تَمَنْطَقَ فى ... أُفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله ... فَلَكَ العلا وقلائد السور
من أسرة جعلت مَخَايلهم ... للعالمين مخايل النظر
تهيب الأقدار قدرهم ... فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تشوى رميته ... فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة فى أخيه :

هذا ابن أمى عديل الروح فى جسدى ... شق الزمان به قلبى إلى كبدى
فاليوم لم يبق شىء أستريح به ... إلا تَفَتُّتُ أعضائى من الكمد
أو مقلة بَخَفِىِّ الهم باكية ... أو بيت مرثية تبقى على الأبد
تَرَى أناجيك فيها بالدموع وقد ... نام الخلىُّ ولم أهجع ولم أَكَدِ
من لى بمثلك يا نور الحياة ويا ... يُمْنَى يدىَّ التى شَلَّتْ من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة ... يُشْكَى إليه ولا يشكو إلى أحد
قد ذقت أنواع ثُكْلٍ كُنْتَ أبلغها ... على القلوب وأجناها على كبدى(٢)

---

(١) فى ا « يشنون موت التزف » (٢) فى ا « أحشاها على كبدى »

Marfat.com

قل للردى لا تغادر بعده أحداً والمنية من أحببت فاعتمدى
إن الزمان تَقَضى بعد فرقته والعيش آذن بالتفريق والنكد

وكانت وفاة على بن محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ستين ومائتين[١]

ظهور الحسن بن زيد العلوى

وفى خلافة المستعين – وذلك فى سنة خمسين ومائتين – ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم ، فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد، وما زالت فى يده إلى أن مات سنة سبعين ومائتين، وخَلَفَه أخوه محمد بن زيد فيها إلى أن حاربه رافع بن هرثمة[٢]، ودخل محمد بن زيد إلى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين، فصارت فى يده ، وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة[١] وصار فى جملته ، وانقاد لدعوته، والقول بطاعته ، وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد ، وكذلك مَنْ طرأ بعدهما ببلاد طبرستان – وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالأطروش وولده – ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله أسفار[٣] بطبرستان ، وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ، ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الأرض إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — فى كتابنا « أخبار الزمان » وإنما نذكر فى هذا الكتاب لمعاً من سائر مايجب ذكره ، لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم .

ظهور محمد بن جعفر

وظهر فى هذه السنة – وهى سنة خمسين ومائتين — بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ، ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان ، وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة ، فأسر وحمل إلى نيسابور إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فمات فى محبسه بنيسابور .

(١) فى ب « ست ومائتين » (٢) فى ا « رافع بن حرثمة »
(٣) فى ب « قتله التتار » .

Marfat.com

ظهور أحمد بن عيسى العلوى

وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على [بن الحسن بن على][1] بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وحارب محمد بن طاهر ، وكان بالرى ، فانهزم عنه وسار إلى مدينة السلام ، فدخلها العلوى .

ظهور الكوكى بقزوين

وفى هذه السنة — وهى سنة خمسين ومائتين — ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وهو من ولد الأرقط[2] ، وقيل : إن اسم الكركى الحسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، لحاربه موسى بن بُغا[3] ، وصار الكركى إلى الديلم ، ثم وقع إلى الحسن بن زيد الحسينى[4] فهلك قبله .

ظهور الحسين ابن محمد العلوى

وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن الحسن بن على ابن أبى طالب ، فسرح إليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبي واختفى لترك أصحابه له ، وتخلفهم عنه ، وكان ذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

عزم على أخذ البيعة لابنه

وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة ، وعزم على البيعة له ، فأخرها لصغر سنة ، وكان عيسى بن فرخا نشاه قال لأبى [على] البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعراً يشير فيه بالبيعة له ، فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها :

بك الله حاط الدين وانتاشَ أهله ... من الموقف الدَّحضِ الذى مثله يُرْدِى
فولِّ ابنك العباس عهدك ، إنه ... لموضع ، واكتب إلى الناس بالعهد
فإن خَلَّفته السن فالعقل بالغ ... به رتبة الشيخ الموفَّقِ للرشد

(١) سقط هذان الاسمان من ب
(٢) فى ب « من ولد الأوسط »
(٣) فى ب « لحاربه موسى وبغا »
(٤) فى ب « الحسنى » .

Marfat.com

وقد كان يحيى أوتى العلم قبله

صبيا ، وعيسى كلّم الناس فى المهد

بين محمد بن طاهر وأبى العباس المكى

وقال أبو العباس المكى : كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين، فما رأيته فى وقت من الأوقات أشد سروراً منه ولا أكثر نشاطاً قبل ظهور العلوى بالرى ، وذلك فى سنة خمسين ومائتين ، وقد كنت عنده ليلة أتحدث ، والخير وافد والسِّترُ مسبل، إذ قال : كأنى أشتهى الطعام فما آكل ؟ قلت : صدر دراج أو قطعة من جدى باردَة ، قال : ياغلام ، هات رغيفا وخلا وملحا ، فأكل من ذلك ، فلما كان فى الليلة الثانية قال : ياأبا العباس ، كأنى جائع فما ترى أن آكل ؟ قلت: ما أكلتَ البارحة ، فقال : أنت لاتعرف فرق مابين الكلامين ، قلت البارحة : كأنى أشتهى الطعام ، وقلت الليلة : كأنى جائع ، وبينهما فرق ، فدعا بالطعام ، ثم قال لى : صف لى الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل ، قلت : أيكون ذلك منثوراً أو منظوما؟ قال: لا،بل منثورا ،قلت:أطيب الطعام مالقى الجوع بطعم ووافق شهوة ،قال : فما أطيب الشراب؟قلت: كأس مدام تبرد بها غليلك، وتعاطى بها خليلك ، قال : فأى السماع أفضل ؟ قلت : أوتار أربعة ، وجارية متربعة ، غناؤها عجيب ، وصوتها مصيب ، قال : أى الطيب أطيب ؟ قلت : ريح حبيب تحبه ، وقرب ولد تربُّه ، قال : فأى النساء أشهى ؟ قلت : من تخرج من عندها كارِهاً ، وترجع إليها والها ؟ قال : فأى الخيل أفرهُ ؟ قلت : الأشدق الأعين الذى إذا طُلِبَ سبق ، وإذا طَلَبَ لحق ، قال : أحسنت ، يابشر أعطه مائة دينار ، قلت : وأين تقع منى مائتا دينار ؟ قال : أو قد زدت نفسك مائة دينار ؟ ياغلام أعطه المائة كما ذكرنا ، والمائة الأخرى لحسن ظنه بنا ، فانصرفت بمائتى دينار ، فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الرى إلا جمعة

Marfat.com

معرفة المستعين بالأخبار

وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم ، لهجا بأخبار الماضين.

وحدث محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنى أبو البيضاء مولى جعفر الطيار ، وكان طيب الحديث ، قال : وَفَدْنا فى أيام المستعين من المدينة إلى سامرا وفينا جماعة من آل أبى طالب وغيرهم من الأنصار ، فأقمنا ببابه نحواً من شهر ، ثم وصلنا إليه ، فتكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس، وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما ، وكنت أعرف الجماعة بما شرع فيه، فقلت: أيأذن أمير المؤمنين فى الكلام؟ قال: ذلك إليك، فشرعت معه فيما قصد إليه وتسلسل بنا الكلام إلى فنون من العلم فى أخبار الناس ، [ثم] انصرفنا وأُقيم لنا الإنزال والإفضال ، فلما كان فى أول الليل جاءنا خادم ومعه عدة من الأتراك وفرسان ، فحملت على جنيبة كانت معهم ، وأتى بى إلى المستعين فإذا هو جالس فى الجوسق ، فقربنى وأدنانى ، ثم أخذ بعد أن آنسنى فى أخبار العرب وأيامها ، وأهل التتيم ، فانتهى بنا الكلام إلى أخبار العذريين والمتيمين ، فقال لى : ما عندك من أخبار عُرْوَة بن حزام ، وما كان منه مع عفْرَاء ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن عُرْوَة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفى وَجْداً بها وصبابة إليها ، فمر به رَكْبٌ فعرفوه ، فلما

عروة بن حزام

انتهوا إلى منزل عفراء صاح صائح منهم :

ألاَ أيها القصرُ المغفَّـــل أهله
نَعينا إلَيْكُمْ عروة بن حــــزام

ففهمت صوته ، وأشرفت عليه ، وقالت :

ألاَ أيها الرَّكْب المجدُّونَ وَيْحَكُمْ
بِحَقٍّ نعيـــتم عروة بن حــزام ؟

فأجابها رجل من القوم ، فقال :

نعم قد تركناه بأرض بعيدة مقيما بها فى سَبْسَبٍ وأكام

فقالت لهم :

Marfat.com

فإن كان حقًّا ما تقولون فاعلموا   بأن قد نعيتم بَدْرَ كل ظلام
فلا لَقِيَ الفتيانُ بعدكَ لذةً   ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت أنثى شريفاً كمثله   ولا فرحت من بعـده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له   ونغصتم لذات كُلِّ طعام

ثم سألتهم : أين دفنوه ؟ فأخبروها ، فصارت إلى قبره ، فلما قاربته قالت : أنزلونى فإنى أريد قضاء حاجة ، فأنزلوها فانْسَلَتْ إلى قبره فأكَبَّتْ عليه ، فما راعهم إلا صوتها ، فلما سمعوه بادروا إليها ، فإذا هى ممتدة على القبر قد خرجت نَفْسُهَا ، فدفنوها إلى جانب قبره . قال : فقال لى : فهل عندك من خبره غير ما ذكرت ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوى ، عن الهيثم بن عدى بن [هشام بن] عروة ، عن أبيه ، قال : بعثنى عثمان بن عفان مصدقاً فى بنى عُذْرَة فى بلاد حى منهم يقال لهم بنو منبذة ، فإذا ببيت جديد منحاش عن الحى ، فملت إليه ، فإذا بشاب قائم(١) فى ظل البيت ، وإذا عجوز جالسة فى كسر البيت ، فلما رآنى ترنم بصوت ضعيف يقول :

جعلت لِعَرَّاف اليمـامة حكمه   وعَرَّاف نجد إن هما شفَيانِى
فقالا : نعم ، نشفى من الداء كله   وقاما مع العُـوَّاد يبتدران
فما تركا لى رُقْيَـةً يعرفانها   ولا شَرْبَةً إلا بها سقيانى
وقالا : شفاك الله ، والله ما لنا   بما حُمِّلَتْ منك الضلوع يدان
فلهفى على عفراء لهفاً كأنه   على النحر والأحشاء حَدُّ سنان
فعفراء أحظى الناس عندى مَوَدَّةً   وعفراء عَنِّى المُعرِضُ المتدانى
وإنى لأهوى الحشر إذ قيل: إننى   وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا لَعَنَ الله الوُشاة وقولَهُمْ :   فُلاَنَة أضحت خُـلَّةً لفلان

---

(١) فى ا « نائم فى ظل البيت » .

Marfat.com

ثم شهق شهقة خفيفة ، فنظرت فى وجهه فإذا هو قد مات ، فقلت : أيها العجوز[١] ، ما أظن هذا النائم بفناء بيتك إلا قد مات ، قالت : وأنا والله أظن ذلك ، فنظرت فى وجهه ، وقالت : فَاضَ وَرَبِّ الكعبة ، فقلت : من هذا ؟ فقالت : عروة بن حزام العذرى ، وأنا أمه ، والله ما سمعت له أنةً من سنة إلا فى صدر يومى هذا ، فإنى سمعته يقول :

من كان من أمهاتى باكيًا أبدًا فاليوم ؛ إنِّى أرانِى فيه مقبوضًا
تَسَمَّعِيه فإنى غــير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضًا

قال : فأقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، قال : فقال عثمان : وما دعاك إلى ذلك ؟ قلت : اكتساب الأجر فيه والله ، قال : فوصل الجماعة وفَضَّلنى عليهم فى الجائزة .

حديث عن مجنون بنى عامر

قال المسعودى : ولمن سلف من المُتَيَّمين أخبار عجيبة ، وأشعار حسان ، فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب[٢] الجمحى القاضى ، قال : حدثنا محمد بن سلام الجمحى ، قال : أخبرنى أبو الهياج بن سابق النجدى ، ثم الثقفى ، قال : خرجت إلى أرض بنى عامر ، لا لشىء إلا للقاء المجنون ، فإذا أبوه شيخ كبير ، وإذا إخوته رجال ، وإذا نِعَم ظاهرة وخير كثير ، فسألتهم عن المجنون ؛ فاستعبروا ، وقال الشيخ : كان والله أبَرَّ هؤلاء عندى ؛ فهوى امرأة من قومه ، والله ما كانت تطمع فى مثله ؛ فلما عرف أمره[٣] وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه ؛ فزوجها من رجل آخر ؛ فقيدناه ، فكان يعض شفتيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعهما ؛ فلما رأينا ذلك خَلَّينا سبيله ؛ فرَّ فى هذه الفيافِى يذهب إليه فى كل يوم بطعامه

(١) فى ب « أيتها العجوز » .
(٢) فى نسخة « الفضل بن الحاجب الجمحى » .
(٣) فى ا « فلما فشا أمره — إلخ » .

Marfat.com

فيوضع له بحيث يراه ، فإذا عاينه جاء فأكل ، وإذا خلقت ثيابه جاءوه بثياب ؛ فوضعت بحيث يراها ، فسألتهم أن يدلُّونِي عليه، فدلوني على فتى من الحي ،وقالوا : إنه لم يزل صديقاً له ، وليس بأنس بأحد سواه ؛ فسألته أن يدلني عليه ؛ فقال : إن كنت تريد شعره فكل شعره عندي إلى أمس وأنا ذاهب إليه غداً ؛ فإن كان قد ذكر شيئاً أتيتك به ، قلت : أريد أن تدلني عليه ، قال : إن رآك يفر منك ، وأخاف أن يذهب منى فيما بعد ؛ فيذهب شعره ، فأبيت إلا أن يدلني ، فقال : اطلبه فى هذه الصحراء ؛ فإذا رأيته فادْنُ منه مستأنساً ، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء فى يده ، فاجلس كأنك لا تنظر إليه والْحَظْهُ ، فإذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن ذريح[1] شيئاً فإنه معجب به ، قال : فخرجت إليه يومى ، فوجدته بعد العصر جالساً على تل ، يخط بأصبعه خطوطاً ، فدنوت منه غير منقبض ، ففرَّ والله كما يفرُّ الوحش من الإنسان ، وإلى جانبه أحجار ، فتناول منها واحداً ، فأقبلت حتى جلست قريباً منه ، فمكثت ساعة ، وهو كأنه نافر ، فلما طال جلوسى سَكَنَ ، وأقبل يعبث بأصبعه ، فنظرت إليه ، وقلت : أحسن والله قيس بن ذريح[1]، حيث يقول :

وإنى لَمُفْنٍ دَمْعَ عينىَ بالبكا حِذاراً لما قد كان أو هو كائن
وقالوا : غداً ! أو بعد ذاك بليلة فراق حَبيب لم يَبِنْ وَهْوَ بائن
وما كنت أخشى أن تكون مَنِيَّتِي
بكفى إلاَّ أنَّ مَا حَانَ حائن

قال : فبكى والله حتى سالت دموعه ، ثم قال : أنا والله أشعر منه ، حيث أقول :

أبى القلب إلا حبها عامرية لها كُنْيةٌ عمرو ، وليس لها عمرو

(١) فى ب « قيس بن الذريح »

Marfat.com

تكاد يدى تندَى إذا ما لمستها ويُنبت فى أطرافها الورق الخضر
عجبت لسعى الدَّهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر [١]
فيا حبها زِدْنِى جوًى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

قال : ثم نهض ، فانصرفت ، ثم عُدْتُ من الغد ، فأصبته ، ففعلت فعلى بالأمس ، وفعل مثل فعله ، فلما أنس قلت : أحسن والله قيس بن ذريح ، حيث يقول ، قال : ماذا ؟ قلت :

هَبُونِى امرأ إنْ تحسنوا فهو شاكر لذاك ، وإن لم تحسنوا فهو صافح
فإن يك قوم قد أشاروا بهجرنا فإن الذى بينى وبينك صالح

قال : فبكى ، وقال : أنا والله أشعر منه ، حيث أقول :

وأدنيتنى حتى إذا ما سبيتنى بقول يحل العُصْمَ سهل الأباطح
تجافَيْتِ عنى حيث مالِىَ حيلة وَخَلَّفْتِ ما خَلَّفْتِ بين الجوانح [٢]

ثم ظهرت لنا ظبية، فوثب فى إثرها ؛ فانصرفت ، ثم عدت فى اليوم الثالث فلم أصادفه ، فرجعت ، فأخبرتهم ؛ فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه ؛ فرجع ، وأخبرهم أن الطعام على حاله ! ثم غدوت مع إخوته ! فطلبناه يومنا وليلتنا ! فلما أصبحنا أصبناه فى واد كثير الحجارة ؟ وإذا هو ميت ؟ فاحتمله إخوته ، ورجعت إلى بلدى .

وفاة بغا الكبير

قال المسعودى : وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بُغَا الكبير التركى ؟ وقد نَيَّفَ على التسعين سنة ، وقد كان باشَرَ من الحروب مالم يباشره أحد ، فما أصابته جراحة قط ، وتقلد ابنُه موسى بن بُغَا ما كان يتقلده ، وضم إليه أصحابه ، وجعلت له قيادته ، وكان بُغَا دَيِّنًا

(١) هذا البيت والذى بعده يرويان فى قصيدة أبى صخر الهذلى التى أولها :
لليلى بذات البين دار عرفتها * وأخرى بذت الجيش آياتها سطر
(٢) فى ١ «حين لالى حيلة» وهو الموافق لما أحفظه والمذكور عن بأقعدعرية

Marfat.com

من بين الأتراك ، وكان من غلمان المعتصم ، يشهد الحروب العظام ، ويباشرها بنفسه ، فيخرج منها سالماً ، ويقول : الأجل جوشن .

بغا يرى رسول الله فى الحلم

ولم يكن يلبس على بدنه شيئاً من الحديد ، فعذل فى ذلك ، فقال : رأيت فى نومى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه فقال لى : يا بُغَا ، أحسنت إلى رجل من أمتى فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك ، قال : فقلت : يا رسول الله ومَنْ ذلك الرجل ؟ قال : الذى خلّصته من السباع ، فقلت : يا رسول الله ، سَلْ ربك أن يطيل عمرى ، فرفع يديه نحو السماء وقال : اللهم أطِلْ عمره ، وأتم أجله ، فقلت : يارسول الله ، خمس وتسعون سنة ، فقال رجل كان بين يديه : ويُوَقَّى من الآفات ، فقلت للرجل : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فاستيقظت من نومى ، وأنا أقول : على بن أبى طالب .

قصة له مع طالبى

وكان بُغَا كثير التعطف والبر للطالبيين ، فقيل له : من [كان] ذلك الرجل الذى خلصته من السباع ؟ قال : كان أتى المعتصم برجل قد رمى ببدعة ، فجرت بينهم فى الليل مخاطبة فى خلوة ، فقال لى المعتصم : خذه فألقه إلى السباع ، فأتيت بالرجل إلى السباع لألقيه إليها[١] وأنا مُغتاظ عليه ، فسمعته يقول : اللهم إنك تعلم ما تكلمت إلا فيك ، ولم أرد بذلك غيرك ، وتقرباً إليك بطاعتك ، وإقامة الحق على من خالفك ، أفتسلمنى ؟ قال : فارتعدتُ وداخلتنى له[٢] رقّةٌ ، وملىء قلبى له رعباً ، فجذبته عن طرف بركة السباع ، وقد كدت أن أَزُجَّ به فيها ، وأتيت به حجرتى فأخفيته فيها ، وأتيت المعتصم فقال : هيه ، قلت : ألقيته ، قال : فما سمعته يقول ؟ قلت : أنا عجمى وهو يتكلم بكلام عربى ما أدرى ما يقول ، وقد كان الرجل أغلَظَ ، فلما كان فى السحر قلت للرجل : قد فتحت الأبواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس ، وقد آثرتك على نفسى ، ووَقَيْتكَ بروحى ، فاجْهَدْ ألاّ تظهر

(١) فى ب « لألقيه فيها » (٢) فى ب « ودخلتنى له رقة » .

Marfat.com

فى أيام المعتصم ، قال : نعم ، قلت : فما خبرك ؟ قال : هجم رجل من عماله فى بلدنا على ارتكاب المكاره والفُجُور وإماتة الحق ونَصْر الباطل ، فسَرَى ذلك إلى فساد الشريعة ، وهَدْم التوحيد ، فلم أجد عليه ناصراً ، فوثبت عليه فى ليلة[1] فقتله ؛ لأن جرمه كان يستحق به فى الشريعة أن يفعل به ذلك .

بين المستعين والأتراك

قال المسعودى : ولما انحدر المستعين ووصيف وبُغاَ إلى مدينة السلام اضطربت الأتراك والفراغنة[2] وغيرهم من الموالى بسامرا ، وأجمعوا على بعث جماعة إليه يسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، فصار إليه عدة من وجوه الموالى ومعهم البُرْدُ والقَضِيبُ وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ، ويسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، واعترفوا بذنوبهم ، وأقرُّوا بخطئهم ، وضمنوا ألا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم إلى شىء من ذلك مما أنكره عليهم ، وتذللوا وخضعوا ، فأجيبوا بما يكرهون ، وانصرفوا إلى سر من رأى ، فأعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم ، وإياسهم من رجوع الخليفة .

الموالى يجمعون على بيعة المعتز

وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر إلى بغداد ، ولم يأخذهما معه ، وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ، ثم إنه هرب منه بَعْدُ فى حال[3] الحرب ، فأجمع الموالى على إخراج المعتز والمبايعة له والانقياد إلى خلافته ، ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد ، فأنزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق ، وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد ، فبايعوه ، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وركب من غد ذلك اليوم إلى دار العامة ، فأخذ البيعة على الناس ، وخَلَعَ على أخيه المؤيد ، وعقد له عقدين أسود وأبيض ، فكان الأسود لولاية العهد بعده ، والأبيض لولاية الحرمين وتقلدهما ، وانبثت

---

(١) فى ب « فوثب عليه فى الليل » (٢) فى ب « الفراعنة » .

(٣) فى ب « هرب منه مع رجال الحرب »

Marfat.com

الكتب فى سامرا بخلافة المعتز بالله إلى سائر الأمصار[١] ، وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب ، وأحْدَرَ أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالى لحرب المستعين إلى بغداد ، فنزل عليها ، فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين ، وهرب محمد بن الواثق إلى المعتز بالله ، ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة ، فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تَقْوَى ، وحالة المستعين تضعف ، والفتنة عامة .

فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجَنَحَ إليه ، ومال إلى الصلح على خلع المستعين، وقد كانت العامة ببغداد_ حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين_ ثارت مُنْكِرة لذلك ، متحيزة إلى المستعين ، ناصرة له ، فأظهر محمد بن عبد الله المستعينَ على أعلى قصره ، فخاطبته العامة وعليه البردة [والقَضِيبُ] ، فأنكر ما بلغهم من خلعه ، وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية ، فاتفقا على خلع المستعين على أن له الأمان ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم ، وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله ، وأن يقيم بواسط العراق إلى وقت مسيره إلى مكة ، فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئًا من ذلك فالله ورسوله منه بَرَاء ، والناسُ فى حل من بيعته ، وعهوداً يطول ذكرها ، وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عالج فى نقضها ، فخلع المستعين نَفْسَه من الخلافة ، وذلك يوم الخميس لثلاث خَلَوْنَ من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، فكان له منذ وافى مدينة السلام إلى أن خلع سنة كاملة ، وكانت خلافته _ منذ تقلد الأمر على ما بيناه آنفاً إلى أن زال عنه ملكه _ ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية عشر[٢] يوماً على ما ذكرناه من الخلاف ، وأحدر إلى دار الحسن

(١) فى ب «فى سائر الأمصار» (٢) فى ا « وثمانية وعشرين يوما » .

Marfat.com

ابن وهب ببغداد ، وجمع بينه وبين أهله وولده ، ثم أحدر إلى واسط ، وقد وكل به أحمد بن طولون التركى ، وذلك قبل ولايته مصر ، وعلم عجز محمد ابن عبد الله بن طاهر عن قيامه بأمر المستعين حين استجار به وخذلانه إياه وميله إلى المعتز بالله ، وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد :

أطافت بنا الأتراك حولاً مجرّما ... وما برحت فى جُحرها أمُّ عامر[1]

أقامت على ذُلٍّ بهـا ومهانة ... فلما بدت أبدت لنا لؤم غادر

ولم ترع حق المستعين ؛ فأصبحت ... تعين عليه حادثات المقادر

لقد جمعت لؤما وخبثا وذلّة ... وأبقت لها عارا على آل طاهر[2]

ولما كان من الأمر ما قدمناه من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد إلى سامرا ، فخلع عليه المعتز ، وتوج ، ووشح بوشاحين ، وخلع على من كان معه من قواده ، وقدم على المعتز عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبُرْدِ والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ، ومعه شاهك الخادم ، وكتب محمد بن عبد الله إلى المعتز فى شاهك : إن من أتاك بإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته .

وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد .

موت المستعين

ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة ــ وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين ــ بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين ، وقد كان فى جملة مَنْ حمله من واسط ، فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله إلى المعتز بالله ، وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة .

وكانت وفاة المستعين بالله يوم الأربعاء لست خلَوْنَ من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، على ما قدمنا فى صدر هذا الباب .

(١) فى ا « وما برحت من جحرها » وأم عامر : كنية الضبع .
(٢) فى ا « لقد جمعت لؤما وجبنا » .

Marfat.com

وذكر شاهك الخادم قال : كنت عديلا للمستعين عند إشخاص المعتز له إلى سامرا ، ونحن فى عمارية ، فلما وصل إلى القاطول تلقّاه جيش كثير ، فقال : يا شاهك انظرْ مَنْ رئيس القوم ؟ فإن كان سعيد الحاجب فقد هلكت ، فلما عاينته قلت : هو والله سعيد ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهبَتْ والله نفسى ، وجعل يبكى ، فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ، ثم أضجعه وَقَعَدَ على صدره واحتز رأسه ، وحمله على ما ذكرنا ، واستقامت الأمور للمعتز ، واجتمعت الكلمة عليه .

وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه فى هذا الكتاب ، وأوردناه فى هذا الباب ، وقد أتينا على ذكرها فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما ذكرنا ما أوردنا فى هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عَزَبَ عنا فهمها ، فإنا بحمد الله لم نترك شيئاً من أخبار الناس وسيرهم وما جرى فى أيامهم إلا وقد ذكرناه ، وأوردنا فى كتبنا أحْسَنَهُ ، وفوق كل ذى علم عليم ، والله الموفق للصواب .

Marfat.com

ذكر خلافة المعتز بالله

بويع المعتز بالله ، وهو الزبير بن جعفر المتوكل ، وأمه أم ولد يقال لها قبيحة[١] ، ويكنى أبا عبد الله ، وله يومئذ ثمان عشرة سنة ، بعد خَلْعِ المستعين لنفسه ، وذلك يوم الخميس لليلتين خَلَتَا من المحرم ، وقيل : لثلاث خَلَوْنَ منه ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قَدَّمنا ، وبايعه القُوَّاد والموالى والشاكرية وأهل بغداد ، وخطب له فى المسجد الجامع ببغداد فى الجانبين . موجز

ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بَقِينَ من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام .

فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ، ودُفن بسامرا ، فجملة أيامه منذ بُويع بسامرا قبل خلع المستعين إلى اليوم الذى خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياماً ، ومنذ بُويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر ، وتوفى وله أربع وعشرون سنة .

(١) فى ب «فتيحة» .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره ، وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

قول الناس فى خلعه نفسه

ولما خلع المستعين بالله وأُحْدِرَ إلى واسط – بعد أن أشْهَدَ على نفسه أنه قد بَرِئ من الخلافة وأنه لا يصلح لها ؛ لما رأى من الخلاف الواقع ، وأنه قد جعل الناس فى حل من بيعته – قالت فى ذلك الشعراء فأكثرت ، ووصفته فى شعرها فأغرقت ، فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة :

إلى وَاسِطٍ خلف الدَّجَاج ، ولم يَكُنْ
لينبت فى لَحْـــمِ الدَّجَاجِ مخالب[1]

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكنانى من قصيدة :

إنى أراك من الفراق جَزُوعا — أمْسَى الإمام مُسَـــيَّراً مخلوعا
وغدا الخليفة أحمد بن محمـــد — بعد الخلافة والبهـــاء خليعا
كانت به الأيام تضحك زهرة — وهو الربيع لمن أراد ربيعا
فأزاله المقدور مِنْ رتب العُلاَ — فثوى بِوَاسِطِ لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم .

وفاة جماعة من أهل العلم

ومات فى خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدِّثين : منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعى ، وأيوب بن محمد الوراق ، وأبو كريب[2] محمد بن العلاء الهمدانى بالكوفة ، وأحمد بن صالح المصرى ، وأبو الوليد السَّرِىّ الدمشقى ، وعيسى بن حماد زغبة المصرى بمصر ، ويكنى أباموسى ، وأبو جعفر ابن سوار الكوفى ، وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وفى خلافة المستعين – وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين – كانت وفاة

(١) فى ب «إلى واسط خلب الدجاج» ورواية البيت فى ديوان البحترى هكذا
إلى كسكر خلف الدجاج ، ولم تكن — لتنشب إلا فى الدجاج مخالبه

(٢) فى ب «وأبو بكر محمد بن العلاء» .

Marfat.com

الحسن بن صالح البزار ، وكان من عِلْيَة أصحاب الحديث ، وهشام بن خالد الدمشقي ، ومحمد بن سليمان الجهنى بالمصيصة ، والحسن بن محمد بن طالوت ، وأبو حفص الصيرفى[١] بسامرا ، ومحمد بن زنبور المكى بمكة ، وسليمان بن أبى طيبة ، وموسى بن عبد الرحمن البرقى .

وفى خلافة المستعين — وذلك فى سنة خمسين ومائتين — مات إبراهيم ابن محمد التيمى ، قاضى البصرة ، ومحمود بن خداش ، وأبو مسلم أحمد بن [أبى] شعيب الحرانى ، والحارث بن مسكين المصرى ، وأبو طاهر أحمد ابن عمرو بن السرح ، وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره ، من شيوخ المحدثين وَنَقَلَة الآثار ، ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة ، إلى وقتنا هذا — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — فى سنة ست ، من كتابنا المترجم بالأوسط ، وإنما نذكر من وفاة من ذكرنا لئلا نخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج إلى ذكره على قدر الطالب له .

فص من الياقوت الأحمر

وقد كان المستعين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر ، يعرف بالجبلى[٢] ، وكانت الملوك تصونه ، وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ، ونقش عليه [اسمه] أحمد ، ووضع ذلك الفص فى أصبعه ، فتحدّث الناس بذلك ، وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الأكاسرة وقد نقش فى قديم الزمان ، وذكر أنه لم ينقشه ملك إلا مات قتيلا ، وكان الملك إذا مات وجلس تاليه فى الملك حك النقش ، فتداولته فى اللبس الملوك ، وهو غير منقوش ، فيقع للنادر من الملوك فينقشه ، وكان ياقوتا أحمر ، يضىء بالليل كضياء المصباح إذا وضع فى بيت لا مصباح فيه أشرق ، ويرى فيه بالليل

(١) فى ب « وأبو جعفر الصيرفى » .
(٢) فى ب « يعرف بالحلى » .

Marfat.com

تماثيل تلوح، وله خبر طويل ظريف، وقد ذكرناه فى كتابنا «أخبار الزمان» فى ذكر خواتم ملوك الفرس، وقد كان هذا الفص ظهر فى أيام المقتدر، ثم خفى أثره بعد ذلك.

بعض ما قيل فى المعتز

وقد كان جماعة من الشعراء قالوا فى المعتز — حين استتم له الأمر، واستقامت له الخلافة، وخلعها المستعين — أقوالا كثيرة، فمن ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة طويلة:

إن الأمور إلى المعتز قد رَجَعَتْ ... والمستعينُ إلى حالاته رَجَعَا
قد كان يعلم أن المُلْكَ ليس له ... وأنه لك لكن نَفْسُهُ خدعا

وفى ذلك يقول رجل من أهل سامرا، وقد قيل إنه البحترى:

لله دَرُّ عصابة تركية ... رَدُّوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ... وكَسَوا جميع الناس ثوب الخوف
وطَغَوْا فأصبح ملكنا متقسما ... وإمامنا فيه شبيه الضيف[1]

وفى المعتز ورجوع الأمر إليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو على البصير:

آبَ أمرُ الأسلام خَيْرَ مآبه ... وغدا الملك ثابتاً فى نِصَابِهْ
مستقراً قراره مطمئناً ... آهلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وَحْدَه والتمس بالـ ... ـعفو عمن هفا جزيل ثوابه[2]

وزراء المعتز

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد، ثم استوزر جماعة، فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة.

وكانت وفاة أبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى خلافة المعتز بالله.

---

(١) فى ا «فأصبح ملكنا متبددا».

(٢) فى ب «والتمس بالعفو عمن عقا» وهو تحريف.

Marfat.com

وذلك فى يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : ابن اثنتين وأربعين سنة ، وقيل: أكثر من ذلك ، وسمع فى جنازته جارية تقول : ماذا لقينا فى يوم الاثنين قديماً وحديثاً ؟ وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله ، فى شارع أبى أحمد ، وفى داره بسامرا ، ودفن هناك .

على بن محمد الطالبى

حدثنا ابن الأزهر[1] ، قال : حدثنى القاسم بن عباد ، قال : حدثنى يحيى بن هرثمة ، قال : وَجَّهنى المتوكل إلى المدينة لإشخاص على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر لشىء بلغه عنه ؛ فلما صرت إليها ضجّ أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله ، فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنى لم أومر فيه بمكروه ، وفتشت بيته ، فلم أجد فيه إلا مصحفا ودعاء ، وما أشبه ذلك ، فأشخصته وتولّيتُ خدمته وأحسنت عشرته ، فبينا أنا [نائم] يوماً من الأيام ، والسماء صاحية ، والشمس طالعة ؛ إذ ركب وعليه ممطر ، وقد عقد[2] ذنب دابته ، فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزاليها ، ونالنا من المطر أمر عظيم جداً ، فالتفت إلىّ ، وقال : أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت وتوهمت أنى علمت من الأمر ما لا تعلمه ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن نشأتُ بالبادية ، فأنا أعرف الرياح التى يكون فى عقبها المطر ، فلما أصبحت هبَّتْ ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر ، فتأهبت لذلك . فلما قدمت مدينة السلام بدأت بإسحاق ابن إبراهيم الطاهرى — وكان على بغداد — فقال لى : يا يحيى[3] ، إن هذا الرجل قد وَلَدَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكل مَنْ تعلم ، وإن حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصْمَكَ ، فقلت : والله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل .

---

(١) فى ب « أبو الأزهر » (٢) فى ب « وقد عقب » .
(٣) فى ا « فقال لى : يا أبا يحيى » وليس بذلك .

Marfat.com

فصرت[1] إلى سامرا ، فبدأت بوصيف التركى ، وكنت من أصحابه ، فقال : والله لئن سَقَطَتْ من رأس هذا الرجل شَعْرَة لا يكون المطالِبُ بها غيرى ، فعجبت من قولها ، وعرّفت المتوكل ما وقفت عليه ، وما سمعته من الثناء عليه ، فأحسن جائزته ، وأظهر بره وتكرمته .

وحدثنى محمد بن الفرج بمدينة جرجان فى المحلة المعروفة ببئر أبى عنان[2] قال : حدثنى أبو دعامة ، قال : أتيت على بن محمد بن على بن موسى عائداً فى علته التى كانت وفاته منها فى هذه السنة ، فلما هممت بالانصراف قال لى : يا أبا دعامة قد وجب حَقُّكَ ، أفلا أحدثك بحديث تُسَرُّ به ؟ قال : فقلت له : ما أحوجنى إلى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدثنى أبى محمد ابن على ، قال : حدثنى أبى على بن موسى ، قال : حدثنى أبى موسى بن جعفر ، قال : حدثنى أبى جعفر بن محمد ، قال : حدثنى أبى محمد بن على ، قال : حدثنى أبى علىُّ بن الحسين ، قال : حدثنى أبى الحسين بن على ، قال : حدثنى أبى على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ! قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب يا على » قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لى : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان ما وقرته القلوب وصدقته الأعمال ، والإسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة » قال أبو دعامة: فقلت : يا ابن رسول الله ، ما أدرى والله أيهما أحسن : الحديث أم الإسناد؟ فقال : إنها لصحيفة بخط على بن أبى طالب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغراً عن كابر .

قال المسعودى : وقد ذكرنا خبر على بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ، ونزوله رضى الله عنه ! إلى بركة السباع ، وتذللها له ، ورجوع زينب عما ادعته من أنها ابنة الحسين بن على بن أبى طالب

---

(١) فى ا « فسرت إلى سامرا » .

(٢) فى ب « المعروفة بسراى غسان » .

Marfat.com

عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها إلى ذلك الوقت ، فى كتابنا «أخبار الزمان» وقيل : إنه مات مسموما ، عليه السلام !

موت محمد ابن عبد الله ابن طاهر

قال المسعودى : وفى سنه ثلاث وخمسين ومائتين ـ وذلك فى خلافة المعتز ـ مات محمد بن عبد الله بن طاهر ، للنصف من ذى القعدة ، بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما ، والقمر مكسوف[1] وكان من الجود والكرم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وملوكية المجالسة ، على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه [فى عصره] وفيه يقول الحسين[2] بن على بن طاهر من قصيدة له :

كسف البدر والأمير جميعاً فانجلى البدرُ والأميرُ عَميدُ
عاود البدر نوره لتجليه ونور الأمير ليس يعودُ
يا كسوفين ليلة الأحد النحس أحَلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد السيف والنار شُبَّ فيها الوقودُ

وذكر أبو العباس المبرد قال : ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما المنادمة ، وقد حضره ابن طالوت ، وكان وزيره وأخَصَّ الناس به ، وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا [اليوم] من ثالث تطيب لنا به المعاشرة ، وتلذ بمنادمته المؤانسة ، فمن ترى أن يكون ؟ وأعِفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق ، قال : وأعملت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ، خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته من مؤونة ، وقد برىء من إبرام المُجَالس ، وخلا من ثقل المؤانس[3] ، خفيف الوطأة إذا أحببت ، سريع الوثبة إذا أردت[4] ، قال : ومن ذلك ؟ قلت : مانى الموسوس ، قال : أحسنت والله فليتقدم إلى أصحاب الثمانية

مانى الموسوس

(١) فى ا « والقمر منكسف » .
(٢) فى ب « الحسن بن على » .
(٣) فى ا « المجالسين . . المؤانسين » .
(٤) فى ا « إذا أمرت » .

Marfat.com

والعشرين الربع فى طلبه يرفعوه رفعة[١] ، فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحبُ الكَرْخِ ، فصار به إلى باب الأمير ، فأخذ وحذف ونظف وأدخل الحمام وألبس ثياباً نظافا وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلامُ يا مانى ، أما آن لك[٢] أن تزورنا على حين تَوَقانٍ منا إليك ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال مانى : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ، ولو سهل لنا فى الإذن لسهلت علينا الزيارة ، فقال : ألطفتَ فى الاستئذان فليلطف لك فى الإذن ، لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ، ثم أذن له فى الجلوس ، فجلس ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم غسل يديه وأخذ مجلسه ، وكان محمد قد تَشوَّقَ إلى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى ، فأحضرت ، فكان أول ماغنت به :

ولَسْتُ بناسٍ إذْ غَدَوْا فتحمَّلوا
دموعى على الأحبابِ من شدَّة الوجدِ

وقولى وقد زالت بليلٍ حُمُولُهم : بواكر نجد لا يكن آخر العهدِ

فقال مانى : أحسنت ، وبحق الأمير إلا ما زدت فيه :

وقمت أناجى الفكر والدمع حائر بمُقْلَة موقوف على الضرِّ والجهد
ولم يعدنى هذا الأمير بغيرة على ظالم قد لج فى الهجر والصد[٣]

فاندفعت تغنيه ، فقال له محمد : أعاشق أنت يامانى ؟ فاستحيا ، وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشىء فيسقط من عينيه ، فقال : مبلغ طرب وشوق كان كامناً فظهر ، وهل بعد الشيب صَبْوَة ؟ ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت :

حَجَبُوهَا عن الرياح لأنى قلت : يا ريحُ بلِّغيها السلاما

(١) كذا فى ا ، وفى ب « الرابع فى طلبه يرفعه رفعة » ، وفى العبارة قلق واضطراب ، ولم نقدم على إصلاحها لعدم ظهور المراد منها لنا .
(٢) فى ا « ألم يأن لك أن تزورنا » .
(٣) فى ا « ولم يعدنى هذا الأمير بعزة » .

Marfat.com

لو رَضُوا بالحجاب هان،ولـكن   منعوها عند الرياح الـكلاما[1]

فغنته ، فطرب محمد ، ودعا برطل فشرب ، فقال مانى : ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه :

فتَنَفَّسْتُ ثم قلت لطَيْفِى :   آه إن زُرْتَ طيفها إلماما
خُصَّهُ بالسلام منى ؛ فأخْشَى   يمنعوها لشقـــوتى أن تناما

لـكان أثقب لزند الصَّبَابة بين الأحشاء ، وأشدَّ تغلغلا إلى الـكبد الصَّدْيا من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظامه ، والانتهاء بالمعنى إلى نهاية تمامه ، فقال محمد : أحسنت يا مانى ، ثم أمر مؤنسة بإلحاقهما بالبيتين الأولين والغناء بهما ، ففعلت ، ثم غنت بهذين البيتين :

يا خليـــلىَّ ساعة لا تريما   وعلى ذى صـــبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب إلا   هَتَكَ الدمعُ سِرَّنَا المـكتوما

فاستحسنه محمد ، فقال مانى : لولا رهبة التعدِّى لأضفْتُ إلى هذين البيتين بيتين لاَ يَرِدَانِ على سمع ذى لب فيصدران إلا عن استحسان لهما ، فقال محمد : يا مانى ، الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلةٌ دون كل رهبة ، فهات ما عندك ، فقال :

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـــر بطَرْفٍ لغادرته هشيماً
وإذا ما تبسَّمَتْ خِلْتُ إيما   ضَ بروقٍ أو لؤلؤاً منظوماً

فقال : أحسنت يا مانى ، فأجز هذا الشعر :

لم تَطِبِ اللذات إلا بمن   طابت بها اللذات مأنوسه
غنت بصوت أطْلَقَتْ عَبْرَةً   كانت بسجن الصبر محبوسه

فقال مانى :

(١) فى ب « منعوها عن الرياح الـكلاما » .

Marfat.com

وكيف صبر النفوس عن غادة   أظلمها إن قلت طاووسه[1]
وجُرْتُ إن سميتها بانة   فى جنة الفردوس مغروسه
وغَيْرُ عَدْلٍ إن عدلنا بها   جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا فى وصفه لها ، فقال مانى :

جَلَّتْ عن الوصف فما فكرة   تلحقهـــا بالنعت محسوسه

فقال محمد : أحسنت ، فقالت مؤنسة : وجب شكرك يا مانى ، فساعدك دهرك ، وعطف عليك إلْفُكَ ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يديم لنا ذلك ببقاء مَنْ به اجتمع شملنا ، فقال لها مانى عند قولها : « وعطف عليك إلفك » مجيباً :

ليس لى إلْفٌ فيعطفنى   فارَقَتْ نفسى الأباطيل
أنا موصول بنعمة من   حَبْلُه بالمجد موصول
أنا مغبوط بنعمة من   طَبْعُه بالخيـــر مأمول

فأومأ إليه ابن طالوت بالقيام ، فنهض وهو يقول :

ملك قلَّ النظير له   زانه الغرُّ البهاليـــل
ظاهرىٌّ فى مواكبه   عُرْفُه فى الناس مبذول
[دَمُ مَنْ يشقى بصارمه   مَعْ هبوب الريح مطلول][2]
يا أبا العباس صُنْ أدبا   حَـدُّه بالدهر مَفْلُول

فقال محمد : وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ، ثم أقبل على ابن طالوت فقال : ليست خساسة المرء ، ولا اتضاع الدهر ، ولا نبوُّ العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الأدب المركب فى الإنسان ، وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول :

---

(١) فى ا « تظلمها إن قلت طاووسه »
(٢) سقط هذا البيت من ا .

Marfat.com

لا يعجبنك من يصون ثيابَهُ خَوْفَ الغبار وعِرْضُه مبذول[١]
فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت : فما رأيت أحْضَرَ ذهنا منه ، إذ تقول الجارية : « عطف عليك إلفك » وإنشاده عند قولها ذلك :

ليس لى إلف فيعطفنى فارقت نفسى الأباطيل

قال : فلم يزل محمد مُجْرِيا عليه رزقَه حتى توفى .

المعتز وولاة العهد — ونمى إلى المعتز أن المؤيد يدبر عليه ، وأنه قد استمال جماعة من الموالى ، فحبس المؤيد وأبا أحمد — وهما لأب وأم — وطولب المؤيد بأن يخلع نفسه من ولاية العهد ، فضُرِبَ أربعين عصا إلى أن أجاب ، وأشهد على نفسه بذلك ، ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الأتراك اجتمع رأيهم على إخراج المؤيد من حبسه ، فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتاً ، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه ، فيقال : إنه أدرج فى لحاف مسموم[٢] وشد طرفاه حتى مات فيه ، وضيق حبس أبى أحمد، فكان بين دخوله سرمن رأى وما لقى بها من الإكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ، ثم أشخص إلى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوماً ، ورتب إسماعيل بن قبيحة[٣] — وهو أخو المعتز لأبيه وأمه — مكان المؤيد فى ولاية العهد ، واجتمع قواد الموالى إلى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبُغا ، فأجابهم إلى ذلك .

حوادث — وفى هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر .

وقد كان يوسف بن إسماعيل العلوى غلب على مكة فمات فى هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف ، وكان أسن منه بعشرين سنة ، فقال الناس

(١) فى ا « حذر الغبار وعرضه مبذول » .
(٢) فى ا « فى لحاف سمور » (٣) فى ب « فتيحة » .

Marfat.com

فى هذه السنة [بسببه] جَهْدٌ شديد ، فبعث المعتز بأبى[1] الساج الأشروسى إلى الحجاز؛ فهرب محمد بن يوسف ، وقتل خلق من أصحابه .

وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسينى[2] بسليمان بن عبد الله بن طاهر ، فأخرجه عن طبرستان .

وفى هذه السنة قدم إلى سامرا عيسى بن الشيخ الشيبانى من مصر ، ومعه مال كثير ، وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبى طالب من ولد على وجعفر وعَقِيل كانوا قد خرجوا من الحجاز خَوْفَ الفتنه والجهد النازل بالحجاز إلى مصر ، فحملوا منها ، فأمر المعتز بتكفيلهم ، والتخلية عنهم ؛ لما وقف عليه من أمرهم .

وولى عيسى ابن الشيخ فلسطين

وفى هذه السنة — وهى سنة ثلاث وخمسين ومائتين — مات صفوان العقيلى صاحب ديار مُضَرَ[3] فى حبس سامرا .

وفى هذه السنة [كان] قتل أهل كَرْخِ سامرا من الفراغنة والأتراك لوصيف التركى ، وتخلّص بُغَا منهم ، واشتد أمر مساور الشارى[4] ، ورتب صالح بن وصيف [فى] موضع وصيف .

وفى سنة أربع وخمسين ومائتين خرج من سامرا إلى ناحية الموصل ، فانتهبت الموالى داره ، وانفضّ من كان معه من الجيش ، وانحدر فى زَوْرَق [متنكراً] فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا ، فقتل ونصب رأسه بسامرا ، وهو بُغَا الصغير ، ثم أخذ الرأس[5] إلى مدينة السلام فنصب على الجسر. موت بغا الصغير

وكان المعتز فى حياة بُغَا لا يلتذّ بالنوم، ولا يخلع سلاحه ،لا فى ليل ولا فى نهار ، خوفاً من بُغَا ، وقال : لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسى أو رأسه لى ، وكان يقول : إنى لأخاف أن ينزل علىّ بُغَا من السماء أو يخرج علىّ من الأرض ، وقد كان بُغَا عزم على أن ينحدر سراً فيصل إلى

(١) فى ب « بابن الساج » (٢) فى ا « الحسنى » (٣) فى ب « ديار مصر »
(٤) فى ب « أمر شاور الشارى » (٥) فى ا « ثم أحدر الرأس »

Marfat.com

سامرا فى الليل ، ويصرف الأتراك عن المعتز ، ويفيض فيهم الأموال ، فكان من أمره ما وصفنا .

الأتراك والمعتز

ولما رأى الأتراك إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وإعماله الحيلة فى فنائهم ، وأنه قد اصطنع المغاربة والفراغنة[1] دونهم صاروا إليه بأجمعهم ، وذلك لأربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وجعلوا يقرعونه بذنوبه ، ويوبخونه على أفعاله ، وطالبوه بالأموال ، وكان المدبر لذلك صالح ابن وصيف مع قوّاد الأتراك ، فلجّ وأنكر أن يكون قبله شىء من المال، فلما حصل[2] المعتز فى أيديهم بعث إلى مدينة السلام فى محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى ، وقد كان المعتز نفاه إليها واعتقله فيها ، فأتى به فى يوم وليلة إلى سامرا ، فتلقّاه الأولياء فى الطريق ، ودخل إلى الجوسق ، وأجاب المعتز إلى الخلع ، على أن يعطوه الأمان أن لا يُقْتَلَ وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده ، وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه ، فأتى بالمعتز وعليه قميص مدنّس وعلى رأسه منديل ، فلما رآه محمد بن الواثق وَثَبَ إليه فعانقه ، وجلسا جميعاً على السرير، فقال له محمد بن الواثق : يا أخى ، ماهذا الأمر ؟ قال المعتز : أمر لا أطيقه ، ولا أقوم به، ولا أصْلُحُ له ، فأراد المهتدى أن يتوسَّطَ أمره ، ويصلح الحال بينه وبين الأتراك ، فقال المعتز : لا حاجة لى فيها ، ولا يَرْضَوْنَنِي لها ، قال المهتدى : فأنا فى حِلٍّ من بيعتك ، قال : أنت فى حل وَسَعَة ، فلما جعله فى حل من بيعته حَوَّلَ وجهه عنه ، فأقيم عن حضرته ، ورُدَّ إلى محبسه ، فقُتِلَ فى محبسه بعد أن خلع بستة أيام ، على ماقدمنا فى صدر هذا الباب .

وقد قالت الشعراء فى خلع المعتز وقتله فأكثرت ، ورثته فأحسنت ، فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له :

(١) فى ب « والفراعنة » (٢) فى ا « فلما حصر المعتز فى أيديهم » .

Marfat.com

عَيْنُ لا تبخلي بسفح الدموع ... واندبي خــير فاجع مفجوع
خانه الناصح الشفيق ونالتـــه أكُفُّ الردى بحَتْفٍ سريع
بَكَرَ الترك ناقمين عليه ... خالعيه ، أفديه من مخلوع
قتلُوهُ ظلما وجـــوراً فألفو ... ه كريم الأخلاق غير جَزُوع
كان يغشى بحسنه بهجة البد ... ر فتاماه مُظهِرًا للخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشـــرق إمَّا رأته وقت الطلوع
لم يهابوا جيشا ، ولا رهبوا السيـــف ، فَلَهْفي على القتيل الخليع
أصبح الترك مالكى الأمر والعا ... لم ما بين سامع ومطيع
وترى الله فيهمُ مالك الأمـــر سيخزيهمُ بقتـــل ذريع(١)

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة :

أصْبَحَتْ مقلتي بدَمْع سفوحا ... حين قالوا : أضحى الإمام ذبيحا
قتلوه ظلما وجـــورا وغدرا ... حين أهْدَوْا إليه حتفا مُرِيحا
نَضَّرَ الله ذلك الوجه وجها ... وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـــر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدُّوا لسيف عاقبة الأمـــر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضاً :

أصبحت مقلتي تَسُحُّ الدموعا ... إذ رأت ســيد الأنام خليعا
لهف نفسي عليه ، ما كان أعلا ... ه وأسْرَاه تابعـــا متبوعا(٢)
ألزموه ذَنْباً على غــير جرم ... فثوى فيهم قتيـــلا صريعا
وبنو عمـــه وعَمٌّ أبيه ... أظهروا ذلة ، وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصحُّ مُلكٌ ، ولا يغـــزى عدو ، ولا يكون جميعا

---

(١) فى ا « سيجزيهم بقتل ذريع » .
(٢) فى ب « ما كاد أعلاه وأسراه » .

Marfat.com

المعتز أول من ركب بحلية الذهب

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب ، وكان مَنْ سلف قبله من خلفاء بنى العباس ـ وكذلك جماعة من بنى أمية ـ يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمَناطق وأنجاد[1] السيوف والسُّروج واللُّجُم ،فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس فى فعل ذلك .

المستعين أول من وسع الأكمام

وكذلك المستعين قبله أحْدَثَ لبس الأكمام الواسعة ، ولم يكن يعهد ذلك ، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك ، وصَغَّر القلانس ، وكانت قبل ذلك طوالا كأقْباع القضاة .

على بن زيد وعيسى بن جعفر العلويان

وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى بن جعفر العلوى ، فسرح إليهما المعتز سعيدبن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم ، فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ! وما نال أهْلَ المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق ، وما كان من أمر أخيه بعد وفاته ، وهو محمد ابن يوسف ، مع أبى الساج وحربه إياه ، ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار إلى اليمامة والبحرين ، فغلب عليها ، وخلفه بها عقبه المعروف ببنى الأخضر إلى اليوم ، وقد كان ظَهَرَ بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

بعض الطالبيين الذين نالهم مكروه

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى كتابنا «أخبار الزمان» سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ، ومن مات منهم فى الحبس وبالسم ، وغير ذلك من أنواع القتل : منهم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ، وهو أبو هاشم ،

(١) فى ب « واتخاذ السيوف » .

Marfat.com

سقاه عبد الملك بن مروان السم ، ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، حمله سعيد الحاجب من البصرة ، فحبس حتى مات ، وكان معه ابنه على ، فلما مات الأب خُلِّىَ عنه ، وذلك فى أيام المستعين، وقيل غير ذلك ، وجعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ، قتله ابن الأغلب بأرض المغرب ، والحسن بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، قتله العباس بمكة ، وحمل فى أيام المعتز من الرى على بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات فى حبسه ، وحَمَلَ سعيدٌ الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وكان من النسك والزهد فى نهاية الوصف ، وكان معه إدريس بن موسى ، فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق[1] اجتمع خلق من العرب من بنى فزارة وغيرهم لأخذ موسى من يده ، فَسَمَّه فمات هنالك ، وَخَلَّصَت بنو فزارة ابنه إدريس بن موسى .

وفى خلافة المعتز فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بُدُوُّ الفتنة بين البلالية[2] والسعدية بالبصرة ، وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج .

وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وبالله التوفيق .

---

(١) فى ا « من جادة العراق » .
(٢) فى ب « اللالية » .

Marfat.com

ذكر خلافة المهتدى بالله

وبويع المهتدى محمد بن هارون الواثق قبل الظهر من يوم الأربعاء ، لليلة بَقِيَتْ من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ، ويكنى بأبى عبد الله ، وله يومئذٍ سبع وثلاثون سنة ، وقيل : تسع وثلاثون سنة ، وإنه قتل ولم يستكمل الأربعين سنة فى سنة ست وخمسين ومائتين ، فكانت ولايته أحد عشر شهراً ، ودُفن بسامرا ، وقيل : إن مولده كان فى سنة ثمانى عشرة ومائتين . موجز

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه

واستوزر المهتدى بالله جماعة — على قصر مدته — فسلموا منه من قتل وغيره، منهم عيسى بن فَرّخانشاه .

قبة المظالم وشىء من سيرته

وبنى المهتدى قبة لها أربعة أبواب ، وسماها قبة المظالم ، وجلس فيها للعام والخاص للمظالم، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وحرّم الشراب ،ونهى عن القيان ، وأظهر العدل ، وكان يحضر كل جمعة [1] إلى المسجد الجامع ، ويخطب الناس ويؤم بهم ، فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على الطريق [2] الواضحة ، فاستطالوا خلافته، وسئموا أيامه ،وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه ، وذلك أن موسى بن بُغَا الكبير كان عاملا غائباً بالرى مشتغلا بحرب آل أبى طالب كالحسن بن زيد الحسنى ، وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم إياها عَنْوَة وقتلهم أهْلَهَا ، فلما نمى إلى موسى بن بغا قتل المعتز ، وما كان من أمر صالح بن وصيف والأتراك فى ذلك قَفَلَ من تلك [3] الديار متوجهاً إلى سامرا ، منكراً لما جرى على المعتز .

الخلاف فى مقتل المعتز

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى [ذكر] أخبار المعتز قَتْلَ المعتز مجملا ولم نبين كيفية قتله ، وتنازع الناس فى ذلك مفصلا ، ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية بأخبار الدول قد تباينوا فى مقتله : فمنهم من ذكر أن المعتز مات فى حَبْسه فى خلافة المهتدى بالله على ما قدمنا من التاريخ حتفَ أنفه ، ومنهم من ذكر أنه منع فى حبسه [من] الطعام والشراب فمات

---

(١) فى ا « كل جماعة» عرفا . (٢) فى ا « إلى الطريق » .
(٣) فى ا « قفل عن تلك الديار » .

Marfat.com

عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب[١] ، ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى ، فمن أجل ذلك حين أخرج إلى الناس وجدوا جوفه وارماً ، والأشهَرُ فى الأخباريين ممن عنى[٢] بأخبار العباسيين أنه أدخل حماماً وأكره فى دخوله إياه ، وكان الحمام محمّيًا ومنع الخروج منه ، ثم تنازع هؤلاء : فمنهم من قال إنه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ، ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ، ثم أُسْقِى شربة ماء مقرورة بثلج[٣] ، فنثرت الكبد وغيره[٤] ، فخمد من فوره ، وذلك ليومين خَلَوَا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقد أتينا على مبسوط هذه الأخبار [وتنازعهم فى هذه الآثار] فى كتابنا « أخبار الزمان » .

بين المهتدى وموسى بن بغا

ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بُغَا إلى دار الخلافة أنكر ذلك ، وكاتَبَه بالمقام فى موضعه ، وأن لا يحل عن مركزه للحاجة إليه ، فأبى موسى بن بُغَا إلا إغذاذ المسير والسرعة فيه ، حتى وافى سامرا ، وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين ، وصالح بن وصيف يدبر الأمر مع المهتدى ، فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها : يا فرعون ، قد جاء موسى ، وكان صالح بن وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بموافاة موسى ، وقال : إن المهتدى راسَلَ موسى فى السر فى المسير إلى سامرا ، والشخوص إليها ، وكاتبه فى ظاهر الأمر وراسله أن لا يقدم ، وكان رجل من قواد الأتراك يقال له بايكيال قد غلب على الأمر أيضاً ، وترأس ، فدخل موسى سامرا حتى انتهى إلى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم ، والدار غاصّة بخواص الناس وعوامهم ، فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار ، وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف ، فضجّتْ العامة ، فقام المهتدى منكراً عليهم فعلَهُمْ بمن فى الدار ، فلم يرجعوا عما هم عليه فتنحّى مُغْضَبا ، فقدم إليه

---

(١) فى ا « من المآكل والمشارب » (٢) فى ا « فى الأخبار بين من عنى »
(٣) فى ب « مقراة بثلج » (٤) فى ا « فنثرت كبده وأمعاءه »

Marfat.com

فرس[فركب] وقد استشعر منهم الغَدْرَ، فمضى به إلى دار يارجوج[١] ، وقد كان موسى بن بُغَا انصرف عن دار المهتدى لما نظر إلى ضَجَّة العامة فيها ، فنزل تلك الدار ، فسير بالمهتدى إليها ، فأقام فيها ثلاثاً عند موسى بن بُغَا [فأخذ عليه موسى العهود والمواثيق ألا يغدر به ، وكان أكثر الجيش مع موسى بن بُغَا] وكان فيه ديانة وتقشف ، حتى إن الجند تَأَسَّوْا به ، ولم يكن يشرب النبيذ ، وكان المهتدى فى أخلاقه شَرَاسة ، فنافر موسى ، وكاد الأمر أن ينفرج ، والحال أن يتسع[٢] ، غير أن موسى تعطف عليه ، وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف ، وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه ، فبثّ فى طلبه العيون ، حتى وقع عليه ، [فلما علم صالح هجومهم عليه] قاتل ومانع عن نفسه، فقتل واحتز رأسه وأتى به إلى موسى بن بُغَا ، ومنهم من رأى أنه أحمى له حمام وأدخل إليه فمات فيه ، على حسب ما فعل بالمعتز .

مقتل المهتدى

وقوى أمر مُسَاور الشارى[٣] ، ودنا فى عسكره من سامرا ، وعمَّ الناسَ بالأذى ، وانقطعت السابلة ، وظهرت الأعراب ، فأخرج المهتدى بالله موسى ابن بُغَا وبايكيال إلى حرب الشارى ، وخرج معهما فشيعهما ، ثم قفَلَا من غير أن يلقيا شَرًّا ، فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال ، [وقد قيل : إن بايكيال أقرأ موسى كتاباً للمهتدى بقتل موسى وَالفَتْك به ، وإنه كتب إلى موسى بمثل ذلك ، وإنهما علما بتضريب الأمر بينهما ، فرجَعَا عما خرجا إليه ، وأشرف بايكيال على المهتدى] فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدى ، فكانت بين المهتدى وبين بايكيال حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس، وانكشف بايكيال، واستظهر المهتدى عليه ، فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه يارجوج[١] التركى فولّى المهتدى وأصحابه ، ودخل سامرا مستغيثاً بالعامة مستنصراً بالناس يصيح فى الأسواق فلا مغيث ، وقدامه أناس من الأنصار ، فمضى مؤيساً من النصر إلى دار

(١) فى ب « مارجوج » (٢) فى ا « أن يتسع » .
(٣) فى ب « شاور الشارى » وانظر ص ١٧٧ .

Marfat.com

ابن خيعونة بسامرا مختفياً ، فهجموا عليه وعزلوه ، وحملوه منها إلى دار يارجوج[١]، وقيل له : أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها ؟ فقال : أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين ، فقيل له : [إن] الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم ، وأنت إنما رجالك [ما بين] تركى وخَزَرِى[١] [وفرغانى] ومغربى وغير ذلك من أنواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم ، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا ، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة ؟ فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة فى هذا المعنى وأشباهه ، ثم انقادوا إليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك ، فلما كاد الأمر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب ـ وقيل : غيره ـ وقال : هذا سوء رأى منكم ، وخطأ فى تدبيركم ، إن أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا ، قال : وسيأتى عليكم جميعاً ، ويفرق جمعكم ، فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاءوه بالخناجر ، فكان أول من جرحه ابن عم لبا يكيال ، جرحه بخنجر فى أوداجه ، وانكبَّ عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه ، وأقبل يمصُّ الدم حتى روى منه ، والتركى سكران ، فلما روى من دم المهتدى قام قائماًوقد مات المهتدى، فقال: يا أصحابنا قد رَوِيتُ من دم المهتدى كما رَوِيتُ فى هذا اليوم من الخمر.

وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدى ، والأشْهَرُ ما ذكرناه من قتله بالخناجر، ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ، ومنهم من رأى أنه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحِبال إلى أن مات ، وقيل : قتل خنقاً، وقيل : كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات .

فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه ، وندموا على ما كان منهم من قتله ؛ لما تبينوا من نسكه وزهده ، وقيل : إن ذلك كان يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان موسى ابن بُغا ويارجوج[٢] التركى غير داخلين فى فعل الأتراك .

(١) فى ب « وجزرى » . (٢) فى ب « مارجوج »

Marfat.com

سبب حنق الأتراك

وكان حَنَقُ الأتراك على المهتدى بسبب قتله بايكيال ، وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدى فضرب عنقه ، ورمى به إلى أصحابه ، ومنهم من رأى أنه قتل فى الحرب المتقدم ذكرها فى الموضع المعروف بجسر سامرا .

قتله لكاتبين

وقد كان المهتدى لما أفضَتِ الخلافة إليه أخرج أحمد بن إسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب إلى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان ، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط ، فماتا ، وذلك لأمور كانت منهما استحقا عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك .

وقتل المهتدى وله من الولد سبعة عشر ذكراً وست بنات .

ابن المدبر

وقد كان المهتدى وَلّى أحمد بن المدبر خَرَاجَ فلسطين ، وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا ، وأخبار ابن المدبر لما وصل إلى فلسطين وما حمل إلى سامرا ، وقيل : إن المعتز بالله كان أخرجه إلى الشام ، ولأحمد بن المدبر أخبار حسان ، ولإبراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره .

مع طفيلى

قال المسعودى : فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دَوَّنَهَا الناسُ فى أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ، ولا ينبسط إلى سواهم ، قد اصطفاهم لعشرته ، وأخذهم لمنادمته ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره ، وكان طفيلى يعرف بابن دَرَّاج من أكمل الناس أدباً ، وأخفهم روحا ، وأشدهم فى كل مليحة افتتانا ، فلم يزل يحتال إلى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء ، فتزيَّا فى زى ندمائه ، ودخل فى جملتهم ، وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ، ولم ينكر شيئاً من حاله ، وخرج أحمد بن المدبر فنظر إليه بين القوم ، فقال لحاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل فقل له : ألك حاجة ؟ فسقط فى يدِ الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدبر لا يرضى فى عقوبته إلا بقتله

Marfat.com

فمر وهو يجرُّ برجليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة؟ فقال : قل له لا ، فقال له : ارجع إليه فقل له : ماجُلُوسُكَ؟ فقال: الساعة جلسنا يابغيض ، فقال : ارجع إليه فقل له : أى شىء أنت ؟ فقال : قل له طفيلى يرحمك الله ، فقال له ابن المدبر : أنت طفيلى ؟ قال: نعم أعزك الله ، قال : إن الطفيلى يُحتَمل على دخوله بيوتَ الناسِ وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لخصال : منها أن يكون لاعباً بالشطرنج أو بالنرد، أو ضاربًا بالعود أو الطنبور ، فقال : أيدك الله أنا أحسن هذه الأشياء كلها ، قال: وفى أى وظيفة أنت[1] منها؟ قال : فى العُلْيَا من جميعها ، قال لبعض ندمائه : لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلى : أصلح الله الأستاذ فإن قُمِرْتُ ؟ قال : أخرجناك من ديارنا ، قال: فإن قَمَرْتُ؟ قال : أعطيناك ألف درهم ، قال : فإن رأيت أيدك الله أن تحضر الألف درهم[2] فإن فى حضورها قوة للنفس والإيقان بالظَّفَرِ، فأحضرت فلعبا فغلب الطفيلى ومد يده ليأخذ الدراهم، فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ما وقع فيه : أعزك الله إنه زعم أنه فى الطبقة العليا، وابن فلان غلامُك يغلبه، فأحضر الغلام ، فغلب الطفيلى ، فقال له : انصرف ، فقال : أحضروا النرد ، فأحضرت فلوعب فَغَلَبَ ، فقال الحاجب : ولا هذا ياسيدى فى الطبقة العليا من النرد ، ولكن بوابنا فلان يغلبه ، فأحضر البواب ، فغلب الطفيلى، فقال له: اخرج ، فقال : ياسيدى فالعود ، فأتى بالعود ، فضرب فأصاب، وغنى فأطرب، فقال الحاجب : ياسيدى فى جوارنا شيخٌ هاشمى يُعَلِّمُ القيان أحْذَقُ منه ، فأحضر الشيخ فكان أطرب منه ، فقال له : اخرج ، فقال : فالطنبور ، فأعطى طنبوراً فضرب ضربًا لم ير الناس أحسن منه ، وغنى غناء فى النهاية ، فقال

(١) فى ا « وفى اى طبقة أنت منها » .

(٢) الوجه فى العربية أن يقال «ألف الدرهم » وأقل منه أن يقال « الألف الدرهم » فأما « الألف درهم » فلا يجيزه أحد .

Marfat.com

الحاجب : أعز الله الأستاذ ، فلان المحتكر في جوارنا أحذَقُ منه ، فأحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب ، فقال له ابن المدبر : قدتقصينا لك بكل جهد فأبت حرفتك إلا طردك من منزلنا ، فقال : يا سيدى بقيت معى بابة حسنة ، قال : ما هى ؟ قال : تأمر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره بهن [جميعاً] وإن أخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتى ، فضج الحاجب من ذلك ، ووجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له على ما فَرَّطَ منه فى إدخال الطفيلى إلى مجلسه ، فأمر بإكافين فأحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشُدَّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق فدفع إلى الطفيلى ، فرمى به فما أخطأه ، وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به ، فقال له الطفيلى : أعلى باب الأستاذ من يحسن مثل هذا ؟ فقال : يا قرْنَان ما دام البرجاس استى فلا !

وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر بنان[1] الطفيلى مع المتوكل فى اللوزينج، وما ابتدأ من العدد من الواحد إلى ما فوقه من القران ، ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، على الشرح والتمام والكمال ، وإنما نورد فى هذا الكتاب لمعاً مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا فى هذا المعنى .

سيرة المهتدى

وقد كان المهتدى بالله ذهب فى أمره إلى القصد والدين ،فقرَّبَ العلماء ، ورفع من منازل الفقهاء،وعمهم ببِرِّه ، وكان يقول : يا بنى هاشم ، دعونى حتى أسلك مسلك عمر بن عبدالعزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبدالعزيز فى بنى أمية ، وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب ، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم ، وعمد إلى الصور

(١) فى ب « ساسان الطفيلى » .

Marfat.com

التى كانت فى المجالس فمحيت ، وذَبَحَ الكباش التى كان يُنَاطَحُ بها بين يدى الخلفاء والديوك ، وقتل السباع المحبوسة ، ورفع بُسُط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة بإباحته ، وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها فى كل يوم عشرة آلاف درهم ، فأزال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه فى كل يوم نحو مائة درهم ، وكان يواصل الصيام .

وقيل : إنه لما قتل استخرج رحله من الموضع الذى كان يأوى إليه ، وأصيب له سفط مقفل ، فتوهموا أن فيه مالا أو جوهراً ، فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل ، وقيل : جبة شعر ، فسألوا من كان يخدمه فقال : كان إذا جَنَّ الليل لبسها ، وغلَّ نفسه ، وكان يركع ويسجد إلى أن يدركه الصباح ، وإنه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم ، وإنه سمعه بعض من كان يأنس إليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من إفطاره وهو يقول : اللهم إنه قد صَحَّ عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله : دعوة الإمام العادل ، وقد أجهدت نفسى فى العدل على رعيتى ، ودعوة المظلوم ، وأنا مظلوم ، ودعوة الصائم حتى يفطر ، وأنا صائم ، وجعل يدعو عليهم وأن يُكفى شرهم .

وذكر صالح بن على الهاشمى قال : حضرت يوماً من الأيام جلوس المهتدى للمظالم ، فرأيت من سهولة الوصول إليه ونفوذ الكُتب عنه إلى النواحى فيما يتظلم به إليه ما استحسنته ، فأقبلت أرْمُقُهُ ببصرى إذا نظر فى القصص ، فإذا رفع طرفه إلىَّ أطرقتُ ، فكأنه علم ما فى نفسى ، فقال لى : يا صالح ، أحْسَبُ أن فى نفسك شيئاً تحب أن تذكره ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمسك ، فلما فرغ من جلوسه أمرنى أن لا أبرح ونهض فجلَسْت جلوساً طويلا ، ثم دعانى فدخلت إليه وهو على حصير الصلاة ، فقال لى : يا صالح ، أتحدثنى بما فى نفسك أو أحدثك به ؟ قلت : بل هو من أمير المؤمنين أحسن ، فقال : كأنى بك قد استحسنت ما رأيت من

Marfat.com

طرف من القول بخلق القرآن

مجلسنا ، فقلتَ : أى خليفة إن لم يكن يقول بخلق القرآن ، فقلت : نعم ، فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذَنَة من الثغر الشامى مقيد طُوَال ، حسن الهيئة ، فسلم عليه غير هائب ، ودعا فأوجز ، فرأيت الحياء منه فى حماليق عين الواثق والرحمة له ، فقال له : ياشيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد فيما يسألك عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد يقلُّ ويضعف عن المناظرة ، فرأيت الواثق قد صار فى مكان الرقة وارحمة له غضباً ، فقال له : أبو عبد الله يضعف عن المناظرة ؟ فقال له : هَوِّنْ عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن فى كلامه ؟ فقال له الواثق : قد أذنت لك ، فأقبل الشيخ على أحمد فقال له : يا أحمد ماذا دعوت الناس إليه ؟ فقال: إلى القول بخلق القرآن، فقال الشيخ: مقالتك هذه التى دَعَوْتَ الناس إليها من القول بخلق القرآن ، داخلة فى الدين فلا يكون الدين تاماً إلا بالقول بها ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناسَ إليها أو تركهم ؟ قال : تركهم ، قال : فعلمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أو لم يَعْلَمْهَا ؟ قال : علمها ، قال : فلم دعوت الناس إلى ما لم يَدْعُهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَرَكَهم منه؟ فأمسك أحمد ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، هذه واحدة ، ثم قال له بعد ساعة : يا أحمد ، قال الله فى كتابه العزيز : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فقلت أنت : لا يكون الدين تاماً إلا بمقالتكم بخلق القرآن ، فالله أصدق فى إكماله وإتمامه أو أنت فى نقصانك ؟ فأمسك ، قال الشيخ : يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ، ثم قال له بعد ساعة : أخبرنى يا أحمد عن قول الله عز وجل فى كتابه: (يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك — الآية) فمقالتك هذه التى دعوت الناسَ إليها مما بَلَّغه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أم لا ؟ فأمسك، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، وهذه ثالثة ، ثم قال بعد ساعة : أخبرنى

Marfat.com

يا أحمد لما[1] علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التى دعوت الناس إليها وإلى القول بها من خلق القرآن أوَسِعَهُ أن أمْسَكَ عنهم أم لا ؟ قال أحمد : بل اتسع له ذلك ، فقال : وكذلك لأبى بكر وعمر ، وكذلك لعثمان ، وكذلك لعلى ، رضى الله عنهم ! قال : نعم ، فصرف وجهه إلى الواثق وقال : يا أمير المؤمنين ، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فلا وَسَّع الله علينا ، فقال الواثق : نعم لا وَسَّعَ لله علينا إن لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ، ثم قال الواثق : اقطعوا قيده ، فلما فكوا قيده [عنه] جاذب عليه ، فقال الواثق : دعوه ، ثم قال للشيخ : لم جاذبت عليه ؟ قال : لأنى عقدت فى نيتى أن أجاذب عليه ، فإذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفنى وبدنى حتى أقول : يا رب ، سَلْ عبدك هذا لم قَيَّدَنِى ظلما وأراع فىَّ أهلى[2] ، فبكى الواثق ، وبكى الشيخ وكل من حضر ، ثم قال له الواثق : يا شيخ ، اجعلنى فى حِلٍّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خرجت من منزلى حتى جعلتك فى حل إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم [و] لقرابتك منه ، فتهلَّلَ وجه الواثق وسره ، ثم قال له : أقم عندى آنس بك ، فقال : مكانى فى ذلك الثغر أنفع ، أنا شيخ كبير ، ولى حاجة ، قال : سَلْ ما بدالك ، قال : يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع إلى الموضع الذى أخرجَنِى منه هذا الظالم ، قال : قد أذنت لك ، وأمر له بجائزة ، فلم يقبلها ، فرجعت من ذلك الوقت [عن تلك المقالة] . وأحسب أن الواثق رَجَعَ عنها .

قال : وعرض على المهتدى يوماً دفاتر خزائن الكتب ، فإذا على ظهر كتاب منها هذه الأبيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه ، وهى :

---

(١) فى ب « ماعلم رسول الله — إلخ » .

(٢) فى ا « واروع فى أهلى » .

Marfat.com

إنى عرفت علاج الطب من وَجَعِى ... وما عرفت علاج الحُبِّ والخدع
جزعت للحب ، والحمَّى صبرت لها ... إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى
مَنْ كان يشغله عن إلفِه وجع ... فليس يشغلنى عن حُبِّكم وجعى
وما أَمَلُّ حبيبى ، ليتنى أبدا ... مع الحبيب ، وَيَا لَيْتَ الحبيب معى

فقطَّبَ وجه المهتدى بالله، وقال: حَدَث وسلطان الشباب، وكان المهتدى كثيراً ما ينشد البيت الأول من هذا الشعر

خبر نوف عن على بن أبى طالب

وذكر محمد بن على الربعى ـ وكان ممن يكثر ملازمة المهتدى [وكان حسن المجلس ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ـ قال : كنت أبَايتُ فى الليالى المهتدى] فقال لى ذات ليلة : أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن علىّ بن أبى طالب حين كان يُبَايته(١) ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر نوف قال : رأيت عليًا رضى الله عنه [ليلة] قد أكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء ، ثم قال لى : يا نوف ، أنائم أنت ؟ قال : قلت : بل رامِقٌ [أرمق] بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين ، فقال لى : يا نوف ، طوبى للزاهدين فى الدنيا ، الراغبين فى الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً ، وترابها ثياباً(٢) ، وماءها طِيباً ، والكتاب شعاراً ، والدعاء دثاراً ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، يا نوف ، إن الله تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أنْ قُلْ لبنى إسرائيل ألاَّ يدخلوا(٣) إلىَّ إلا بقلوب وَجِلَة(٤) ، وأبصار خاشعة ، وأكف نقية ، وَأَعْلِمْهُمْ أنى لا أجيب لأحد منهم دعوة ولا لأحدٍ من خلقى قِبَلَهم مَظْلمة. قال محمد بن على الربعى : فوالله لقد كتب المهتدى [هذا] الخبر بخطه ، وقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان لخلوته وهو يبكى ويقول : يا نوف ، طوبى

(١) فى ب « حين كان يأتيه » (٢) فى ا « وترابها سباتا »
(٣) فى ا « ألا يدخلوا بيوتى إلا ـ إلخ» (٤) فى ا « بقلوب خاضعة »

Marfat.com

للزاهدين فى الدنيا ، الراغبين فى الآخرة ، ويمرُّ فى الخبر إلى آخره ، إلى أن كان من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إياه .

علة حب الدنيا

قال محمد بن على : قلت للمهتدى ذات يوم ـ وقد خَلَوْت به ، وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومَنْ رَغِبَ فيها(١) ، ومن انحرف عنها [وزهد فيها] ـ : يا أمير المؤمنين ، ما للإنسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها لطلابها يحبها ويأنس إليها ؟ قال المهتدى : حُقَّ ذلك له ، منها خُلق فهى أمه ، وفيها نشأ فهى عَيْشُه ، ومنها قدر رزقه فهى حياته ، وفيها يعاد فهى كِفَاتُه ، وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته ، والدنيا ممرُّ الصالحين إلى الجنة ، فكيف لا يحب طريقاً تأخذ بسالكها إلى الجنة فى نعيم مقيم(٢) خالداً [مخلداً] إن كان من أهلها ؟ !

وقيل : إن هذا الكلام فى جواب على بن الحسن(٣) بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، [و] أجاب به سائلا سأله عن ذلك ، وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، حين مدح الدنيا وذمَّ الذامَّ لها ، على حسب ما قدَّمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب ذكر زهده وأخباره .

خروج صاحب الزنج بالبصرة

قال المسعودى : وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى ، وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان يزعم أنه على بن [محمد بن] أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسن(٣) بن على بن أبى طالب ، وأكْثَرُ الناس يقول : إنه دَعِيُّ آل أبى طالب [ينكرونه] وكان من أهل قرية من أعمال الرىّ يقال لها ورزنين(٤) ، وظهر من فعله ما دلَّ على تصديق ما رُمى به [من] أنه كان يرى رأى الأزارقة من الخوارج ؛ لأن أفعاله فى قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك

(١) فى ا « ومن مال إليها »
(٢) فى ا « فى نعيم لا يزول »
(٣) فى ا « على بن الحسين »
(٤) فى ب « وزيق »

Marfat.com

عليه ، وله خطبة يقول فى أولها : الله أكبر الله أكبر ، لا إلهَ إلا الله والله أكبر ، ألا لا حكم إلا لله ، وكان يرى الذنوب كلها شِرْكاً ، وكان أنصاره الزنج ، وكان ظهوره ببئر نخل[1] بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بَقِينَ من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين [وغلب على البصرة فى سنة سبع وخمسين ومائتين] ، وقتل ليلة السبت لليلتين خَلَتَا من صفر سنة سبعين ومائتين ، وذلك فى خلافة المعتمد على الله ، وقد صنف الناسُ فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتباً كثيرة ، وكان أولَ من صنف أخباره وما كان من بَدْء أمره ووقوعه إلى بلاد البحرين ، وما كان من خبره مع الأعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن [أخى] ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المأمون ، وهو الرجل الذى كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس ، وما كان من أمره إلى أن جعله كَدَجَاج على النار وجِلْدُهُ ينتفخ ويتفرقع[2] .

وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم ، وقد أتينا على جميع خبره وَبَدْء خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته ، وسنورد فى هذا الكتاب فى الموضع المستحق له لمعاً من ذكره ، وما كان من أمره فى مقتله .

عمرو بن بحر الجاحظ

قال المسعودى : وفى هذه السنة [وهى] سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل : سنة ست وخمسين ومائتين ، كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ، ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه ، مع قوله بالعثمانية ، وقد كان أبو الحسن المدائنى كثير الكتب ، إلا أن أبا الحسن المدائنى كان يؤدِّى ما سمع ، وكتب الجاحظ — مع انحرافه المشهور — تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحْسَنَ نظم ، ووصفها أحسن وصف ، وكساها من كلامه أجْزَلَ لفظ ، وكان إذا

(١) فى ب « بيرغيل » (٢) فى ا « ويتفرقع »

Marfat.com

تخوّفَ مَلَلَ القارىء وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة ، وله كتب حسان : منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغُرَر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب ، ما لو اقتصر عليه مقتصر [عليه] لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين ، وكتاب البخلاء ، وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مما لم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق ، ولا يُعْلَم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفْصَح منه ، وكان غُلَامَ إبراهيم ابن سَيَّار[1] النَّظام ، وعنه أخذ ، ومنه تَعَلَّم .

وحدث يموت بن المزرع — وكان الجاحظ خاله — قال : دخل إلى خالى أناسٌ من البصرة من أصدقائه فى العلة التى مات فيها ، فسألوه عن حاله ، فقال: عايل من مكانين : من الأسقام ، وَالدَّيْنِ، ثم قال : أنا فى هذه العلة المتناقضة التى يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة ، يعنى عمره .

قال يموت بن المزرع : وكان يَطْلِى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قُرِض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده .

قال ابن المزرع : وسمعته يقول : رأيت [بالبصرة] رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس ، فقلت له : قد أتعبت بذلك بدنك ، وأخلقت ثيابك ، وأعجفتَ بِرْذَوْنك ، وقتلت غلامك ، فما لك راحة ولا قَرَار ، فلو اقتصدت بعض الاقتصاد ، قال : سمعت تغريد الأطيار [فى الأسحار ، فى أعالى الأشجار ، وسمعت محسنات القيان على الأوتار] فما طربت طربى لنغمة شاكر أوليتُه معروفاً أو سعيت له فى حاجة .

يموت ابن المزرع

وكان يموت لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ، وله أخبار حسان ، وأشعار جياد ، وقد كان سكن طبرية من بلاد الأردن من الشام فمات بها ، وذلك بعد الثلثمائة ، وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل ، وله ولد يقال له

(١) فى ب « إبراهيم بن يسار » وكلمة « النظام » لاتوجد فى ا .

Marfat.com

مهلهل بن يموت بن المزرع ، وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت ، وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع :

مهلهل قد حَلَبْتُ شُطُورَ دهر فكافحنى بها الزَّمَنُ العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع فأذعن لى الحثالة والرتوت[1]
فأوجع ما أجِنُّ عليه قلبى كَرِيمٌ عَضَّه زمن عتوت
كفى حزناً بِضَيْعَة ذى قديم وأبناء العبيد لها التخوت[2]
وقد أسْهَرْتُ عينى بعد غَمْضٍ مَخافَةَ أن تَضِيعَ إذا فَنِيتُ
وفى لطف المهيمن لى عَـزَاء بمثلك إن فنيت وإن بقيتُ
وإن يشتد عظمك بعد موتى فلا تقطعك جائحة سنوت[3]
وقل : بالعلم كان أبى جَوَاداً يقال: ومن أبوك ؟ فقل : يموت
تُقِرَّ لك الأباعد والأدانى بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدى أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، والله ولى التوفيق .

---

(١) صدر هذا البيت فى ا « وحاربت الرجال » وعجزه فى ب « فادعت الحبالة والذموت » محرفا ، والحثالة ــ بضم الحاء ــ رذال الناس ، والرتوت ، جمع رت ــ بفتح الراء وتشديد التاء ــ وهو رئيس القوم ومقدمهم .

(٢) وقع هذا البيت فى ب محرفا ، هكذا :

كفى حزناً بجية ذى وداع وإبقاء العتيد لها النعوب

(٣) السنوت ــ بفتح السين ــ فى الأصل : الرجل السىء الخلق ، ووقع فى ب « سبوت » وهو من السبت ، ومعناه القطع .

Marfat.com

ذكر خلافة المعتمد على الله

موجز وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لأَرْبَعَ عَشْرَةَ ليلةً بقيت من رجب سنة ست[1] وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ويكنى أبا العباس ، وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ، ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة .

(١) فى ب « سنة خمس وخمسين ومائتين » .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه

ولما أفضَتِ الخلافة إلى المعتمد على الله استوزَرَ عبيد الله[1] بن يحيى بن خاقان [وزير المتوكل ، فلما مات عبيد الله] استوزر الحسن بن مخلد ، ثم صارت الوزارة إلى سليمان بن وهب ، ثم صارت إلى صاعد .

حرب صاحب الزنج

وخلع المعتمد على أخيه أبى أحمد الموفق وعلى مفلح ، يوم الخميس مستهلَّ ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وأشخصهما إلى البصرة لمحاربة صاحب الزنج ، فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين، فأصاب مفلحاً سهم فى صُدْغِهِ ، فأصبح يوم الأربعاء ميتاً ، وحمل إلى سامرا فدفن بها ، وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج .

الإمام الثانى عشر

وفى سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى خلافة المعتمد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو أبو المهدىّ المنتظر ، والإمام الثانى عشر عند القطعيَّة من الإمامية ، وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء فى المنتظر من آل النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن ابن على [وافترقوا على] عشرين فرقة ، وقد ذكرنا حِجَاجَ كل طائفة منهم لما اجتبته لنفسها[2] واختارته لمذهبها ، فى كتابنا المترجم : « سر الحياة » وفى كتاب : « المقالات ، فى أصول الديانات » وماذهبوا إليه من الغيبة وغير ذلك .

وقد كان المهتدى سير بقبيحة[3] أم المعتز وعبد الله بن المعتز وإسماعيل ابن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر إلى مكة ، فلما أفضَتِ الخلافة إلى المعتمد بعث بحملهم إلى سامرا .

(١) فى ب « عبد الله بن يحيى » (٢) فى ب « أجبته نفسها »
(٣) فى ب « بفتيحة » .

Marfat.com

يعقوب الصفار

وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصَّفّار نحو العراق فى جيوش عظيمة، فلما نزل دير العاقول على شاطىء دِجْلَة بين واسط وبغداد ، وقد أتينا فى كتابنا «أخبار الزمان» على بَدْء خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان ، وكونه فى حال صغره صفاراً، وخروجه من مطوعة سجستان إلى حرب الشراة ، واتصاله بدرهم[١] بن نصر ، وخبر شادرق مدينةِ الشراة مما يلى بلاد سجستان المعروفة ، بأوق ، وترقى الأمر بيعقوب إلى أن كان من أمره ودخوله بلاد زابلستان — وهى بلاد فيروز بن كبك[٢] ملك زابلستان — وما كان من أمره مع رسول ملك[٣] الهند على جسر بسط[٤] ودخوله بلاد هَرَاةَ ثم بلخ ، وإعماله الحيلَةَ إلى أن دخل بلاد نيسابور، وقبضه على محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، ثم دخوله إلى بلاد طبرستان، ومواقعته الحسن بن زيد الحسنى[٥] ، مع ماقدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجى ، وما كان من أمره فى أيام عبد الله بن طاهر ، وإليه تضاف الحمزية من الخوارج ، وانتهينا بأخبار يعقوب بن الليث من بدئه إلى غايته ووفاته ببلاد جندى سابور من كُوَرِ الأهواز .

فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين فى الموضع المعروف بالقائم بسامرا ، واستخلف ابنه المفوض، ووصل المعتمد إلى سيب بنى كوما[٦] يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة ، فواقع الصفار يوم الأحد لتسع خلون من رجب من السنة فى الموضع المعروف باضطربد[٧] بين السيب ودير العاقول ، فهزم الصفار، واستباح عسكره ، وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب ، وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسيب ، ففشى الماء

(١) فى ب « بن مريم بن نصر » (٢) فى ب « كيك بن زياستان » .
(٣) فى ب « زميل ملك السند » (٤) فى ب « نسط » .
(٥) فى ب « الحسيف » (٦) فى ب « سبت بنى كرمان » .
(٧) فى ب « باضطرتر بين السبت ودير العاقول » .

Marfat.com

الصحراء ، وعلم الصفار أن الحيلة قد توجَّهت عليه ، وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بِضْعَ عشرَةَ حملةً ، وغرق إبراهيم بن سيما(١) ، وقتل بيده خلقاً كثيراً ، وطعن محمد بن أوتاش التركى ، وكان يتوهم أنه خادم ، وقال لأصحابه : ما رأيت فى عسكرهم مثل هذا الخادم ، وقد كان الصفار فى هذا اليوم قصد الميمنة ــ وكان عليها موسى بن بُغَا ــ وقتل خلقاً كثيراً من الناس منهم المغربى المعروف بالبرقع ، ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه ، واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد ، فغنم الأكثر من ماله وعدده ، واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان مقيداً ، كان أسره من نيسابور على ماقدمنا ، ومعه على بن الحسين(٢) من قريش ، وأتى الموفق ــ وكان فى القلب ــ محمد بن طاهر فَفَكَّ قيوده وخلع عليه ، ورده إلى مرتبته . وقيل : إن السبب فى هزيمة الصفار فى ذلك اليوم ــ مع ما ذكرنا من نجر النهر وارتطام(٣) الخيول فيه ــ أن نصيرا(٤) الديلمى مولى سعيد بن صالح الحاجب كان فى الشذوات فى بطن دجلة ، فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده ، فخرج من الشذوات فطرح النار فى الإبل والبغال [والحمير] والخيول ، وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بُخْتى من جمازيات(٥) وغيرها ؛ فتفرقت الإبل فى العسكر ، وشردت البغال والخيل(٦) ، واضطرب الناس فى مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه فى عسكره وسواده من ورائهم ، فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ، ويقال: إن يعقوب بن الليث قال فى سفرته هذه أبياتاً ، وفى مسيره ، وأنه خرج منكراً على المعتمد ومن معه من الموالى إضاعَتَهُمُ الدين ، وإهمالهم أمر صاحب الزنج ، فقال :

خراسان أحْويها وأعمال فارس ... وما أنا من ملك العراق بآيس

(١) فى ب « إبراهيم بن سبا »
(٢) فى ب «ومعه الحسن بن قريش»
(٣) فى ب « وانتظام الخيول »
(٤) فى ب « بصيرا الديلمى »
(٥) فى ب « من حمر وغيرها »
(٦) فى ب « البغال والحمير »

Marfat.com

إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ورَثّتْ فصارت كالرسوم الدوارس
خرجْتُ بعون الله يمنا ونصرة وصاحب رايات الهدى غير حارس

وكانت وفاة الصفار يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين ، على ما ذكرنا بجندى سابور .

وخلف فى بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف دينار ، وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه .

سياسة الصفار

وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك فى الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف ، وحسن انقيادهم لأمره ، واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه ، وغمرهم من بره ، وملأ قلوبهم من هيبته .

طاعة أتباعه له

فما ذكر من [ظهور] طاعتهم له أنه كان بأرض فارس ، وقد أباح الناس أن يرتعوا ، ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع ، وأنه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع إلى دابته والحشيش فى فمها ، فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء ، وأقبل على الدابة مخاطباً فقال بالفارسية : أمير المؤمنين دوابر أزتر بريدند ، وتفسير ذلك : اقطعوا الدواب عن الرطبة ، وأنه رؤى فى عسكره فى ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته ، فقيل له فى ذلك ، فقال : نادى منادى الأمير : البسوا السلاح ، وكنت [عريانًا] أغتسل من جنابة ، فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح ، وكان الرجل إذا أتاه راغباً فى خدمته مؤثراً للانقطاع إليه تفرّسَ فيه ، فإذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبرأ ما عنده من رمى أو طعان أو غير ذلك من ثقافة ، فإذا رأى منه ما يعجبه سأله عن خبره وحاله ، ومن أين أقبل ، ومع من كان ، فإذا وافقه ما سمعه منه قال له : أصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح ، فيقف على جميع ما معه،

Marfat.com

ثم يبعث أناساً قد رتبوا لذلك ، فيبيعون جميع ذلك ، ويجعلونه عيناً أو وَرِقاً ، ويدفع إليه ، ويثبت فى الديوان ، ثم تزيح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من إصطبله ، حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج إليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته ، فإن نقم عليه بعد ذلك مذهبه ، ولم يرض اختياره ، سلبه جميع ما أنعم به عليه ، حتى يخرج من عسكره نحو مادخل إليه ، محتملا بما معه من ذلك العين والوَرِق ، إلا أن يكون ذلك الرجل معتضداً ، فيصير له فضل من أرزاقه ، فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله ، وكانت جميع دوابه ملكا له وإن أعلافها من قبله ، ولها ساسة[١] ووكلاء يقومون بأمرها ، إلا خصوص دوابهم التى تكون عندهم إلا أن ملكها له ، واتخذ لنفسه عريشاً من خشب يشبه السرير ، حيثما توجه من مسيره ، فيكثر الجلوس عليه ، ويشرف منه على أهل معسكره[٢] ، وعلى قضيم دوابه ، ويرمق[٣] الخلل من وكلائه ، فإذا رأى شيئاً يكرهه بادر بتغييره ، وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم ، والغنى الظاهر منهم ، والنكاية فى حروبهم ، فجعلهم أصحاب الأعمدة الذهب ، كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ، ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثان هم أصحاب الأعمدة الفضة ، فإذا كان فى الأعياد ، أو فى الأيام التى يحتاج فيها إلى مباهاة الأعداء والاحتفال ، دفع إليهم تلك الأعمدة ، وإنما ضربت هذه الأعمدة عُدَّةً للنوائب .

وسئل بعض ثقاته ، ممن ينظر حاله ، عن اشتغاله فى خلواته ، وعن مجالسته مع أهل بطانته ، وهل يسمر[٤] مع أحد أو يجالسه ، فذكر أنه لا يطلع أحداً على سره ، ولا يعرف أحد بتدبيره وعزمه ، وأكثر نهاره

(١) فى ب « سياس » (٢) فى ا « أهل عسكره » .
(٣) فى ب « ويؤمن الخلل » (٤) فى ب « وهل يسير » .

Marfat.com

خالياً بنفسه يفكر فيما يريده ، ويظهر غير ما يضمره ، ولا يشرك أحد فيما يدبره[١] برأى ولا غيره ، وإن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ، ويؤدبهم ، ويُخَرِّجهم ، ويدعوهم ، ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور ، يتضاربون بها بين يديه ، ففى هذا أكثر شغله إذا فرغ من تدبيره .

ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسنى[٢] بطبرستان ـ وذلك فى سنة ستين ومائتين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ومائتين ـ وانكشف الحسن ابن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب ، وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد ، وهم راجعون من طلب الحسن بن زيد ، قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب : ما رأيت أيها الأمير كاليوم ، قال له الصفار : وأعجب منه ما أريك إياه ، ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد ، فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد ، وجميع ما خلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله : لم[٣] يلتبس أحد من أصحابه منه بشىء ، ولا دنوا إليه ، معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار ، فقال له الرسول : هذه سياسة ورياضة راضهم الأمير بها إلى أن تأتّى له منهم ما أراده .

وكان لا يجلس إلا على قطعة مسح ، يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أرجح ، وإلى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه ، وليس فى مضربه شىء غيره ، فإذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره ، اضطجع على ترسه ، ونزع راية فيجعلها مخدته ، وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى .

وكان من سنته [أن] للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب

---

(١) فى ب « فيما يريده » (٢) فى ب « الحسينى » .
(٣) فى ا « لم يتليس » .

Marfat.com

مضربه ، بحيث تقع عينه عليهم ، ويَرَى مداخلهم ، فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة ، بحيث لا يرى هو موضعها ، لكنه يرى مداخلهم إليها ، ومخرجهم منها ، فمن احتاج إليه منهم ، واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه ، دعاه فأمره ، وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضاً من السلام عليه ، ولم يكن لأحد أن يتقدم إلى باب مجلسه إلا رجل من خواصه ، يعرف بالعزيز ، وإخوته ، وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه ، فيها غلمان من خواصه ، فإذا احتاج إلى أمر يأمر به صاح بهم ، فخرجوا إليه ، وإلا فهو فى أكثر نهاره وليله فى ذلك الموضع لا يقومون على رأسه ، وخيمته من داخل أخبية مطنبة ، كلها يدور فيها خمسمائة غلام ، يبيتون من داخل مضربه ، على كل نفس منهم ثقة ، قد وكل بتفقد أحواله ، لئلا يكون منهم عبث أو فساد ، فهو المأخوذ به ، ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة ، فتطبخ فى خمس قدور من الصُّفْر الكبار ، وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه ، وله أرزة[1] فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس ، وهى ألوان غليظة ، فيأكل منها ، ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ، ثم أهل عسكره حول مضربه ، وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده .

وقال بعض من ورد إليه برسالة السلطان : أيها الأمير ، أنت فى رياستك وجلسك[2] ليس فى خيمتك إلا سلاحك ومسح أنت عليه ، قال : إن رئيس القوم يأتم به أصحابه فى [ما يظهر من] أفعاله وسيرته ، فلو استعملت ما ذكرت من الأثاث ، لأثقلنا البهائم ، ولائتمّ بى فى فعلى من فى عسكرى ، ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والأودية والقيمان ، ولا يصلح لنا إلا التخفيف.

وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره ، وكان فى عسكره خمسة آلاف

(١) فى ب « وله إوزة » .

(٢) فى ا « وعلك » .

Marfat.com

جمل بُخت وأضعاف عددها حمير شُهب كالبغال ، وهى الحمير المعروفة بالصفَّارية ، تحمل الأثقال عوضاً من البغال ، وكان السبب فى ذلك أنه إذا نزل خليت الجمال والحمير للرعى ، وليس فى وسع البغال ذلك .

قال المسعودى : وليعقوب بن الليث الصفار ، وعمرو بن الليث أخيه ، سير وسياسات عجيبة ، وحيل ومكايد فى الحروب ، قد أتينا على ذكرها ، وما انتظم لنا من وصفها ، فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر فى هذا الكتاب منها لمعاً مما لم نعرض لذكره فيما سلف من كتبنا .

وفاة موسى ابن بغا

وفى سنة أربع وستين ومائتين — وذلك فى خلافة المعتمد — كانت وفاة موسى بن بُغَا ، وفيه يقول بعض الشعراء ، وكان قد امتدحه فلم يصله بشىء :

مات موسى فهان ذاك علينا لم يَغِظْنى إذ قيل قد مات شيَّا
وكذا لا يضيرنى موتُ مَنْ لم يُسْدِ خيراً إلىّ إذ كان حيا[1]

موت المزنى

وفى هذه السنة — وهى سنة أربع وستين ومائتين — مات أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى صاحب المختصر من علم محمد بن إدريس الشافعى ، يوم الخميس ، لست بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، بمصر .

موت جماعة من أهل العلم

وفيها مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن [أخى] عبد الله ابن وهب ، صاحب مالك بن أنس ، وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك .

وفيها مات يونس بن عبد الأعلى الصدفى ، بمصر ، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .

وفيها مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر ، وصلّى عليه بكار بن قتيبة

(١) كذا وقع صدره فى ا ، على الصواب ، ووقع فى ب * لا يضرنى من لم * ووقع عجزه فى ا * يسد خيرا إلى مادام حيا * .

Marfat.com

القاضى ، وشَخَصَ الموفق لمحاربة صاحب الزنج فى صفر ، سنة سبع وستين ومائتين ، وقَدَّم الموفق ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر إلى سوق الخميس ، وقد كان الشعرانى صاحب العلوى قد تحصن بها فى جمع كثير من الزنج ، ففتح هذا الموضع ، وغنم جميع ما كان فيه ، وفتح مواضع كثيرة ، وقتل من كان فيها من الزنج ، وسار الموفق إلى الأهواز فأصلح ما أفسده الزنج ، ثم عاد إلى البصرة ، فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل ، فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ، يقتل الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، ويحرق ويخرب ، وقد كان أتى بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس .

من أعمالة المهلبي بالبصرة

وقد كان المهلبي من عِلْية أصحاب على بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة، فنصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر ، وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ، ويخطب على ذلك المنبر لعلى بن محمد ، ويترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر ، ولا يذكر عثمان ولا عليا فى خطبته ، ويلعن جبابرة بنى العباس ، وأباموسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، على ماقدمنا من قوله فى هذا الكتاب ، وأنه كان يذهب إلى رأى الأزارقة من الخوارج

ولما ركن مَنْ بقى بالبصرة إلى هذا الفعل من المهلبى بها اجتمعوا فى بعض الجمع ، فوضع فيهم السيف ، فمن ناج سالم ، ومن مقتول ، ومن غريق ، واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار ، فكانوا يظهرون بالليل ، فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها ، والفيران ، والسنانير ، فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شىء ، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه ، [ويراعى بعضهم موت بعض ، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله] وعدموا مع ذلك الماء العذب .

وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع[1] ومعها أختها ، وقد

(١) فى ا « امرأة تنزع » .

Marfat.com

احتوشوها ينظرون(١) أن تموت فيأكلوا لحمها ، قالت المرأة : فما ماتت حتى ابتدرناها(٢) فقطعنا لحمها وأكلناها ، ولقد حَضَرَتْ أختها وقد جاءت على النهر [ونحن على مشرعة عيسى بن أبى حرب] وهى تبكى ومعها رأس أختها ، فقيل لها : ويحك ! ! مالك تبكين ؟ قالت : اجتمعوا(٣) على أختى فما تركوها تموت موتاً حسناً حتى قطعوها ، فظلمونى(٤) ، فلم يُعطُونِى من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا ، وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ، ومثل هذا كثير ، وأعظم مما وصفنا .

وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادى عليها بنسبها : هذه ابنة فلان الفلانى ، لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون : يطؤهن الزنج ، ويخدمن النساء الزنجيات ، كما تخدم الوصائف ، ولقد استغاثت إلى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت [عند] بعض الزنج ، وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أو يعتقها(٥) مما هى فيه ، فقال [لها]: هو مولاك وأولى بك من غيره .

وقد تكلم الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل ، فأما المكثر فإنه يقول : أفنى من الناس ما لا يدركه العد[د] ، ولا يقع عليه الإحصاء ، ولا يعلم ذلك إلا عالم الغيب ، فيما فَتَحَ من هذه الأمصار والبلدان والضياع وأباد [من] أهلها ، والمقلل يقول : أفنى من الناس خمسمائة ألف نفر ، وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحَدْساً ، إذ كان شيئاً لا يدرك ولا يضبط .

وكان مقتله [على] مابينا آنفاً سنة سبعين ومائتين ، وذلك فى خلافة المعتمد

(١) فى ا « ينتظرون أن تموت فيأكلون لحمها » .
(٢) فى ب « ابتدرنا فقطعناها وأكلناها » (٣) فى ا «اجتمعن على أختى»
(٤) فى ا « وظلمونى فلم يعطونى » (٥) فى ا « ويعتقها » .

Marfat.com

وقد كان الموفق بعد ذلك وَجَّه بصاعد بن مخلد في سنة اثنتين وسبعين ومائتين إلى حرب الصفّار ، وأمَّرهُ على مَنْ معه من الجيوش ، وشَيَّعه الموفق ، فلما صار إلى بلاد فارس تجبَّر واشتدَّ سلطانه ، وانصرف من المدائن في بعض الأيام فاحتجم في خذة ورانة[1] عليه ، ونمى ذلك إلى الموفق وما هو عليه من التجبر ، فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسين[2] بن سعد القطربلي الكاتب في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره ، وهو :

صاعد بن مخلد

تكفهر لما طغى ودان بدين العجم
وأصبح في خفــة وفي رانة محتجم

فأشخصه الموفق إلى واسط ، فكان مدة مقامه في الوزارة سبع سنين إلى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصراني .

وماتت جارية لصاعد بعد حبسه ، وكانت الغالبة على أمره ، وكان يقال لها جعفر ، وماتت بعدها بأيام أمُّ الموفق ؛ في ذلك يقول عبد الله بن الحسين ابن سعد[2] من أبيات له :

أخَذَتْ جعفر برأس القطار ثم قالت : آذنتكم بالبوار
فأجابت أم الأمير ، وقالت : قد أتيناك أول الزُّوَّار
وسيأتيك صاعد عن قريب كتبه للبلاء في الاستطار[3]

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات في خاصة نفسه ، دون ما وجد لأخيه عبدون ، فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار ، وكان مبلغ غلّته في سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف .

ومات صاعد في الحبس ، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين .

وفاة جماعة من الأعيان

وفي سنة سبعين ومائتين كانت وفاة [أبي سليمان داود بن علي الإصبهاني ،

(١) في ب « في حفة وأذنة » وكذلك في ثاني البيتين الآتيين .
(٢) في ب « عبد الله بن الحسن بن سعيد » .
(٣) في ب « كتبه للتلاق والإشكدار » .

Marfat.com

الفَقِيه ببغداد ، وفيها مات أبو أيوب سليمان] بن وهب الكاتب ، وأحمد ابن طولون ، وذلك بمصر يوم السبت لعشر خَلَوْنَ من ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين ، وله خمس وستون سنة .

أحمد بن طولون وابنه

وكانت ولاية أحمد بن طولون سبع عشرة سنة ، وكان بين الظفر بصاحب[1] الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ، ولما يئس أحمد ابن طولون من نفسه بايع لابنه أبى الجيش بالأمر من بعده ، فلما توفى جَدَّدَ أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العَهْدَ لنفسه .

وقعة الطواحين

ووجَّه الموفّق ابنهُ أبا العباس لمحاربة أبى الجيش خمارويه فى سنة إحدى وسبعين ومائتين ، فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال فى هذه السنة ، فكانت الهزيمة على أبى الجيش ، واحتوى أبو العباس على جميع عسكره ، وأفلَتَ أبو الجيش فى جماعة من قُوّاده حتى أتى الفسطاط ، وتخلف غلامه سعد الأعسر[2] فواقع أبا العباس ، فهزمه واستباح عسكره ، وقتل رؤساء قُوّاده ، وجِلّةَ أصحابه ، ومضى أبو العباس لا يُلْوِى على شىء حتى أتى العراق ، وقلد أبو الجيش أمر وزارته عَلِيَّ بن أحمد المادرانى ، وأبو بكر محمد بن عَلِيٍّ بن أحمد المادرانى هو المعتقل فى يد الإخشيد محمد[3] بن طغج فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وقد كان عَلِى وزارته بمصر هو وولده الحسين[4] بن محمد ، فلما استوزر الإخشيد أبا الحسن عَلِيَّ بن خلف ابن طباب وانفصل من دمشق إلى الفسطاط قبض عليه وعَلَى أخيه إبراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب .

الربيع المرادى

وفى سنة سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان ، المرادى ، المؤذن ، صاحب محمد بن إدريس الشافعى ، والراوى لأكثر كتبه عنه بمصر .

(١) فى ب « وكان ابن المظفر بصاحب الزنج » محرفا .
(٢) فى ب « سعيد الأعشر » .
(٣) فى ب «الإخشيد أحمد بن طغج» محرفا
(٤) فى ب «وولده الحسن»

Marfat.com

وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مهوان المصرى وغيره ، عن الربيع بن سليمان قال : استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى شيئاً من كتبه ، فلم يبعث بها إليه ، فكتب إليه[1] الشافعى :

يا ، قل لمن لم تر عيـن من رآه مثله
من كان من قد رآه ما قد رأى من قبله
ومن كلامنا له حيث عقلنا عقله
لأن ما يجنه فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فبعث إليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها .

المعتمد والموفق

وبايع المعتمد لابنه جعفر ، وسماه المفوض إلى الله ، وقد كان المعتمد آثر اللذة ، واعتكف على[2] الملاهى ، وغاب أخوه أبو أحمد الموفق على الأمور وتدبيرها ، ثم حظر[3] على المعتمد وحبسه ، فكان أول خليفة قهر [وحبس] وحجر عليه ، ووكل به بفم الصلح ، وقد كان قبل ذلك هرب وصار إلى حديثة الموصل ، فبعث الموفق بصاعد إلى سامرا ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج فردّه من [حديثة] الموصل .

خروج أحمد ابن طولون

وفى سنة أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهراً للغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين ، فقبلَ وصوله إلى دمشق مات ماجور التركى بدمشق ، وقد كان غلبها ، فدخلها أحمد ، واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها ، وسار منها إلى حمص ، وسار منها إلى بلاد أنطاكية ، ووصلت مقدمته إلى بلاد الإسكندرية من شاطئ بحر الروم ، ووصل هو إلى الموضع المعروف ببغراس[4] من جبل اللكام ، وقد تقدمته المطوعة والغزاة إلى الثغر الشامى ، ثم عطف هو راجعاً من غير أن يكون تقدم إلى الناس معرفة ذلك منه ، حتى نزل

---

(١) فى ب « فقال الشافعى » (٢) فى ب « وغلب الملاهى »
(٣) فى ب « يدبرها ، ثم حصر » (٤) فى ب « بشفواس من جبال الأكام »

Marfat.com

مدينة أنطاكية ، وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الأتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء أنطاكية وقصة سورها ، والملك البانى لها ، وصفة سورها فى السهل والجبل . وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على أنطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قَتْلٍ وأخذ مال ، وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب [فارس تلقاء السوق ، وقد أحاطت عساكره بها ، ونزل غلامه المعروف بلؤلؤ على باب من أبوابها يعرف بباب] البحر ، وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر إلى السلطان مستأمناً ، فأتى الموفق وهو مُنَازِل لصاحب الزنج ، فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج ، وكادت الحال أن تنفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق :

كيفما شئتم فقولوا إنما الفتح لِلُؤلُو

فكان ابن طولون على أنطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين ، وكان افتتاحه إياها فى سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل ، وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلى الجبل وباب فارس ، فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعتها وحَصَانة سورها ، فوعدوه فتحها ، فضم إليهم عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا[1] ، واستمد هو فى عسكره وأخذ أهبته ، وسيما فى داره ، فما انفرج عمود الصبح إلا والطولونية قد كَبَّرُوا على سورها ، ونزلوا منحدرين إليها ، وارتفع الصوت وكثر الضجيج ، وركب سيما فيمن تسرع معه من خواصه ، فأرسلت عليه امرأة من أعالى سطحٍ حَجَرَ رَحًا فأتت عليه ، وأخذ بَعْضُ من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه

(١) فى ا « من حيث نزل »

Marfat.com

الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابونى الأنطاكى الحنفى ، فماث أصحابُ ابن طولون ساعة بأنطاكية ، وشمل الناسَ أذاهم ، ثم رفع ذلك لساعتين من النهار ، وارتحل ابن طولون يؤمُّ الثغر الشامى ، فأتى المصيصة وأَذَنَة ، وامتنع منه أهل طرسوس وفيها يازمان[1] الخادم ، فلم يكن له فى فتحها حيلة ، فرجع عنها وقد أراد الغزو — على ما قيل، والله أعلم لأمر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر — فحثّ فى السير ودخل الفسطاط ، ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفاً من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والأموال والعدد ، وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات فى كتابنا « أخبار الزمان » .

يازمان غلام الفتح ابن خاقان

وكانت وفاة يازمان الخادم فى أرض النصرانية غازياً فى جيش الإسلام تحت الحصن المعروف بكوكب ، وكان مولى الفتح بن خاقان ، فحمل إلى طرسوس ، فدفن بباب الجهاد ، وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وكان معه فى تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفى وابن أبى عيسى وكان على إمرة طرسوس ، وكان يازمان فى نهاية البلاغة فى الجهاد فى البر والبحر ، وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم ، وكان له فى العدو نكاية عظيمة ، وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية فى حصونها ، ولم ير فى الثغور الشامية والجزرية[2] — بعد عمرو بن عبيد الله[3] [بن مروان] الأقطع صاحب ملطية ، وعلى ابن يحيى الأرمنى صاحب الثغور الشامية — أشدّ إقداماً على الروم من يازمان الخادم .

(١) فى ب « مازنار الخادم »
(٢) فى ب « والحزوبة » تحريف ، وانظر ص ٢٢٠
(٣) فى ب « بعد عمر بن عبد العزيز بن مروان » محرفا

Marfat.com

عمرو بن عبيد الله الأقطع

وكانت وفاة عمرو بن عبيد الله الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمنى فى سنة واحدة ، استشهدا جميعاً ، وذلك فى سنة تسع وأربعين ومائتين فى خلافة المستعين بالله .

وقد كان عمرو بن عبيد الله غازياً فى تلك السنة فى المَلَطِيِّين[١] ، فلقى ملك الروم فى خمسين ألفاً ، فصبر الفريقان جميعاً ، فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين إلا اليسير ، وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة .

على بن يحيى الأرمنى

وقد كان على بن يحيى الأرمنى انصرف عن الثغر الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها . فلما صار إلى بلاد مَيَّافارقين من ديار بكر عدل إلى ضياع له هنالك ووقع النفير ، فخرج مسرعاً وقد أغارت جيوش الروم، فقُتِلَ على ابن يحيى مقدار أربعمائة نفس ، والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الأرمنى .

وأخبرنى بعض الروم — ممن كان قد أسلم وحسن إسلامه — أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين : منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال عَلَى البطريق فأسره من القسطنطينية، فأقاد منه بالضرب وردَّه إلى القسطنطينية ؛ وعبد الله البطال ، وعمرو بن عبيد الله ، وعلى ابن يحيى الأرمنى ، والعريل[٢] بن بكار ، وأحمد بن أبى قطيفة[٣] ، وقرنياس البيلقانى[٤] صاحب مدينة إبريق — وهى اليوم للروم — وكان بطريق البيالقة ، وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين ؛ وحرس خارس أخت قرنياس ؛ ويازمان الخادم فى موكبه والرجال حوله، وأبو القاسم ابن عبد الباق ؛ وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقادهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية، وقد دخلوا فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين

(١) فى ب « فى المطلبين » (٢) فى ب « والعربل »
(٣) فى ب « بن أبى قطيعة » (٤) فى ب « وقرماس السلقانى »

Marfat.com

وثلثمائة – فى جملة الروم ، وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا « أخبار الزمان » .

من حمية معاوية

فأما خبر معاوية وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية ، فهو أن المسلمين غَزَوْا فى أيام معاوية ، فأسر جماعة منهم ، فأوقفوا بين يدى الملك ، فتكلم بعض أسارى المسلمين ، فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفاً بين يدى الملك فلَطَمَ حُرَّ وجهه فآلمه — وكان رجلا من قريش — فصاح: وا إسلاماه، أين أنت عنا يامعاوية؟ إذ أهملتنا[1] وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا ، فنمى الخبر إلى معاوية فآلمه ، وامتنع من لذيذ الطعام والشراب ، فخلا بنفسه وامتنع من الناس ، ولم يظهر ذلك لأحد من المخلوقين ، ثم أجمل الأمر فى إعمال الحيلة بإقامة الفداء بين المسلمين والروم إلى أن فادى بذلك الرجل ، فلما صار الرجل إلى دار الإسلام دعاه معاوية فبره وأحسن إليه ، ثم قال له : لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ، ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ، ثم بعث إلى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور ، وكان به عارفاً ، كثير الغزوات فى البحر ، صمل[2] من الرجال ، مرطان بالرومية ، فأحضره وخَلاَ به وأخبره بما قد عزم عليه ، وسأله إعمال الحيلة فيه والتأتى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطُّرَفِ والمُلَح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك ، وابتُنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ، ولا يدرك فى مسيره بنياناً عجيباً ، فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس[3] فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك ، وأنه يريد التجارة إلى القسطنطينية ، قاصداً إلى الملك وخواصه بذلك ، فروسِلَ الملك بذلك ، وأعلم بحال الرجل ، فأذن له فى الدخول، فدخل خليج القسطنطينية ، وسار فيه حتى انتهى إلى القسطنطينية ، وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج ، واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس[4] عند ذكرنا البحار فيما سلف من

(١) فى ب « إذ حملتنا » (٢) فى ب « ميل من الرجال »
(٣) فى ا « جزيرة قبرس » (٤) فى ا « وبحر بيطاس »

Marfat.com

هذا الكتاب . فلما وصل إلى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته ، وبايعهم وشاراهم ، ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيئاً ، وقصده إلى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى ، وتأتى الصورى فى الأمر على حسب ما رسمه له معاوية ، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام ، وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها ، وأنواع من الأمتعة وصفوها ، فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سراً ، وذكر له من الأمر ما جرى ، فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه ، وتقدم إليه فقال : إن ذلك البطريق إذا عُدْت إلى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به ، فاعتذر إليه ولاطفه بالقصد والهدايا ، واجعله القيم بأمرك ، والمتفقد لأحوالك ، وانظر ماذا يطلب منك حين أوْبك إلى الشام ، فإن منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم ، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شىء يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك ، فلما رجع الصورى إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند للملك والبطارقة وسائر الحاشية ، فلما كان فى بعض الأيام وهو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له : ما ذَنْبى إليك ؟ وبماذا استحقّ غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتُعْرِض عنى ؟ فقال له الصورى : أكثر من ذكرت ابتدأنى وأنا رجل غريب أدخل إلى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم ، لئلا ينمُوا بخبرى ويعنوا بأمرى إلى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى ، وإذ قد علمت[1] ميلك إلىّ فلست أحب أن يعتنى بأمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك ، فأمُرْنى بجميع حوائجك وجميع ما يعرض من أمورك بأرض الإسلام ، وأهدى إلى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب ، ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم

(١) فى ا « فيكون ذلك بوارى ، والآن فإذ قد علمت ميلك — إلخ »

Marfat.com

إلى معاوية ، ومن معاوية إلى الروم ، ويسأله الملك والبطريق وغيره من البطارقة الحوائج ، والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين[1] فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى ، وقد أراد الخروج إلى دار الإسلام : قد اشتهيت أن تغمرنى بقضاء حاجة وتمنَّ بها على : أن تبتاع لى بساطاً سوسنجرد[2] بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الألوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ، ويكون من صفته كذا وكذا ، ولو بلغ ثمنه كل مبلغ ؛ فأنعَمَ له بذلك ، وكان من شأن الصورى إذا ورد إلى القسطنطينية تكون مركبهُ بالقرب من موضع ذلك البطريق ، وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج ، وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المنتزه ، وكانت الضيعة مما يلى فم الخليج[3] مما يلى بحر الروم والقسطنطينية ، فانصرف الصورى إلى معاوية سراً ، وأخبره بالحال ؛ فأحضر معاوية بساطاً بوسائد ومخادَّ ومجلس ؛ فانصرف به الصورى مع جميع ما طلب منه من دار الإسلام ، وقد تقدم إليه معاوية بالحيلة وكيفية إيقاعها ، وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كأحدهم فى المؤانسة وفى العشرة ، وفى الروم طَمَع وشَرَه ؛ فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية — وقد طابت له الريح ، وقد قرب من ضيعة البطريق — أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب ؛ فأخبر أن البطريق فى ضيعته ، وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومى ومانطس[4] ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، والضياع[5] والعمائر على هذا الخليج من حافتيه ، والمراكب تختلف والقوارب بأنواع المتاع والأقوات

(١) كذا ، وهو وجه فى العربية ، والأكثر أن يقال «حتى مضى على ذلك سنون»

(٢) فى ب « بساطا سو سحرى » (٣) فى ا « فيما بين فم الخليج»

(٤) فى ا « والنيطس » (٥ فى ا « والقياع »

Marfat.com

إلى القسطنطينية ، وهذه المراكب لا تحصى [1] فى هذا الخليج كثرة،فلما علم الصورى أن البطريق فى ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخادّ فى صحن المركب ومجلسه ، والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذيف مشكلة قائمة غير قاذفين بها ، ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب إلا مَنْ ظهر منهم فى المركب عمله ، والريح فى القلع ، والمركب مار فى الخليج كأنه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه ؛ اسرعة سيره واستقامته فى جريه ، فأشرف على قصر البطريق وهو جالس فى مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعَلاَهُ الطرب وذهب به الفرح والسرور [كل مذهب] فلما رأى البطريق مركب الصورى غنَّى طرباً ، وصاح فرحا وسروراً وابتهاجاً بقدومه ، فدنا من أسفل القصر ، وحط القلع ، وأشرف البطريق على المركب : فنظر إلى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كأنه رياض تزهر ، فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج ذلك الصورى من مركبه إليه ، فطالع المركب ، فلما استقرت قدمه فى المركب ودَنَا من المجلس ضرب الصورى بعقبه على مَنْ تحت البساط من الوقوف — وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب — فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فإذا هو فى وسط [الخليج يطلب] البحر لا يلوى على شىء ، وارتفع الصوت ، ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الأمر ، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسَّطَ البحر ، وقد أوثق البطريق كِتافاً ، وطابت له الريح ، وأسعده الجد ، وحملته المجاذيف فى ذلك الخليج ، فتعلق فى اليوم السابع بساحل الشام ، ورأى البر ، وحمل الرجل ، فكانوا فى اليوم الثالث عشر حضوراً بين يدى معاوية بالفرح والسرور لإثلاجه بالأمر وتمام الحيلة ، وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد ، فقال : على بالرجل القرشى ، فأتى به ،

(١) فى ا « من هذه العمائر ، لا تحصى هذه المراكب فى هذه الخليج »

Marfat.com

وقد حضره خواص الناس ، فأخذوا مجالسهم ، وانفصّ المجلس بأهله ، فقال معاوية [للقرشي : قم فاقتصّ من هذا البطريق الذى لَطَمَ وجهك على بساط معظم الروم ؛ فإنا لم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ، فقام القرشي ودنا من البطريق ، فقال له معاوية] : انظر لا تتعدّ ماجرى عليك منه ، واقتص منه على حسب ما صنع بك ، ولا تتعدّ ، وراع ما أوجب الله عليك من المماثلة ، فَلَطَمه القرشي لطماتٍ ، ووكزه فى حلقه ، ثم انكبّ القرشي على يد[ى] معاوية،وأطرافه يقبلها ، وقال : ماأضاعك مَنْ سَوَّدك، ولا خاب فيك أمَلُ من أملك ، أنت ملك لاتضام ، تمنع حماك ، وتصون رعيتك ، وأغْرَقَ فى دعائه ووصفه ، وأحسن معاوية إلى البطريق ، وخلع عليه وبَرَّه ، وحمل معه البساط ، وأضاف إلى ذلك أموراً كثيرة وهدايا إلى الملك ، وقال له : ارجع إلى ملكك ، وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ، ويقتص لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك ، وقال للصورى : سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسيرَ معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطارق وخاصته ، فحملوا إلى صور مكرمين ، وحملوا فى المركب ، فطابت لهم الريح ، فكانوا فى اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم ، وقربوا من فم الخليج ، وإذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به ، فطرح البطريق ومن معه ، وانصرف الصورى راجعاً ، وحمل البطريق من ساعته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة، تباشرت الروم بقدومه ، وتلقوه مهنئين له من الأسر ؛ فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا ؛ فلم يكن يستضام أسير من المسلمين فى أيامه ، وقال الملك : هذا أمكر الملوك وأدْهَى العرب ، ولهذا قدمته العرب عليها ، فساس أمرها ، والله لوهَمّ بأخذى لتمت له الحيلة عليّ .

وقد أتينا على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب ، وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الأمصار فيما سلف من كتبنا،

Marfat.com

وإن كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا .

وللملوك الروم وبطارقتها — ممن سلف وخلف إلى هذا الوقت — أخبار حسان مع ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس فى المَغَازى والسَّرَايا وغيرها ، وكذلك لأهل الثغور الشامية والجزرية[١] إلى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وقد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، وقدمنا فى هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم، ولمعاً من سيرهم ، وكذلك أخبرنا عن ملوك الأمم وسيرهم .

محبة المعتمد للهو

قال المسعودى : وكان المعتمد مشغوفاً بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهى ، وذكر عبيد[٢] الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم ، وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى ،

أول من اتخذ العود ونحوه

فقال له : أخبرنى عن أول من اتخذ العود ، قال ابن خرداذبه : قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة : أول من اتخذ العود[٣] لمك بن متوشلخ بن محويل بن عاد[٤] بن خنوخ ابن قابن بن آدم ، وذلك أنه كان له ابن يحبه حباً شديداً ، فمات ، فعلّقه بشجرة ، فتقطعت أوصاله ، حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والأصابع ، فأخذ خشباً فرققه وألصقه ، فجعل صدر العود كالفخذ ، وعنقه كالساق ، ورأسه كالقدم ، والملاوى كالأصابع ، والأوتار كالعروق ، ثم ضرب به وناح عليه ، فنطق العود ، قال الحمدونى :

وناطق بلسانٍ لا ضمير له كأنه فَخِذٌ نيطت إلى قدم
يُبْدِى ضمير سواه فى الحديث كما يُبْدِى ضمير سواه منطق القلم

واتخذ توبل[٥] بن لمك الطبول والدفوف ، وعملت ضلال بنت لمك المعازف، ثم اتخذ قوم لوط الطنابير، يستميلون بها الغلمان [ثم اتخذ الرعاة]

(١) فى ب « والحروية » وانظر ص ٢١٣

(٢) فى ب « عبد الله بن خرداذبه » ؟ (٣) فى ب « اتخذ اللهو »

(٤) فى ا « محويل بن عباد » (٥) فى ب « موسك بن لمك »

Marfat.com

والأكراد نوعا مما يصفر به ، فكانت أغنامهم إذا تفرقت صفروا فاجتمعت ؛ ثم اتخذ الفرس النّايَ للعود ، والدياتى للطنبور ، والسريانى للطبل ، والسنج الصنج ، وكان غناء الفرس بالميدان والصنوج ، وهى لهم، ولهم النغم والإيقاعات والمقاطع والطروق الملوكية ؛ وهى سبع طروق : فأولها سكاف[1] ، وهو أكثرها استعمالا لتنقل الأنهار ، وهو أفصحها مقاطع ، وأمرسه ، وهو أجمعها لمحاسن النغم ، وأكثرها تصعداً وانحداراً ، وما دار وسنان ، وهو أثقلها ، وسايكاد ، وهو المحبوب للأرواح ، وسيسم ، وهو المختلس المنقل ، وحويعران ، وهو الدرج الموقوف على نغمة، وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج ، وعليه سبعة أوتار ، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير ، وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى ، وكان غناء النبط والجرامقة بالغيروارات ، وإيقاعها يشبه إيقاع الطنابير .

وقال فندروس الرومى : جعلت الأوتار أربعة بإزاء الطبائع ، فجعلت الزير بإزاء المرة الصفراء ، والمثنى بإزاء الدم ، والمثلث بإزاء البلغم ، والبم بإزاء المرة السوداء .

ملاهى الروم

وللروم من الملاهى الأرغل ، وعليه ستة عشر وتراً ، وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين ، والسلبان، وله أربعة وعشرون وتراً، وتفسيره ألف صوت ، ولهم اللورا ، وهى الرباب ، وهى من خشب ، ولها خمسة أوتار ، ولهم القيثارة ، ولها اثنا عشر وترا ، ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل ،وكل هذه معازف مختلفة الصنعة ، ولهم الأرغن، وهو ذو منافخ من الجلود والحديد.

الهند

وللهند الكنكلة، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج.

حداء العرب

قال : وكان الحُداء فى العرب قبل الغناء ، وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعيره فى بعض أسفاره فانكسرت يده، فجعل يقول: يايَدَاه ، يايَدَاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فاستوسقت الإبل وطاب لها السير ، فاتخذه

(١) اخترنا فى هذا الموضع عبارة ا ، وهى تختلف فى الأسماء كثيرا عن ب

Marfat.com

العرب حُدَاء برجز الشعر ، وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادى :

يا هاديا يا هاديا ويا يداه يا يداه

فكان الحُدَاء أولَ السماع والترجيع فى العرب ، ثم اشتق الغناء من الحُدَاء ، ونَحْنَ نساء العرب على موتاها ؛ ولم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أوْلَعَ بالملاهى والطرب من العرب ، وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس : الركبانى ، والسناد الثقيل ، والهزج الخفيف .

أول الغناء فى العرب

وكان أول من غَنَّى من العرب الجرادتان ، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملق[1] ، وكانت العرب تسمى القينة الكرينة ، والعود المزهر ، وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وإيقاعها [جنس واحد ، وغناؤهم] جنسان : حنفى ، وحميرى ؛ والحنفى أحسنهما ، ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلا النصب ، حتى قدم النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من العراق وافداً على كسرى بالحِيرَة ؛ فتعلم ضرب العود والغناء عليه ؛ فقدم مكةَ فعلّم أهلها ، فاتخذوا القينات .

أثر الغناء

والغناء يرق الذهن ، ويلين العريكة ، و [يبهج] النفس ويَسُرُّهَا ، ويشجع القلب ، ويسخى البخيل ، وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ، ويُحْدِثان له نشاطاً ، ويفرجان الكرب ، والغناء على الانفراد يفعل ذلك ، وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخَرَسِ ، والبرء على السقم ، وقد قال الشاعر :

لا يعين على همومك إذ ثَوَتْ غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه ، وفيلسوف استخرجه ، أى غامض أظهر ؟ وأى مكنون كَشَفَ ؟ وعلى أى فن دَلَّ ؟ وإلى أى علم وفضيلة سبق ؟ فذلك نسيجُ وَحْدِهِ ، وقريع دهره .

وقد كانت الملوك تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور ، وكانت ملوك الأعاجم لا تنام إلا على غناء مطرب، أو سمر لذيذ ، والعربية لا تُنَوَّمُ

(١) كذا فى ا ، وفى ب « بن أبى بكر العلقمى » ولعله « العمليق »

Marfat.com

ءلدَهَا وهو يبكى ، خَوْفَ أن يسرى الهم فى جسده ، ويدب فى عروقه ، ولـكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فَرِحٌ مسرور ، فينمو جسده ، ويصفو لونه ودمه ، ويشف عقله ، والطفل يرتاح إلى الغناء ، ويستبدل ببكائه ضحكا .

وقد قال يحيى بن خالد بن برمك : الغناء ما أطرَبَكَ فأرْقَصَكَ ، وأبكاكَ فأشْجاكَ ، وما سوى ذلك فَبَلاءٌ وهم .

قال المعتمد : قد قلتَ فأحسنتَ ، ووصفتَ فأطنبتَ ، وأقمت فى هذا اليوم سُوقاً للغناء ، وعيداً لأنواع الملاهى[1] ، وإن كلامك لمثل الثوب المُوَشَّى ، يجتمع فيه الأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، وسائر الألوان ؛ فما صفه المغنى الحاذق ؟

المغنى الحاذق

قال ابن خرداذبه : المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين : من تمـكن من أنفاسه ، ولطف فى اختلاسه ، وتفرع فى أجناسه .

أنواع الطرب

قال المعتمد : فعلى كم تنقسم أنواع الطرب ؟

قال : على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين ، وهى طرب محرك ، مستخف الأريحية ، ينعش النفس ، ودواعى الشيم عند السماع ، وطرب شجن وحزن ، لاسيما إذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب ، والشوق إلى الأوطان ، والمراثى لمن عدم [الصبر] من الأحباب ، وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس ، ولا سيما عند سماع جودة التأليف ، وإحكام الصنعة ؛ إذ كان مَنْ لا يعرفه ولا يفهمه لا يسرُّه ، بل تراه متشاغلا عنه ؛ فذلك كالحجر الجلمد ، والجماد الصَّلْد ، سواء وُجُودُه وعَدَمُه ، وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة[2] المتقدمين ، وكثير من حكماء اليونانيين : مَنْ عرضت له آفة فى حاسة

---

(١) فى ب « وعلم أنواع الملاهى » (٢) فى ا « جمهور من الفلاسفة »

Marfat.com

الشم كَرِهَ رائحة الطيب ، ومن غَلُظَ حسه[1] كره سماع الغناء ، وتشاغل عنه ، وعَابَهُ ، وذَمَّهُ .

منزلة الإيقاع وألقابه

قال المعتمد : فما منزلة الإيقاع وأنواع الطروق وفنون النغم[2] ؟

قال : قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين مَنْ تقدم : إن منزلة الإيقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر ، وقد أوضحوا الإيقاع ، ووَسَمُوه بسمات ، ولَقَبُوه بألقاب ، وهو أربعة أجناس : ثقيل الأول ، وخفيفه ، وثقيل الثانى ، وخفيفه ، والرمل الأول ، وخفيفه ، والهزج ، وخفيفه ، والإيقاع : هو الوزن ، ومعنى أوقع وَزَنَ ، ولم يوقع : خرج من الوزن ، والخروج إبطاء عن الوزن أو سرعة ؛ فالثقيل الأول : نقره ثلاثة ثلاثة ، اثنتان ثقيلتان بطيئتان ، ثم نَقْرَة واحدة ، وخفيف ثقيل الثانى : نقره اثنتان متواليتان ، وواحدة بطيئة ، واثنتان مزدوجتان[3] ، وخفيف الرمل : نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان ، وبين كل زوج وَقْفَة ، والهزج : نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة ، وخفيف الهزج : نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدراً من الهزج ، والطرائق ثمان : الثقيلان الأول والثانى ، وخفيفاهما ، وخفيف الثقيل [الأول] منهما يسمى بالمَاخُورِىّ ، وإنما سُمِّىَ بذلك ؛ لأن إبراهيم بن ميمون الموصلى ــ وكان من أبناء فارس ، وسكن الموصل ــ كان كثير الغناء فى هذه المواخير ، بهذه الطريقة ، والرمل وخفيفه ، ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم مطلق ، وتختلف مواقع الأصابع[4] فيها فيحدث لها ألقاباً تميزها ، كالمعصور[5] ، والمخبول ، والمحثوث ، والمخدوع ، والأدراج .

والعُودُ عند أكثر الأمم وجُلِّ الحكماء يونانى ، صَنَعَهُ أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الإنسان ؛ فإن اعتدلت أوتاره على الأقدار الشريفة

(١) فى ا « غلظ جسمه » .
(٢) فى ب « وأنواع الطرق وفنون الغناء »
(٣) فى ب «مردودتان»
(٤) فى ب « مواقع الاصطلاح »
(٥) فى ب « كالمحصور »

Marfat.com

جانَسَ الطبائع فأطرب ، والطَّرَبُ : رَدُّ النفس إلى الحال الطبيعية دفعة ، وكل وَتَر مثل الذى يليه ومثل ثلثه . والدستبان[1] الذى يلى الأنف موضوع على خط التسع من جملة الوتر [والذى يلى المشط موضوع على خط الربع من جملة الوتر] فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الإيقاع ومنتهى حدوده.

ففرح المعتمد فى هذا اليوم ، وخلع على ابن خرداذبه ، وعلى مَنْ حضره من ندمائه ، وفضَّله عليهم ، وكان يوم لهو وسرور .

فلما كان فى صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد مَنْ حضره فى اليوم الأول ، فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض مَنْ حضره من ندمائه [ومغنيه] صف لى الرقص وأنواعه ، والصفة المحمودة من الراقص، واذكر لى شمائله

الرقص وأنواعه

فقال المسؤول: يا أمير المؤمنين، أهل الأقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم ، فجملة الإيقاع فى الرقص ثمانية أجناس: الخفيف، والهزَج ، والرمل ، وخفيف الرمل ، [وخفيف الثقيل الثانى ، وثقيله] وخفيف الثقيل الأول ، وثقيله ، والراقص يحتاج إلى أشياء فى طباعه ، وأشياء فى خِلْقته[2] ، وأشياء فى عمله ؛ فأما ما يحتاج إليه فى طباعه فخفة الروح ، وحسن الطبع على الإيقاع ، وأن يكون طالبه مرحاً إلى التدبير فى رقصه والتصرف فيه ، وأما ما يحتاج إليه فى خِلْقته فطول العنق والسوالف ، وحسن الدَّلِّ والشمائل ، والتمايل فى الأعطاف ، ورقة الخصر[3] [والخفة] وَحسن أقسام الخلق وَوَاقع المناطق ، واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس ، والإراحة ، والصبر على طول الغاية ، ولطافة الأقدام، ولين الأصابع ، وإمكان لينها فى نقلها[4] وفيما يتصرف فيه من أنواع الرقص من الإبل ، ورقص الكرة ، وغيره ، ولين المفاصل ، وسرعة الانتقال[5] فى الدوَرَان ، ولين الأعطاف. وأما ما يحتاج إليه فى عمله فكثرة التصرف فى

(١) فى ب «والرسان» (٢) فى ا « فى خلقه » وتقرأ بفتح فسكون .
(٣) فى ب «ودقة الخصر» (٤) فى ا « وإمكان بينها فى نقلها » .
(٥) فى ب «وسرعة الانفتال» .

Marfat.com

ألوان الرقص ، وإحكام كل حد(١) من حدوده ،وحسن الاستدارة، وثبات القدمين على مدارهما ، واستواء ما تعمل يُمْنى الرِّجْل ويسراها ، حتى يكون فى ذلك واحداً . ولوضع القدم(٢) ورفعها وجهان : أحدهما أن يوافق بذلك الإيقاع ، والآخر أن يتثبط به ، فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الإيقاع فهو من الحب والحسن سواء ، وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن؛ فليكن ما يوافق الإيقاع مترافعاً ، وما يتثبط به متسافلا .

قال المسعودى : وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دُوِّنت فى أنواع من الأدب ، منها : مدح النديم ، [وذكر فضائله ، وذم التفرد بشرب النبيذ ، وما قيل فى ذلك من المنثور والشعر ، وما قيل فى أخلاق النديم] وصفاته وعفافه وأمْنِ عَبَثِه ، والتداعى إلى المنادمات والمراسلات فى ذلك ، وعدد أنواع الشرب فى الكثرة ، وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه ، وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الأمم ، وأخبار الأعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين، وهيئة المجالس، ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم ، وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك :

حيِّ التحية أصحاب التحيات القائلين إذا لم تَسْقِهم : هاتِ
أما الغداة فَسَكْرى فى نعيمهم وبالعشىِّ فَصَرْعَى غير أموات
وبين ذلك قَصْفٌ لا يُعَادِلُه قصف الخليفة من لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا « أخبار الزمان » مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب ، والاستعمال لأنواع النَّقْل إذا وضع ذلك فى المناقل والأطباق فنضد نضداً(٣)، ورصف رصفاً ، والإبانة عن المراتب فى

(١) فى ب « وإحكام كل جزء » (٢) فى ا « ولوضع الأقدام » .
(٣) فى ب « فنض نضا » .

Marfat.com

ذلك ، ووصف جمل آداب[1] الطبيخ مما يحتاج التابع إلى معرفته ، والأديب إلى فهمه[2] من المتولدات فى معرفة الألوان ، ومقادير التوابل والأبزار ، وأنواع المحادثات ، وغسل اليدين بحضرة الرئيس ، والمقام عن مجلسه ، وإدارات الكاسات ، وما حكى فى ذلك عن الأسلاف من ملوك الأمم وغيرهم ، وما قيل فى الإكثار والإقلال من الشراب ، وما ورد فى ذلك من الأخبار ، وطلب الحاجات والاستمناحات من أهل الرياسة على المعاقرات ، وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه ، وما يلزم الرئيس لنديمه ، والفرق بين التابع والمتبوع ، والنديم والمنادم ، وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديماً ، وكيفية الأدب فى لعب الشطرنج ، والفرق بينها وبين النَّرْد ، وما ورد فى ذلك من الأخبار ، وانتظمت فيه من الدلائل والآثار ، وما ورد عن العرب فى أسماء الخمر وَوُرُود التحريم فيها ، وتنازع الناس فى رد غيرها من أنواع الأنبذة عليها قياساً ، وَوَصْف أنواع آنيتها ، ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرّمها ، وَوَصْف السكر ، وما قال الناس فى ذلك ، وكيفية وقوعه : أمن الله أم من خلقه ؟ وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ، واتصل بهذه المعانى ، وإنما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا .

ثورة تنتهى بموت الموفق وقيام المعتضد

وكان أبو العباس المعتضد محبوساً فلما خرج أبوه الموفق [إلى الجبل] خلفه بدارا لوزير[3] إسماعيل بن بلبل ، وكان مُضيَّقاً عليه ، إلى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مُدْنفاً مورماً فى بيت من الخشب قد اتخذ له ، مبطناً بالخز والحرير وفى أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب[4] . وكان وصوله إلى بغداد يوم الخميس لليلتين خَلَتَا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فأقام بمدينة السلام أياماً فاشتدت عِلّته ؛ وأرجف بموته ؛ وانصرف

(۱) فى ب « جميل لذات الطبيخ » (۲) فى ب « والأريب إلى فهمه »
(۳) فى ا « خلفه فى يد الوزير » (٤) نوائب : نوبة بعد نوبة

Marfat.com

إسماعيل بن بلبل وقد يئس منه ، فوجَّهَ إسماعيل بن بلبل إلى كفهمن ، وقيل: إلى بكتمر[(١)] - وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن ، على أقل من يوم من مدينة السلام - أن ينصرف بالمعتضد والمفوض إلى الله ابنه إلى بغداد ، فدخل المعتضد إليها فى يومه ، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق ، فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيارة إلى دار ولده ، وقد كان يأنس الخادم ومؤنس الخادم وصافى الحرمى وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه ، أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيه محبوساً ، وساروا به إلى الموفق ، وأحضر إسماعيل بن بلبل والمعتضد والمفوض معه ، وكثر اضطراب القُوَّاد والموالى ، وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب ، فانتهبوا دار إسماعيل بن بلبل ، ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل إلا نهبوها ، وفتحت الجسور ، وأبواب السجون ، ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد إلا أخرج ، وكان أمراً فظيماً غليظاً ، وخلع على أبى العباس ، وعلى إسماعيل بن بلبل ، وانصرف كل واحد منهما إلى منزله ، فلم يجد إسماعيل فى داره ما يقعد عليه ، حتى وَجَّه إليه الشاه ابن ميكال ما قعد عليه، وقام بأمر طعامه وشرابه ، وقد كان إسماعيل أسْرَعَ فى بيوت الأموال، وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع [والعطايا] ، وأمَدَّ العرب وأجزل لهم الأنزال والأرزاق ، واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة ، وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان ، وطالَبَ بخراج سَنَةٍ مبهمة ، فثقل على الرعية، وكثر الداعى عليه ، ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ، ثم توفى ليلة الخميس ، لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ومات وله تسع وأربعون سنة ، وأمه أم ولد رومية ، يقال لها : أسعر[(٢)] ، وكان اسم الموفق طلحة، وفيه يقول الشاعر :

لما استظل بظل الملك واجتمعت له الأمور فمنقاد ومقسور[(٣)]

---

(١) فى ب « بكتمن »

(٢) فى ب « يقال لها إسحاق »

(٣) فى ب « لمنقاد ومكسور »

Marfat.com

حُطَّتْ عليـــه لمقدارٍ مَنِيَّتُه ... كذاك تَصْنَعُ بالناس المقاديرُ

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس فى التدبير[١] مكان أبيه الناصر، وهو الموفق ، وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد ، وقام إسماعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام ، وكان لأبى عبد الله بن أبى الساج ولخادمه وصيف خطب جليل ، وقيد إسماعيل بن بلبل ، ووجه أبو العباس إلى عبد الله[٢] بن سليمان بن وهب فأحضره وخلع عليه ورد إليه أمر كتابه ، وذلك فى يوم الثلاثاء لثلاث[٣] بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ولم يزل إسماعيل بن بلبل يعذَّبُ بأنواع العذاب ، وجعل فى عنقه غل فيه رمانة حديد ، والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا ، وألبس جبة صوف قد صبرت فى ودك الأكارع ، وعلق معه رأس ميت ؛ فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ودفن بِغُلِّه وقيوده ، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزائنه ، فضربت وفرقت فى الجند .

غداة المعتضد الذى مات عقيبه

قال المسعودى : وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لإحدى عشرة [ليلة] بقيت من رجب [الفرد] سنة تسع وسبعين ومائتين ، فلما كان عند العصر قدم الطعام ، فقال : ياموشكيره ـ للموكل بهـ مافعلت الرءوس بأرقابها ؟ وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رءوس حملان[٤] ، وقد فصل فيها أرقابها ، فقدمت ، وكان معه على المائدة رجل من ندمائه [وسُمَّاره] يعرف بقف الملقم ؛ ورجل آخر يعرف بخلف المضحك ؛ فأول من ضرب بيده إلى الرءوس الملقم ، فانتزع أذن واحد منها ، [ولقمه فى الرقاق ، وغمسها

(١) فى ا « قام المعتضد بالتدبير فى أمور الناس »
(٢) فى ب « إلى أبى عبد الله بن سليمان بن وهب »
(٣) فى ب « لثمان بقين من صفر »
(٤) فى ب « رأسا حملين ، وقد فصل فيهما أرقابهما »

Marfat.com

فى الأصباغ ، وأهوى بها إلى فِيهِ ، وأمعن فى الأكل] وأما المضحك فإنه يقتاع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وأتموا[1] يومهم ؛ فأما الملقم صاحب اللقمة الأولى فإنه تهرأ فى الليل ، وأما المضحك فإنه مات قبل الصباح ، وأما المعتمد فأصبح ميتاً قد لحق بالقوم .

ودخل إسماعيل بن حماد القاضى إلى المعتضد وعليه السواد ، فسلم عليه بالخلافة ، وكان أول مَنْ سلّم عليه بها ، وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول : هل ترن به من بأس أو أثر ؟ مات فجأة ، وقتلته مداومته لشرب النبيذ ، فنظروا إليه فإذا ليس به من أثر ، فغسل وكفن وجعل فى تابوت قد أعد له وحُمِل إلى سامرا فدفن بها .

وذكروا ـ والله أعلم ـ أن سبب وفاته أنه سقى نوعاً من السم فى شرابهم الذى كانوا يشربونه ، وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت ، وربما وجدوه فى سنبل الطيب ، وهو ألوان ثلاثة ، وفيه خواص عجيبة .

وللمعتمد أخبار حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والحوادث مما كان [بخراسان] من حروب الصفار [وغيره ، وما كان من ولد أبى دُلَف بأرض الجبل ، وما كان من العرب من الطولونية] وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرها[2] من أحمد بن عيسى ابن الشيخ ، وما كان باليمن ، قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والفَرَر منه وما حدث فى كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابينا : « أخبار الزمان » والأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الكتاب .

(١) فى ا « ورموا برمهم »
(٢) فى ا « من بلاد أسر وغيرها »

Marfat.com

ذكر خلافة المعتضد بالله

وبويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله ، فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله [عمه] وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار[1] ، وكانت وفاته يوم الأحد لسبع[2] بَقِينَ من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ؛ فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين ، وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة ، وقيل : إنه ولى الخلافة وهو ابن إحدى وثلاثين سنة ، وتوفى سنة تسع وثمانين ـ على ما ذكرنا ـ وله أربعون سنة وأشهر ، على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم ، وما أرَّخُوه فى أيامهم ، والله الموفق . موجز

(١) فى ب « يقال لها مرار »

(٢) فى ا « لتسع بقين »

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

حال الرعية فى أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن ، وصلحت البلدان ، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار ، وهدأ الهرج[1] ، وسالمه كل مخالف، وكان مُظَفَّراً قد دانت له الأمور ، وانفتح له الشرق والغرب ، وأديل له [فى] أكثر المخالفين عليه وَالمُنَابذين له ، وظفر بهارون الشارى .

وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بَدْرٌ مولاه ، وإليه جميع المعارف فى جميع الآفاق ، وإليه أمر الجيوش وسائر القواد .

مالية الدولة فى عهده

وخلف المعتضد فى بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار ، ومن الوَرِق أربعين ألف ألف درهم، ومن الدواب والبغال [والجمازات] والحمير والجمال اثنى عشر ألف رأس ، وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام .

تقتيره

وحكى عبد الله بن حمدون — وكان نديمه وخاصته ، وممن كان يأنس به فى خلواته — أنه أمر أن تنقص حَشَمُه ومن كان يجرى عليه الأنزال[2] من كل رغيف أوقية ، وأن يبتدأ بأمر خبزه ؛ لأن للوصائف عدداً من الرغفان فيها ثلاث لذا وأربع لذا وأكثر من ذلك ، قال ابن حمدون : فتعجبت من ذلك فى أول أمره ، ثم تبينت القصة ؛ فإذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم ، وتقدم إلى خزّانه أن يختار له من الثياب التسترية[3] والدبيقية أحسنها لتقطيعها لنفسه .

أنواع من قسوته

وكان مع ذلك قليل الرحمة ، كثير الإقدام ، سفاكا للدماء ، شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله .

---

(١) فى ا «وهدأ الهيج» (٢) فى ب « ومن كان يجرى عليه من الأتراك »
(٣) فى ا « السوسية »

Marfat.com

وكان إذا غضب على القائد النبيل ، والذى يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة [بحضرته] ثم يدلى على رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره .

وذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف وَيُقيّد ؛ فيؤخذ القطن فيحشى فى أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشىء من القطن ، ثم يفصد ، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين اللذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع ، وربما كان يقام[1] الرجل فى أعلى القصر مجرداً مُوثقاً ويرمى بالنشاب حتى يموت .

واتخذ المطامير ، وجعل فيها صنوف العذاب ، وجعل عليها نجاح الحرمى المتولى لعذاب الناس ، ولم يكن له رغبة إلا فى النساء والبناء ؛ فإنه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار ، وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ .

وأقر عبيد الله بن سليمان على وزارته ، فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله. وزراؤه

وقد كان المعتضد فى هذه السنة ــ وهى سنة تسع وسبعين ومائتين ــ صلاته العيد ركب يوم الفطر ــ وهو يوم الاثنين ــ إلى مصلى اتخذه بالقرب من داره ، [فصلى بالناس] وكبر فى الركعة الأولى ست تكبيرات ، وفى الآخرة تكبيرة واحدة ، ثم صعد المنبر ، فحصر ولم تسمع له خطبة ؛ فى ذلك يقول بعض الشعراء :

حصر الإمام ولم يبين خطبة ... للناس فى حــل ولا إحرام
ما ذاك إلا من حياء ، لم يكن ... ما كان من عى ولا إفحام

وفى هذه السنة قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه بن أحمد ، ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة [وطراز] ، فوصل زواجه بنت خمارويه

(١) فى ا « وربما كان يقتل الرجل »

Marfat.com

إلى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خَلَوْنَ من شوال ، وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ، ثم سعى فى تزويج ابنة خمارويه من علىّ المكتفى ، فقال المعتضد : إنما أراد أن يتشرّفَ بنا ، وأنا أزيد فى تشريفه ، أنا أتزوجها ، فتزوجها، وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها ؛ فيقال : إنه حمل معها جوهراً لم يجتمع مثله عند خليفة قط ؛ فاقتطع ابن الجصاص بعضه ، وأعلم قَطْر الندى بنت خمارويه أن ما أخذ مُودَع لها عنده إلى وقت حاجتها إليه ؛ فماتت والجوهر عنده ؛ فكان ذلك سبب غناه واستقلاله ، وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى أيام المقتدر ، وما كان من القَبْض عليه ، وما أخذ منه من الأموال بهذا السبب وغيره ، وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد إلى أبى الجيش ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق ، وكان مما خص به أبا الجيش فى نفسه وَحَبَاه به بَدْرَة من الجوهر الثمين فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وإكليل، وقيل : قلنسوة ، وكرزن[1] . وكان وصولهم إلى مصر فى رجب سنة ثمانين ومائتين ، وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا إلى مدينة السلام فى الماء .

ابن الجصاص

وحدث أبو سعيد أحمد بن الحسين بن منقذ قال : دخلت يوماً على الحسن[2] ابن الجصاص وإذا بين يديه سفط مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح ؛ فرأيت شيئاً حسناً ووقع فى نفسى أن عددها يجاوز العشرين ؛ فقلت له : جعلنى الله فداك ! كم عدد [ما فى] كل سبحة ؟ فقال لى : مائة حبة ، وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص، وقد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها ، وإذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقَبَّان كما يوزن الحطب ؛ فلما خرجت من عنده تلقانى أبو العيناء فقال لى : يا أبا سعيد ، على أى حال تركت هذا الرجل ؟

(١) فى ب « كردف » (٢) فى ب « الحسين بن الجصاص » وهو الصواب، كما فى ابن خلكان فى ترجمة ابن المعتز، وكما فى البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٥٦) وانظر الترجمة رقم ١١٠ من فوات الوفيات ، والمذكور فى الأصل هو ما فى ا

Marfat.com

فوصفت له ما رأيت ، فقال رافعاً رأسه إلى السماء : اللهم إن كنت لم تُسَاوِ بيني وبينه فى الغنى ، فَسَاوِ بيني وبينه فى العمى ، ثم اندفع يبكى ، فقلت : يا أبا عبيد[1] الله ، ما شأنك ؟ فقال : لا تنكر ما رأيت منى ، لو رأيتَ ما رأيتُ لضعفت ، ثم قال : الحمد لله على هذه الحالة ، وقال : يا أبا سعيد ، ما حَمَدْتُ الله تعالى على العمى إلا فى وقتى هذا ؛ فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص : بأى شىء ختم هذا السبح ؟ فقال : بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها .

أبو العيناء

وكانت وفاة أبى العيناء سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة ، وكان يكنى بأبى عبيد الله[1] ، وكان قد انحدر من مدينة السلام إلى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفساً فى هذه السنة فغرق الزورق ، ولم يتخلص مما كان فيه إلا أبو العيناء ، وكان ضريراً ، تعلَّقَ بأطراف الزورق فأخرج حيًّا ، وتلف كل من كان معه ، فبعد أن سلم ودخل البصرة مات .

وكان لأبى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء مالم يكن عليه أحد من نُظَرَائِهِ ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى على البصير وغيره ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

وحضر مجلس بعض الوزراء ، فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبى العيناء ، وقد كان أمْعَنَ فى وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال : قد أكْثَرْتَ من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا من تصنيف الوَرَّاقين وتأليف المحسنين ، فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوَرَّاقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود ؟ فأمْسَكَ عنه الوزير ، وتعجب الناس من إقدامه عليه .

واستأذن يوماً على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول

(١) فى ب « يا أبا عبد الله » وهو تحريف ، واتفقت النسختان فيما بعد بخمسة أسطر على « أبى عبيد الله »

Marfat.com

فانتظر ، فلما أبطأ إذنه قال للحاجب : ماصنع الوزير ؟ قال : يصلّى ، قال: صدقت لـكل جديد لذة ، يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام .

وقد كان أبو العيناء دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجَعْفَرِىّ ، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين ، فقال له : كيف قولك فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بَنَوْا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ، فاستحسن ذلك ثم قال له : كيف شربك النبيذ ؟ فقال : أعجز عن قليله ، وأفتضح من كثيره ، فقال له : دَعْ هذا عنك ونادمنا ، فقال : أنا امرؤ محجوب ، والمحجوب تتخطرف إشارته ، ويجور قصده ، وينظر منه إلى مالا ينظر إليه ، وكل مَنْ فى مجاسك يخدمك ، وأنا أحتاج أن أُخْدَمَ[1] ، وأخرى لست آمن أن تنظر إلَىَّ بعين رَاضٍ وقلبك غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك رَاضٍ ، ومتى لم أُمَيِّز بين هاتين هلـكت ، فأختار العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بَلَغنا عنك بَذَاء ، قال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم فقال : (نعم العبد إنه أواب) وقال جل ذكره : (هماز مشاء بنميم — الآية) فإن لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبى والذمى فلا ضَيْرَ فى ذلك ، قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أكُ صادقاً ولم أشتم النِّـكْسَ اللئيم المذمما
ففيمَ عرَفْتُ الخير والشر باسمه وَشَقَّ لىَ الله المسامع والفما ؟

قال : من أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : ما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم .

وكان وزيره عبيد[2] الله بن يحيى بن خاقان واقفاً على رأسه ، قال : ما تقول فى عبيد[2] الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال : نعم العبد ، منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك .

ودخل ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد ، فقال له : ما تقول فى

(١) فى ب « وأنا أحب أن أخدم »
(٢) فى ب « عبد الله بن يحيى »

Marfat.com

ميمون ؟ قال : يد تسرق ، وأست تضرط ، وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة ، له إقدام ومعه إحكام ، إحسانه تكلف ، وإساءته طبيعة ، فأضحكه ذلك منه ، ووصله وصرفه .

هدايا الصفار للمعتضد

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وردَتْ هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار : منها مائة دابة من مَهَارى خراسان وجمازات[1] كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم ، وكان معها صنم من صُفْر على مثال امرأة لها أربعة أيدٍ وعليها وشاحان من فضة مُرَصَّعَانِ بالجوهر الأحمر والأبيض ، وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر ، وكان هذا التمثال على عَجَلٍ قد عمل على مقدارها تجره الجازات[1] ؛ فصير بذلك أجمع إلى دار المعتضد ؛ ثم رد هذا التمثال إلى مجلس الشرطة فى الجانب الشرقى ؛ فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد إلى دار المعتضد ، وذلك فى يوم الخميس لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ؛ فسمت العامة هذا التمثال شغلا ؛ لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر إليه عدة هذه الأيام .

وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلى بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار ، وهى ثغور فى هذا الوقت — وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — مما يليها من الأكافر[2] والأمم المختلفة حَضَرٌ وبَدْو ، فمن الحضر بلاد كابل وبلاد باميان[3] ، وهى بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار الأمم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان نعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان .

وقد كان عيسى بن على بن ماهان دخل فى طلب الخوارج فى أيام الرشيد إلى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان ، يقتل ويفتتح

(١) فى ب « وحمارات » (٢) فى ب « من الأكابر »
(٣) فى ب « وبلاد ماحان »

Marfat.com

فتوحا لم يتقدم مثلها فى تلك الديار ؛ ففى ذلك يقول الأعمى الشاعر المعروف بابن العذافر[1] القمى :

كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المغربين والمشرقين
لم يَدَعْ كابلا ولا زابلستا ن فما حولها إلى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الأخبار عن قلاع فيروز بن كبك الملك ببلاد زابلستان التى ليس فى قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومَنْ أكثر فى الأرض المسيرَ أحصَنُ منها ، ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ، ولا أكثر عجائب منها ، وذكرنا عجائب تلك الديار إلى بلاد الطبسين[2] وبلاد خراسان واتصالها بسجستان ، وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر ، وما فى العامر من الأمم المختلفة الخلق والخلق .

قدوم أهل البصرة على المعتضد

وقد كان أهل البصرة وردوا على المعتضد فى مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على ما فى بحرهم ، ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم : منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ، وكان مولى آل جُمَح من قريش ، وكان ولى القضاء بعد ذلك ، يشكون إلى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان ، وجدبِ لحقهم ، وجَوْرٍ من العمال اعتورهم ، وألحوا بالصياح والضجيج فى مراكبهم فى دجلة ، فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب ، وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم ، فيقصون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ، ثم أذن للبصريين فدخلوا ، وأبو خليفة فى أولهم ، عليهم الطيالسة الزرق والأقناع على رؤوسهم ؛ ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة ، فاستحسن المعتضد ما رأى منهم ، وكان المبتدىء منهم بالنطق أبو خليفة ؛ فقال : غمر العامر ، ودَثَرَ الظاهر ، واختلفت العَوّاء ، وخسفت الجوزاء ، وأناخت علينا المصائب ، واعتورتنا المحن ، وقام كل رجل منا فى ظلمة ، واصطلمت الضياع ، وانخفضت القلاع ، فانظر إلينا بعين

(١) فى ب « المعروف بابن القذاف » (٢) فى ب « الطبسيس »

Marfat.com

الإمام ، تستقيم لك الأيام ، وتنقاد لك الأنام ، وإلا فنحن البصريون لا نُدْفَع عن فضيلة ، ولا نتنافس عن جليلة وسَجَعَ فى كلامه ، وأغرق فى خطابه ، فقال له الوزير : أحسبك مؤدباً أيها الشيخ ، فقال له : أيها الوزير ، المؤدبون أجاسوك هذا المجلس ، قال له الوزير : كم فى خمس من الإبل ؟ قال له أبو خليفة : الخبيرَ سألت ؛ فى خمس من الإبل شاة ، وفى العشر شاتان ؛ ثم مضى فى وصف فرائض الإبل واصفاً لما يجب فيها ، ذاكراً للتنازع فى موضعه منها ؛ ثم شرع فى البقر والغنم ، بلسان فصيح وخطاب حسن فى إيجاز من خطاب وبيان من الوصف ؛ فبعث المعتضد — وقد أعجبه ماسمع ، وأكثر لذلك من الضحك — بخادم إلى الوزير ، فقال له : اكتب لهم عما يريدون ، وأجبهم إلى ما سألوه ، ولا تصرفهم إلا شاكرين ؛ فهذا شيطان قذف به البحر ، ومثله فَلْيَقِدْ(١) على الملوك .

أبو خليفة الجمحى

وكان أبو خليفة لا يتكلف الإعراب ، بل قد صار له كالطَّبْعِ ، لدوام استعماله إياه من عنفوان حداثته ، وكان ذا محل من الإسناد .

وله أخبار ونوادر حسان قد دونت : منها أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفاً عن عمله ، وأبو خليفة مصروفاً عن قضائه ، فبعث العامل إلى أبى خليفة أن مبرمان النحوى صاحب أبى العباس المبرد قد زارنى فى هذا اليوم إلى بعض الأنهار والبساتين ، فأتوه مبكرين(٢) مع من حضرنا من أصحابنا ، وسألوه الحضور معهم ، فجلسوا فى سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهراً من أنهار البصرة [واستحسنوا بعض البساتين فقدموا إليه وخرجوا إلى الشط وجلسوا تحت النخل على شط النهر] وقدم إليهم ما حُمل معهم من الطعام وكان أيام المبادى(٣) وهى الأيام التى يُنْثر فيها الرطب فيكبسونه فى القواصر تمراً ، وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل فى التمر من الأكرة ، وهم الزراع وغيرهم ؛ فلما أكلوا

(١) فى ب « ومثله فليقذف على الملوك » محرفا (٢) فى ب « متنكرين »
(٣) فى ا « وكان أيام البرى »

Marfat.com

قال بعضهم لأبى خليفة غير مكن له خوفاً أن يعرفه مَنْ حضر ممن ذكرنا من الأكَرَةِ والعمال فى النخل : أخبرنى أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا) هذه الواو ماموقعها من الإعراب ؟ قال أبو خليفه : موقعها رفع ، وقوله : « قوا » هو أمر للجماعة من الرجال ، قال له : كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين ؟ قال : يقال للواحد من الرجال : قِ ، وللاثنين : قيا ، وللجماعة : قوا ، قال : كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن؟ قال أبو خليفة : يقال للواحدة : قى ، وللاثنتين : قيا ، وللجماعة : قِينَ . قال : فأسألك أن تعجل بالعَجَلةِ كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن ؟ قال أبو خليفه عجلان : قِ قيا قوا قى قيا قين ، وكان بالقرب منهم جماعة من الأكَرَةِ ، فلما سمعوا ذلك استعظموه ، وقالوا : يازنادقة ، أنتم تقرءون القرآن بحروف الدجاج ، وعَدَوْا عليهم[1] فصفعوهم ، فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم إلا بعد كد طويل .

وقد أتينا على نوادر أبى خليفة وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص إلى داره وغير ذلك فى كتابنا الأوسط .

وكانت وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة .

ابن الشيخ فى آمد

وَفى سنة ست وَثمانين وَمائتين فى ربيع الأوَل نزل المعتضد على آمد، وَذلك بعد وَفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ عبد الرزاق ، وَقد تحصن بها وَلده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق ، فَبَثَّ جيوشه حولها وَحاصرها، فحدث علقمة ابن عبد الرزاق قال : حدثنا روَاحة بن عيسى بن عبد الملك، عن شعبة[2] بن شهاب اليشكرى ، قال : وَجّه بى المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لآخذ بالحجة عليه، فلما صرت[3] إليه وَاتصل الخبر بأم الشريف أرسلت إلى، فقالت:

(١) فى ب « وغدوا عليهم » بالغين المعجمة (٢) فى ب « شعلة بن شهاب »
(٣) فى ب « فلما سرت إليه »

Marfat.com

يا ابن شهاب ، كيف خَلَّفْتَ أمير المؤمنين ؟ قال : فقلت : خَلَّفْتُهُ والله ملكا جذلا ، وحكما عدلا ، أماراً بالمعروف ، فعالا للخير ، متعززاً على أهل الباطل ، متذللا للحق ، لا تأخذهُ فى الله لومة لائم ، قال : فقالت لى : هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه ، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده ، وخليفته المؤتمن على عباده ، أعزَّ به دينه ، وأحيا به سُنّته ، وثبَّت به شريعته . ثم قالت لى : وكيف رأيت صاحِبَنا ؟ تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد ، قال : فقلت : رأيت غلاماً حَدَثاً معجباً قد استحوذ عليه السفهاء فاستمدَّ بآرائهم وأنصَتَ لأقوالهم ، فهم يزخرفون له الكلام ، ويوردونه النَّدَم ، فقالت لى : فهل لك أن تَرْجع إليه بكتاب فلعلنا أن نَحُلَّ ما عَقَدَه السفهاء ؟ قال : قلت : أجل ، فكتبتُ إليه كتاباً لطيفاً [حسناً] أجزلت فيه الموعظة ، وأخلصت فيه النصيحة ، وكتبت فى آخره هذه الأبيات :

أَقْبَلْ نصيحة أمّ قلبها وَجِعٌ
عليك ، خوفاً وإشفاقاً ، وقُلْ سَدَدَا

واستَعمِلِ الفكر فى قولى ؛ فإنك إن
فَكَّرْتَ أَلفيْتَ فى قولى لك الرَّشَدَا

ولا تَثِقْ برجال فى قلوبهمُ ضغائن تبعث الشَّنْآن والحسدا

مثل النعاج خمول فى بيوتهم حتى إذا أمنوا ألفيتهم أُسُدَا

وَدَاوِ ذلك والأدواء ممكنة وإذ طبيبك قد ألقى إليك يَدَا

واعطِ الخليفة ما يرضيه منك ، ولا تَمْنَعْهُ مالا ولا أهلا ولا ولدا

واردد أخا يشكر ردًّا يكون له رِدْءاً من السوء لم تُشْمِتْ به أحدا[1]

قال : فأخذتُ الكتاب ، وسرت به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه

(١) وقع هذا البيت فى ب هكذا :

وارددا أخا يشكر ردا يكون له رد من السوء لاتشمت به أحدا

Marfat.com

رمى به إلىّ ، ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تُساس الدول ، ولا بعقولهن يُساس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجعت إلى أمير المؤمنين ؟ فأخبرته الخبر عن حقه[1] وصدقه ، فقال : وأين كتاب أم الشريف ؟ قال : فأظهرته ، فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ، ثم قال : إنى لأرجو أن أشفعها فى كثير من القوم ؛ فلما كان فى فَتح آمِدَ[2] ما كان ونزل محمد بن أحمد على الأمان لما عظم القتال وَجّه إلىّ أميرُ المؤمنين فقال : يا شعلة بن شهاب ؛ هل عندكم علم من أم الشريف ؟ قال : قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : أُمْضِ مع هذا الخادم فإنك تجدُها فى جملة نسائها ، قال : فمضيت ، فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول:

رَيْبُ الزمان وصَرْفُه وعتوُّه كشف القناعا
وأذَلَّ بعد العز منّا الصَّعْبَ والبطل الشجاعا
ولقد نصحت فما أُطعت ، وكم حرمت بأن أطاعا
فأبَى بنا المقدور إلاّ أن نُقَسَّم أو نباعا
يا ليت شعرى هل ترى يوماً لفرقتنا اجتماعا

قال : ثم بكت وضربت بيدها على الأخرى ، ثم قالت لى : يا [ابن] شهاب ، كأنى والله كنت أرى ما أرى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قال : فقلت لها : إن أمير المؤمنين قد وَجَّهَنِى إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأى منه فيك ، قالت : فهل لك أن توصل إليه كتابى هذا بما فيه ؟ قلت : نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى وابن الخلائف من قريش الأبطح[3]
بك أصلح الله البلاد وأهلَهَا بعد الفساد ، وطالما لم تصلح

(١) فى ا « على حقه وصدقه » .
(٢) فى ا « كان من فتح آمد ما كان » .
(٣) عجز هذا البيت فى ب « رأس الخلائق من قريش الأبطح » .

Marfat.com

وتزحزحت بك قبة العز التى لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراكَ رَبُّكَ ما تحبُّ فلا ترى مالا يُحِبُّ،فَجُدْ بعفوك واصْفَحِ
[يابهجة الدنيا وبَدْرَ ملوكها هَبْ ظالمِيَ ومفسديَّ لمصلح]

قال : فأخذت الكتاب ، وسرت به إلى أمير المؤمنين ، فلما عرضت عليه الأبيات أعجبته ، وأمر أن يحمل إليها تُخُوتٌ من الثياب وجملة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ، وشَفَّعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه .

حرب مع رافع بن ليث

وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلَفَ بمواقعة رافع ابن ليث(١) وذلك فى سنة تسع(٢) وسبعين ومائتين ، فسار أحمد بن عبد العزيز إلى رافع ، والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، وأقامت الحرب بينهم أياماً ، ثم كانت على رافع بن ليث(١) ، فولّى ، وركب أصحاب ابن أبى دُلَفَ أكتافهم ، واستولوا على عسكرهم ، وكان وصول هذا الخبر إلى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة .

محمد بن الحسن ابن سهل يدعو لرجل طالبى

وفى سنة ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل ، يلقب بشميلة ، ومعه عبيد الله بن المهتدى ، ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة ، وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب ، فأقرَّ عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوى وأصيب له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب ، وكانوا قد عزموا على أن يظاهروا ببغداد فى يوم بعينه ، ويقتلوا المعتضد(٣) ، فأدخلوا إلى المعتضد ، فأبى مَنْ كان مع محمد بن الحسن أن يقروا ، وقالوا : أما الرجل الطالبى فإنا

(١) فى ب « رافع بن هرثمة » (٢) فى ب « سنة سبع وسبعين »
(٣) فى ا « ويفتكوا بالمعتضد » .

Marfat.com

لا نعرفه ، وقد أخذت علينا البيعة له ولم نَرَهُ ، وهذا كان الواسطةَ بيننا وبينه ، يعنون محمد بن الحسن ، فأمر بهم فقتلوا ، واستبقى شميلة طمعاً فى أن يدلّه على الطالبى ، وخلّى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ، ثم أراد المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدلّه على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال ، فأبى ، وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل ، وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال : لو شَوَيْتَنِي على النار ما زدتك على ما سمعتَ منى ، ولم أقر على مَنْ دعوتُ الناسَ إلى طاعته وأقررت بإمامته، فاصنع ما أنت له صانع ، فقال له المعتضد : لسنا نعذبك إلا بما ذكرت ، فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم ، والأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشُدَّ بأطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو فى الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها إلى أن تفرقع جسمه ، وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربى .

محاربة بنى شيبان

وفى هذه السنة كان خروج المعتضد فى طلب الأعراب من بنى شيبان ، و [قد] كانوا عتَوْا وأكثروا الفساد ، وأوقع بهم مما يلى الجزيرة والزاب[1] فى الموضع المعروف بوادى الذئاب ، فقَتَلَ وأسَرَ وساق الذرارى وسار إلى الموصل .

وفى هذه السنة افتتح أبو عبد[2] الله بن أبى الساج المراغةَ من بلاد أذربيجان ، فقبض على عبد الله بن الحسين[3] ، واستصفى أمواله ، ثم أتى عليه بعد ذلك .

فتح عمان

وفى هذه السنة كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلَفَ .

وفى هذه السنة افتتح أحمد بن ثور عمان ، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين ، فواقع الشراة من الأباضية ، وكانوا فى نحو من مائتى ألف، وكان

(١) فى ب « والدواب » محرفا . (٢) فى ب « أبو عبيد الله » .
(٣) فى ب « عبد الله بن الحسن ، واستبقى أمواله »

Marfat.com

إمامهم الصَّلْت بن مالك ببلاد بروى من أرض عمان ؛ وكانت له عليهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحمل كثيراً من رؤوسهم إلى بغداد [فنصبت بالجسر].

وفيها دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة .

[وفى هذه السنة كان دخول عمرو بن الليث نيسابور].

ابنة ابن أبى الساج

وفى هذه السنة نقلت ابنة محمد بن أبى الساج إلى بدرٍ غلامِ المعتضد ؛ وقد أتينا على خبر ابن أبى الساج وما كان من تزويجه ابنتَه لبدر بحضرة المعتضد؛ وما كان من خبر ابن أبى الساج ورحلته عن باب خراسان متوجهاً إلى أذربيجان فى الكتاب الأوسط .

مسير إسماعيل ابن أحمد إلى أرض الترك

وفى هذه السنة سار إسماعيل بن أحمد — بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على إمرة خراسان — إلى أرض الترك ، ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك ، وأسر خاتون زوجة الملك ، وأسر خمسة عشر ألفاً من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ، ويقال : إن هذا الملك يقال له طنكش[1] ، وهذا الاسم سِمَةٌ لكل ملك مَلَكَ هذا البلد من ملوكهم ، وأراه من الجنسين المعروفين بالخدلجية ، وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم ، وكذلك فيما سلف من كتبنا .

بين وصيف وعمرو بن عبد العزيز

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبى الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا ، وكان المعتضد خرج فى هذه السنة إلى الجبل لأمور بلغته : منها قصة محمد بن زيد العلوى الحسينى[2] صاحب بلاد طبرستان ، فولى ولده علياً المكتفى الرى ، وأنزله بها ، وأضاف إليه قزوين وزنجان[3] وأبهر وقم وهمذان ، وانصرف المعتضد إلى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز إصبهان وكرخ أبى دُلَفَ

(١) فى ب «طفكس»   (٢) فى ا «الحسنى»   (٣) ف . ب . «ورجان»

Marfat.com

أحداث

وفيها استأمن إلى المكتفى على كوره ، وسار إلى المعتضد فى عدة كثيرة ، وفيها سار طغج بن شبيب أبو[1] الإخشيد صاحب مصر فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — فى عساكر كثيرة من دمشق ، فدخل طرسوس غازياً وافتتح ملوريه[2] مما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب.

وفى هذه السنة نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران[3] ، وسارع إسحاق بن أيوب العنبرى [إلى طاعة المعتضد ، ودخل فى عسكره ، واستأمن الحسين بن حمدان بن حمدون] ومن كان معه من أصحابه إلى المعتضد ، وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعوده الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا إلى إسحاق بن أيوب حتى أتى به إلى المعتضد ، وإخراب المعتضد لهذه القلعة ، وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة ، وهو حمدان بن حمدون بن الحارث بن منصور بن لقمان ، وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — وما كان من الحسين بن حمدان فى طلبه هارونَ الشارى ، وما كان من أخذِ الحسين بن حمدان إياه ، بعد هذا الموضع فيما يَرِدُ من هذا الكتاب .

مقتل أبى الجيش خمارويه

قال المسعودى: وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذُبِحَ أبو الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة ، وقد كان بَنَى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان[4] قصراً ، وكان يشرب فيه فى تلك الليلة ، وعنده طغج ، وكان الذى تولى ذلك خادماً من خدمهم ، وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ، ومنهم من رُمِيَ بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته ، وأكله السودان من مماليك أبى الجيش .

(١) فى ب « طغج بن شيث بن الإخشيد » (٢) فى ب « لورية » .
(٣) فى ا « نحو عمر الزعفران » (٤) فى ا « الأسفل ديرمران »

Marfat.com

الخصيان

وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين، وذلك أن أهل الصين يَخْصُون كثيراً من أولادهم كفعل الروم بأولادهم ، وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد ، وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو، فى كتابنا « أخبار الزمان » وما أحدثته الطبيعة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات .

وذكر المدائنى أن معاوية بن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة ــ وكانت ذات عقل وحزم ــ ومعه خصى ، وكانت مكشوفة الرأس ، فلما رأت معه الخصى غَطّتْ رأسها ، فقال لها معاوية : إنه خصى ، فقالت : يا أمير المؤمنين، أترى المثلة به أحلّتْ له ما حرم الله عليه ؟ فاسترجع معاوية ، وعلم أن الحق ما قالته ، فلم يُدْخِلْ بعد ذلك على حرمه خادماً ، وإن كان كبيراً فانياً[1] .

وقد تكلم الناس فيهم ، وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب ، وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال ، وهذا خَلْفٌ من الكلام ، وفاسد من المقال ، بل هم رجال ، وليس فى عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب إلحاقهم بما ذكروا ، ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ، ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارى جل وعز ، لأنه خَلَقَهم رجالا [لا نساء و] ذُكْرَانا ، لا إناثا ، وليس فى الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ، ويزيل خَلْقَ البارى جل وعز [لهم] ، وقد قلنا فى علة عدم نتن الآباط فى الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا ، لأن الخادم بطىء لا يوجد لآباطه رائحة ، وهذا من فضائل الخدم .

نقل جثة خمارويه إلى مصر

وَحُمِلَ أبو الجيش فى تابوت إلى مصر ، وَوَرد الخبر بذلك إلى مصر [يوم الأحد لخمس ليال خَلَوْنَ من ذى الحجة ، وَكان ذبحه لأيام بقيت من ذى القعدة ، فبويع لابنه جيش ــ وَكان خمارَوَيه به يكنى ــ من الغد يوم الاثنين ، وَأتى بأبى الجيش إلى مصر] ، فأخرج من التابوت ، وَجعل على السرير ، وَذلك على باب مصر ، وَخرج وَلده الأمير جيش ، وَسائر الأمراء وَالأولياء ، فتقدم القاضى أبو عبد الله[2] محمد بن عبدة المعروف بالعبدانى وَصلى عليه ، وَذلك فى الليل .

(١) فى ا « إلا كبيراً فانيا » (٢) فى ب « أبو عبيد الله محمد » .

Marfat.com

فحكى أبو بشر الدولابى عن أبى عبد الله النجارى[١] ـ وكان شيخاً من أهل العراق ، وكان يقرأ فى دور آل طولون ومَقَابرهم ـ أنه كان فى تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر ، وقد قدم أبو الجيش ليُدَلَّى فى القبر ، ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان ، فأحدر من السرير ، وَدُلِّيَ فى القبر ، وانتهينا من السورة فى هذا الوقت إلى قوله عز وجل : (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم) قال : تخفضنا أصواتنا وأدغمنا[٢] حياء ممن حضر .

من حزم المعتضد

ومما ذكر من خبر المعتضد وحزمه فى الأمور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بِدَر ، فحملت إلى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم ، فنقب منزله فى تلك الليلة ، وأخذت العشر البدر[٣] ، فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال ، فأمر بإحضار صاحب الحرس ، وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلى[٤] ، فلما أتاه قال له : إن هذا المال للسلطان والجند ، ومتى لم تأت به أو بالذى نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه ، فجد فى طلبه ، وطلب اللص الذى جَسَرَ على هذا الفعل ، فصار إلى مجلسه ، وأحضر التوابين والشرط ، والتوابون : هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثة علموا مِنْ فِعْل مَنْ هى ، فدلُّوا عليه ، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه ، فتقدم إليهم فى الطلب ، وتهدَّدهم ، وأوعدهم ، وطالبهم ، فتفرق القوم فى الدروب والأسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار . فما لبثوا أن أحضروا رجلا نحيفاً ضعيف الجسم رث الكسوة هين[٥] الحالة فقالوا : يا سيدى هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد ، وأطبق القوم[٦] كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال ، فأقبل عليه مؤنس العجلى[٤] فقال له : ويلك ! مَنْ كان معك ؟ وَمَنْ أعانك ؟

(١) فى ا « البخارى »
(٢) فى ب « وأذعرنا » .
(٣) فى ا « العشر بدر » خطأ
(٤) فى ا « الفحلى » .
(٥) فى ا « بين الحالة »
(٦) فى ا « واتفق القوم كلهم » .

Marfat.com

وأين أصحابك؟ ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة ، ما كنتم إلا عشرة وأقل ذلك خمسة ، فأقر [لي] بالمال إن كان مجتمعاً ، وعلى أصحابك إن كان المال قد قسم ، فمازاده على الإنكار شيئاً ، فأقبل يترفّقُ به ويَعِدُه أن يثيبه ويرزقه ويعظم جائزته ، ويعده بكل جميل على رده والإقرار به ، ويتوعّدُه بكل مكروه [وهو] على جحوده وإنكاره ، فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ في عقوبته ومساءلته ، فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع ، وبلغ به ذلك إلى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق ، فلم يقر بشيء ، فبلغ ذلك المعتضد ، فأحضر صاحب الجيش[1] ، فقال له : ماصنعت في المال ؟ فأخبره الخبر ، فقال له : ويلك ! أتأخذ لصاً قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال ، فأين حيل الرجال ؟ [قال : يا أمير المؤمنين ما أعلم الغيب ، ولم تكن لي في أمره حيلة غير ما فعلت ، قال : أحضرني الرجل] فأتي به وقد حمل في جل ، فوضع بين يديه وقد ثقل ، فسأله فأنكر ؛ فقال له : ويلك ! إن مُت لم ينفعك ، وإن برئت من هذا الضرب [ونجوت] لم أدعك تصل إليه ، فلك الأمان والضمان على ماتصلح به حالتك ويحمد به أمرك فأبى إلا الإنكار ، فقال : علي بأهل الطب ، فأحضروا ، فقال : خذوا هذا الرجل إليكم فعالجوه بأرفق العلاج ، وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد ، واجتهدوا أن تبرئوه في أسرع وقت ، فأخذوه إليهم ، وأخرج مالامكان المال وأمر بتفريقه على الجند ، فيقال : إنه برىء وصلح في أيام يسيرة ، ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صَحّ وقوي جسمه وظهر لونه ورجعت إليه نفسه ، ثم ذكر به ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر بين يديه سأله عن حاله ، فدعا وشكر ، وقال : أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ، ثم سأله عن المال ، فعاد إلى الإنكار ، فقال له : ويلك ! ألست تخلو من أن تكون أخذته وحدك

(١) في ا « صاحب الحرس » .

كله أو وصل إليك بعضه ، فإن كنت أخذته كله ، فإنك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ، ولا أظنك تفنيه قبل موتك ، وإن مت فعليك وزره ، وإن كنت أخذت بعضه سمحنا لك به ، فأقر [لنا به ، وأقر] على أصحابك ، فإنى أقتلك إن لم تقر ، ولا ينفعك بقاء المال بعدك ، ولا يبالى أصحابك بقتلك ، ومتى أقررت دفعت إليك عشرة آلاف درهم ، وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ، ورسمتك من التوابين ، وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك ، وتكون عزيزاً ، وتنجو من القتل ، وتتخلص من الإثم ، فأبى إلا الإنكار ، فاستحلفه بالله [فحلف] وأظهرله مصحفاً [واستحلفه] فحلف عليه ، فقال : إنى سأظهر على المال ، فإن أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك ، فأبى إلاّ الإنكار ، فقال له : فضع يدك على رأسى واحلف بحياتى ، فوضع يد على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه وأنه مظلوم متهم ، وأن التوابين قد تبرءوا به ، فقال له المعتضد : فإن كنت قد كذبت قتلتك وأنا برىء من دمك ؟ قال : نعم ، فأمر بإحضار ثلاثين أسود ، بحيث يراهم ويرونه ،وأمرهم أن يتناوبوا فى ملازمته ، فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكىء [ولا يستند] ولا يستلقى ولا يضطجع ، وكلما خفق خَفْقَةً وُجِئَ فكه وقمع رأسه ، حتى إذا ضعف وقارب التلف أمر بإحضاره ، فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان ، فحلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه ، فقال المعتضد لمن حضر : قلبى يشهد أنه برىء ، وأن ما يقول حق خَفْقَةً ، وأن التوابين قد عرفوا صاحبه ، وقد أثمنا فى هذا الرجل ، وسأله أن يجعله فى حِلٍّ ، ففعل ، ثم أمر بإحضار مائدة عليها طعام ، وأحضر بارد الشراب ، وأمره بالجلوس والأكل والشراب ، فأقبل يأكل ويشرب ، ويُحَثُّ على الأكل ، ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر ، حتى لم يبق للأكل والشرب موضع ، ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب ، وأتى له بحشية

Marfat.com

ريش فوُطِّيء له ومهد، فلما استلقى واستراح وغفا أمر بإزعاجه وسرعة إيقاظه، فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه الوَسَنُ، فقال له: حدثنى كيف صنعت؟ وكيف نقبت؟ ومن أين خرجت؟ وإلى أين ذهبت بالمال؟ ومَنْ كان معك؟ قال: ما كنت إلا وحدى، وخرجت من النقب الذى دخلت منه، وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به، فأخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش(١) والقصب فوضعته تحته وغَطَّيته، وهو هنالك، فأمر برده إلى فراشه، فردوه وأضجعوه عليه، ثم أمر بإحضار المال، فأحضر عن آخره، وأحضر مؤنس العجلى(٢)، وأحضر الوزير والجلساء، وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس، ثم أمر بإيقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم(٣) وذهب عنه الوَسَنُ، فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الأول، فجحد وأنكر، فأمر بكشف البساط، وقال له: ويلك!! أليس هذا المال؟ أليس فعلت كذا وكذا؟ يصف له ما كان حدَّثه به، فأسقط فى يد اللص، ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق، ثم أمر بمنفاخ فنفخ فى دبره، وأتى بقطن فحشى فى أذنيه وفمه وخيشومه، وأقبل ينفخ، وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق؛ وأمسك بالأيدى وقد صار كأعظم ما يكون من الزِّقاق المنفوخة، وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه، وعيناه قد امتلأتا وبَرَزَتا، فلما كاد أن ينشقَّ أمر بعض الأطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين، وهما فى الجبين، فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف، وكان ذلك أعظم منظر رؤى فى ذلك اليوم من العذاب، وقيل: إن البِدَرَ كانت عَيْناً، وإن عددها كان أكثر مما وصفنا.

---

(١) فى ا «والعشاش والقصب»
(٢) فى ا «الفحلى»
(٣) فى ا «اكتفى بالنوم»

Marfat.com

ابن المغازلى المضحك

وقد كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس بأخبار ونوادر ومَضَاحك[1] ويعرف بابن المغازلى- وكان فى نهاية الحذق لايستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك - قال ابن المغازلى : فوقفت يوماً فى خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر ؛ فحضر حلقتى بعضُ خدمة المعتضد ، فأخذت فى حكاية الخدم ، فأعجب الخادم بحكايتى ، وأشغف بنوادرى ، ثم انصرف عنى ، فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدى ؛ وقال : إنى لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدى المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت ، فرآنى أمير المؤمنين، فأنكر ذلك منى ، وقال : ويلك !! مالك ؟ فقلت:ياأميرالمؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يُضْحِك ويحاكى ، ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكى ونجدى ونبطى وزنجى وسندى وخادم إلا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتُصْبى الحليم ، وقدأمرنى بإحضارك ولى نصف جائزتك ، فقلت له وقد طمعت فى الجائزة السنية : يا سيدى ، أنا ضعيف وعلىَّ عَيْلَة ، وقد مَنَّ الله علىَّ بك فما عليك إن أخذت بعضها سدسها أو ربعهـا ، فأبى إلا نصفها ، فطمعت فى النصف وقنعت به ؛ فأخذ بيدى وأدخلنى عليه ، فسلمت وأحسنت ، ووقفت فى الموضع الذى أوقفت فيه ، فردَّ علىَّ السلام ، وقد كان ينظر فى كتاب ، فلما نظر فى أكثره أطبقه ثم رفع رأسه إلىَّ وقال لى : أنت ابن المغازلى ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قد بلغنى أنك تحكى وتُضْحِك ، وأنك تأتى بحكايات عجيبة ونوادر طريفة ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، الحاجة تَفْتِق الحيلة ، أجمع بها الناس ، وأتقرب إلى قلوبهم بحكايتها ، ألتمس برهم ، وأتعيش بما أناله منهم ، قال : فهات ما عنـدك ، وخُذْ فى فنك ، فإن أضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم ، وإن لم أضحك فمالى عليك ؟ فقلت للحَيْن[2]

(١) فى ا « بأنواع من الأخبار والنوادر والمضاحك »

(٢) فى ا ، ب « للحين والخذلان » وما أثبتناه أدق وأحسن

Marfat.com

والخذلان : ما معى إلا قفاى فاصفعه ما أحببت ، وكم شئت ، وبما شئت ، فقال لى : قد أنصفتَ ، إن ضحكتُ فلك ما ضمنت ، وإن أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عَشْرَ صفعات ، فقلت فى نفسى : ملك لا يصفع إلا بشىء يسير ، وبشىء خفيف هيِّن ، ثم التفت وإذا أنا بجراب أدَم ناعم فى زاوية البيت[1] ، فقلت فى نفسى : ما أخطأ حَزْرى ، ولا أخلَفَ ظنى ، وما عسى أن يكون من جِرَابٍ فيه ريح ، إن أنا أضحكته ربحت ، وإن أنا لم أضحكه فأمر عشر صفعات بجِرَاب منفوخ هيِّن ، ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة ، فلم أدع حكاية أعرابى ولا نحوى ولا مُخَنث ولا قاضٍ ولا زُطِّى ولا نَبَطِى ولا سندى ولا زنجى ولا خادم [ولا تركى] ولا شطارة ولا عيارة ولا نادرة ولا حكاية إلا أحضرتها وأتيت بها ، حتى نفد جميع ما عندى وتصدَّعَ رأسى [وانقطعت وسكت ، وَفَتَرْت وَبَرَدْت ، فقال لى : هيه ، هات ما عندك ، وهو مغضب لا يضحك ولا يبتسم] ولم يبق ورائى خادم إلا هرب، ولا غلام إلا ذهب لما استفزَّهم الضحك وورد عليهم من الأمر ، فقلت: يا أميرالمؤمنين قد نفد والله مامعى، وتصدَّعَ رأسى ، وذهب معاشى، ومارأيت قط مثلك ، ومابقيت لى إلا نادرة واحدة ، فقال : هاتها ، فقلت : يا أمير المؤمنين وعدْتنى أن تصفعنى عشراً وجعلتها مكان الجائزة ، فأسألك أن تضعف الجائزة وتضيف إليها عشراً ، فأراد أن يضحك فاستمسك ، ثم قال : نفعل ، يا غلام خذ بيده ، فأخذ بيدى ومددت قفاى فصفعت بالجِرَاب صفعة ، فكأنما سقط على قفاى قلعة ، وإذا فيه حصى مُدَوّر كأنه صنجات ، فصفعت به عشراً كادت أن تنفصل رقبتى وينكسر عنقى ، وَطَنَّت أذناى ، وقدح الشعاع من عينى ، فلما استوفيت العشرة صِحْتُ : يا سيدى ، نصيحة ، فرفع الصفع عنى بعد أن عزم على إيفاء ما كنت سألتهمن إضعاف جائزتى ، فقال : مانصيحتك ؟ فقلت : يا سيدى، إنه ليس فى الديانة[2] أحسن من الأمانة ، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمنت

(١) فى ا « فى زاوية المجلس » (٢) فى ب « فى الدنيا »

Marfat.com

للخادم الذى أدخلنى عليك نصف الجائزة على قلتها أو كثرتها ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها ، فقد استوفيت نصفها ، وبقى لخادمك نصفها ، فضحك حتى استلقى ، واستفزّه ما كان قد سمعه منى أولا ، وتحامل له وصبر عليه ، فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك مَرَاق بطنه ، حتى إذا سكن ضحكه ورجَعَتْ إليه نفسه قال : علىّ بفلان الخادم ، فأتى به ، وكان طوالا ، فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شىء قضيتى[1] ؟ وأى جناية جنايتى ؟ فقلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له : قلت لك : إنى ضعيف مُعيل وشكوت إليك الحاجة والمسكنة ، وأقول لك : يا سيدى ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت تقول : ما آخذ إلا نصفها ، ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صَفْعٌ وهبتها لك كلها ، فعاد إلى الضحك من قولى للخادم ، وعتابى له ، فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكأته صُرّة قد كان أعدّها فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له وقد أراد الانصراف : قِفْ ، هذه كنت أعددتها لك ، فلم يدَعْكَ فضولك حتى أحضرت لك شريكاً فيها ، ولعلنى كنت أمنعه منها . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أين الأمانة وقبح الخيانة ؟ ووددت أنك كنت تدفعها كلها إليه ، وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى ، وتدفع له الخمسمائة درهم ، فقسم الدراهم بيننا ، وانصرفنا .

وفاة جماعة

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة إسماعيل بن إسحاق القاضى ، والحارث بن أبى أسامة[2] ، وهلال[3] بن العلاء الرقى .

حرب هارون الشارى

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت . وسار الحسين[4] بن حمدان فى الأولياء لحرب هارون الشارى ، فكانت بينهم حرب عظيمة كانت

(١) فى ا « أى شىء قصتى »
(٢) فى نسخة « أبى أثامة » محرفا
(٣) فى ب « وبلال بن العلاء »
(٤) فى ب « الحسن بن حمدان »

Marfat.com

للحسين[1] بن حمدان عليه ، فأتى به المعتضد أسيراً بغير أمان ، ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد ، وقد نُصِبَتْ له القباب، وزينت له الطرقات ، وَعَبَّأ المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة ، فاشتقوا بغداد إلى القصر المعروف بالحسنى ، ثم خلع المعتضد على الحسين[1] بن حمدان خِلَعاً شَرَّفَه بها ، وطوقه بطوق من ذهب ، وخلع على جماعة من فُرْسَانه ورؤساء أصحابه وأهله ، وشهرهم فى الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ، ثم أمر بالشارى فأركب فيلا وعليه دُرَّاعَة ديباج، وعلى رأسه برنس خز طويل ، وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين، وعليه دُرَّاعة ديباج وبرنس خز ، وسيرهما[2] فى أثر الحسين[1] بن حمدان وأصحابه ، ثم دخل المعتضد فى أثره عليه قَبَاء أسود وقلنسوة محدودة على فرس صناى[3] عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق ، وخلفه بدر غلامه ، وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبيد الله ، فأكثر الناسُ الدعاء له ، وتكاثف الناس فى منصرفهم من الجانب الشرقى إلى الغربى ، فانخسف بهم كرسى الجسر الأعلى ، وسقط على زورق مملوء ناساً ، فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف ، واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب وبالغاصَةِ ، وارتفع الضجيج ، وكثر الصُّرَاخ من الجانبين جميعا ، فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصَةِ صبيًّا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر ، فبصر به شيخ من النظارة طَرَّار ، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه ، ثم تمرغ فى التراب ، وأظهر أنه ابنه ، وجعل يقول : يا سيدى ، لم تَمُتْ إذ أخرجوك صحيحاً سويًّا لم يأكلك السمك ، ولم تمت ، حبيبى ليتنى[4] كحلت عينى بك مرة قبل الموت ، وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به ، فما برح القوم الذين رأوا من

(١) فى ب « الحسن بن حمدان » (٢) فى ب « وسيرهم »
(٣) فى ب « فرس ضاف » (٤) فى ب « إذ كحلت »

Marfat.com

الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك إلا أن الصبي فى أيديهم ، وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب ، وإنما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه ، فخبره الناس بالخبر ، فبقى هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين ، وسألوا عنه واستبحثوا ، فإذا لا عين ولا أثر ، وعَرَفَ تَوَّابُو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيأسوا أبا الغريق منه ، وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده ، وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوماً من أول الصباح إلى باب بعض العُدُولِ الكبار المشهورين بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة [قد حملها] على عاتقه وفأس وزنبيل ، فقام فى ثوب خَلَقٍ ، ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكاكين التى على باب ذلك العَدْلِ فهدمها ، وجعل ينقى الآجر ويعزله ، فسمع ذلك العدل بهدمها ، ووقع الفأس والهدم ، فخرج لينظر فإذا الشيخ دائب يهدم دكاكينه التى على باب دارِهِ ، فقال : يا عبد الله ، أى شىء تصنع ؟ ومَنْ أمرك بهذا ؟ فجعل الشيخ يعمل عمله ، ولا يلتفت إلى العدل ، ولا يكلمه ، فاجتمع الجيران وهما فى المحاورة ، فأخذوا بيد الشيخ ، فوكزه هذا ، ودفعه هذا ، فالتفت إليهم ، فقال : [مالكم ؟] ويلكم !! أى شىء تريدون منى ؟ أما تستحيون ؟ تعبثون بى وأنا شيخ كبير ؟! فقالوا : مالنا وَالعَبَثَ بك ؟ وَيْحَكَ !! مَنْ أمرك بهذا ؟ قال : وَيْحكم !! أمرنى صاحِبُ الدار ، فقالوا : هذا صاحب الدار يكلمك ، قال : لا والله ما هو هذا ، فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه ، وقالوا : هذا مجنون أو مخدوع خَدَعَهُ بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه ، وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل ؛ فلما منعوه من الهدم مضى إلى الجرة التى جاء بها — وقد كان وضعها إلى جانب الباب — فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه بها ، فصرخ وبكى ، فلم يَشُكَّ العدلُ أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه ، فقال : وأى شىء

Marfat.com

ذهب لك ؟ قال : قميص جديد اشتريته أمس وَمِلْحَفَة لبيتي وسَرَاويل ، فرقوا له جميعاً ، ودعاه العَدْلُ فكساه ووهب له دراهم كثيرة ، ووهب له الجيرانُ دراهم كثيرة ، وانصرف غانماً ، وهذا الشيخ كان يُعرف بالعقاب ، ويكنى بأبي الباز ، وله أخبار عجيبة وحيل [لطيفة] وهو الذي احتال للمتوكل ، حين بايعه بختيشوع الطبيب أنه إن سرق من داره شيئاً يعرفه في ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل إلى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار ، وإن خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المبين ذكرها في المبايعة ، فأتى بهذا الشيخ في عنفوان شبابه إلى المتوكل ، فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئاً لا ينكره ، وقد كان بختيشوع حَرَسَ داره وحصنها في هذه الليالي ، فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة إلى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق وأتى به المتوكل ، في خبر ظريف ، وأنه رسول لعيسى ابن مريم نزل إلى بختيشوع بشمع أسْرَجَه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذه أطعَمَه لحراس داره في تلك الليلة ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وهذا الشيخ قد بَرَّزَ في مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم .

ولطلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجوهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الإكسيرات من الإكسير المعروف بالفرار وغيره وإقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خُدَعِهم وحيلهم في القرع والمغناطيس[1] والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل [في هذا المعنى] قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا «أخبار الزمان» وما ذكروه في ذلك من الأشعار ، وما عَزَوْهُ إلى من سلف من اليونانيين والروم ، مثل قلوبطرة الملكة ، ومارية ، وما ذكره الكيمياء

(١) ا « الأنبيق » .

Marfat.com

خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك ، وهو عند أهل هذه الصنعة من المتقدمين فيهم ، فى شعره الذى يقول فيه :

خذ الطلق مع الأشق وما يوجد فى الطرق
وشيئاً يشبه البرقا فدبّرْهُ بلا حرق[1]
فإن أحببت مولا كا فقد سُوِّدْتَ فى الخلق

وقد صنف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى رسالة فى ذلك ، وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله ، وخُدَعَ أهل هذه الصناعة وحِيَلَهم ، وتَرْجَمَ هذه الرسالة بإبطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها ، وقد نقض هذه الرسالة على الكندى أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى صناعة الطب الذى هو عشر مقالات ، وأرى القول أن ما ذكره الكندى فاسد ، وأن ذلك قد يتأتى فعله ، ولأبى بكر بن زكريا فى هذا المعنى كتب قد صنفها ، وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام فى هذه الصنعة فى الأحجار المعدنية [والشعر] وغير ذلك من كيفية الأعمال ، وهذا باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ، ونحن نعوذ بالله من التهوس فيما يخسف الدماغ ، ويذهب بنور الأبصار ، ويكسف الألوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات .

جيش ابن خمارويه وأصحابه

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء [بالأسْرِ] بين المسلمين والروم فى شعبان ، وكان بدؤه الثلاثاء ، وفيه كان مسير جيش بن خمارَوَيه بن أحمد ابن طولون من الشام إلى مصر فى جيوشه ، فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك .

وفيها خرج عن [عسكر] جيش بن خمارويه خاقان المفلحى وبندقة بن كمجور[2] بن كنداج[3] فساروا إلى وادى القرى ، ودخلوا مدينة السلام ، فخلع

(١) ا « وشيئاً يشبه البورق » (٢) فى ب « نيدقة بن كسحود »
(٣) فى ب « وابن كنداح »

Marfat.com

عليهم المعتضد ، وفيها كان الشغب بمصر ، وقتل على بن أحمد الماردانى أبو محمد[1] الماردانى المقبوض عليه فى هذا الوقت — وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة — بمصر ، وقبض على جيش بن خمارويه ، ونصب أخوه هارون بن خمارويه مكانه ، وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولونى وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن ، وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب[2] جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضى ، وأراه مع المتقى فى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

وفاة مقدام الرعينى

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى عمرو مقدام بن عمرو الرعينى بمصر ، ليومين بَقِياً من شهر رمضان ، وكان من جِلّةِ الفقهاء ، ومن كبار أصحاب مالك .

وفيها وَلّى المعتضدُ يوسفَ بن يعقوب القضاء بمدينة السلام ، وخلع عليه ، وانتدبه للجانب الشرقى .

مصادرة ابن الطيب السرخسى ومقتله

وفى هذه السنة — وهى سنة ثلاث وثمانين ومائتين — قبض المتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى ، وسلّمه إلى بدر غلامه ، ووَجَّه إلى داره مَنْ قبض على جميع ماله ، وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه ، فكان جملة ما حصل من العين والوَرِقِ وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار ، وكان ابن الطيب قد ولى الحِسْبَة ببغداد ، وكان موضعه من الفلسفة لا يُجْهَل ، وله مصنفات حسان فى أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار .

وقد تنازع الناس فى كيفية قتله ، والسبب الذى من أجله كان قتل المعتضد إياه ، وقد أتينا على ماقيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته فى ذلك الكتاب..

(١) فى ب « وقتل أحمد الماوردى بن محمد بن الماردانى » .
(٢) فى ا « حجب جماعة » .

Marfat.com

رافع ابن هرثمة

وفيها ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث لرافع بن هَرْثَمة[١]

وفى سنه أربع وثمانين ومائتين أدخل إلى بغداد رأس رافع بن هرثمة ، ثم صُلِبَ ساعة من نهار ، ثم رُدَّ إلى دار السلطان .

ثورة

وفى هذه السنة كان لأهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان : ياعقيق ، صب ماء واطرح دقيق ، ياعاق ، ياطويل الساق ، وذلك أن الخدم فى دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم فى الأزقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام ، فأمر المعتضد بجماعة من العامة ، فضربوا بالسياط ، فشغب العامة[٢] لذلك .

شبح يتشكل المعتضد

وفى هذه السنة ظهر للمعتضد شخص فى صُوَرٍ مختلفة فى داره ، فكان تارة يظهر فى صورة راهب ذى لحية بيضاء وعليه لباس الرُّهْبَان ، وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البِزَّة ، وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببِزَّة التجار ، وتارة يظهر بيده سيف مسلول ، وضرب بعض الخدم فقتله ، فكانت الأبواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان فى بيت أوصحن أو غيره ، وكان يظهر له فى أعلى الدار التى بناها ، فأكثر الناس القول فى ذلك ، واستفاض الأمر ، واشتهر فى خواص الناس وعوامهم ، وسارت به الركبان ، وانتشرت به الأخبار والقول فى ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم ، فمن قائل : إن شيطاناً مَرِيداً صمد له يظهر فيؤذبه ، ومنهم من يقول : إن بعض مؤمنى الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجراً ، ومنهم من رأى أن ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها فى فمه فلا يدرك بحاسة البصر ، وكل ذلك ظن وحسبان ،

---

(١) فى ب « قتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة » .

(٢) فى ب « فلشغب العامة » .

Marfat.com

فأحضر المعتضد المعزمين ، واشتدَّ قَلَقُه ، واستوحش ، وجاز عليه أمرهُ ، فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه ، وضرب وحبس جماعة منهم ، وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكى عن أفلاطون في هذا المعنى ، وعلى خبر شغب[1] أم المقتدر بالله والسبب الذى من أجله حبسها المعتضد وأراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا « أخبار الزمان » .

وفى هذه السنة وَرَدَ الخبر بقتل أبى الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبى دُلَف بسيفه لنفسه في الحرب ؛ وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهراً فكبا به فرسه فذبحه سيفه ، فأخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذه إلى بغداد.

يوم الأجفر

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائى في نبهان وسنبس وغيرهم من طيء بالحاج ، وعلى الحاج جيء[2] الكبير ، وكانت لجيء[2] مع صالح ومَنْ معه من الطائيين[3] حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الأجفر ، وتشوش الحاج وأخذهم السيف ، فمات عطشا وقتلا خلائقُ من الحاج ، وأصاب جيء[2] ضربات كثيرة ، وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول :

ما إن رأى الناس كيوم الأجفر ... الناس صَرْعَى والقبور تحفر

وأخذ من الناس نحو من ألفى ألف دينار .

وفاة إبراهيم ابن محمد الحربى الفقيه

وفى هذه السنة — وهى سنة خمس وثمانين ومائتين — كانت وفاة أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربى ، وله خمس وثمانون سنة ، وكانت [وفاته] يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ، ودفن مما يلى باب الأنبار وشارع الكبش والأسد ، وكان صدوقا عالما فصيحا جواداً عفيفاً ، وكان زاهداً عابداً ناسكا ، وكان — مع ما وصفنا من زهده وعبادته — ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، ولم

(١) فى ب « سعب » بالسين والعين المهملتين .

(٢) فى ب « يحيى الكبير » (٣) فى ب « الطالبين »

Marfat.com

يكن معه تجبر ولا تكبر ، وربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه ، ويُستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته ، وظريفهم ، وناسكهم، وزاهدهم ، ومسندهم فى الحديث ، وكان يتفقه لأهل العراق ، وكان له مجلس يوم الجمعة فى المسجد الجامع الغربى .

وأخبرنا أبو إسحاق [إبراهيم] بن جابر قال : كنت أجلس يوم الجمعة فى حلقة إبراهيم الحربى ، وكان يجلس إلينا غلامان فى نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين ، وزيهما واحدة ، كأنهما روحان فى جسد ، إن قاما قاما معاً ، وإن قعدا قعداً معاً ، فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار فى عينيه، فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة [و] قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار ، فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذى كان فى الجمعة الأولى، منهما ، وإذا الصفرة والانكسار بين فى لونه ونشاطه ، فعلمت أن ذلك للفراق [الواقع] بينهما ، ولأجل الألفة الجامعة لهما ، فلم يزالا يتسابقان فى كل جمعة إلى الحلقة ، فأيهما سبق صاحبه إلى الحلقة لم يجلس الآخر ، فصح عندى ما كان تقدم فى نفسى جواز كونه ، فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما فجلس إلينا ، وجاء الآخر فأشرف على الحلقة ، فإذا صاحبه قد سبق ، وإذا المسبوق المطلع إلى الحلقة قد خنقته العَبْرة ، فتبينت ذلك فى حماليق عينيه ، وإذا فى يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها فى وسط الحلقة ، وانساب بين الناس مار أمستحيياً ، وأنا أرمُقه ببصرى، وكذلك جماعة ممن كان جالساً فى الحلقة ، وكان إلى جانبى على اليمين أبو عبد الله على ابن الحسين بن حوثرة(١) ، وذلك فى عنفوان الشباب وأوان الحداثة ، فوقعت الرقعة بين يدى إبراهيم الحربى ، فقبض عليها ونَشَرَها وقرأها ، وكان من شأنه فعل ذلك إذا وقعت فى يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضاً كان أو غير

(١) فى ب « ابن جويرية »

Marfat.com

ذلك ، ويؤمِّنُ على دعائه مَنْ حضر ، فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملاً شافياً لأنه رأى ملقيها ، ثم قال : اللهم اجمع بينهما ، وألِّفْ بين قلوبهما ، واجعل ذلك مما يقرب منك ويُزْلِفُ لديك ، وأمَّنُوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ، ثم أدرج الرقعة بسبَّابته وإبهامه وحذفنى بها ، فتأملت ما فيها ، وقد كنت مستطلعاً نحوها لتبين الملقى لها ، فإذا فيها مكتوب :

عَفَا الله عن عبد أعَانَ بدعوة ... لِخِلَّين كانا دائمين على الود
إلى أن وشى واشى الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فحالا عن العهد

فكانت الرقعة معى فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معاً وإذا الاصفرار والانكسار قد زالا [عنهما] ، فقلت لابن حوثرة(١) : إنى لأرى الدعوة قد سبقت لها بالإجابة من الله تعالى ، وإن دعاء الشيخ كان على التمام إن شاء الله تعالى ؛ فلما كان فى تلك السنة كنت ممن حج فكأنى أنظر إليهما بين مِنًى وعرفات محرمين جميعاً ، فلم أزل أراهما متآلفين إلى أن كهلا ، وأرى أنهما فى صف أصحاب الديباج فى الكرخ ، أو غيره من الصفوف .

إبراهيم ابن جابر القاضى

قال المسعودى : وهذا الخبر سمعته من إبراهيم بن جابر القاضى قبل ولايته القضاء ، وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ، ويتلقاه من خالقه بالرضا ، ناصراً للفقر على الغنى ، فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين(٢) والعواصم من أرض الشام ، وذلك فى سنة تسع وثلثمائة ، وإذا هو بالضد عما عهدته ، متولياً القضاء على ما وصفنا ، ناصراً ومشرفاً للغنى على الفقر ، فقلت له : أيها القاضى ، تلك الحكاية التى كنت تحكيها عن الوالى الذى كان بالرى ، وأنه قال لك : إن الخواطر اعترضتنى بين منازل الفقراء والأغنياء ، فرأيت فى النوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال لى : يا فلان ؛ ما أحسنَ تواضع الأغنياء للفقراء شكراً لله تعالى وأحسن(٣) من ذلك تعزز الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ، فقال لى : إن الخلق تحت

(١) فى ب « لأبى جويرية » (٢) فى ا « من جند قنسرين والعواصم »
(٣) أعتقد أنه سقط من الاصول هنا « فقلت له : وأحسن من ذلك ـ » إلخ

Marfat.com

التدبير لا يتمكنون من أحكامه فى جميع متصرفاتهم ، وكنت كثيراً ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذمُّ ذوى الحرص على الدنيا ، ويذكر فى ذلك خبراً عن على كرم الله وجهه – وهو أن علياً عليه السلام كان يقول : ابنَ آدمَ ، لا تتحمل هَمَّ يومك الذى لم يأتِ على يومك الذى أنت فيه ؛ فإنه إن يكن من أجَلِكَ يأت الله فيه برزقك ، واعلم أنك لن تكتسب شيئاً فوق قُوتِكَ إلاّ كنت خازناً فيه لغيرك – فركب بعد ذلك المهاليج من الخيل .

ولقد أخبرت أنه قطع لزوجته أربعين ثوباً تستريّاً وقصباً وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد ، وخَلَّفَ مالا عظيما لغيره .

وفاة المبرد

وفى هذه السنة – وهى سنة خمس وثمانين ومائتين – كانت وفاة أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد ، ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، وله تسع وسبعون سنة ، ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام

محمد بن يونس

وفى سنة ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ، ويكنى بأبى العباس ، يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، وله مائة سنة وست سنين ، ودفن بمقابر [باب] الكوفة من الجانب الغربى ، وكان عالى الإسناد .

أبو سعيد الجنابى

وفى هذه السنة كان الفَزَعُ من أبى سعيد الجنابى[1] بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفاً من أن يكبسها ، وكتب الواثق – وهو أحمد بن محمد ، وكان على حربها – إلى المعتضد بذلك ، فأطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت .

أبو الأغر والأعراب

وفى هذه السنة ظفر أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فيدمكرا فى ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت لأبى الأغر ليستنقذوا صالحاً من يده ، فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ذيال[2] وجماعة معه ، وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن ذيال يئس من الخلاص من يد أبى الأغر ، فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشى أتاه غلام

(١) فى ب « أبى سعيد الجبائى » محرفا
(٢) فى ا « جحيش بن ذيال »

Marfat.com

بطعام فاستلب منه سكيناً وقتل نفسه، فأخذ أبو الأغر رأسه وأظهره بالمدينة ، فتباشر الحاجُّ ، وكانت لأبي الأغر في رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب ، وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيء وأحلافها ، فكانت رَجَّالتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل ، والخيل نحواً من ذلك ، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً ، وذلك بين معدان[1] القرشي والحاجر ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس ، وكان ممن تولى مع أبي الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى .

ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقُدَّامه رأس صالح وجحش ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى ، وهم بنو عم صالح بن مدرك ، فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الأغر ، وطوّقه بطوق من ذهب ، ونصب الرءوس على الجسر من الجانب الغربي ، وأدخل الأسارى المطبق .

وفي هذه السنة مات إسحاق بن أيوب العبيدي[2] وكان على حرب ديار ربيعة. أحداث

وفيها شخص العباس بن عمر الغنوي إلى البصرة لحرب القَرَامطة بالبحرين .

وفي هذه السنة كانت الحرب بين إسماعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ[3] فأسر عمرو، وقد أتينا على كيفية أسره في الكتاب الأوسط.

وفي [رجب من هذه السنة ، وهي] سنة سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي[4]، فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس ، وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبراً ، دون من هلك من الرمل والعطش ، فأحرقت الشمس أجسادهم ؛ ثم إن أبا سعيد مَنَّ عَلَى العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلى المعتضد فخلع عليه ، وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل ، وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذي من أجله كانت تخلية أبي سعيد العباس بن

(١) في ا « معدن القرش » (٢) في ب « العبدى »
(٣) في ا « بناحية بلخ » (٤) في ب « الجبائى »

Marfat.com

عمرو الغنوى [فى كتابنا الأوسط ، وما كان من أمر العباس بن عمرو] مع مَنْ بالبحرين من قومه وعصبتهم له .

الداعى العلوى

وفى هذه السنة ـ وهى سنة سبع وثمانين ومائتين ـ كان مسير الداعى العلوى من طبرستان إلى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم ، فلقيته جيوش المسودة من قبل إسماعيل بن أحمد ، وعليها محمد بن هارون ، فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر ، وصبَرَ الفريقان جميعاً ، وكانت للمبيضة على المسودة ، ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مَصَافِّهـا ، فلم ينقض صفوفه ، وولى ، فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها ، فرجعت عليهم المسودة ، وأخذهم السيف ، فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات ، وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره ، فكرت عليهم الجيوش ، فأسفرت الحرب وقد أُثخِنَ بالكُلُوم ، وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره ، وبقى محمد الداعى أياماً يسيرة ، وتوفى لما ناله ، فدفن بباب جرجان وقبره هناك معظم إلى هذه الغاية . .

وقد أتينا على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته ، وخبر بكر ابن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل إليه مستأمناً فى كتابنا « أخبار الزمان » وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرَّسِّى باليمن ، وتظافره هو وأبو سعد ابن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القَرَامطة ، وما كان من أمرهم مع على بن الفضل صاحب المذيخرة[1] ، وما كان من قصته وخبر وفاته ، وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل ، وخبر ولده إلى هذا الوقت بها ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن ، وخبر ولده أبى القاسم ، وخبر ولد ولده إلى هذه الغاية وإنما نذكر فى هذا الكتاب لمعاً منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم .

(١) فى ب « صاحب المذيخرة »

Marfat.com

المعتضد ووصيف الخادم

وفى هذه السنة ـ وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين ـ كان دخول المعتضد إلى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم، وراسله مع رشيق المعروف بالحزامى، واستأمن إلى المعتضد وصيف البكتمرى[1] وغيره من القواد قواد الخادم، وأصحابه، وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الأكثر من أصحابه أراد الدخول إلى أرض الروم والتعلق بالدروب، وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لأمره، حتى عبر المعتضد الفرات وسار إلى الشام، فلم يُفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير، وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء، وجرد القواد فى طلب وصيف، فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا إلى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم خاقان المفلحى ووصيف موشكين وعلى كورة وغيرهم من القواد، فقاتلهم وصيف، وذلك فى الموضع المعروف بدرب الجب، فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد، فسلمه إلى مؤنس الخادم[2]، وأمن جميع أصحابه إلا نفراً انضافوا إليه من الثغر الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية، وحمل من طرسوس أبا إسحاق إمام الجامع، وأباعمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة أذَنَة من الثغر الشامى وغيرهم من البحريين مثل البغيل[3] وابنه، وكان دخول المعتضد إلى مدينة السلام فى الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر، وبدر الكبير وسائر الجيش عَلَى الظهر، وقد زينت الطرق، وبين أيديهم وصيف الخادم عَلَى جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس، وخلفه عَلَى جمل آخر البغيل[3]، وخلف البغيل[3] ابنه على جمل آخر، وخلف ابن البغيل[3] على جمل

---

(١) فى ب « وصيف اليشكرى »

(٢) فى ب « مؤنس الفحل » محرفا، وانظر ص ٢٤٨ و ٢٥١ .

(٣) فى ب « من البحرين مثل إسماعيل وابنه » مع اتفاق الأصلين على ذكر « البغيل » فى كل ما يأتى .

Marfat.com

آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن المهندس ، وقد لبسوا الدراريع من الحرير الأحمر والأصفر ، وعلى رؤوسهم البرانس ، وطُوِّق وسُوِّرَ خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أَبْلَى فى ذلك اليوم الذى كان فيه أسر وصيف الخادم ، وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف [الخادم] وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله وإقدامه ، ثم قال : ليس فى طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد ، بل فى طبعه أن يرؤس [فى] نفسه ؛ وقد كان بعث إليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد : هل لك من شهوة ؟ قال : نعم ، باقة من الريحان أشمها ، وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها ، فلما رجع الرسول إلى المعتضد وأخبره [بما سأله أمر له بما طلب ، وأمر مَنْ يراعى نظره فى الكتب ، فى أى فصل ينظر ؟ فأخبر] أنه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها ، دون سائر ما حمل إلى حضرته من الدفاتر ، فتعجب المعتضد وقال : هو يُهَوِّنُ على نفسه الموت .

وفاة ابن أبى الساج

وفى هذه السنة كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج بأذربيجان ، فاختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده ؛ فنهم من انحاز إلى أخيه يوسف بن أبى الساج ، ومنهم من انحاز إلى ولده بودار[1] .

بشر بن موسى المحدث

[وفى هذه السنة — وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين — كانت وفاة أبى على بشر بن موسى بن صالح بن صبيح بن عمير ، المحدث ، وله ثمان وسبعون سنة ، ودفن فى الجانب الغربى بمقابر باب التين] .

عمرو بن الليث

وفى هذه السنة أدخل عمرو بن الليث إلى مدينة السلام فى جمادى الأولى ، قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان ، فشهر عمرو ، وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش ، فأتوا به الثريا ، فرآه المعتضد، ثم أدخل المطامير ، وقد كان فى هذا الوقت ثارت عساكر

(١) فى ا « إلى ولده ديوداد » وفى نسخة « بوادر » .

Marfat.com

الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضباً لجده عمرو ، ولحقته ببلاد الأهواز ، وخرجت عن حدود فارس ، واضطرب الأمر ، وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح وأشناس[١] إلى إسماعيل بن أحمد ومعهما هدايا ، منها : مائة بدنة ديباج ، منسوجة بالذهب ، مُرَصَّعَة بالجوهر ، ومنطقة ذهب مُرَصَّعَة بالجوهر ، وغير ذلك من الجواهر ، وثلثمائة ألف دينار ليفرقها فى أصحابه ، ويبعثهم إلى بلاد سجستان إلى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل فى طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عَشَرَةَ آلاف ألف درهم ، ويضيفها إلى الثلثمائة ألف دينار ، وسار بدر غلام المعتضد بالله فى عساكره إلى بلاد فارس من هذه السنة ، فنزل شيراز ، وانكشف عن البلد الشاكرية[٢] .

وفاة وصيف الخادم

وفى أول يوم من المحرم — وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين — توفى وصيف الخادم ، فأخرج وصلب على الجسر بدناً بلا رأس ، وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته ، فأباح لهم ذلك ، فألبس ثياباً ، وَلُفَّ عليه ثوب جديد ، وخيط على مكان الثياب من سرته إلى الركبتين ، وطلى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة والماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مَصْلُوباً على الجسر لا يبلى إلى سنة ثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله .

وفى هذه السنة شغب الجند[٣] والعامة ، فعمدت العامة إليه تماجُناً وحطوه من فوق الخشبة ، وقالوا : قد وجب علينا حق الأستاذ أبى على وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا ، ولا يبلى على هذه الخشبة ، فلفوه فى رداء بعضهم ، وحملوه على أكتافهم ، وهم نحو من مائة ألف من الناس : يرقصون ويغنون ويصيحون حوله : الأستاذ ، الأستاذ ، فلما ضجروا من ذلك طرحوه فى دجلة

(١) فى ب « واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد »

(٢) فى ب « اليشكرية » (٣) فى ب « تشعب الجند والعامة »

Marfat.com

[فغرق فى ذلك اليوم منهم قوم فى دجلة] وذلك أنهم شيَّعوه فى الماء سباحة ، فغرق منهم فى جرية المـاء خلق كثير .

أبو الفوارس القرمطى

وفى هذه السنة أتى بجماعة من القَرَامطة من ناحية الـكوفة ، منهم المعروف بأبى الفوارس[1] [فأدخلوا على الجمل ، فأمر المعتضد بالله بقتل أبى الفوارس][1] بعد أن قطعت يداه ورجلاه ، وصلب إلى جانب وصيف الخادم ، ثم حول إلى ناحية الـكناس[2] ممـا يلى الياسرية من الجانب الغربى ، فصلب مع قَرَامطة هناك .

وقد كان لأهل بغداد فى قتل أبى الفوارس[1] هذا أراجيف كثيرة ، وذلك أنه لمـا قُدِّمَ ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام : هذه عمامتى تكون قبلك ، فإنى راجع بعد أربعين يوماً ، فـكان يجتمع فى كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الأيام ويقتتلون ويتناظرون فى الطرق فى ذلك ، فلما تمت الأربعون يوماً ـ وقد كان كثر لغطهم ، واجتمعوا ، فـكان بعضهم يقول : هذا جسده ، ويقول آخر : قد مَرّ ، وإنما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لـكى لا يفتتن الناس ـ فـكثر تنازع الناس فى ذلك حتى نودى بتفريقهم ، فترك التنازع والخوض فيه .

المعتضد والطالبيون

وكان ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق فى آل أبى طالب سِرًّا ، فغمز بذلك إلى المعتضد ، فأحْضَرَ الرجل الذى كان يحمل المـال إليهم ، فأنـكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره بإظهاره ، وقَرَّبَ آل أبى طالب . وكان السبب فى ذلك قرب النسب ، ولمـا أخْبَرَنَا به أبو الحسن محمد بن علىّ الوراق الأنطاكى ، الفقيه المعروف بابن الفنوى بأنطاكية ، قال :

---

(١) فى ا « بابن أبى القوس » وسقط من ب ماوضع بين المعقوفين بعدها

(٢) فى ب « الـكناس مما يلى الناشرية »

Marfat.com

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس ، قال : رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة ، يمدُّ يَدَهُ إلى ماء دجلة ، فيصير في يده وتجفُّ دجلة ، ثم يردُّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت ، قال : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام ! قال : فقمت إليه وسلَّمت عليه ، فقال : يا أحمد ، إن هذا الأمر صائر إليك ، فلا تتعرض لولدي ، ولا تُؤذِهِمْ ، فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين .

وغمَّ الناسَ تأخُّرُ الخراج عنهم ، وكان إنعام المعتضد عليهم ، فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ، ووصفت في أشعارها ذلك وأطْنَبَتْ ، [فمن وصف] فأحسن يحيى بن علي المنجم ، فقال :

يا مُحْيِيَ الشرف اللُّبَابْ ... وَمُجَدِّدَ الملك الخراب
ومعيد رُكْن الدِّين فينا ثابتًا بعد اضطراب
فُتَّ الملوك مبرزاً ... فَوْتَ المبرز في الحلاَب
أَسْعَد بنيروز جمعت الشكر فيه إلى الثواب
قدمت في تأخيرِ مَا ... قد قَدَّمُوه إلى الصَّوَاب

وقوله :

يَوْم نيروزك يَوْم ... واحد لا يَتَأَخَّرْ
من حَزِيرَان يُوَافِي ... أبدًا في أحد عَشَرْ

وكان وصول قطر الندى بنت خمارويه إلى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائتين ؛ ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي : وصول قطر الندى للمعتضد

يا سيد العرب الذي زُفَّتْ له ... باليمن والبركات سيدة العجم
أَسْعَد بها كسعودها بك ، إنها ... ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بِمَلْأَى نَاظِرَيْهَا بهجةً ... وضميرها نُبلاً ، وَكَفَّيْهَا كَرَم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى ... فتكشفت بهما عن الدنيا الظُّلَمْ

Marfat.com

ولما دخل عمرو بن الليث مدينة السلام من المصلى العتيق رافعاً يديه يدعو وهو على جمل فالج ، وهو ذو السنامين، وكان أنفذَهُ إلى المعتضد فى هدايا تقدَّمت له قبل أسره ، فقال فى ذلك الحسن بن محمد بن فهم[1] :

ألم تَرَ هذا الدهر كيف صُرُوفه يكون عسيراً مَرَّةً ويسيرا
وَحَسْبُكَ بالصفّار نُبلاً وَعِزَّة يروح وَيَغْدُو فى الجيوش أميرا
حَبَاهُم بأجمال ، ولم يَدْرِ أنّه عَلَى جمل منها يُقاد أسيرا

وفى ذلك يقول محمد بن بَسَّام :

أيُّها المُغترُّ بالدنـيا أما أبصرت عَمْرَا
مُقْبِلاً قد أركب الفا لج بعد الملك قَسْرَا
وعليه بُرْنُسُ السَّخْطَة إذلالا وَقَهْرَا
رافعا كَفَّيْهِ يَدْعُو الله إسراراً وَجَهْرَا
أن ينجيه من القتـل وأن يعمل صفرَا

ولما [ظَهَرَ] قتل محمد بن هارون لمحمد بن زيد العلوى أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن ، تأسفاً على قتله .

وكانت وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ فى أيام المعتضدُ ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، وصار الأمر إلى أخيه إسماعيل بن أحمد .

وفاة جماعة من الأعيان

وكانت وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب «أخبار بغداد» سنة ثمانين ومائتين .

وفيها كانت وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث .

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا القرشى مؤدِّبِ المكتفى بالله ، فى المحرم ، وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره .

(١) فى ب « الحسن بن محمد بن مهر »

Marfat.com

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى سهل محمد بن أحمد الرازى [القاضى] المحدِّث .

وإنما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ ، وَحَمْل الناس العِلْمَ عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد .

وفيها [كانت] وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دُلَفَ بطبرستان .

وفيها مات محمد بن الحسين الجنيد[1] .

وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين مات أبو على بشر [بن موسى بن صالح ابن شيخ] بن عميرة البغدادى[2] ، [وكانت وفاة أبيه أبى محمد موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدى فى سنة سبع وخمسين ومائتين فى خلافة المعتمد على الله] ، وله نيف وتسعون سنة ، وقُبِضَ ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة .

وفيها مات أبو المُثَنَّى معاذ بن المُثَنَّى بن معاذ العنبرى[3] فى أيام المعتضد .

قال المسعودى : وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والأدب فى كتابينا « أخبار الزمان » و « الأوسط » وإنما نذكر فى هذا الكتاب لمعاً مُلَوِّحين على ما سلف .

وكانت وفاة المعتضد لأربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمانٍ بَقِينَ من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، فى قصره المعروف بالحسنى ، بمدينة السلام ، وقيل : إن وفاته كانت بسمّ إسماعيل بن بلبل قبل قتله إياه ، فكان يَسْرِى فى جسده ، ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وفاة المعتضد

(١) فى ب « محمد بن الحسين بن الجنيد » .
(٢) فى ب هنا « الأسدى » وسقط منها مابين المعقوفين من أسماء آبائه
(٣) فى ب « العبدى »

Marfat.com

وصيف الخادم على ما ذكرنا ، ومنهم مَنْ رأى أن بعض جواريه سَمَّتْهُ في منديل أعطته إياه يتنشَّفُ به ، وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا .

وقد كان أوصى أن يُدْفَنَ فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر، فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام ، فلما اعتراه الغَشْىُ ووقع الموت شَكُّوا فى وفاته ، فتقدم الطبيب إلى بعض أعضائه لجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات ، فأنف من ذلك وَرَكَلَه برجله فقلبه أذرعاً ، فيقال : إن الطبيب مات منها ، ومات المعتضد من ساعته ، وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ، ففتح عينيه ، وأشار بيديه كالمستفهم ، فقال له مؤنس الخادم : يا سيدى ، الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله ، فأطلقنا لهم العَطاء ، فقطَّب وهمهم فى سكرته ، فكادت أنْفُسُ الجماعة أن تخرج من هَيْبته ، وحمل إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فدفن بها[1] .

قال المسعودى : وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الأرض غير ما ذكرنا ، قد أتينا على ذكرها وَالغُرَر من مبسوطها فى كتابينا « أخبار الزمان » و « الأوسط » .

(١) فى ا « فدفن فيها »

Marfat.com

ذكر خلافة المكتفى بالله

وبويع المكتفى بالله ـ وهو على بن أحمد المعتضد ـ بمدينة السلام ، فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد ، وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله ، والمكتفى يومئذ بالرقة ، وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ، ويكنى بأبى محمد ، فكان وصول المكتفى إلى مدينة السلام [من الرقة] يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين ، وكان دخوله فى الماء ، ونزل قصر الحسنى على دجلة ، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، وقيل : ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما ، على تباين الناس فى تواريخهم ، والله أعلم . موجز

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

اسم على فى الخلفاء

ولم يتقلد الخلافةَ إلى هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ من خلافة المتقى بالله من اسمه على إلا على بن أبى طالب والمكتفى .

رد المظالم إلى أهلها

ولما نزل المكتفى قصر الحسنى فى اليوم الذى كان [فيه] دخوله إلى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ، ولم يخلع على أحد من القوّاد ، وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس ، وإطلاق من كان محبوسا فيها ، وأمر بردّ المنازل التى كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها ، وفرق فيهم أموالا ، فمالت قلوب الرعية إليه ، وكثر الداعى له بهذا السبب .

غلب عليه جماعة

وغلب عليه القاسم بن عُبَيد الله وفاتك مولاه ، ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم [بن عبيد الله] وزيره العباس بن الحسن[1] وفاتك ، وقد كان القاسم ابن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الأصبهانى ، وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة ، وأوقع بمحمد بن بشار[2] وابن منارة لشىء بلغه عنهم[3] ، فأوثقهم بالحديد ، وأحدَرَهُمْ إلى البصرة ، فيقال : إنهم غرقوا فى الطريق ، ولم يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية ؛ ففى ذلك يقول على بن بسام :

عذرناك فى قتلك المسلمين وقلنا : عداوة أهل الملل
فهذا المنارىُّ ما ذنبه ودينكما واحد لم يزل

إيقاعه ببدر

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت ، فلما استخلف المكتفى أغراه القاسم ببدر ، وكان ميل جماعة من القوادعن[4] بدر

(١) فى ب « العباس بن الحسين » (٢) فى ب « بمحمد بن يسار »
(٣) فى ا « بلغه عنهما .. وأحدرهما .. إنهما غرقا . . . لهما »
(٤) فى ب « إلى بدر »

Marfat.com

فساروا إلى حضرة السلطان ، وسار بدر إلى واسط ، فأخرج القاسم المكتفى إلى نهر ذيال(١) ، فعسكر هنالك ، وجعل فى نفس المكتفى من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر ، وأغراهُ به ، فأحضر القاسم أبا حازم القاضى وكان ذا علم ودراية(٢) فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير إلى بدر فيأخذ له الأمان ويجىء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحَبّ ، فقال أبو حازم: ما كنت أبلِّغُ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه ، فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو [محمد] بن يوسف القاضى فأرسل به إلى بدر فى شذاء(٣) ، فأعطاه الأمان [والعهود] والمواثيق عن المكتفى ، وضمن له أن لا يسلمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ، فخلى عسكره ، وجلس معه فى الشذاء(٣) مُصْعِدِينَ فلما انتهوا إلى ناحية المدائن والسبب تلقاه جماعة من الخدم(٤) فأحاطوا بالشذاء ، وتنحى أبو عمرو عنه إلى طيار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط ، وسألهم أن يصلى ركعتين ، وذلك فى يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين قبل(٥) الزوال [من ذلك اليوم] ، فأمهلوه للصلاة ، فلما كان فى الركعة الثانية قطعت عنقه ، وأخذ رأسه فحمل إلى المكتفى ، فلما وضع الرأس بين يدى المكتفى سجد وقال : الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة .

ودخل المكتفى إلى مدينة السلام يوم الأحد لثمان خلون من شهر رمضان ؛ ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضمانه لبدر العهودَ والمواثيقَ عن المكتفى :

قل لقاضى مدينة المنصور بِمَ أحللت أخْذَ رأس الأمير ؟
بعد إعطائه المواثيقَ والعهدَ وعَقْدَ الأمان فى منشور(٦)
أينَ أيمانك التى يشهد الله على أنها يمين فُجُورِ ؟
أين تأكيدك الطَّلَاقَ ثلاثاً ليس فيهنَّ نيةُ التخيير ؟

(١) فى نسخه «نهرزيال» (٢) فى ا «علم وديانه» (٣) فى ب «فى سر»
(٤) فى ب «جماعه بالحذر» (٥) فى ا «وقت الزوال» (٦) فى ب «فى مسطور»

Marfat.com

أن كَفَّيْكَ لا تفارق كَفَّيْـــه إلى أن ترى مَلِيكَ السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الأمـــة يا شاهـداً شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ، ولا تُحْـــسِنُ أمثـاله ولاة الجـور
قد مضى من قتلت فى رمضان راكعاً بعد سَجْدَة التكبير
أى ذنب أتَيْتَ فى الجمعة الزهـــراء فى خير خير خير الشهور ؟
فأعِدَّ الجواب للحَكَم العا دل من بعد منكر ونـكير
يا بنى يوسف بن يعقوب أضْحَى أهْلُ بغداد منكُمُ فى غرور
شَتَّتَ الله شملكم ، وأرانى بكم الذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبى حا زم المستقيم كل الأمـــور

منزلة بدر

قالوا : وكان بدر حراً ، وهو بدر بن خير[1] من موالى المتوكل ، وكان بدر فى خدمة ناشىء غلام الموفق صاحب ركابه ، ثم اتصل بالمعتضد ، وقرب من قلبه وخفَّ بين يديه فى أيام الموفق ، وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك ، وكان من أعلى غلمانه ، فبعُدَ من قلبه ، وانحطت مرتبته ، وكان السبب فى ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها ، فدسَّ فاتك من ابتاعها له ، فكان السبب فى إبعاده من قلب المعتضد عند نموٍّ ذلك إليه ، وزاد أمر بدر ، وعَلَتْ مرتبته ، حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد ، وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد ، وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام .

قال المسعودى : وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام ، قال : كان لى وعد على المعتضد ، فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدراً أولها :

أيها الهاجر مَزْحاً لا بجد أجَزَاء الود أن يُلْقَى بصد ؟

(١) فى ا « بدر بن خر »

Marfat.com

لأمير المؤمنـــــين المعتضد　　بَحْرُ جودٍ ليس يعـدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصـده　　جدول منـه إلى البحر يَرِدْ
قد مضى الفطر إلى الأضحى وقد　　آن أن يقرب وعـد قد بعد
ما اقتضائى الوَعْدَ أنْ لَسْتُ عَلَى　　ثقة من أنه أخْـذٌ بيد[1]
غير أن النفس تهوى عاجلا　　وسوا أعطى كريم أو وَعَدْ

قال : فَضَحِكَ وأمر بما وعدنى به .

وأخبرنا محمد بن النديم بمدينة السلام ، قال : سمعت المعتضد يقول : أنا آنَفُ من هبة القليل ، ولا أرى الدنيا لو كانت لى أموالها وجمعت عندى تفى بقدر جودى ، والناس يزعمون أنى بخيل ، أتراهم لا يعلمون أنى جعلت أبا النجم بينى وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يومًا [فيومًا] لو كنت بخيلا ما أطلقت ذلك له .

وأخبرنا أبو الحسن على بن محمد[2] الفقيه الوَرَّاقُ الأنطاكى بمدينة أنطاكية قال : أخبرنى إبراهيم بن محمد الكاتب ، عن يحيى بن على المنجم النديم ، قال : كنت يومًا بين يدى المعتضد وهو مُقَطِّب ، فأقبل بدر ، فلما رآه من بعيد ضحك وقال لى : يا يحيى ، من الذى يقول من الشعراء :

فى وجهه شافع يمحو إساءته　　من القلوب وَجِيهٌ حيثما شفعا

فقلت : يقوله الحكم بن قنبرة[3] المازنى [البصرى] ، فقال : لله دره ! أنشدنى هذا الشعر ، فأنشدته :

وَيْلِى عَلَى مَنْ أطار النوم فامتنعا　　وزاد قلبى على أوجاعـه وَجَعا
كأنما الشمس فى أعطافه لمعت　　حسنًا ، أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى ، وإن كثرت　　منه الذُّنُوبُ ، ومعذور بما صنعا
فى وجهـه شافع يمحو إساءته　　من القلوب وَجِيهٌ حيثما شفعا

(١) فى ا « ما اقتضى فى الوعد بأن لست على »
(٢) فى ب « محمد بن على »　　(٣) فى ب « الحكم بن مرة »

Marfat.com

قال : وأخذ قوله :

* أو البدر من أزراره طلعا *

أحمد بن يحيى بن العراف الكوفى فقال :

بدا وكأنما قمـــــر على أزراره طلعا

يحتُّ المسك من عرق الجبين بنانه ولعــــا

ظهور القرمطى بالشام

وفى سنة تسع وثمانين ومائتين ظهر القِرْمِطِىُّ بالشام ، وكان من حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره ، وقد أتينا على ذكره فيما سلف [من كتبنا] وما كان من خروج المكتفى إلى الرقة وأخذ القَرَامِطة[1] وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكذلك ما كان من ذكرويه بن مهرويه[2] ووقوعه بالحاج فى سنة أربع وتسعين ومائتين إلى أن قتل وأدخل إلى مدينة السلام .

فداء الغدر وفداء التمام

قال المسعودى : وكان فداء الغدر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين باللامس[3] بعد أن فادوا بجماعة من المسلمين والروم ، ثم إن الروم غدروا بعد ذلك ، وكان فداء التمام باللامس بين الروم والمسلمين على التمام فى شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين ، والأمير فى الفداءين جميعاً رستم وكان على الثغور الشامية ، فكان عِدَّةُ من فدى به من المسلمين فى فداء ابن طغان[4] فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين — على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره — ألفى نفس وأربعمائة وخمساً وتسعين نفساً من ذكر وأنثى ، وكان عدة من فدى به من المسلمين فى الغدر ألفاً ومائة وأربعاً وخمسين نفساً ، وعدد من فودى به فى فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنتين وأربعين نفساً .

مالية الدولة

ومات المكتفى وقد خلَّف فى بيوت الأموال [من العَيْنِ] ثمانية آلاف ألف دينار ومن الوَرِق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمازات

(١) فى ا « وأخذ القرمطى »
(٢) فى ب « ذكرويه بن مبرويه »
(٣) فى ب « بالآمنين »
(٤) فى ب « ابن طفان »

Marfat.com

وغيرها تسعة آلاف رأس ، وكان مع ذلك بخيلا ضيقاً .

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن يحيي المنجم المعروف بابن النديم ، وكان من حُذّاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل ، وفى أخيه[1] على بن يحيي يقول أبو هفان :

لِرَبيعِ الزمان فى الحَوْلِ وقت ... وابْنُ يحيى فى كل وقتٍ رَبيعُ
رَجُل عنده المكارم سُوق ... يَشْتَرِى دَهْرَه ونحن نبيع

وظيفته من الطعام

قال : وكانت وظيفة المكتفى بالله عشرة ألوان فى كل يوم ، وجَدْىٌ فى كل جمعة ، وثلاث جامات حلواء ، وكان يردد عليه الحلواء ، ووكل على مائدته بعض خدمه ، وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز ، فما كان من المكسر عزله للثريد ، وما كان من الصحاح رُدَّ إلى مائدته من الغد ، وكذلك كان يفعل بالبوارد[2] والحلواء .

نهب ضياعا من أهلها

وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بإزاء قطربل ، فأخذ بهذا السبب ضياعاً كثيرة ومَزَارع كانت فى تلك النواحى بغير ثمن من مُلاَّكها ، فكثر الداعى عليه ، فلم يستتم ذلك البناء حتى توفى ، وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد[3] فى بناء المطامير .

قسوة وزيره

وكان وزيره القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة ، شديد الإقدام ، سفاكا للدماء ، وكان الكبير والصغير على رعب [وخوف] منه ، لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه .

وفاة الوزير

وكانت وفاته عشية الأربعاء لعشر خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وله نيف وثلاثون سنة ؛ ففى ذلك يقول بعض أهل الأدب، وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد :

شربنا عَشِيَّـــةَ مات الوزير ... ونَشْرَب يا قوم فى ثالثــه
فلا قدّسَ الله تلك العظامَ ... ولا بارك الله فى وارثه

(١) فى ب « وفى ابنه على بن يحيي » (٢) فى ب « بالنوادر »
(٣) فى ا « مشاكلا لما فعله أبوه المعتضد »

Marfat.com

مقتل عبد الواحد ابن الموفق

وكان ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق ، وكان معتقلا عند مؤنس [الفحل] فبعث إليه حتى أخذ برأسه ، وذلك فى أيام المكتفى ، وقد كان المعتضد يُعِزُّه ويميل إليه ميلا شديداً ، ولم يكن لعبد الواحد همة فى خلافة ولا سمو إلى رياسة ، بل كان همته فى اللعب مع الأحداث ، وقد كان المكتفى أخبر عنه أنه راسل عدة من غلمانه الخاصة ، فوكل به مَنْ يراعى خبره وما يظهر من قوله إذا أخذ الشراب منه ، فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول :

تلوم على تَرْكِ الغِنَى باهليَّةٌ ... طَوَى الدهرعنهامن طريف وتالد
رَأَتْ حَوْلَهَا النسوان يمشين خلسة ... مُقَـلَّدَةً أجيادُهَا بالقلائد
أسَرَّكِ أنى نلت ما نال جعفر ... من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمـير المؤمنين أغَصَّنِى ... مُغَصَّهُمَا بالْمُرْهَفَاتِ البوارد
ذَرِينِى تجئنى مِيتَتِى مطمئنة ... ولم أتَجَشَّم هَوْلَ تلك الموارد
فإنَّ نفيسات الأمور مَشُوبة ... بمستودَعاتٍ فى بطون الأساود
وإن الذى يسمو إلى دَرَكِ العلا ... مُلَقًّى بأسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب : يا سيدى ، أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب :

تأخرْتُ أستبقى الحياة فلم أجِدْ ... حياةً لنفسى مِثْلَ أن أتَقَدَّمَا

فقال له عبد الواحد : مَهْ ، لقد أخطأت الغرض ، وأخطأ ابن المهلب ، وأخطأ قائل هذا البيت ، وأصاب أبو فرعون التميمى حيث يقول ، قال النديم : حيث يقول ماذا ؟ قال :

ومابىَ شىء فى الوغى غير أننى ... أخاف على فَخَّارتى أن تحطَّمَا
ولو كنت مُبْتاعاًمن السوق مثلها ... لَدَى الروع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك إلى المكتفى ضحك ، وقال : قد قلت للقاسم ليس عمى

Marfat.com

عبدُ الواحد ممن تسمو همته إليها، هذا قول مَنْ ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها، أطلقوا لعمى كذا وكذا، فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله.

وقد كان المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره، وضَرْبه بالسوط، وحَرْقه بالنار، وقد قيل غير ذلك، والله أعلم.

مقتل ابن الرومى

ومن أهلكه القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم فى خشكنانجة على بن العباس بن جُرَيج الرومى، وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها، وكان من مختلق معانى الشعراء، والمجودين فى القصير والطويل، متصرفاً فى المذهب تصرفاً حسناً، وكان أقل أدواته الشعر، ومن محكم شعره وجيده قوله:

رأيت الدهر يَجْرَحُ ثم يَأْسُو ... بعوض أو يُسَلِّى أو يُنَسِّى
أبَتْ نفسى الهلوع لفَقْدِ شىء ... كَفَى حَزَناً لنفسى فَقْدُ نفسى[(1)]

ومن قوله العجيب الذى ذهب إلى معانى فلاسفة اليونانيين وَمَنْ مَهَرَ من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد:

لما تُؤْذِنُ الدنيا به من زوالها ... يكُونُ بكاء الطِّفْلِ ساعَةَ يُوضَعُ
وإلا فما يُبْكِيهِ منها، وإنها ... لأفْسَحُ مما كان فيه وَأَوْسَعُ؟

ومما دَقَّ فيه فأحسن وذهب إلى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حُذَّاق المتقدمين قوله:

غموض الشىء حين تَذُبُّ عنه ... يُقَلِّل ناصر الخصم المحقِّ[(2)]
تضيقُ عقولُ مستمعيه عنـه ... فيقضى للمجل على المدقِّ

ومما أجاد فيه فى وصف القناعة قولُه:

إذا ما شئت أن تعلـ ... ـم يوماً كذب الشهوه

(1) فى ب «أبت نفسى الهلاك»
(2) فى ا «يقلل ناظر الخصم المحقق»

Marfat.com

فَكُلْ ما شئت يصدرك عن المُرَّة والحُلْوَهْ
وَطَأْ ما شئت يحصنك عن الحسناء فى الخَلْوَهْ(١)
وكم أنسَـاك ما تهوا ه نيلُ الشىء لم تَهْوَهْ

وقوله :

بأبى حُسْنُ وجهك اليوسفىِّ يا كفىَّ الهوى وفوق الكَفِىِّ
فيه وَرْدٌ ونرجسٌ ، وعجيب اجتماع الـ ـشتوى والصيفى

وقوله فى العنب الرازقى :

ورازقىّ مُخْطَف الخصـور كأنه مخازن البلـور
ألين فى المس من الحرير [وريحُهُ كماء وَرْدٍ جورى]
لو أنه يبقى على الدهور لقَرَّطُوه للحسان الحور

ولابن الرومى أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله الوزير ، وأبى الحسن على بن سليمان الأخفش النحوى ، وأبى إسحاق الزجّاج النحوى .

وكان ابن الرومى الأغلب عليه من الأخلاط السوداء ، وكان شَرِهاً نَهِماً ، وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبى سهل إسماعيل ابن على النُّوبَخْتِى وغيره من آل نوبخت .

وفاة جماعة من الاعيان

وفى سنة تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل ، يوم السبت لعشر بَقِينَ من جمادى الآخرة :

وفى سنة إحدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، ليلة السبت لثمان(٢) بَقِينَ من جمادى الأولى ، ودُفِن فى مقابر باب الشام فى حجرة اشتريت له ، وَخَلَّف إحدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار ، وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار .

(١) فى ا « عن الحسناء والدرة »
(٢) فى ا « لثمان عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى »

Marfat.com

من أخبار ثعلب

ولم يزل أحمد بن يحيى مقدماً عند العلماء منذ أيام حداثته إلى أن كبر وصار إماماً فى صناعته ، ولم يخلف وارثا إلا ابنة لابنه ، فرد ماله عليها ، وكان هو ومحمد المبرد[1] عالمين قد ختم بهما الأدباء ، وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين :

أيا طالب العلم لا تجهلَنْ ... وعُـذْ بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذَيْنِ علم الورى ... ولاتك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقـــرونة ... بهذين فى الشرق والمغرب

وكان محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع فى المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه ، وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك .

وأخبرنا أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلى الفقيه ـ وكان صديقهما ـ قال:قلت لأبى عبد الله[2] الدينورى خَتَنِ ثعلب: لِمَ يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد ؟ فقال لى : أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، وأحمد بن يحيى مَذْهَبُه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا فى محفل حكم لهذا على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وأخبرنا أبو بكر القاسم بن بشار الأنبارى النحوى،أن أباعبدالله الدينورى[3] هذا كان يختلف إلى أبى العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر ، فكان ثعلب يَعْذِله على ذلك ، فلم يكن ذلك يَرْدَعُه.

وقيل : إن وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

وفاة جماعة من العلماء

وفى هذه السنة ـ وهى سنة إحدى وتسعين ومائتين ـ مات محمد بن محمد الجذوعى[4] القاضى ، وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان له من التعزز فى الكتاب الأوسط .

وفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى حازم عبد العزيز بن

---

(١) فى ب «أحمد بن المبرد» وهو خطأ (٢) فى ب «لأبى عبيد الله الدينورى» (٣) فى ب هنا « أن أبا على الدينورى » (٤) فى ب « الجدوعى »

Marfat.com

عبد الحميد القاضى ، يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد ، وله نيف وتسعون سنة .

أحداث

وفى هذه السنة تغلب ابن الخليجى[1] على مصر .

وفيها وقع الحريق العظيم ، فأحرق بباب الطاق[2] نحواً من ثلثمائة دكان وأكثر .

وظفر بابن الخليجى فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر ، وأدخل إلى بغداد ، وقد أشهِرَ ، وقدامه أربعة وعشرون إنسانا من أصحابه منهم صندل المزاحمى[3] الخادم الأسود ، وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة.

وفيات

وفى سنة أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبد الله بن مروان البزاز[4] المحدث ، المعروف بالحمال ، فى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ، ويكنى أبا عمران ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن فى مقابر باب حرب إلى جانب أحمد بن حنبل .

وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ إذ كان الناس فى أغراضهم مختلفين ، وفى طلبهم الفوائد متباينين ، وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ .

وكانت وفاة أبى مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجى البصرى المحدث فى المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين [وهو ابن اثنتين وتسعين سنة] وكان مولده فى شهر رمضان سنة مائتين .

وقبض أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو فى سن أبى مسلم على ما ذكرنا من تنازع الناس فى تاريخ وفاته ، وقد كان أبو العباس أحمد ابن يحيى قد ناله صَمَمٌ وزاد عليه قبل موته ، حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده فى رقاع .

(١) فى ب زيادة « فى ستة آلاف وتسعين بمصر »
(٢) فى ب « فاحرق الغلة بباب الطاق »
(٣) فى ب « منهم العراجى الخادم » (٤) فى ب « البزار »

Marfat.com

وصف القطائف

وأخبرنا محمد بن يحيى الصولى الشطرنجى قال : كنا يوماً نأكل بين يدى المكتفى ، فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة[١] ورقة الخبز وإحكام العمل ، فقال : هل وصفت الشعراء هذا ؟ فقال له يحيى بن على : نعم ، قال أحمد بن يحيى فيها[٢] :

قطائف قد حُشِيَتْ باللوز والسكر الماذِىّ حَشْوَ الموز
تسبح فى آذِىٍّ دهن الجوز سررت لما وقعت فى حَوْزِى
* سُرُورَ عباس بقرب فَوْزِ *

قال : وأنشدته لابن الرومى قوله :

* وأتت قطائف بعد ذاك لطائف *

فقال : هذا يقتضى ابتداء ، فأنشدنى الشعر من أوله ، فأنشدته لابن الرومى :

وَخَبِيصَة صَفْرَاء دينارية ثمناً ولوناً زَفَّهَا لك حَزْوَر[٣]
عظمت فكادت أن تكون إوزة وثوت فكاد إهابها يتفطر
طفقت تجود بوبلها جوذابة فإذا لُبَاب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صَبِيبُهَا يَهْمِى ، ونعم الأرض ظلت تَمْطِر
يا حسنها فوق الخوان ودهنها قدامها بصبيرها يتفرغر
ظَلْنَا نُقَشِّر جلدها عن لحمها وكأن تبراً عن لجين يُقْشَر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يُصَدَّر
وَمُرَقَّقَات كلهن مزخرف بالبيض منها ملبس ومدثر
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف تَرْضَى اللهاة بها وَيَرْضَى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع العيون مع الدهان يقطر

(١) فى ا « فى نهاية اللطافة »
(٢) فى ا «فقال يحيى بن على : لعمى أحمد بن يحي فيها »
(٣) فى ا « وسميطة صفراء » وفى ب « زفها لك جؤذر »

Marfat.com

وصف اللوزينج

فاستحسن المكتفى بالله الأبيات ، وأومأ إلىَّ أن أكتبها له ، فكتبتها له.

قال محمد بن يحيي الصولى : وأكلنا يوماً بين يديه بعد هذا بمقدار شهر ، فجاءت لوزينجة ، فقال : هل وصف ابن الرومى اللوزينج ؟ فقلت : نعم ، فقال : أنشدنيه ، فأنشدته :

لا يخطئنى منك لوزينج ... إذا بَدَا أعجب أو عَجَّبَا
لم تُغْلَقِ الشهوة أبوابها ... إلا أبَتْ زلفاه أن يحجبا
لو شاء أن يذهب فى صخرة ... لَسَهَّلَ الطيبُ له مَذْهَبَا
يدور بالنفخة فى جامه ... دوراً ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظرٌ مخبراً ... مستحسن ساعَدَ مستعذبا
[كالحسن المحسن فى شدْوه ... ثم فأضحى مغرياً مطربا][1]
مستكثف الحَشْو ، ولكنه ... أرَقُّ جلداً من نسيم الصبا[2]
كأنما قُدَّتْ جلابيبه ... من أعين القَطْر الذى قببا[3]
يُخَال من رقة أجزائه ... شارك فى الأجنحة الجُنْدَبَا[4]
لو أنه صُوِّرَ من خبزه ... ثغر لكان الواضحَ الأشنَبَا
من كل بيضاء يودُّ الفتى ... أن يجعل الكف لها مَرْكَبَا
مدهونة زرقاء مدفونة ... شهباء تحكى الأزرقَ الأشهبا
ذِيقَ له اللوز فما مُرَّةٌ ... مَرَّتْ على الذائق إلا أبى
وانتقد السكر نقاده ... وشارفوا فى نقده المذهبا
فلا إذا العين رأتها نبَتْ ... ولا إذا الضرس علاها نبا

(١) هذا البيت لايوجد فى ب
(٢) فى ا « أرق قشرا من نسيم الصبا » . (٣) فى ب « الذى طنبا »
(٤) وقع هذا البيت فى ب هكذا :
يخال فى رقة خرسانه ... شارك فى الأضحية الجندبا
وفى الديوان (١/٣٢٥) « رقة خرشاله ».

Marfat.com

لحفظها المكتفى ؛ فكان يُنشِدُهَا .

من شعر المكتفى

ومما استحسن من شعر المكتفى لنفسه :

إنى كَلِفْتُ ، فلا تَلْحُوا ، بجارية كأنها الشمس، بل زادت على الشمس

لها من الحسن أعْلاَهُ ؛ فرؤيتها سَعْدِى ، وَغَيْبَتُهَا عن ناظرى نحسى

وللمكتفى أيضاً :

بلغ النفس ما اشْتَهَتْ فإذا هِى قد اشْتَفَتْ

إنما العيش ســـاعة أنت فيها وما انقضت

كل من يعذل المحبَّ إذا ما هَـدَا سكت

وله أيضاً :

مَنْ لى بأن يعلم ما ألْقَى فيعرف الصَّبْوَةَ والعشقا

ما زال لى عبداً ، وَحُبِّى له صَيَّرنى عبــداً له رِقّا[1]

أُعْتِقَ من رق ، ولكننى من حبه لا أملك العتقا

شراب الدوشاب

وأخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حمدون ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة المكتفى أصناف الأشربة ، فقال : فيكم مَنْ يحفظ فى نبيذ الدوشاب[2] شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومى :

إذا أجَدْتَ حبــه وَدِبْسَهُ ثم أجَـدْتَ ضربه وَمَرْسَهُ[3]

ثم أطلت فى الإناء حَبْسَــه شربت منــه البابلىَّ نفسه

فقال المكتفى : قبحه الله ! ! ما أشْرَهَهُ ! ! لقد شَوَّقَنِي فى هذا اليوم إلى شرب الدوشاب[2] .

(١) فى ا « صيرنى عبداً له حقا » .

(٢) الدوشاب : نبيذ التمر ، أو النبيذ الأسود .

(٣) فى ب « إذا أخذت ... ثم أخذت » تحريف .

Marfat.com

قصة هريسة

وقدم الطعام ، فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة ، وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة مملوءة من دسم الدجاج ؛ فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبَانَ القارى ، فلحظنى المكتفى ، وقال : يا أبا عبد الله ؛ ما هذا الضحك ؟ فقلت : خبر ذكرته فى الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد ، فقال : وما هو ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر العتبى والمدائنى أن أبَانَ القارى تَغَدَّى مع الرشيد ، فجاءوا بهريسة عجيبة فى وسطها مثال السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج ، قال أبان : فاشتهيت من ذلك الدسم ، وأجللت الرشيد من أن أمد يدى فأغمس فيه ، قال : ففتحت بأصبعى فيه فتحا يسيرا ، فانقلب الدسم نحوى ، فقال الرشيد : يا أبان ، أخرقتها لتغرق أهلها ؟ فقال أبان : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن سقناهُ لبلد ميت ، فضحك الرشيد حتى أمسك صدره .

هدية من أبى مضر ابن الأغلب

وفى سنة خمس وتسعين ومائتين وردت إلى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ، ويكنى أبا مضر ، وكانت الهدية مائتى خادم أسود ، وأبيض ، ومائة وخمسين جارية ، ومائة من الخيل العربية ، وغير ذلك من اللطائف .

آل الأغلب بأفريقية

وقد كان الرشيد فى سنة أربع وثمانين ومائة — وذلك بالرقة — قلد إبراهيم بن الأغلب أمر إفريقية من أرض المغرب ، فلم يزل آل الأغلب أمراء إفريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا فى سنة ست وتسعين ومائتين ، وقيل : فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذى ظهر فى كتامة[1] وغيرها من البربر ، فدعا إلى عبيد[2] الله صاحب المغرب ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب ابن سالم السعدى المغرب .

(١) ا ، ب « الذى ظهر فى كنانة » (٢) فى ب « فدعا إلى عبد الله » محرفا

Marfat.com

علة المكتفى

قال : واشتدت علة المكتفى بالله بالذرب ، فأحضر محمد بن يوسف القاضى وعبد الله بن على بن أبى الشوارب ، فأشهدهما على وصيته[1] بالعهد إلى أخيه جعفر ، وقد قَدَّمنا ذكر وفاته[2] فيما سلف من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

قال المسعودى : وللمكتفى بالله أخبار حسان ، وما كان فى عصره من الكوائن فى قصة ابن البلخى[3] بمصر ، وأمر القِرْمِطى بالشام ، وأمر ذكرويه[4] وخروجه على الحاجّ ، وغير ذلك مما كان فى خلافته ، وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره .

(١) فى ب « على قضيته » . (٢) فى ب « قدمنا ذكر وصيته » .
(٣) فى ب « ابن الحلبى » . (٤) فى ب « دكرويه » بالدال مهملة .

Marfat.com

ذكر خلافة المقتدر بالله

موجز وبويع المقتدر بالله جعفر بن أحمد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه المكتفى بالله ، وكان يوم الأحد لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، ويكنى أبا الفضل ، وأمه أُم ولد يقال لها شغب[1] ، وكذلك أم المكتفى أم ولد يقال لها ظَلُوم ، وقيل غير ذلك ، وكان له يَوْمَ بويع ثلاثَ عشرةَ سنةً ، وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الأربعاء لثلاث ليالٍ بَقِينَ من شوال سنة عشرين وثلثمائة ؛ فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وبلغ من السن ثمانية وثلاثين سنة وخمسةَ عشَرَ يومًا ، وقد قيل فى مقدار عمره غير ما ذكرنا ، والله أعلم .

(١) فى ب « سعب » بمهملتين .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه

مقتل وزيره

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن إلى أن وَثَبَ الحسين بن حمدان ، ووصيف بن سوارتكين، وغيرهما من الأولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه ، وذلك فى يوم السبت لإحدى عَشْرَةَ ليلةً بقيت من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح فى الناس واشتهر ، وأتينا على ذكره فى الكتاب الأوسط وغيره فى أخبار المقتدر بالله .

مصنفات فى سيرة المقتدر

وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومُفْرَدَةً ، وعمل ذلك فى أخبار [الدولة من أخبار] بغداد ، وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشيارى أخبار المقتدر بالله فى ألوف من الأوراق ، ووقع لى منها أجزاء يسيرة .

وأخبرنى غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر فى ألف ورقة ، وإنما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعاً ، وإنما الغرض جوامع من أخبارهم تَبعث على دَرْسه وحفظ ما فيه ونَسْخِه .

عبد الله ابن المعتز

وكان عبد الله بن المعتز أديباً ، بليغاً ، شاعراً ، مطبوعاً ، مجوداً ، مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سَهْلَ اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع[1] للمعانى ، فمن ذلك قوله :

تقول العاذلات : تَعَزَّ عنها ... وأطفِ لهيب قلبك بالسُّلو[2]

وكيف وقُبْلَةٌ منها اختلاساً ... ألذ من الشماتة بالعَدُو ؟

(١) فى ب « حسن الاقتراح للمعانى » .

(٢) فى ب « يقول العاذلون تعز عنها » .

Marfat.com

وقوله :

ضعيفةٌ أجفانه والقلب منه حَجَرُ
كأنما ألحاظه من فعله تعتذر

وقوله :

تولّى الجهل ، وانقطع العتاب ، ولاح الشيب ، وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسى فى مشيبى فكيف تحبنى الخود الكعاب؟

وقوله :

عجباً للزمان فى حالتيه وَبلاَء دفعت منه إليه(١)
رُبَّ يوم بكيت فيه فلما صرت فى غيره بكيت عليه

وقوله فى أبى الحسن على بن محمد بن الفُرَات الوزير :

أبا حسن ، ثَبَّتَّ فى الأرض وَطْأَتى وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز
وألبستنى درعا علىَّ حصينة فناديت صرف الدهر هل من مبارز

وقوله [أيضاً] :

ومن شر أيام الفتى بَذْلُ وجهه إلى غير من خَفَّتْ عليه الصنائع
متى يدرك الإحسان من لم تكن له إلى طلب الإحسان نفس تنازع(٢)

وقوله :

فإن شئت عادتنى السقاة بكأسها وقد فَتَحَ الإصباح فى ليلة فما
نخلت الدجا والفجر قد مَدّ خيطه رداء مُوَشّى بالكواكب مُعْلَما

وقوله :

وأبكى إذا ما غاب نجم كأننى فقدتُ صديقاً أو رُزِئْتُ حميا
فلو شق من طرف الليالى كواكب شققت لها من ناظرىّ نجوما

---

(١) فى ب « عجبا للزمان من حالتيه » .
(٢) فى ا « متى يدرك الأشياء » .

Marfat.com

وبما أحسن فيه قوله فى عبيد الله بن سليمان :

لآل سليمانَ بْنِ وهب صنائع إلىَّ ، ومعروف لدىَّ تقدَّما
هم عَلَّموا الأيام كيف تَبَرُّنِى وهم غَسَلُوا من ثوب والدىَ الدما[1]

وقوله عند وفاة المعتصم بالله :

قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا إماما يؤمُّ الخلق بين يديه
وصَلّوْا عليه خاشعين كأنهم صفوفٌ قيـــام للسلام عليه

وقوله فى فصادة المعتضد[2] بالله :

يا دَماً سال من ذراع الإمام أنت أزكى من عنبر ومـــدام
قد ظنناك إذ جريت إلى الطَّسْـــتِ دموعا من مقلتَىْ مستهام
إنما غرق الطبيب شبا المبـــضع فى نفس مهجة الإسلام

وقوله :

اصبر على حســـد الحسو د فإنَّ صـــبرك قاتلُهْ
فالنـــار تأكل نفسها إن لم تجـــد ما تأكله

وقوله :

يطوف بالراح بيننا رَشَــأٌ مُحَــكَّم فى القلوبِ والمُقَلِ
يكاد لحظ العيون حين بدا يسفك من خده دَمَ الخجَلِ

وقوله :

رَشَــأٌ يتيــه بحسن صورته عَبَثُ الفتورِ بلحظ مقلته
وكأن عقرب صُدْغه وقفت لما دنت من نار وجنتــه

وقوله :

إذا اجتنى وردة من خده فمه تكونت تحتها أخرى من الخجل

(١) فى ب « هم علموا الأيام كيف بنونى » .
(٢) فى ب « عند وفاة المعتصم بالله » محرفا

Marfat.com

وفاة محمد ابن داود الأصفهانى

قال : وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الأصبهانى الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين ، وكان ممن قد علا فى رتبة الأدب[١] ، وتصرف فى بحار اللغة ، وتفنّنَ فى موارد المذاهب ، وأشفى على أغراض المطالب ، وكان عالما بالفقه منفرداً ، وواحداً فيه فريداً ، وألف فى عنفوان صباهُ وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ، ثم تناهت فكرته ، ونسقت قوته ، فصنف فى الفقهيات ككتابه الوصول إلى معرفة الأصول ، وكتاب الإنذار ، وكتاب الأعذار والإيجاز[٢] ، وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير[٣] وعيسى بن إبراهيم الضرير .

ومما قال فيه فأحسن فى عنفوان شبابه ، وأثبته فى كتابه المترجم بالزهرة ، وعَزَاهُ إلى بعض أهل عصره ، وإن كان محسناً فى سائر كلامه من منظومه ومنثوره قولُه :

على كبدى من خيفة البين لوعةٌ يكاد لها قلبى أسىً يتصدّعُ
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيبكى بعين دَمْعُهَا متسرع
فلو كان مسروراً بما هو واقع كما هو محزون بما يتوقّعُ
لكان سواء برؤه وسقامه ولكنّ وشك البين أدهى وأوجع

وقوله :

تمتع من حبيبك بالوَدَاعِ إلى وقت السرور بالاجتماع
فكم جرّبْت من وصل وهجر ومن حال ارتفاع واتّضاع
وكم كأس أمر من المنايا شربت فلم يضق عنها ذراعى

(١) فى ا « ممن علا فى قنة الأدب » وهى أدق .
(٢) فى ب « والإيجار » .
(٣) فى ب « بن شرشى » .

Marfat.com

فلم أر فى الذى لاقيت شيئاً أمرَّ من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصـــلات وإن طالت تؤول إلى انقطاع

وقوله :

لا خير فى عاشق يُخْفِى صبَابته بالقول،والشوقُ فى زَفَرَاتِهِ بادى(١)
يخفى هواه وما يخفى على أحد حتى على العيس والركبان والحادى

وفاة على ابن بسام

وفى سنة ثلاث وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله كانت وفاة على بن محمد بن نصر بن منصور بن بَسّام ؛ وكان شاعراً لسنا ، مطبوعاً فى الهجاء ، ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير . وله هجاء فى أبيه وإخوته وسائر أهل بيته ، فما قال فى أبيه [محمد بن نصر] :

بَنَى أبو جعفر داراً فشـــيَّدَهَا ومثله لخيـــار الدور بَنَّاء
فالجوع داخلها ، والذل خارجها ، وفى جوانبهـــا بؤس وضَرَّاء
ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبز ولا ماء

وله فيه :

هَنيكَ عُمِّرْتَ عمرعشرين نسراً أترى أننى أمـــوت وتبقى
فلئن عشتُ بعـــد يومك يوماً لأشُقَّنَّ جيب مالك شقـــا

وله فيه :

رأى الجوع طبا ، فهو يحمى ويحتمى فلست ترى فى داره غـير جائع
ويزعم أن الفقر فى الجود والسخا وأنْ ليس حظ فى اكتساب الصنائع
لقد أمن الدنيا ، ولم يخش صَرْفَهَا ولم يدر أن المرء رهنُ الفجائع

وأنشدنى أبو الحسن محمد بن على الفقيه الوَرَّاق الأنطاكى بأنطاكية ،لعلى

(١) فى ا « والعشق فى زفراته بادى » .

Marfat.com

ابن محمد بن بسام ، يهجو الموفق والوزير أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، والطائى أمير بغداد ، وعبدون النصرانى ، أخا صاعد ، وأبا العباس بن بَسْطَام[1] ، وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك ، وإسحاق بن عمران ، أمير الكوفة يومئذ :

أيرجو المُوَفَّقُ نَصْرَ الإله وأمر العباد إلى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد لَعَمْرُ أبيك إلى زانيه
فإن رضيت أنه كدالية فوقها داليه
وَظَلَّ ابن بُلبل يُدْعَى الوزير ولم يَكُ فى الأعصر الخاليه
وطحان طى تولى الجُسُور وَسَقْىَ الفرات وزرقاميه
ويحكم عبدون فى المسلمين ومن مثله تؤخذ الجاليه[2]
وأحول بَسْطام ظل المشير وكان يَحُوكُ ببرزاطيه
وحامد يا قوم لو أمره إلىَّ لألزمته الراويه
نعم ، ولأرجعته صاغراً إلى بيع رمان حضراويه
وإسحاق عمران يدعى الأمير لداهيـة أيما داهيه
فهذى الخلافة قد وَدَّعَتْ وَظَلَّتْ على عرشها خاويه
فَخَلِّ الزمان لأوغاده إلى لعنة الله والهاويه
فيارب قد ركب الأرذلون ورجلىَ من رجلهم عاليه
فإن كنت حاملَنَا مثلهم وإلا فأرحل بنى الزانيه

جمع فى شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة فى ذلك العصر .

وأنشد أبو إسحاق الزّجّاج النحوى صاحب المبرد [لابن بسام] فى المعتضد ، وقد خَتَنَ ابنه جعفراً المقتدر :

(١) فى ب « وأبا العباس بن بسام » .
(٢) فى ب « ومن ضله موجد الحالية » .

Marfat.com

انصرف النـــاس من ختان يدعون من جوعهم حزاما
فقلت : لا تعجبوا لهـــذا فهكذا تختَتَنُ اليتـــامى

وله أيضاً فى المعتضد :

إلى كم لا نرى ما نرتجيـــه ولا ننفكُّ من أملٍ كَذُوبِ
لئن سَمَّوْكَ معتضداً فإنى أظنك سوف تعضد عن قريب

وله فى الوزير العباس بن الحسن ، وابن عمرويه الخراسانى ، وكان أمير بغداد يومئذ :

لعن الله الذى قَلَّـــدَ عبـــاس الوزاره
والذى وَلَّى ابن عمرو يه ببغـــداد الإماره
فوزير شنـــج الوجـــه بطين كالغراره[1]
وقفاً فيـــه سناما ن ورأس كالخيـــاره
لم يزل يعرف بالزو ر قـــديماً والعياره
وأمـــير أعجمىٌّ كحمار ابن حمـــاره
رحل الإســـلام عنا بتوليـــه الإداره

وأنشدنى فى أبى الحسن جَحْظَة البرمكى المغنى :

لجحظة المحسن عنـــدى يد أشْكُرُهَا منه إلى المَحْشَرِ
لما أرانى وَجْـــهَ برذونه وصاننى عن وجهه المنكر

وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام :

خبيصة تعقد من سُكَّره وبُرْمَةٌ تطبخ من قنبره
عند فتى أسمح من حاتم يطبخ قـــدرين على مجمره

---

(١) روى هذا البيت فى ب هكذا :
لوزير سمج الوجـــه بطين كالقواره

Marfat.com

وليس ذا فى كل أيامه   لكنه فى الدعوة المُنكَرَهْ
فى يوم لهو فظــع هائل   وجمع اللـــذات والقرقره
يقول للآكل من خبزه :   تَعْساً لهذا البطن ما أكبره

وله فى أبيه أيضاً :

خبز أبى جعفر طبــاشيرُ   فيــه الأفاويهُ والعقاقيرُ
فيــه دواء لــكل مُعْضِلة   للبطن والصدر والبواسير
وقصعة مثـل مدهن صغراً   تزعق من حولها النواظير(1)
ونَيْلُ ما ترتجيه من يده   ما ليس تجرى به المقادير

وله فيه :

بعثت لأستهديه عَيْراً ولم أكن   لأعلم أن العير صار لنا صهراً
فَوَجَّه لى كى نستوى فى ركوبه   فيركبه بطناً وأركبه ظهراً

وقال فى جماعة من الرؤساء :

قل للرؤوس ومن تُرْجَى نوافلهم   ومن يؤمل فيــه الرِّفْدُ والعمل
إن تشغلونى بأعمــال أصيرها   شغلا ، وإلا ففى أعراضكم شُغُلُ

وله أيضاً :

مالى رأيتك دائباً   مستسخطاً أبداً لرزقك
ارجع إلى ما تستحــــق فإن قوتك فوق حقك

وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير :

عبيد الله ليس له مَعَاد   ولا عَقْلٌ ، وليس له سَدَاد
رددت إلى الحياة فعدت عنها   لقول الله : لو رُدوا لعادوا

---

(1) وقع هذا البيت فى ب هكذا :
وقصعة الأكل مثل مدهنة   يرهق من حولها النواظير

Marfat.com

وله فى القاسم بن عبيد الله بن سليمان :

قل للمولى دولة السلطان : عند الكمال تَوَقُّعُ النقصان
كم من وزير قد رأيت معظماً أضحى بدار مَذَلّة وهوان(١)

وله فى عبيد الله بن سليمان :

لابد يا نفس من سجود فى زمن القرد للقرود
هَبَّتْ لك الريح يا ابن وهب فخذ لها أهبة الركود

وله فى إسماعيل بن بلبل الوزير :

لأبى الصقر دولة مثله فى التخلُّف
مُزْنَةٌ حين أطمعَتْ آذنت بالتكشف(٢)

وله فى العباس بن حسن الوزير :

تحمَّلَ أوزار البرية كلها وزير بظلم العالمين يجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

وله فى الوزير صاعد بن مخلد :

سجدنا للقرود رجاء دنيا حوَتْهَا دوننا أيدى القرود
فما نالت أناملُنَا بشىء عملناه سوى ذل السجود(٣)

وله فى العباس بن الحسن الوزير :

بَنَيْتَ على دجلة مجلسا تباهى به فِعْلَ مَنْ قد مضى
فلا تفرحَنَّ فكم مثل ذا رأيناه ما تم حتى انقضى

وله فى الوزير على بن محمد بن الفرات :

وقفت شهوراً للوزير أعدُّهَا فلم تثنه نحوى الحقوقُ السوالفُ

(١) فى ا « كم من وزير قد رأيت معليا » .
(٢) فى ب « مزنة حين المعت»
(٣) فى ب « سوى ذاك السجود »

Marfat.com

فلا هو يرعى لى رعاية مثله ولا أنا أستحيى الوقوف وآنَفُ

وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر الغربلى[١] :

سألت أبا جعفر فقال : يَدِى تَقْصُرُ
فقلت له : عاجلا يكون كما تذكر

وله فيه :

لحية كَثَّةٌ أضر بها النَّتْـــــفُ ، ووجه مُشَوَّهٌ ملعون
قلت لمـا بدا يجمجم فى القو ل وَيَهْذِى كأنه مجنون :
صدق الله ، أنت مَنْ ذَكَرَ الله مَهِينٌ ولا يكاد يبين

وله فى ابن المَرْزُبَانِ ، وقد كان سأله دابة فمنعه :

بَخِلْتَ عنى بمقرف عطب فلن ترانى ما عشت أطلبه[٢]
وإن تـكن صُنْتَهُ فما خلق الله مصوناً وأنت تركبه

وله مما أحسن فيه :

تضمن لى فى حاجتى ما أحبه فلما اقتضيت الوعد قَطّب واعتلى[٣]
وصَيَّر عـذراً شُغْلَه واتصاله ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا[٤]

ولعلى بن محمد بن بسام فى هذه المعانى أشعار كثيرة ، اكتفينا بذكر البعض عن إيراد ما هو أكثر منه فى هذا الـكتاب ، لمـا قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الـكتب ، وقد كان أبوه محمد بن نصر بن منصور[٥] فى غاية السرو والمروءة ، وكان رجلا مترفا ، حسن الزى ، ظاهر المروءة ، مشغوفاً بالبناء[٦] .

(١) فى ب « القوملى » . (٢) فى ب « فلم ترانى ماعشت أركبه » .
(٣) فى ب « تضمن لى فى حاجة »
(٤) فى ب « وصرت عذارا شغله »
(٥) فى ب « وقد كان أبو محمد بن جعفر فى غاية الستر » .
(٦) فى ب « مشغوفا بالنساء » .

Marfat.com

وذكر أبو عبد الله[1] القمي قال : دخلت عليه يوماً شاتياً ، شديد البرد ببغداد ، فإذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الأحمر الأرمنى ، وهو يلوح[2] بريقاً ، فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعاً فى مثلها ، وفى وسطها كانون بزرافين إذا اجتمع ونُصِبَ كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها ، وقد ملىء جمر الغضَى ، وهو جالس فى صدر القبة ، عليه غلالة تسترية ، وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الأحمر ، فأجلسنى بالقرب منه ، فكدت أتلظى ، فدفع إلى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور ، فمسحت به وجهى ، ثم رأيته قد استسقى ماء ، فأتوه بماء رأيت فيه ثلجاً ، فلم يكن لى وُكْدٌ إلا قطع ما بينى وبينه ، ثم خرجت من عنده إلى برد مائع ، وقد قال لى : لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه .

طعام محمد ابن نصر

قال : ودخلت عليه فى بعض الأيام وهو جالس فى موضع آخر فى داره، وقد رفعه على بركة ، وفى صدره صفة ، وهو يُشْرِف منها على البستان ، وعلى حيرِ الغزلان ، وحظيرة القمارى وأشباهها ، فقلت له : يا أبا جعفر ، أنت والله جالس فى الجنة ، قال : فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها ، فما جلست واستقر بى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها ، وفى وسطها جام جزع ملونة ، قد لوى على جنباتها الذهب الأحمر ، وهى مملوءة من ماء ورد ، وقد جعل ساقاً على ساق ، كهيئة الصومعة من صدور الدجاج ، وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الأصباغ وأنواع الملح ، ثم أتينا بسنبوسق يفور[3] وبعده جامات اللوزينج ، ورفعت المائدة ، وقمنا من فورنا إلى موضع الستارة ، فقدم بين أيدينا إجانة صينى بيضاء قد كومت بالبنفسج والخيرى ، وأخرى مثلها قد عبىء فيها التفاح الشامى قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف تفاحة[4] ، فما رأيت طعاماً أنظف منه

(١) فى ب « أبو عبد الرحمن العتبى» (٢) فى ا « وهو يلمع »
(٣) فى ب « بشنبوشق باور » (٤) فى ب «ألف حبة »

Marfat.com

ولا ريحاناً[1] أظرف منه ، فقال لى : هذا حَقُّ الصَّبُوحِ ، فما أنسى إلى الساعة طِيبَ ذلك اليوم .

قال المسعودى : وإنما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن نصر[2] ليعلم أن على ابن محمد ابنه أخبر عنه بضد ما كان عليه ، وأنه لم يسلم من لسانه إنسان ، وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، وما كان من قوله فى القاسم بن عبيد الله ، ودخوله إلى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول على بن بسام :

حَيَاةُ هذا كموت هذا   فليس تخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر إلى القاسم فاستحيا ، فقال : يا قاسم ، اقْطَعْ لسان ابن بَسَّامٍ عنك ، فخرج القاسم مبادراً ليقطع لسانه ، حتى قال له المعتضد : بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء ، فولاه القاسم البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وما كان من قوله فى أسَدِ بن جَهْوَر الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسداً وغيره من الكتاب وهو :

تَعِس الزمان لقد أتى بعجائب   ومحا رُسُومَ الظرف والآداب
أوما ترى أسَدَ بن جَهْوَر قد غدا   متشبهاً بأجِـــلَّةِ الكتاب
وأتى بأقوام لو انبسطت يدى   فيهم رددتهم إلى الكتاب

وزراء المقتدر

ولما قتل العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات [يوم الأربعاء لأربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين] فكانت وزارته إلى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما .

واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات ، وهو يوم الأربعاء لأربع خلون من ذى الحجة

(١) فى ب « ولاريحا »   (٢) فى ب « محمد بن جعفر » محرفا

Marfat.com

[سنة تسع وتسعين ومائتين] وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره ، وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خَلَوْنَ من المحرم سنة إحدى وثلثمائة .

وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة [خلت] من المحرم سنة إحدى وثلثمائة ، وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة .

واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية ، وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة ، وقبض عليه يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة .

وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة ، وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته ، وهو يوم الأربعاء ، وفوضت الأمور إليه ، وقبض على حامد بن العباس .

واستوزر على بن محمد بن الفرات ، وهى الثالثة من وزارته ، وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الأمور فى هذه الوزارة ، فأتى على جماعة من الكتاب [ثم قبض عليه وعلى ولده ، على حسب ما قدمنا من خبرهما فى صدر هذا الباب] .

واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبيد[1] الله الخاقانى ، ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ، ثم استوزر على بن عيسى ثانية ، ثم استوزر [أبا] على محمد بن على بن مقلة ، ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلواذى[2] ، ثم استوزر بعده الحسين[3] ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وهو المقتول بالرقة ، ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات[4] .

(١) فى ب « محمد بن عبد الله » وفى الفخرى أن اسمه « عبيد الله بن محمد بن عبيد الله »
(٢) فى ا « الكاواذانى » وفى الفخرى « الكلوذانى »
(٣) فى ب « الحسن بن القاسم »
(٤) فى الفخرى أنه « أبو الفضل جعفر بن الفرات » ولا يلتئم مع ما يأتى قريبا

Marfat.com

مقتل المقتدر

وقتل المقتدر بالله ببغداد وقت صلاة العصر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى ، وتولّى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر [بن موسى بن الفرات على حسب ما ذكرنا] .

وذكر أن الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله إلى الوقعة التى قتل فيها ، فقال له المقتدر : أى وقت هو ؟ فقال : وقت الزوال ، فقطّبَ له المقتدر ، وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس ، فكان آخر العهد به من ذلك الوقت .

السادس من بنى العباس

وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول ، فكان السادس منهم محمد ابن هارون المخلوع، والسادس الآخر: المستعين ، والسادس الآخر : المقتدر بالله .

وللمقتدر أخبار حسان ، وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع ، وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجانى(١) وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها ، وما كان فى المشرق والمغرب وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا «أخبار الزمان» مفصلا ، وفى الكتاب الأوسط مجملا ، وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعاً ، وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ويمدّ لنا فى العمر ويسعدنا بطول الأيام ، فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الأخبار ، وأنواعا من طرائف الآثار ، على غير نظم من تأليف، ولا ترتيب من تصنيف، على حسب ما يسنح(٢) من فوائد الأخبار، ويوجد من نوادر الآثار، ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الأخبار ومخالط الآداب ، تالياً لما سلف من كتبنا، ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا.

وفاة موسى ابن إسحاق الأنصارى

وكانت وفاة موسى بن إسحاق [الأنصارى] القاضى فى خلافة المقتدر ، وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة [الفقيه] الكوفى ، ودفن فى الجانب الشرقى ، وكان هذا[ن] من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل .

(١) فى ب « الجبارى »	(٢) فى ب «على حسب ما يسمح»

Marfat.com

غرق البيت الحرام

وورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت حتى عَمَّ الغرق[(١)] الطواف وفاضَتْ بئر زمزم ، وأن ذلك لم يعهد[وه] فيما سلف من الزمان .

وفيات

وفيها كانت وفاة يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد القاضي ، وذلك في شهر رمضان بمدينة السلام ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقيل : إن في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن [على بن] خلف الأصبهاني الفقيه ، وقد قدمنا ذكْره ، وأن وفاته كانت في سنة ست وتسعين ومائتين وإنما حكينا الخلاف في ذلك .

وفي هذه السنة — وهي سنة سبع وتسعين ومائتين — كانت وفاة ابن أبي عوف البروري[(٢)] المعدل ببغداد ، وذلك في شوال ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن في الجانب الغربي .

وإنما نذكر هؤلاء لنقلهم السنن ، واشتهارهم بذلك ، وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار إلى معرفة وقت وفاتهم .

وفيها مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ، ودفن بباب آل حرب[(٣)] من الجانب الغربي .

وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار مَنْ ظهر من آل أبي طالب في أيام بني أمية وبني العباس ، وفي غيره مما سلف من كُتُبنا ، وما كان من أمرهم من قَتْل أو حَبْس أو حرب[(٤)] .

ظهور طالبي في مصر

وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن [إسماعيل بن إبراهيم بن] الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقتله أحمد ابن طولون ، بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كُتُبنا .

وإنما نذكر مَنْ ظهر من آل أبي طالب واللامع من أخبارهم في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من إيراد ذِكْرِهم ومقاتلهم ، وغير ذلك من أخبارهم من

(١) في ا « حتى جرى الغرق » (٢) في ا « البزوري »
(٣) في ا « بباب حرب » وهو المشهور (٤) في ا « أو هرب »

Marfat.com

منذ [قتل] أمير المؤمنين إلى الوقت الذى ينتهى إليه تصنيفنا لهذا الكتاب .

وفاة الرسى

وكانت وفاة يحيى بن الحسين [الحسنى] الرسى بعد أن قطن بمدينة صَعْدَةَ من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وقام بعده ولده الحسن[1] بن يحيى .

ظهور ابن الرضا

وكان ظهور ابن[2] الرضا ـ وهو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد ـ فى أعمال دمشق فى سنة ثلثمائة ، وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبراً ، وقيل : قتل فى المعركة ، وحمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى .

ظهور الأطروش العلوى

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش ـ وهو الحسن بن على ـ وأخرج عنها المسودة ، وذلك فى سنة إحدى وثلثمائة ، وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل ، وقد كان أقام فى الديلم سنين ، وهم كُفّار على دين المجوسية ومنهم جاهلية ، وكذلك الجيل ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، فاستجابوا وأسلموا ، وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وغيرها ، وبنى فى الديلم مساجد ، والديلم زعم كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أُدَد[3] وأن الجيل من تميم ، وقد قيل : إن دخول الأطروش إلى طبرستان كان فى أول يوم من المحرم سنة إحدى وثلثمائة ، وإن فى هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة ، وقتل أميرها طمسك[4] المفلحى ، وقد أتينا على خبر الأطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبى محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله ، وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا « أخبار الزمان » .

وفيات

وكانت وفاة أبى العباس أحمد بن [عمر بن] سُرَيج[5] القاضى فى سنة ست وثلثمائة وكانت وفاة أبى جعفر محمد [بن جرير الطبرى الفقيه ببغداد فى سنة عشر وثلثمائة ، وكانت وفاة أبى إسحاق] إبراهيم بن جابر القاضى بحلب ، وأدخل

(1) فى ب « الحسين بن يحى »
(2) فى ب « أبى الرضا »
(3) فى ب « بن أدوار »
(4) فى ب « عسكر المفلحى »
(5) فى ب « أحمد بن شريح »

Marfat.com

الليث بن على بن الليث بن أخى الصفار إلى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله ، وقد شهر ، وقيل : إن الليث أدخل إلى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

وفى هذه السنة — وهى سنة ثمان[١] وتسعين ومائتين — مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزى[٢]، المحدث ، صاحب الجاحظ ، وقيل أيضاً : إن وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين .

أحداث

وفى هذه السنة كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها إلى ساحل الشام ، فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل ، وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين ، وافتتح مدينة اللاذقية فسبي منها خلقاً كثيراً ، ووقع بالكوفة بَرَدٌ عظيم الواحدة رطل بالبغدادى ، وريح مظلمة ، وذلك فى شهر رمضان، وانهدم كثير من المنازل والبنيان ، وكان فيها رَجْفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس ، هذا كان بالكوفة فى سنة تسع وتسعين[٣] ومائتين ، وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة ، وفيها طلع نجم الذنب[٤] .

وفيها غزا دمنانة[٥] صاحب الغزو بالبحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرص ، وقد كانوا نَقَضُوا العهد الذى كان فى صدر الإسلام : أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم ، وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم ، وأقام دمنانة[٥] فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يَسْبِى ويحرق ويفتتح مواضع قد تحصن فيها ، وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند إخبارنا عن جمل البحار وَمَبَادِى الأنهار ومطارحها ؛ فمنع ذلك من إعادة وصفها .

---

(١) فى ا « وهى سنة سبع وتسعين » وهو المستقيم مع مايلى
(٢) فى ا « المروذى » (٣) فى ب « سنه تسع وثمانين ومائتين »
(٤) فى ا « كوكب الذنب » (٥) فى ب « وهنانة »

Marfat.com

موت ابن ناجية

وفى سنة إحدى وثلثمائة مات عبد الله بن ناجية[1] المحدث بمدينة السلام، وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين .

ابن الجصاص

وكان القبض على ابن الجَصَّاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة ، والذى صح مما قبض من ماله من العين والوَرِق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار .

وفاة القاسم ابن الحسن ابن الأشيب

وفيها مات القاسم بن الحسن بن الأشيب — ويكنى أبا محمد — يوم الاثنين لليلتين بَقِيَتا من جمادى الأولى ، وكان من كبار العلماء والمحدثين ، ودُفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الحمالين[2] ، وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى ، وأبو جعفر أحمد[3] بن إسحاق بن البهلول القاضى ، وغيرهما من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة ، وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الأشيب ، وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت .

غارة البربر على مصر

وفى هذه السنة - وهى سنة اثنتين وثلثمائة — ورد الجيش من الغرب ؛ فكان لأهل مصر من أصحاب السلطان معهم [بمصر] حروب عظيمة ، وقتل فيها خلق كثير ، واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بأبى جرة[4] إلى السلطان ، وسار إلى مدينة السلام ، فخلع عليه .

ابن أبى الساج

وفى سنة سبع وثلثمائة[5] أدخل يوسف بن أبى الساج إلى مدينة السلام، وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دُرّاعة الديباج التى لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم ، وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل ، وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع [سائر] أرباب الدولة من أصحاب السيوف، وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسَرَ فيها مؤنسٌ الخادم ابْنَ أبى الساج

(١) فى نسخة «عبد الله بن ناحية» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ا ب

(٢) فى ب « الحماليق » (٣) فى ب « محمد بن إسحاق »

(٤) فى ب «بأبى حرة» (٥) فى ب « سنة سبع عشرة وثلثمائة »

Marfat.com

بناحية أردبيل ، ومن حضرها من الأمراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وعلى بن حسان ، وأبي الفضل المروى ، وأحمد بن على أخي[١] صعلوك ،وغيرهم من الأمراء والقواد ، وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبي الساج، وخروجه من ديار ربيعة ومضر [ومسيره إلى أعماله من] بلاد أذربيجان وأرمينية ، وما كان من غلامه سبك[٢] واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارق ، وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره إلى واسط ، ثم مسيره إلى الكوفة ، وما كان من خبره فى حربه لأبي طاهر سليمان بن الحسن الجناب[٣] وأسره إياه وقتله له نحو الأنبار وهيت حين أشرف على سواده بليق و نظيف غلام ابن أبي الساج ، وما كان فى هذه الوقعة وَهَزْمه لبليق ونظيف ، ومسير القرمطى ونزوله على هيت ، وغير ذلك ، وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة ، فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ، ومن كان [معه] من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر ، وذلك فى سنة تسع وثلثمائة .

(١) فى ب « بن صعلوك »
(٢) فى ب « غلامه مسك »
(٣) فى ب « الجبائى » محرفا

Marfat.com

ذكر خلافة القاهر [بالله]

موجز وبويع القاهر محمدُ بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بَقِيَتَا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، ثم خلع يوم الأربعاء لخمس خَلَوْنَ من جمادى الأولى سَنَةَ اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وَسُمِلَتْ عيناه ، وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ، ويكنى بأبى منصور ، وأمه أم ولد .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه

واستوزر القاهر أبا على محمد بن على بن مُقْلَة فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله ، واستوزر أباجعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان[1] [ثم عزله، واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبى] .

أخلاقه

وكانت أخلاقه لاتكاد تحصل[2] ،لتقلبه وتلونه ، وكان شَهْماً شديد البطش بأعدائه ، وأبَادَ جماعة من أهل الدولة ، منهم مؤنس الخادم ، وبليق ، وعلى بن بليق ، فهابه الناس وَخَشُوا صَوْلته ، واتخذ حربة عظيمة يحملها فى يده إذا سعى فى داره ويطرحها بين يديه فى حال جلوسه ، ويباشر الضرب[3] بتلك الحربة لمن يريد قَتْله ، فسكن من كان يستعمل على مَنْ قبله من الخلفاء التشغب والتوثب عليهم ، وكان قليل التثبت فى أمره ، مَخُوفَ السطوة ، فأدَّاه ما وصفنا من فعله إلى أن احتيل عليه فى داره فقبض عليه ، وسملت كلتا عينيه وهو حى فى هذا الوقت فى الجانب الغربى فى دار ابن طاهر ، على ما نُمِيَ إلينا من خبره واتصل بنا من أمره ، وذلك أن الراضى بالله غَيَّبَ خبره وقطع ذكره ، فلما بويع إبراهيم المتقى بالله أصيب القاهر معتقلا فى بعض المقاصير ، فأمر به إلى دار ابن طاهر ، فاعتقل بها إلى هذه الغاية على ما وصفنا .

الخراسانى الأخبارى يصف الخلفاء العباسيين للقاهر بالله

وذكر محمد بن على العبدى الخراسانى الأخبارى ، وكان القاهر به آنساً ، قال : خلا بى القاهر فقال : اصدقنى أو هذه ـ وأشار إلى بالحربة ـ فرأيت والله الموتَ عِياناً بينى وبينه ، فقلت : أصدقك يا أمير المؤمنين ، فقال لى : انظر ، يقولها ثلاثاً ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين، قال: عما أسألك عنه ، ولا تُغَيِّبْ عنى

(١) وقع فى ب « محمد بن القاسم بن عبد الله الخصيبى » فاختلط الإسمان وسقط أحدهما

(٢) فى ب « لاتكاد تحصى »   (٣) فى ب « ويباشر الحرب »

Marfat.com

شيئاً ، ولا تحسن القصة ، ولا تسجع فيها ، ولا تسقط منها شيئاً ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أنت علّامة بأخبار [خلفاء] بنى العباس فى أخلاقهم وشيمهم من أبى العباس [السفاح] فمن دونه ، فقلت : على أن لى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : ذلك لك .

وصف السفاح

قال : قلت : أما أبو العباس السفاح ، فكان سريعاً إلى سفك الدماء ، واتّبعه عماله فى الشرق والغرب فى فعله ، وَاسْتَنُّوا بسيرته ، مثل محمد بن الأشعث بالمغرب ، وصالح بن على بمصر ، وخازم بن خزيمة[1] ، وحميد ابن قَحْطَبة ، وكان مع ذلك[2] بحراً سَمْحاً وَصُولا جواداً بالمال ، وسلك مَنْ ذكرنا [من عماله وغيرهم] ممن كان فى عصره سبيله ، وذهبوا مذهبه ، مؤتمين به .

وصف المنصور

قال : وأخبرنى عن المنصور ، قلت : الصدق يا أمير المؤمنين ؟ قال : الصدق .

قلت : كان والله أول من أوقع الفُرْقَةَ بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبى طالب ، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحداً ، وكان أول خليفة قَرّبَ المنجمين وعمل بأحكام النجوم ، وكان معه نُوبَخْتُ المجوسىُّ المنجم ، وأسلم على يديه ، وهو أبو هؤلاء النوبختية ، وإبراهيم الفزارى المنجم ، صاحب القصيدة فى النجوم ، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلى بن عيسى الإسطرلابى المنجم ، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ، منها : كتاب « كليلة ودمنة » ، وكتاب « السندهند » ، وترجمت له كُتُبُ أرسطاطاليس ، من المنطقيات وغيرها ، وترجم له كتاب « المجسطى » لبطليموس ، وكتاب « الأرثماطيقى » ، وكتاب « إقليدس » وسائر الكتب القديمة من اليونانية ، والرومية ، والفهلوية ، والفارسية ، والسريانية ، وأُخرجت إلى الناس ، فنظروا فيها ، وتعلقوا إلى علمها ، وفى أيامه وضع محمد بن إسحاق كتاب

(١) فى ب « حازم بن خزيمة » (٢) فى ا « وكان مع ذلك نجدا » .

Marfat.com

«المغازى ، والسير : وأخبار المبتدأ» ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مُصَنَّفة ، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه [فى أعماله] وصرفهم فى مهمانه ، وقدّمهم على العرب ، فامتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده ، فسقطت وبادت العرب ، وزال بأسها[1] ، وذهبت مراتبها ، وأفضت الخلافة إليه ، وقد نظر فى العلم ، وقرأ المذاهب ، وارتاض فى الآراء ، ووقف على النِّحَل ، وكتب الحديث ، فكثرت فى أيامه روايات الناس ، واتسعت عليهم علومهم .

وصف المهدى

قال القاهر : قد قلت فأحسنت ، وعبرت فبينت ، فأخبرنى عن المهدى كيف كانت أخلاقه[2] ؟

قلت . كان سَمِحاً سخياً كريماً جواداً ، فسلك الناس فى عصره سبيله ، وذهبوا فى أمرهم مَذْهَبه ، واتسعوا فى مساعيهم ، وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بِدَرَ الدنانير والدراهم ، فلا يسأله أحد إلا أعطاه ، وإن سكت ابتدأه المفرق بين يديه ، وقد تقدم بذلك إليه ، وأمعن فى قتل الملحدين ، والداهنين[3] عن الدين لظهورهم فى أيامه ، وإعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته ؛ لما انتشر من كتب مانى وابن دَيْصَان[4] ، ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع ، وغيره ، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية ، وماصنفه فى ذلك ابن أبى العرجاء ، وحماد عَجْرَدِ ، ويحيى بن زياد ، ومطيع ابن إياس : من تأييد المذاهب المانية ، والدَّيْصَانية ، والمرقيونية ، فكثر بذلك الزنادقة ، وظهرت آراؤهم فى الناس ، وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم ، وأقاموا البراهين على المعاندين ، وأزالوا شُبَهَ الملحدين ، فأوضحوا الحق للشاكين ، وشرع فى بناء المسجد الحرام ، ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ماهما عليه إلى هذه الغاية ، وبَنَى بيت المقدس ، وقد كان هدمته الزلازل .

---

(١) فى ا « وزالت رياساتها » (٢) فى ب « كيف كانت خلافته »
(٣) فى ب والداهبين عن الدين » (٤) فى ب « وابن دميان »

Marfat.com

وصف الهادى

قال : فأخبرنى عن الهادى على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه ؟

قلت : كان جبّاراً عظيما ، وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المُرْهَفة ، والأعمدة المشهورة ، والقِسِيِّ الموتورة ، فسلكت عماله طريقته ، ويمموا منهجه ، وكثر السلاح فى عصره

قال : لقد أجدْتَ فى وصفك ، وبالغت فيما ذكرت من قولك ، فأخبرنى عن الرشيد كيف كانت طريقته ؟

وصف الرشيد

قلت : كان مواظباً على الحج ، متابعاً للغزو ، واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور فى طريق مكة ، وأظهر ذلك بها وبمِنى وعرَفَات ، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، فعمَّ الناسَ إحسانُه ، مع ما قرن به من عدله ، ثم بنى الثغور ، ومَدَّن المدن ، وحَصَّن فيها الحصون ، مثل طرسوس وأذنة ، وعمر المصيصة ومرعش ، وأحكم بناء الحرب ، وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين ، واتبعه عماله ، وسلكوا طريقته ، وقَفَتْهُ رعيته مقتدية بعمله ، مُسْتَنِدة بإمامته ، فقمع[1] الباطل ، وأظهر الحق ، وأنار الأعلام ، وبرز على سائر الأمم ، وكان أحسن الناس فى أيامه فِعْلاً أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة ، واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة ، وطريقها المعروفة إلى هذه الغاية ، وما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامى وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف ، وما ظهر فى أيامه من فعل البرامكة وجُودِهم وإفضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم . وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان فى الميدان ورمى بالنشاب فى البرجاس ، ولعب بالأكرة والطبطاب . وقرب الحذّاق فى ذلك فعم الناس ذلك الفعل . وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بنى العباس ، وبالنرد وقدم اللعاب ، وأجرى عليهم الرزق ، فسمى الناس أيامه — لنضارتها ، وكثرة خيرها وخصبها — أيام العروس ، وكثير مما يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف

(١) فى ب « فمحق الباطل »

Marfat.com

وصف أم جعفر زبيدة بنت جعفر ابن المنصور

قال القاهر : فأراك قد قصرت فى تفصيل [أفعال] أم جعفر ، فلم ذلك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ميلا إلى الاقتصار ، وطلباً للإيجاز .

قال : فتناول الحربة وهَزَّهَا ، فرأيت الموت الأحمر فى طرفها ، ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت ، وقلت : هذا ملك الموت ، ولم أشك أنه يقبض روحى ؛ فأهوى بها نحوى ، فزُغتُ منها ،فاسترجع وقد أخطأتنى، فقال : ويلك !! أبغضت مافيه عيناك ، ومَلِلْتَ الحياة ؟ قلت: ماهو ياأميرالمؤمنين؟ قال : أخبار أم جعفر زدنى منها ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، كان من فعلها وحسن سيرتها فى الجد والهزل ما بَرَّزَتْ فيه على غيرها ، فأما الجد والآثار الجميلة التى لم يكن فى الإسلام مثلها، مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ، فإنها حفرتها ، ومهدت الطريق لمائها فى كل خَفْض ورَفْع وسَهْل وجبل ووَعْر ، حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا إلى مكة ، فكان جملة ما أنفقت عليها — مما ذكر وأحصى — ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، وما قَدَّمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور ، وإنفاقها الألوف على ذلك ، دون ما كان فى وقتها من البذل ، وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب ، وأما الوجه الثانى — مما تتباهى به الملوك فى أعمالهم ، وينعمون به فى أيامهم ، ويصونون به دُوَلَهم ، ويدون فى أفعالهم وسيرهم —فهو أنها أوَّلُ من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلَّلة بالجوهر ، وصنع[1] لها الرفيع من الوَشْيِ ، حتى بلغ الثوب من الوشى الذى اتخذ[2] لها خمسين ألف دينار ، وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى ، يختلفون على الدواب فى جهاتها ، ويذهبون فى حوائجها برسائلها وكتبها ، وأول من اتخذ القباب [من] الفضة والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع[3] الحرير من

(١) فى ا « واصطنع لها » (٢) فى ا « حتى بلغ ثوب وشى اتخذ لها »
(٣) ا « وألوان الحرير » .

Marfat.com

الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق ، واتخذت الخفاف المرصّعة بالجوهر وشمع العنبر ، وتشبّه الناس فى سائر أفعالهم بأم جعفر

ولما أفضى الأمر إلى ولدها ياأمير المؤمنين قَدَّمَ الخدمَ ، وآثرهم ، ورفع منازلهم ، ككوثر وغيره من خَدَمِه ؛ فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه ، وعممت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطُّرَر (١) والأصْدَاغَ والأقفية ، وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق ، فماست (٢) قدودهن ، وبرزت أردافهن ، وبعثت بهن إليه ، فاختلفن فى يديه ، فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن ، وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة ، واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارىَ المطمومات ؛ وألبسوهن الأقبية والمناطق ، وسموهن الغُلاميات .

فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ، ونادى بأعلى صوته : يا غلام ، قَدَح على وصف الغلاميات ، فبادر إليه جوَارٍ كثيرة قَدُّهن واحد ، توهمتهن غلماناً بالقَرَاطِقِ والأقبية والطرر (١) والأقفية ومناطق الذهب والفضة ، فأخذ الكأس بيده ، فأقبلتُ أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب ، وشعاعه ، وحسن أولئك الجوارى ، والحربة بين يديه ، وأسرع فى شربه ، فقال : هيه .

وصف المأمون

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم أفضى الأمر إلى المأمون ، فكان فى بَدْء أمره — لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره — يستعمل النظر فى أحكام النجوم وقضاياها ، وينقاد إلى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك [وغيره] ، واجتهد فى قراءة الكتب القديمة ، وأمعن فى درسها ، وواظب (٣) على قراءتها ، فافتن فى فهمها ، وبلغ درايتها ؛ فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقَدِمَ العراق انصرف عن ذلك كله ، وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد ، وجالس المتكلمين ، وقرب إليه كثيراً من الجدليين [المبرزين] والمناظرين

(١) فى ا « الطرز » (٢) فى ب « فبانت قدودهن » .
(٣) فى ا « وأطنب فى قراءتها »

Marfat.com

كأبى الهُذَيل وأبى إسحاق إبراهيم بن سَيّار النّظّام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم[١] ، وألزم مجلسه الفقهاء ، وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناسُ فى صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجَدَلَ ، ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله ، وكان أكثر[٢] الناس عفواً ، وأشدهم احتمالا ، وأحسنهم مقدرة ، وأجودهم بالمال الرغيب ، وأبذلهم للعطايا ، وأبعدهم من التسافه[٣] واتّبعه وزراؤه وأصحابه فى فعله ، وسلكوا سبيله ، وذهبوا مذهبه .

وصف المعتصم

ثم المعتصم ، فإنه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى أخيه المأمون ، وغَلَبَ عليه حب الفروسية ، والتشبه بالملوك الأعاجم فى الآلة ، ولبس القَلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله ، وائتماما به ، فسميت المعتصميات ، وعم الناس إفضاله ، وأمِنَتِ به السبل فى أيامه ، وشمل [الناس] إحسانه .

وصف الواثق

ثم هرون بن محمد الواثق ، فإنه اتبع ديانة أبيه ، وعمه ، وعاقب المخالف ، وامتحن الناس ، وكثر معروفه ، وأمر القضاة فى سائر الأمصار أن لا يقبلوا شهادة مَنْ خالفه ، وكان كثير الأكل ، واسع العطاء ، سهل الانقياد[٤] متحبباً إلى رعيته .

وصف المتوكل

ثم المتوكل يا أمير المؤمنين ، فإنه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ، ونَهَى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقَبَ عليه ، وأمر بالتقليد ، وأظهر الرواية للحديث ، فحسنت أيامه ، وانتظمت دولته ، ودام ملكه ، وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه .

قال القاهر : قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت ؛ معاين لهم فيما ذكرت ، ولقد سَرَّنِى ما سمعت منك ، ولقد فتحت أبواب السياسة ، وأخبرت عن طرق الرياسة ، ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ، ثم قال لى : إذا شئت فقم ، فقمت ، وقام على أثرى بحربته ، فخيل

(١) فى ا « وغيرها ممن وافقها وخالفها » .

(٢) فى ا « وكان أكرم الناس » (٣) فى ا « وأبعدهم من النفاسة »

(٤) فى ا « سلس القياد متحنناً على رعيته » .

Marfat.com

والله لى أنه يرمينى بها من ورائى ، ثم عَطَفَ نحو دار الخدم ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى كان من أمره ماظهر

قال المسعودى : وهذا الرجل الذى أخْبَرْتُ عنه بهذا الحديث له أخبار حسان، وهى حى يرزق إلى هذه الغاية ، وهى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، مداحاً للملوك ، معاشراً لأهل الرياسات ، حسن الفهم ، جيد الرأى .

وفاة ابن دريد

وفى خلافة القاهر بالله - وهى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة — كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ ببغداد ، وكان ممن قد بَرَعَ فى زمننا هذا فى الشعر ، وانتهى فى اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء فى اللغة لم تُوجَدْ فى كتب المتقدمين ، وكان يذهب فى الشعر كل مذهَبٍ ، فطوراً يجزل ، وطوراً يرقُّ ، وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتى عليه كتابنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المقصورة [التى مدح بها الشاه ابن ميكال ، ويقال : إنه أحاط فيها بأكثر المقصور] وأولها :

إمَّا تَرَىْ رأسِيَ حاكى لونُهُ طُرَّةَ صبح تحت أذيال الدُّجى
واشتعل المبيضُّ فى مسوده مثل اشتعال النار فى جَزْلِ الغَضَى

ومنها :

إن الجديدين إذا ما استوليَا على جديدٍ أدنَيَاه للبِـلَى

[وفيها يقول] :

لست إذا ما أبْهَظَتْنِي غَمْرَةٌ ممن يقول : بَلَغَ السيل الزُّبَى (١)

ومنها :

وإن ثَوَتْ بين ضلوعى زَفْرَةٌ تملأ ما بين الرجا إلى الرَّجَا (٢)

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء ، منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فَهْم (٣) التَّنُوخى الأنطاكى ، وهو فى وقتنا هذا — وهو

(١) فى ب « لست إذا ما أنهضتنى غمرة » .
(٢) فى ب « ما بين الرحا إلى الرحا » (٣) فى ب « بن الفهم »

Marfat.com

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة فى جملة البريديين(١) ، وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تَنُوخَ وقومه من قُضَاعة :

لولا انتهائى لم أطِعْ نَهْىَ النهى   أىَّ مَدًى يَطْلُبُ مَنْ جاز المَدَى
إن كُنت أقصرت فما أقصر قلـــبٌ   دامياً تُدْمِيه ألحاظُ الدُّمَى
وَمُقْلَةَ إن مقلت أهل الفضا   أغضَتْ وفى أجفانها جمر الغضى

وفيها يقول :

وكم ظباء رَعْيُهَا ألحاظها   أسرع فى الأنفس من حَدِّ الظُّبى
أسْرَعُ من حرف إلى جر ، ومن   حب إلى حَبَّةِ قلب وَحَشَى(٢)
قضاعة بن مالك بن حمــير   ما بعده لِلْمُرْتقين مُرْتَقَى

وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصير الحلوانى فى محمد بن زيد الداعى [الحسنى] بطبرستان بقوله :

قفا خليلىَّ على تلك الرُّبَى   وسائلاها أين هاتيك الدُّمَى ؟
أين اللواتى ربعت ربُوعها   عليك ؟ باستنجادها تَشْفِى الجَوَى ؟

ولابن ورقاء فى المقصورة أيضاً :

ما شئت قل هى المها هى القنا   جواهر بكين أعطاف الدمى

وممن تأخر موته بعد موت ابن دُرَيْد العُمَانى أبو عبد الله المفجع ، وكان كاتباً شاعراً بصيراً بالغريب ، وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دُرَيد ، فما جَوَّدَ فيه المفجع قوله :

ألا طرب الفؤاد إلى رُدَيْنِ   ودون مزارها ذو الجلهتين
ألَمَّ خيالها وَهْنًا برحْلى   فولّى رعيــة الشرطين عينى

وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر — مع قصر مدته — من الكوائن فى الكتاب الأوسط ، فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب .

(١) فى ب « البزيدين » . (٢) فى ا « أسرع من خوف إلى جوف » .

Marfat.com

ذكر خلافة الراضى بالله

موجز

وبويع الراضى بالله محمدُ بنُ جعفرٍ ، المقتدرُ ، ويكنى أبا العباس ، يوم الخميس لست خَلَوْنَ من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، فأقام فى الخلافة إلى أن مضى من ربيع الأول عشرةُ أيامٍ ، سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ومات حَتْفَ أنفِهِ بمدينة السلام ، وكانت خلافته ست سنين وأحَدَ عَشَرَ شهراً وثلاثة[1] أيام ، وأمُّه أم ولد يقال لها ظَلُوم .

(١) فى ا « وثمانية أيام »

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه

وَاسْتَوْزَر الراضى أبا على محمد بن على بن مُقْلَةَ ، ثم اسْتَوْزر أبا على عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجَرَّاحِ ، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكَرْخِى ، ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مَخْلَد ، ثم أبا الفتح الفضل ابن جعفر بن الفُرَات ، ثم أبا عبد الرحمن بن محمد البريدى[(١)].

من شعر الراضى

وكان الراضى أديباً شاعراً ظريفاً ، وله أشعار حِسَانٌ فى معانٍ مختلفة ، إن لم يكن ضَاهَى بها ابن المعتز فما نقص عنه ، فمن ذلك قوله فى وصف حاله وحال معشوقه إذا التقيا :

يصفرُّ وجهى إذا تأمَّله ... طرفى ، ويحمرُّ وَجْهه خجلا[(٢)]
حتى كأنَّ الذى بوَجْنَته ... من دم وجهى إليه قد نقلا

ومن جيد شعره قوله :

يا رُبَّ ليل قد دنا مَزَارُه ... يسترنى ومؤنسى أزراره
سَاقٍ مليحُ القد كدجاره ... سراجه ، ووجهه مناره[(٣)]
يشهد لى بـــذله زُنَّاره ... تاهَ بخد ظَهَرَ أحمِرَاره
مَاسَ مع الحمرة جُلنَارُهُ ... أىَّ كثيب قد حوى إزَارُهُ ؟
وأى غصن ضُمِّنَتْ أزراره ... طَوْع الكؤوس ، غَرَّه عذاره
[إخفاؤه تعتاده أمراره ... لا كان لهو لم يثر غباره][(٤)]

وقد كان أبو بكر الصُّولى يروى كثيراً من أشعار الراضى ، ويذكر حسن

---

(١) فى ب « اليزيدى »
(٢) فى ا « ويحمر خده خجلا »
(٣) فى ا « مليح القد لما حاره »
(٤) سقط هذا البيت من ا وليس بمستقيم القافية ولا الألفاظ

Marfat.com

أخلاقه وجميل أخباره ، وارتياضه بالعلم وفنون الأدب ، وإشرافه على علوم المتقدمين ، وخَوْضه فى بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين .

من محاسن الصولى أبى بكر

وذكر أن الراضى رأى فى بعض منتزهاته بالثريا بستاناً مُونقاً ، وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضر [من ندمائه] : هل رأيتم أحسن من هذا ؟ فكل قال أشياء ذهب فيها إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا يفى بها شىء من زهرات الدنيا ، فقال : لعبُ الصولى الشطرنج والله أحسن من هذا [الزهر] ومن كل ما تصفون .

وذكر أن الصولى فى بَدْء دخوله إلى المكتفى ، وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج ، وكان الماوردى اللاعب [مقدماً عنده ، متمكنا من قلبه] معجباً بلعبه ، فلعبا جميعاً بحضرة المكتفى ، فحمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الحرمة(١) والألفة على نصْرته وتشجيعه(٢) حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وَهْلَة ، فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولى غايته [وقصد قصده ، غلبه] غلبا لا يكاد يرد عليه شيئاً ، وتبين حسن لعبه للمكتفى ، فعدل عن هواه ونصره للماوردى ، وقال له : صار ماء وردك بَوْلاً .

قال المسعودى : وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف إلى جمل من أخبار الشطرنج ، وماقيل فيها ، مع ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الهند ومبادىء اللعب بالشطرنج والنرد ، واتصال ذلك بالأجسام العُلوية والأجرام السماوية ، فلنذكر جملا مما ذكر فى ذلك ، مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب .

الخليل بن أحمد

(٣)[وذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى تفضيل صنعة الكلام ، وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية ، أن الخليل بن أحمد من أجْلِ إحسانه فى النحو والعروض وضع كتاباً فى الإيقاع وتراكيب الأصوات ، وهو لم يعالج وتراً قط ، ولا مَسَّ بيده قضيباً قط ، ولا كثرت مشاهدته للمغنين ، وكتب كتاباً فى الكلام ، ولو

---

(١) فى ب « وتقدم الخدمة » (٢) فى ب « وتسميعه » .
(٣) سقط هذا الكلام كله من ا ، وليس له كبير معنى

Marfat.com

جهد كل بليغ فى الأرض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ، ولو أن ممروراً استغرق قُوَى مِرَّته فى الهذيان لَمَا تهيأ له مثل ذلك منه ، ولا يتأتى مثل ذلك لأحد إلا بخذلان الذى لا يبقى منه شىء ، قال الجاحظ : ولولا أن أسخف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد إلى الهزل حكيت صدر كتابه فى التوحيد وبعض ما وصفه فى العدل ، قال : ولم يرضَ بذلك حتى عمد إلى الشطرنج فزاده فى الدولاب حملا ، فلعبت به أناسٌ من حاشية الشطرنجيين ، ثم رموا به][1] ".

أنواع آلات الشطرنج

وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيآتها ستُّ صُوَرٍ لم يظهر فى اللعب غيرها ؛ فأولها الآلة المربعة المشهورة ، وهى ثمانية أبيات فى مثلها ، ونسبت إلى قدماء الهند ، ثم الآلة المستطيلة ، وأبياتها أربعة فى ستة عشر ، والأمثلة تنصب فيها فى أول وهلة فى أربعة صفوف من كلا الوجهين ، حتى تكون الدوابُّ منها فى صفين ، والبيادق أيضاً أمامها صفين ، ومسيرها كسير أمثلة الصورة الأولى ، والآلة المربعة – وهى عشرة فى مثلها – والزيادة فى أمثلتها قطعتان تسميان الدبابتين ، ومسيرهما كسير الشاه إلا أنهما يأخذان ويُؤْخَذَانِ ، ثم الآلة المدورة المنسوبة إلى الروم ، ثم الآلة [المدورة] النجومية التى تسمى الفلكية ، وأبياتها اثنا عشر على عدد بروج الفلك، مقسومة نصفين ، و ينتقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الألوان على عدد الخمسة الأنجم والنيرين وعلى ألوانهما .

وقد بينا فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالأجسام السماوية ، وماقيل فى عشقها للأشخاص العُلْوية ، وأن تحرك الفلك لعشقه لما فوقه ، وقولهم فى النفس ونزولها عن عالم العقل إلى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم ، وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج .

(١) إلى هنا منتهى الساقط من ا .

Marfat.com

ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية ، استحدثت فى زماننا هذا ، وهى سبعة أبيات فى ثمانية ، وأمثلتها اثنا عشر فى كل جهة منها ستة ، كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الإنسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى ، وهى سائر الحواس ، والحاسُّ المشترك ، وهو الذى من القلب .

وقد ذكرت الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ونَصْبها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات .

وقد استعمل لُعَّاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة : فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الأفكار إليها ، وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهلُ القتالِ عند اللقاء والحادى عند الإعياء والمائح للغَرْبِ عند الاستقاء ، وأن ذلك عُدَّة للاعب كما أن الشعر والارتجاز من عدة المحارب .

وقد قيل فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللُّعَّاب ؛ فمن ذلك :

نوادر الشطرنج فى وقتها أحَرُّ من ملتهب الجمر

كم من ضعيف اللعب كانت له عونًا على مستحسن القَمْرِ

ومما قيل فيها فأحسن قائلها وبالغ فى وصف اللعب بها :

أرض مربعة حمراء من أدم ما بين إلْفَيْنِ موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها شَبَهًا من غير أن يَسْعَيا فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا ، وذاك على هذا يغير ، وعين الحرب لم تنم

فانظر إلى الخيل قد جاشت بمعرفة فى عسكرين بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ

ومما قيل فيها فبولغ فى وصفها ، واستوعب النظر لأكثر معانيها ، ما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب ، وكان من جِلّة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب[1] بها ، وهو :

---

(١) فى ا « والحذق بها » .

Marfat.com

فتى نَصَبَ الشطرنج كيما يرى بها　　عواقب لا تَسْمُو لها عينُ جاهلِ (١)
وأبصر أعْقابَ الأحاديث فى غد　　بعينى مُجِدٍّ فى مَخِيـلَةِ هازل
فأجْدَى على السلطان فى ذاك أنه　　أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها إذا ما اعتبرته　　شبيه بتصريف القنا والقنابل

كلمات فى النرد

قال المسعودى : فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدِثَ للعبها ، على ماحكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند ، وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ، ووجوه من النصب ، إلا أن عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان ، على ماتقدم فى ذلك من علمها والمعهود فى أصولها ، وأن الفصين فيها مُحَكَّمان ، واللاعب بهما وإن لم يكن مختاراً ولا خارجاً عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج إلى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده .

وقد قيل فى لعبها ووصفها وإحكام الفصين فيها وقضائهما على لُعَّابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها ، وأغرقوا فى استيعاب معانيها ، من ذلك قول بعضهم :

لا خير فى النَّرْدِ لا يغنى ممارسَها　　حُسْنُ الذكاء، إذا ما كان محروما
تريك أفعـال فَصَّيْهَا بحكمهما　　ضدين فى الحال ميمونا ومشئوما
فما تـكاد ترى فيها أخا أدب　　يفوته القَمْرُ إلا كان مظلوما

وأخبرنى أبو الفتح محمود (٢) بن الحسين السندى بن شاهك الـكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية (٣) والمعرفة والأدب ، أنه كتب إلى صديق له يذم النرد ، وكان بها مشتهراً ، أبياتاً ، وهى :

أيها المعجب المفـاخر بالنَّرْ　　د ليُزْهَى بها على الإخوان
قد لعمرى حرصت جهداً على قَمْـرك لو لم تواتك الفصـان

(١) فى ب « لا يسمونها غير جاهل » .
(٢) فى ب « محمد بن الحسن السندى »　　(٣) فى ا « والدراية » .

Marfat.com

غـــير أن الأريب يكذبه الظـــن ويَبْكى لشـــدة الحرمان
وإذا ما القضاء جاءت بحكم لم يَجِدْ عن قضائها الخصمان
ولعمرى ما كنت أول إنسا نٍ تمنّى فأخلفتـــه الأمانى

وأنشدنى أبو الفتح أيضاً لأبى نُوَاس :

ومأمورة بالأمر تأتى بغيره ولم تتبع فى ذاك غيًّا ولا رشدا
إذا قلت لم تفعل،وليست مطيعة وأفعل ماقالت،فَصِرْتُ لهاعبدا

وقد قدمنا فى باب أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الـكتاب قول من قال فى النرد والفصين : إنها جعلت مثلا للمكاسب ، وإنها لا تنال بالـكَيْسِ ولا بالحيل ، وما ذكر عن أردشير بن بابك فى ذلك أنه أول من لعب بها ، وأرى تقلب الدنيا بأهلها ، وجعل بيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور ، وإن كلابها ثلاثون كلباً بعدد أيام الشهور ، وإن الفصين مثال للقدر وتَلَعُّبِهِ بأهل هذا العالم ، وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها ، وما قدمنا من ذكرها فى هذا الـكتاب وغيره مما سلف من كتبنا .

وذكر بعض أهل النظر من الإسلاميين أن واضع الشطرنج كان عَدْليا مستطيعاً فيها يفعل ، وأن واضع النرد كان مجبراً ، فتبين[1] باللعب بها أنه لاصُنْعَ له فيها ، بل تصرفه فيها على ما يوجبه القَدَرُ عليه بها .

العروضى يحكى عن الراضى وسعة اطلاعه

وذكر العروضى — وهو ممن كان أدَّبَ الراضى وغيره من الخلفاء وأبنائهم — قال : حدثت الراضى ذات يوم خبراً لقتيبة[2] بن مسلم الباهلى فى الـكبر وغيره من الخصال التى توجد فى أهل الرياسات مما يحمد فيهم وما يكره منهم من الأخلاق، فـكتب ذلك فى حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظباً على درسه إلى أن استـكمل إتقانه فى مجلسه ، فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ، ثم قال لى وقد أقبل علىّ :

(١) كذا فى ا ، ب ولعله « فبين » .
(٢) فى ب « خبراً ألفيته عن مسلم الباهلى » .

Marfat.com

لعل الزمان أن يبلغ بى أن أتأدب بهذه الخصال ، وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب ، وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم وهو والٍ على خراسان للحجاج [و] محاربٌ للترك : لو وجهت فلانا — لرجل من أصحابه — إلى حرب بعض الملوك على الجيش ، فقال قتيبة : إنه رجل عظيم الكبر ، ومَنْ عظم كبره اشتد عجبه ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيّاً ، ولم يؤامر نصيحاً ومَنْ تبجَّحَ بالإعجاب وفخر بالاستبداد ، كان من الصنع بعيداً ، ومن الخذلان قريباً ، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ، ومن تكبر على عدوه حَقَره ، وإذا حَقَره تهاون بأمره ، ومن تهاون بأمر عدوه ووثق بأمر قوته وسكن إلى جميع عُدَّته قلَّ احتراسه ، ومن قلَّ احتراسه كثر عِثَاره ، وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قَطُّ إلا كان منكوباً ومهزوماً ومخذولا ، لا والله حتى يكون أسمع من فرس ، وأبصر من عُقَاب وأهدى من قَطَاة ، وأحذر من عَقْعَق ، وأشد إقداماً من أسد ، وأوثب من فهد ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ، وأسخى من ديك ، وأشح من ظبى ، وأحرس من كركى ، وأحفظ من كلب ، وأصبر من ضب ، وأجمع من النمل ، وإن النفس إنما تسمح بالعناية على قَدْر الحاجة ، وتتحفظ على قدر الخوف ، وتطمع على قدر السبب ؛ وقد قيل على وجه الدهر : ليس لمعجَبٍ رأىٌ ، ولا لمتكبر صديق ، ومن أحب أن يُحَبَّ تحبب .

بين معاوية وقيس بن سعد

قال العروضى : وتذاكرنا يوماً بحضرة الراضى بالله فى حال صباه - وقد حضر جماعة من ذوى العلم والمعرفة بأخبار الناس ممن غَبَرَ — فانتهى بنا الأمر إلى خبر معاوية بن أبى سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل إليه سراويل أجْسَم رجل عنده ، فقال معاوية : لا أعلمه إلا قيس ابن سعد ، فقال لقيس : إذا انصرفت فابعث إلى بسراويلك ، فخلَعَهَا ورمى بها ، فقال معاوية : هلا بعثت بها من منزلك ، فقال قيس :

Marfat.com

أردت لكيما يعلم الناسُ أنها سراويلُ قيسٍ ، والوفودشهود
وأن لا يقولوا : غاب قيس،وهذه سراويل عادٍ قد نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر : قد كان جَبَلَةُ بن الأيهم أحد ملوك بنى غَسَّان طوله اثنا عشر شبراً ، فإذا ركب مسحت قدماه الأرض ، فقال له الراضى بالله : قد كان قيس بن سعد هذا المذكور [إذا ركب] تخط قدماه الأرض، وإذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب ، وقد كان جدِّى علىُّ بن عبدالله ابن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله ، وكان يقول : كنت إلى منكب عبدالله بن عباس ، وكان عبدالله إلى منكب جدِّى العباس، وكان العباس بن عبد المطلب إذا طاف بالبيت يرى كأنه فُسْطَاط أبيض ، قال : فتعجب والله مَنْ حضر من إيراده هذا الخبر [ومن كلامه] مع صغر سنه .

طير الكيكم

ثم تذاكرنا عجائب البلدان ، وما خَصّ به كل صقع من الأرض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أنواع الجواهر وغيرها ، فقال لى قائل ممن حضر : إن أعجب ما فى الدنيا [طير] يكون بأرض طبرستان على شاطىء الأنهار شبيه بالباشِقِ ، وأهل طبرستان يسمونه بالكيكم ، وهو صياحه الذى يصيح به ، ولا يصيح فى السنة إلا فى هذا الفصل [يعنى الربيع] فإذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون فى المياه وغيرها ؛ فتزقُّه من أول النهار ، حتى إذا كان فى آخره أخذ واحداً مما قرب من الطير فأكله ، وكذلك يفعل فى كل يوم إلى أن ينقضى هذا الفصل الربيعى فإذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده ، وهو يَهْرُبُ منها ولا يسمع له صوت إلى الفصل الربيعى ، وهو طير حسن موشى حسن العينين ، قال : وذكر على بن زيد[1] الطبيب الطبرى صاحب كتاب

(١) فى ب « على بن يزيد »

Marfat.com

فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس يكاد يُرَى، ولم تَرَقط قدماه على الأرض معاً ، بل يطأ على الأرض بإحدى قدميه على البدل لا يطأ الأرض بهما [معا] فى حالة واحدة ، قال : وقد ذكر الجاحظ أن هذا الطير من إحدى عجائب الدنيا ، وذلك أنه لا يطأ الأرض بقدميه ، بل بإحداها ، خوفاً على الأرض أن تنخسف به من تحته .

قال : والعجب الثانى دودة تكون من المثقال إلى الثلاثة تضىء بالليل كضوء الشمع ، وتطير بالنهار ، ويرى لها أجنحة خضراء مَلْساء، ولا جناحين لها ، غذاؤها التراب لا تشبع منه قط ، خوفاً أن يَفْنَى تراب الأرض فتهلك جوعا ، وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة .

قال : والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة ، من يكرى نفسه للقتل ، يعنى المرتزقة من الجند .

فاستحسن هذا الخبر مَنْ حضر ، فقال أبو العباس الراضى معارضاً لهذا الخبر الذى أخبر بالخبر الأول : قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما فى الدنيا ثلاث ؛ البوم لا يظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ، ولما قد تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان ؛ فتظهر بالليل ، والعجب الثانى الكركى ، لا يطأ بقدميه الأرض ، بل بإحداها ، فإذا وطىء بإحداها لا يعتمد عليها اعتماداً قويا ، ومشى بالتأنى ، خوفا من أن تنخسف الأرض من تحته ، لثقله ، والعجب الثالث الطائر الذى يقعد على بُثُوقِ الماء[1] من الأنهار إذا انخرقت[2] ، الذى يعرف بمالك الحزين على شبه الكركى خوفا من الماء أن يفنى من الأرض فيموت عطشا .

قال العروضى : فافترق مَنْ حضره وكلٌّ متعجب من الراضى مع صباه

(١) فى ب « على سوق الماء » .
(٢) فى ب « إذا انخزنت » .

Marfat.com

وصغر سنه كيف تتأتى منه هذه المذاكرات ، مع أن من حضره من أهل الرأى والسن والمعرفة .

قال المسعودى : وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الأرض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج ؛ فأغنى ذلك عن إيرادها فى هذا الموضع .

وإنما نذكر أخبار الراضى وما كان من أمره فى صباه وما أخبر عنه مؤدبه، ونظمنا من أخباره ما تأتى لنا ذكره فى هذا الكتاب .

الراضى يعد العروضى بمنحه إذا أضحكه

وأخبرنا العروضى قال : سمرت عند الراضى فى ليلة شاتية صُهابية[1] ؛ فرأيته قلقاً متململا ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أرى منك خصالا لم أعهدها ، وضيق صدر لم أعرفه ؛ فقال له : دع عنك هذا ، وحدثنى بحديث فإن أنت أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما علىّ وما تحتى ، على أن أشترط عليك إزالة الهم بالضحك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، رَحَلَ[2] رجل من بنى هاشم إلى ابن عمه بالمدينة ؛ فأقام عنده حولا لم يدخل مُسْتَرَاحاً ؛ فلما كان بعد الحول أراد الرجوع إلى الكوفة ، فحلف عليه [ابن عمه] أن يقيم عنده أياماً أخر ، فأقام، وكان للرجل قَيْنَتَانِ ، فقال لهما : أما رأيتما ابن عمى وظَرْفَه ؟ أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء ، فقالتا له : فعلينا أن نصنع له شيئاً لا يجد معه بدامن الخلاء ، قال : شأنكما وذلك ، فعمدتا إلى خشب العُشَر ، فدقتاه، وهو مسهل ، وطرحتاه فى شرابه ، فلما حضر وقت شرابهما قدّمتاه إليه ، وسقتا مولاهما من غيره ؛ فلما أخذ الشراب مأخذه منه تناوم المولى ، وتمغص الفتى [من جوفه] فقال للتى تليه : يا سيدتى ، أين الخلاء ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

خلاَ من آل فاطمةَ الديار ... فمنزلُ أهلها منهـا قفارُ

---

(١) ب « صهابة » .

(٢) فى ا « شخص رجل » .

Marfat.com

ففنته ، فقال الفتى : أظنهما كوفيتين وما فهمتا عني ، ثم التفت إلى الأخرى ، فقال لها : يا سيدتي ، أين الحُشُّ ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

أوْحَشَ الديرات فالدير منها فمناها بالمنزل المعمور

فغنته ، فقال الفتى : أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني ، ثم التفت إلى الأخرى فقال لها : أعزك الله أين المتوضأ ؟ فقالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تَوَضأ للصلاة وصَلِّ خمساً وآذن بالصلاة على النبي

ففنته ، فقال : أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني ، ثم التفت إلى الأخرى فقال لها : يا سيدتي أين الكنيف ؟ قالت لها صاحبتها : ما يقول لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

تكنَّفَنِي الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانيا

فغنته ، فقال : أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني ، ثم التفت إلى الأخرى ، فقال لها : يا هذه أين المستراح ؟ فقالت لها صاحبتها : ما قال لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه :

ترك الفكاهة والمزاحا وقَلَا الصبابة واستراحا

فغنته ، والمولى يسمع ذلك وهو متناوم ، فلما اشتد به الأمر أنشأ يقول :

تكنفني السُّلَاحُ وأضجروني على ما بي بتكرير الأغاني

فلما ضاق عن ذاك اصطباري ذَرَقْتُ به على وجه الزواني

ثم إنه حلَّ سراويله وسَلَحَ عليهما ، فتركهما آية للناظرين ، وانتبه المولى في أثر ذلك ، فلما رأى ما نزل بجواريه قال : يا أخي ، ما حملك على هذا الفعل ؟ قال : يا ابن الفاعلة لك جَوَارٍ يَزِنَّ المخرج صراطاً مستقيماً لا يدللنني عليه ، فلم أجد جزاء غير هذا . ثم رحل عنه ، قال : فذهب بالراضي الضحك

Marfat.com

كلَّ مذهبٍ ، وسلّم إلىّ كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش ، فكان مبلغ ثمن ذلك نحواً من ألف دينار .

لبس المأمون الخضرة ثم السواد

وذكر الصولى قال: قال لى الراضى : ما كان السبب فى لبس المأمون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك ؟ قلت : هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الغلابى[1] قال : حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال : لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون إلى زينب بنت سليمان بن على ، وكانت أقعدَ ولد العباس نسبا ، وأكبرهم سناً[2] ، فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين المأمون ، فى تغييره الخضرة ، فضمنت لهم ذلك ، وجاءت إلى المأمون فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك على برِّ أهلك من ولد على بن أبى طالب أقْدَرُ منك على برهم والأمر فيك غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك ، فدع لباسك الخضرة ، ولا تُطْمعن أحداً فيما كان منك ، قال لها : يا عمة ما كلمنى أحد فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ، ولا أقصد منه لما أردت ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الإمرة أبو بكر ، فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ، ثم وليها عمر فلم يتعدَّ فيها فعل من تقدمه ، ثم وليها عثمان فأقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ، ثم آل الأمر إلى على بن أبى طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مَشُوبة بالأكدار ، فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة ، وولى عبيد الله بن العباس اليمن ، وولى قُثَمَ البحرين ، وما ترك منهم أحداً إلا ولاهُ ، فكانت هذه فى أعناقنا حتى كافأته فى ولده بما فعلت ، ولا يكون بعد هذا إلا ما تحبون ، ثم رجع إلى لُبْسِ السواد ، وللمأمون يا أمير المؤمنين شعر يشاكل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله :

ألامُ على شكر الوَصِيِّ أبى الحسن ... وذلك عندى من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس ، والأوَّلُ الذى ... أعان رسول الله فى السر والعلن

(١) فى ب « العلائى » .
(٢) فى ب « وأكرمهم بيتا » .

Marfat.com

ولولاه ما عُدَّتْ لهاشِمٍ امرة　　وكانت على الأيام تقضى و تُمتَهَنْ
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم　　ومن مسه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى　　وفاض عبيد الله جوداً على اليمن
وقَسَّمَ أعمال الخلافة بينهم　　فلازلت مربوطاً بذا الشكر مرتهن

بين القاهر والراضى

وكان القاهر قد عمد إلى كثير من الأموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه على وغيرهم فغيَّبَهَا ، فلما قبض عليه وسُمِلت عيناه وأفضت الخلافة إلى الراضى طولب القاهر بالأموال ، فأنكر أن يكون عنده شىء من ذلك ، فأوذى وعُذِّب بأنواع من العذاب ، وكل ذلك لا يزيده إلا إنكاراً ، فأخذه الراضى وقربه وأدناه ، وطالت مجالسته إياه ، وإكرامه له ، وأعطاه حق العمومية والسن والتقدم فى الخلافة ، ولاطفه وأحسن إليه غاية الإحسان ، وكان للقاهر فى بعض الحصون[1] بستان نحو من جريب قد غرس فيه النارنج وقد حمل إليه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند ، قد اشتبكت أشجاره ، ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر ، وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر ، وقد جعل مع ذلك فى الصحن[2] أنواع الأطيار من القَمارى والدباسى[3] والشحارير والببغاء ، مما قد جلب إليه من الممالك والأمصار ، وكان ذلك فى غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه ، والجلوس فى تلك المجالس ، فلما أفضَتِ الخلافة إلى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع ، فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ، ثم إن الراضى رَفَقَ بالقاهر ، وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالأموال والحاجة إليها ، ولا شىء قِبَلَه منها ، وسأله أن يُسْعِفه بما عنده منها إذ كانت الدولة له ، وأن يدبر تدبيره ، ويرجع فى كل الأمور إلى قوله ، وحلف له بالأيمان الوكيدة أن لا يسعى

(١) فى ا « فى بعض الصحون » .
(٢) فى ا « وقد جعل فى ذلك الصحن » .
(٣) فى ب « والدبابى » .

Marfat.com

فى قتله ولا الإضرار به ولا بأحد من ولده ، فأنعم له القاهر بذلك ، وقال : ليس لى مال إلا فى بستان النارنج ؛ فصار الراضى إلى البستان وسأله عن الموضع ، فقال له القاهر : قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ، ولكن مر بحفره فإنك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك مكان ذلك ، فحفر البستان ، وقلع تلك الأشجار والغروس والأزهار حتى لم يبق منه موضع إلا حفره ، وبولغ فى حفره فلم يجد شيئاً ، فقال له الراضى : فما ههنا شىء مما ذكرت ، فما الذى حملك على ماصنعت؟ فقال له القاهر : وهل عندى من المال شىء؟ إنما كانت حَسْرَتِي [على] جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به ، وكان لذتى من الدنيا ، فتأسفت على أن يمتع به بعدى غيرى ، فتأسف الراضى على ما توجَّهَ عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان ، وندم على قبوله منه ، وأبعد القاهر ، فلم يكن يدنو منه خوفاً على نفسه أن يتناول بعض أطرافه .

خلق الراضى وعاداته

وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب ، حسن الهيئة ، سخياً ، جواداً ، حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقربا لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكانوا عدة ندماء : منهم محمد بن يحيى الصولى ، وابن حمدون النديم ، وغيرهما ، فعوتب على كثرة إفضاله على مَنْ يحضره من الجلساء ، فقال : أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس [السفاح] ؛ لأنه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد ، لا يحضره نديم ولا مغن مُلْهٍ ولا قَيْنَة فينصرف إلا بصلة أو كسوة قَلَّتْ أو كثرت ، وكان لا يؤخر إحسان محسن لغد ، ويقول : العجب من إنسان يفرح إنسانا فيتعجل السرور ويؤخر ثواب مَنْ سره تسويفاً وعِدَةً ، فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد ممن حضره إلا مسروراً ، ونحن إن لم تتأت لنا الأمور كتأتيها لمن سلف فإنا نواسى جلساءنا ، بل إخواننا ، ببعض ما حضرنا ، وكان سخياً على سائر الأشياء لا يستكثر

Marfat.com

لأحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه على طول الأيام ، حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله ، وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ، ومن الغلمان ذكى وغيره .

الراضى بالله وبجكم التركى

وحدث أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال : اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بَجْكم[1] التركى ؛ فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور مالم أر مثله ، ثم دخلت إلى الراضى بالله فوجدته خالياً بنفسه قد اعتراه همٌّ ؛ فوقفت بين يديه ، فقال لى : ادنُ ، فدنوت ؛ فإذا بيده دينار ودرهم ، فى الدينار نحو من مثاقيل ، وفى الدرهم كذلك ، عليهما صورة بَجْكم[1] شاك فى سلاحه وحوله مكتوب :

إنما العز فَاعْلَمِ للأمـــير المُعَظَّمِ
سيد الناس بَجْكم[1]

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها ، وهو جالس فى مجلسه كالمفكرِ المطرق فقال الراضى : أما ترى صنع هذا الإنسان ، وما تسمو إليه همته ، وما تحدثه به نفسه ؟ فلم أجبه بشىء ، وأخذت به فى أخبار مَنْ مضى من [الخلفاء وسيرهم فى أتباعهم ، ثم نقلته إلى أخبار] ملوك الفرس وغيرها ، وما كانت تلقاه من أتباعها ، وصبرهم عليهم ، وحسن سياستهم لذلك ، حتى تصلح أمورهم ، وتستقيم أحوالهم ؛ فسلا عما عرض لنفسه ، ثم قلت : ما يمنع أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون فى هذا الوقت حيث يقول :

صِـــلِ الندمان يوم المهرجان بصافٍ من مُعَتَّقَة الدِّنَان
بكأس خُسْرُوَانِى عتيق فإن العيد عيد خسروانى
وَجَنِّبنِي الزبيبيـــــين طرًّا فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى

(١) فى ب « دار بجكم » محرفاً .

Marfat.com

فأشربها وأزعمها حراماً وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا وتلك على الشَّقِىِّ خطيئتان

قال : فطرب وأخذته أرْيَحِيَّته ، فقال لى : صدقت ، تَرْكُ الفرح فى مثل هذا اليوم عجز ، وأمر بإحضار الجلساء ، وقعد فى مجلس التاج على دجلة ، فلم أر يوماً كان أحسن منه فى الفرح والسرور ، وأجاز فى ذلك اليوم [من حَضَرَه] من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب ، وأتته هدايا بَجْكم وألطافُه من أرض العجم ، فسُرَّ فى ذلك اليوم وجميع من حضره .

قال المسعودى : وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا فى كتابنا « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » وما كان من أمره فى حال خروجه مع بَجْكم إلى بلاد الموصل وديار ربيعة ، وما كان بين بَجْكم وأبى محمد الحسن بن عبد الله بن حَمْدَان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة ، وَقَصَدْنَا فيما ذكرنا فى هذا الكتاب إلى الاختصار ، دون الشرح والإكثار ، إذ كان فى الإكثار من الأخبار ثقل على القلوب ، ومَلَل للسامع ، وقليل الأخبار ، يغنى عن كثير الاقتدار .

Marfat.com

ذكر خلافة المتقي لله

وبويع المتقي لله ، وهو أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ المقتدر، لعشر خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلع وَسُمِلَتْ عيناه يوم السبت لثلاث خَلَوْنَ من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وَأَحَدَ عَشَرَ شهراً وثلاثة وعشرين يوماً ، وأمه أم ولد موجز

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره وسيره ،
ولمع مما كان فى أيامه

وزراؤه

ولما أفضت الخلافة إلى المتقى لله أقرّ على الوزارة سليمان بن الحسن بن مَخْلَد ، ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن ميمون[(١)] ، وكان كاتبه قبل الخلافة ، ثم استوزر أبا إسحاق محمد بن أحمد القَرَارِيطى ، ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، ثم استوزر أبا الحسن على بن [محمد بن] مُقْلَة ، وَغَلَبَ على الأمر أبو الوفاء توزون التركى .

انتقاض الأمر عليه

واشتد أمر البريديين[(٢)] بالبصرة ، ومنعوا السفن أن تصعد ، وعظم جيشهم ، وكثرت رجالهم ، وصار لهم جيشان : جيش فى الماء فى الشذوات والطيارات والسميريات والزبازب[(٣)] ، وهذه أنواع من المراكب يُقَاتَلُ فيها صغار وكبار ، وجيش فى البر عظيم ، واصطنعوا الرجال ، وبذلوا الرغائب ، فانضاف إليهم حجرية السلطان وغلمانه ، وصار جيش السلطان الأتراك والديلم والجبل ونفراً من القرامطة ، وكلُّ ذلك مع توزون ، وكان توزون من رفقاء بَجْكم[(٤)] والخواص من أصحابه ، فانحدر توزون إلى واسط لحرب البريديين[(٢)] ، وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها ، فكانت بينهم سِجَالاً ، والمتقى لله لا أمر له ولا نَهْى ، فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة ، وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن يُنْجِدوه ويستنقذوه مما هو فيه ، ويفوض إليهما الملك والتدبير ، وقد كان قبل ذلك خرج إليهم وتوزون فى جملتهم منضاف وغيره من الأتراك وَالدَّيْلم ، وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة ، وانحدارهم إلى مدينة السلام ، واستيلائهم على الملك والقيام به

(١) فى ب « بن تيمون » محرفا (٢) فى ب « الزيديين »
(٣) فى ب « والسماريات والديارب » (٤) فى ب « يحكم » تحريف

Marfat.com

وحربهم البريديين ، وما كان بينهم من الوقائع إلى أن توجَّهَ عليهم ماذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » من خروج أبي محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة إلى الموصل ، ولحوق أخيه أبي الحسن [على] بن عبدالله ، وخلاصه مما دبَّره عليه توزون وجمجع التركى ، وخرج المتقى إلى الموصل ، فلما بلغ توزونَ ذلك رجع إلى بغداد وقصد بنى حَمْدَان ، فكان التقاؤهم بعكبرا ، فكانت بينهم سِجالاً ، ثم كانت لتوزون عليهم ، فرجع إلى بغداد ، ثم أجمعوا له أيضاً ، ورجعوا إليه ، فتركهم حتى قربوا إلى بغداد ، فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم ، وسار وراءهم حتى دخل الموصل ، وخرج عنها إلى مدينة بلد ، فصالحوه على مالٍ حملوه إليه ؛ فرجع إلى بغداد وهو مُستَظْهِر بمن معه من الأتراك والجبل والديلم وكمال العدة والكراع ، وسار المتقى إلى نصيبين ، ورجع[1] عنها إلى الرقة فنزلها ، وذلك لأيام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكاتب [الإخشيد] محمد بن طغج [صاحب مصر] فسار إلى الرقة وحمل إليه مالا كثيراً ، وأهدى إليه غلماناً وأثاثاً ، وضم إليه قائداً من قواده ، وجمَّل أمره ، وزاد في حاله ، وبَرَّ جميع من معه من وزيره أبي الحسن على بن محمد بن مقلة ، وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى ، وسلام الحاجب المعروف بأخى نجح الطولونى ، وجماعة الوجوه والغلمان ، ثم لم يعبر الإخشيد محمد بن طغج إلى الرقة ولا إلى شىء من جانب الجزيرة وديار مُضَرَ ، وعبر المتقى ، وسار إلى معسكره من الجانب الشامى ؛ فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود ، وأبو الحسن على بن عبد الله بن حَمْدَان مقيم بحران على طول مُقَام المتقى بالرقة ، وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حَمْدَان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الإخشيد إلى بلاد قنسرين والعواصم ؛ فانفضَّ جمعه ، وتفرق جنده عنه ، وانضافوا إلى أبي الحسن على بن عبدالله ،

(١) في ا « ورحل عنها » .

Marfat.com

واتصلت كُتُبُ توزون[1] بالمتقى ، وتواترت رسله يسأله الرجوع إلى الحضرة ، وأشهد توزون[1] مَنْ حضره من القضاة والفقهاء والشهود ، وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة المتقى ، والتصرف له بين أمره ونهيه ، وترك الخلاف عليه ، وأنفذ إليه كتب القضاة والشهود بما بذل من الأيمان وأعطى من العهود ، وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر ، وخَوَّفوه من توزون[1] ، وحَذَّروه أمره ، فإنه لا يأمنه على نفسه ؛ فأبى إلا مخالفتهم والثقة بماورد عليه من توزون[1] ، وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقةً واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم ، يكثر وصفها ، يعسر علينا فى التحصيل إيرادها بإكثار المخبرين لنا بتحديدها ، وانصرف الإخشيد عن الفُرَات متوجهاً نحو مصر ، وانحدر المتقى فى الفرات ؛ فتلقاه أبو جعفر بن شيرزاد كاتب توزون[1] بأحسن لقاء ، وأقام له الأتراك ، ومضى فى انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى ، وسار إلى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطىء هذا النهر ؛ فتلقاه توزون[1] هنالك ، وتَرَجَّلَ له ومشى بين يديه ؛ فأقسم عليه أن يركب فعمل ، حتى وافى به إلى المضرب الذى كان ضَرَبَه له على الشط من نهر عيسى ، وذلك على شَوْطٍ من مدينة السلام ؛ فأقام هنالك ، وأنفذ رسلا إلى دار طاهر ليحضر المستكفى ، فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ، ونهب جميع ما كان معه ، وقبض على وزيره أبى الحسن على بن محمد بن مُقْلَة ، وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن إسحاق ، ونهب جميع العسكر ، وانصرف القائد الذى كان الإخشيد ضمه إلى المتقى ومن معه إلى صاحبهم ، وأحضر المستكفى فبويع له ، وكُحِلَ المتقى ، فصاح وصاح النساء والخدم لصياحه ، فأمر توزون[1] بضرب الدبادب حول المضرب ، فخفى صُرَاخُ الخدم ، وأدخل إلى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، وسُلِّمَ إلى المستكفى

(١) فى ب « تورون » بالراء المهملة — هنا وفى كل ما سلف وما يأتى .

Marfat.com

بالله ، وبلغ ذلك القاهر فقال : قد صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث ، يُعرِّض بالمستكفى بالله .

المتقى يطلب رجلاً أخباريا يأنس به

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقى قال : لما نزل المتقى الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه ، وأقرب منه فى الخدمة ، لطول صحبته ، فقال لى فى بعض الأيام فى الرقة وهو جالس فى داره مُشْرِفًا على الفرات : اطلب لى رجلا أخباريًا يحفظ أيام الناس أتفرج إليه فى خلواتى وأستريح به فى الأوقات ، قال : فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف ، فأرشدت إلى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله ، فصرت إليه ، ورغّبته فى الدخول إلى المتقى بالله ، فقام معى كالمكره ، وصرنا إلى المتقى فأعلمته إحضارى للرجل الذى طلبه ، فلما خلا وجهه دعا به واستدناه ، فوجد عنده ما أراد ، فكان معه أيام مُقامِه بالرقة ، فلما انحدرَ كان معه فى الزورق ، فلما صار إلى فم نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة — أرِقَ المتقى ذات ليلة ، فقال للرجل : ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها ؟ فمر الرجل فى أخبار آل أبى طالب إلى أن صار إلى أخبار الحسن ابن زيد وأخيه محمد بن زيد [بن الحسن][1] وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان ، وذكر كثيراً من محاسنهما ، وقَصْد أهل العلم والأدب إياهما ، وما قالت الشعراء فيهما ، فقال له المتقى : أتحفظ شعر أبى المقاتل نصر بن نصير الحلوانى فى محمد بن زيد الحسنى الداعى ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والأدب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم ، قال : أحضره ، ولِمَ أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة فى أنسنا؟ فأحضر الغلام من زورق آخر ، فوقف بين يديه ، فقال له صاحبه : أتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد؟ قال : نعم ، قال المتقى : أنْشِدْنيها ، فابتدأ ينشده إياها :

قصيدة أبى المقاتل فى الداعى العلوى

لا تقل بُشْرى وقل لى بُشْريَان ... غُرّةُ الداعى ويوم المهرجان
خَلِقَتْ كَفَّاهُ موتاً وحيــــاة ... وحَوَتْ أخلاقه كُنْهَ الجنان

(١) لا توجد هذه الزيادة فى ا .

Marfat.com

فَهْوَ فصل فى زمان بدوى ... وابن زبد مالك رِقَّ الزمان
فَهْوَ للكل بكل مستقل ... بالعطايا والمنايا والأمان
أوحَدٌ قام بتشييد المبانى ... فبه استُنْبِطَ أجناسُ المعان
مُشرِف فى الجود من غير اعتذارِ ... وعظيم البر من غير امتنان
وهو مَنْ أرسى رسول الله فيه ... وعلياه المعلى والحسان
سيد عرق فيه السيدان ... والذى يكبر عن ذكر الحصان
مُحْتَف فكرته فى كل شيء ... فَهْوَ فى كل محلٍّ ومكان
يعرفُ الدهر على ما غاب عنه ... فيرى المضمر فى شخص العِيان
يتناءى لفظنا عنه ، ولكن ... هو بالأوصاف فى الأذهان دان[1]
أخرجت ألفاظه ما فى الخفايا ... وكَفَاهُ الدهر نطق الترجمان
كافرٌ بالله جهراً والمثانى ... كلُّ من قال : له فى الخلق ثان
وإذا ما أسبغ الدرع عليه ... وانكفت يمناه بالسيف اليمان
بعثتْ سطوته فى الموت رُعْباً ... أيقن الموت بأنّ الموت فان
يحدقُ الأبطالَ بالألحاظ حتى ... يترك المقدام فى شخص الجبان
مَلَكُ الموت يناديه أجرنى ... منك ، كم تغزو بضرب وطعان؟
لا تكلفنىَ فوقَ الوُسع وارفق ... فلقد مَلَّكك الله عِنان
يا شقيق القدرِ المحتوم كم قد ... رُضْتُ بالصّيلم عمدا ذا حِرَان
[لك يومان فيوم من ليان ... يقتفى يوم أرون أرونان]
أنجزتْ كفاك وعداً ووعيداً ... وأحاطت لك بالدنيا اليدان
فإذا ماأروت اليمنى حِباء ... همّتِ اليسرى بإرواء السنان
جدّتا فى النفع والضرّ بداراً ... فهما فى كل حالٍ ضرتان
أرّختْ كفاك فى الآفاق حتى ... ما تلاقى بسواك الشفتان

(١) فى ا « هو بالوصف من الأوهام دان » .

Marfat.com

قدمتك المِدَحُ الغرُّ وصالت   لك أيضاً فى أعاديك الهجان
أنت لا تَحْوِى بمعقولٍ كتاب   لك شأن خارج عن كل شان
لك أثقال أيادٍ مثقلات   عجزت عن حملهنَّ الثقلان
إنما مدحك وَحْىٌ وزَبُورٌ   والذى ضمت عليه الدفتان
هاكها جوهرة تبرية تو   لى وجوه الموت تكفين الحنان
يا إمام الدين خُذْهَا من إمامٍ   ملكَتْ أشعاره سَبْقَ الرهان
واستمع للرمَلِ الأول ممن   كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن   ستة أجزاؤها عند الوزان
كرة الآفاق لا تَطْلُعُ إلا   صارت الريح لها كالصَّوْلجان
جليت فى صنعة الألفاظ مما   يرتجيه كل ذى عفو وجان[1]
أنت تحكى جَنَّةَ الخلد طباعاً   والقوافى فيك كالحور الحسان
فابْقَ للشعر بقاء الشعر والشكر مع الدهر فنعم الباقيان
عُمْرُ رَضْوى بل ثَبير وشَآم   وأرَام وشماريخ أبان
شهد الله على ما فى ضميرى   فاستمع لفظىَ ترجيع أذان
حسناتٍ ليس فيها سيآتٌ   مدحة الداعى، اكتبا يا كاتبان

فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ، ثم أمر الغلام بالجلوس ، فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن شير زاد الكاتب سمعه ينشد هذا البيت :

* لا تقل بشرى وقل لى بشريان *

فقال له الغلام ، وقد كان أنس به : يا أمير المؤمنين :

* دَامَتِ البشرى فقل لى بُشْرَيَانْ *

وقد كان أنشده أولا القصيدة «لا تقل بشرى» وأنشده ثانياً هذا الوجه

(١) فى ب « حلبت » وفى ا « فى صفة الألفاظ » .

Marfat.com

« دامت البشرى فقل لى بشريان » وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى ، فوالله ما زال المتقى يقول « لا تقل [illegible]رى » ولا يختار فى ذلك الوجه غير ذلك ، فقال له الرقى والغلام : والله لتطيَّرنا لأمير المؤمنين من اختياره إنشاد هذا البيت على هذا الوجه ، فكان من أمره ما ذكرنا .

ومن صفات الخيل

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقى قال : لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا إلى مدينة عانة[1] دعا بالرقى وغلامه فحادثاه ، وتسلسل بهم القول إلى فنون من الأخبار ، إلى أن صاروا إلى ذكر الخيل ، فقال المتقى : أيكم يحفظ خبر سلمان بن ربيعة الباهلى [مع عمر بن الخطاب] فقال الغلام : ذكر [أبو] عمرو بن العَلاَء يا أمير المؤمنين أن سلمان بن ربيعة الباهلى كان يُهَجِّنُ الخيل ويعربها[2] فى زمن عمر بن الخطاب، فجاءه عمرو بن معد يكرب بفرس كميت [فكتبه] هَجِيناً[3] ، فاستعدى عليه عمر وشكاه إليه ، فقال سلمان: ادع بإناء رَجْرَاج قصير الجُدُر، فدعا به ، فصبَّ فيه ماء ، ثم أتى بفرس عتيق لاشك فى عتقه ، فأسرع وبرك[4] وشرب ، ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجن فأسرع فصب سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ، ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب ، فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بمحضره قال: أنت سلمان الخيل ، فقال المتقى : فما عندكم عن الأصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها؟ قال الرقى : ذكر الرياشى عن الأصمعى قال : إذا كان الفرس طويل أوْظِفَةِ اليدين قصير أوْظِفَةِ الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل

---

(١) فى ب « غانة » بالغين المعجمة .

(٢) فى ب « يعدبها » ومعنى « يعربها » يحكم بأنها عربية .

(٣) سقطت كلمة « فكتبه » من ب ، مع بقاء كلمة « هجينا » على نصبها ، ففسد اللفظ والمعنى جميعاً .

(٤) فى ب « ونزل » .

Marfat.com

العضدين مفرع[١] الكتفين لم يكد يُسْبَقْ ، وقال : إذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما : مفروز عنقه فى كاهله ، ومفروز عجزه فى صلبه، وإذا جادت[٢] حوافره فهو هو ، وأنشدنا المبرد :

ولقد شهدت الخيل تحمل شِكَّتِى عَتَدٌ كسرحان القصيمة مِنهب
فرس إذا استقبلته فكأنه فى العين جزع من أوال مشرب[٣]
وإذا اعترضت لهاستوتْ أقطاره فكأنه مستدبر متصـــوب

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج : أى الخيل أفضل وأوجز ؟ فقال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاخر ، وإذا استعرضته قلت زافر ، سوطه عنانه ، وهَوَاه أمامه ، قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقبة ، الكثير الجَلَبة ، الذى إذا أرسلته قال : أمسكنى ، وإذا أمسكته قال : أرسلنى ، قال الغلام : أحسن ما قيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم :

خير ما يركبُ الشجاع إذا ما قيل يومًا ألا اركبوا للغِوَار
كلُّ نَهْدٍ أقَبَّ معتدل الخلـــق متين الشَّظَى عتيق النِّجَار[٤]
سلجم اللحى واسع السَّحْر حد الـــأذن وافى الدماغ والوجه عار
ما حَمَتْه الحرار واشتدَّ عليا ه فأكذى مُحَدْوَدِبًا بالعوار
محضر القصر مكرب الرسغ دامى الـــإبْطِ ساعى الجفون والأشفار
مُشْرِفٌ مُقْبِل يخبّ إذا أد بَرَ مُسْتَدْبِر ككر مغار
فَهْوَ فى خلقه طوال ورحب وعراض إلى سداد قصار
طال هاديه والذراعان والأضـــلاع منـــه فقيم فى جفار
ثم طالت وأبدت نخـــذاه فهو كفت الوثوب ثبت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمشـــفر قُدَّام منخر كالوِجار

(١) فى ب « منفرج الكتفين » (٢) فى ا « وإذا حادت »
(٣) فى ا ، ب « من أوائل مشرب » (٤) فى ا « أمين الشظى »

Marfat.com

والعريض الوظيف والجنب والأو ... راك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع العر قوب والطرف حدة فى وقار
فهو صافى الأديم والعين والحا فر غمر بديهة الإحضـــار
والقصير الكُرَاع والظهر والرســغ القصير العسيب والصلب وار
لم تخن متنه القطاة ولم يســلمه تركيبها إلى استئخار
مطمئن النسور بين حزام كل لأم أحَمَّ كالمنقـــار
يكفت المشى كالذى يتخطى طُنُبًا أو يشق كالمسمار
وإذا ما استمرَّ من غير ما بأ س به مانع من استمرار
لاَنَ فاهتزَّ مقبلا فإذا أد بر أهــــوى متابع الإدبار
فى تعاقيب كالتماثيل أو كالجــن أو كالظباء أو كالحوار
فإذا ما طَحَا به الجرى فالعقـــبان تهوى كواسر الأعسار

من أخبار حلبة الخيل

فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما ، فقال : عُودَا إلى ما كنتما عليه البارحة ، واشرَعا فى أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها ، قال الغلام : يا أمير المؤمنين ، أذكر قولا جامعاً أخبرنى به كلاب بن حمزة العقيلى ، قال : كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل ، والقصب تسعة[1] ولا يدخل الحجرة المحجرة من الخيل إلا ثمانية ، وهذه أسماؤها : الأول السابق ، وهو المجلِّى ، قال أبو المندام كلاب : إنما سمى المجلى لأنه جَلَّى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة ، وقال الفراء : إنما سمى المجلى لأنه يُجَلِّى عن وجه صاحبه ، والثانى المصلِّى ؛ لأنه وضع جَحْفَلته على قَطاة المجلِّى ، وهى صَلاَه ، والصلا : عَجْب الذنب بعينه ، والثالث المسلِّى ؛ لأنه كان شريكا فى السبق ، وكانت العرب تعدُّ من كل ما تختار ثلاثة ، أو لأنه سَلَّى عن صاحبه بعض همه بالسبق ، والرابع التالى ، سمى بذلك لأنه تلا هذا المسلِّى فى حالٍ دون غيره ، والخامس المرتاح ، وهو المفتعل من الراحة ؛ لأن فى الراحة

(١) فى ا D والقصب سبعة .

Marfat.com

خمس أصابع لا يعد منها غيرهن ، وإذا أومأت العرب من العدد إلى خمس فتح الذى يومىء بها يَدَه وفرق أصابعه الخمس ، وذلك أيضاً ما يومئون به من غير عقد الحساب ، ثم يكون بعدها إلى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومىء بها يديه جميعاً ، ويقابل الخمس أصابع بالخمس ، فلما كان الخامس مثل خامسة الأصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا ، وسمى السادس حظياً ؛ لأن له حَظًّا ، وقيل : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قضيبه(1) ، وهى آخر حظوظ خيل الحلبة ، غير أنه له حظ ، وسمى السابع العاطف ؛ لدخوله الحجرة لأنه قد عطف بشىء وإن قل ، وحسن إذ كان قد دخل الحجرة المحجورة ، وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفَلَاة مَفَازة واللَّدِيغ سليما ، وكنوا الحبشى أبا البيضاء ، ونحو ذلك ، فكذلك سموا الخائب المؤمل ، أى أنه يؤمل وإن كان خائباً ؛ لأنه قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد ، والتاسع اللَّطيم ؛ لأنه لو رام الحجرة للطم دونها لأنه أعظم جرماً من السابع والثامن ، والعاشر السكيت لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويَسْكُت حزناً وغما(2) ، فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قرداً ، ويدفعون للقرد سوطاً ؛ فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه ، وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبى :

إذا أنت لم تَسْبِقْ وكنت مُخَلَّفاً ... سُبِقْتَ إذا لم تدع بالقرد والحبل
وإن تك حقًّا بالسكيت مخلفاً ... فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فإن بعضهم كان يفعل ذلك : ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتعجف ، وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب ، قال كلاب بن حمزة : ولم نعلم أحداً من العرب فى الجاهلية والإسلام وصَفَ خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكَرَها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وكان

(1) فى ب « قضة » محرفا .
(2) فى ب « وعياً » .

Marfat.com

بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مَسْلَمة من إقليم بَلسْخ[١] من كورة الرقة من ديار مضر فإنه قال فى ذلك :

شهدنا الرهان غداة الرهان ... بمَجْمَعَةٍ ضَمَّها المَوسِم[٢]

نقود إليها مقاد الجميع ... ونحن بصنعتها أقْوَمُ

غدونا بمقوودة كالقداح ... غدت بالسعود لها الأنْجُمُ

مقابلة نسبة فى الصريح ... نما هُنَّ الأكرم الأكرمُ

كُمَيْتٌ إذا ماتباطى يبل ... يفوت الخطوط إذا يُلْجَم

فمنهنَّ أحوى بمر أغر ... وأجود ذو غرة أرثم

تلألأ فى وجهه فرجة ... كأن تلألؤها المرزم[٣]

فقيدت لمذخور ما عندها ... لمنتظرى أنها تنجم

عليهن سحم صغار الشخوص ... نماهم لحام أتى أسحم

كأنهم فوق أشباحها ... زرازير فى سُقُف حُوَّمُ

فصفت على الحبل فى محضر ... بلى أمره ثقة مسلم

تراضَوْا به حكما بينهم ... فبالحق بينهمُ يحكم

وربك بالسبق عن ساعة ... من الناس كلهمُ أعْلَمُ

فقلت ونحن على جدة ... من الأرض نيرها مظلم

لقد فرغ الله مما يكون ... ومهما يكن فهْوَ لا يُكْتَمُ

فأقبل فى أمرنا نافرٌ ... كما يُقْبِل الوابل المثجم

وأتبع فَوْضَى ومرفضة ... كما ارفَضَّ من سلكه المنظم

أو السرب سرب القطا راعه ... من الجو شوذانق مظلم

فواصل من كل قسطالة ... كأن عثانينها العَنْدَمُ

(١) فى ا « إقليم بليخ » .

(٢) فى ب « بجمعية » .

(٣) فى ا « فى وجهه قرحة » .

Marfat.com

وللمرء من فرج ما تستثير — سنابكهن سنا مضرم
فجلى الأغر، وصلى الكميت، — وسلى فلم يُذمَمِ الأدهم
وأردفها رابع تاليا — وأين من المنجد المتهمُ ؟
وما ذمَّ مرتاحها خامساً — وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظِيُّ لها سادساً — فأسهمه حظَّه المسهم
وسابعها العاطف المستحير — يكاد لحيرته يُحْزَمُ
وجاء المؤمل فيها يخيب — وعَنَّ له الطائر الأشأم
وجاء اللطيم لها تاسعاً — فمن كل ناحية يُلطَمُ
يخبُّ السكيت على إثره — وذِفْرَاهُ من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذى — جمانة نِيطَ بها قمقم
إذا قيل مَنْ ربُّ ذا لم يُجِزْ — من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يعد للحلاب الجياد — وشيك لعمرك ما يندم
وما ذو اقتضاب لمجهولها — كمن ينتميها ويستلزم
فرُحْنَا بسبق شُهِرْنَا به — ونيل به الفخر والمغنم
وأحرزن عن قَصَبَاتِ الرهان — رغائب أثقالها تقسم
بُرُودٌ من القصب مَوْشِيَّة — وأكسية الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة — كأن حَوَاشِيَهُنَّ الدَّمُ
ومن وَرِق صامت بدرة — ينوء بها الأغلب الأعصم
فَفُضَّتْ لِنَهْبِ خواتيمها — وبدرتنا الدَّهْرَ لا تختم
نوزِّعها بين خُدَّامها — ونحن لها منهمُ أخدم
وإنا . لنربط المعربا — ت فى اللَّزَبَاتِ فما ترزم
يعدُّ لها المحض بعد الحليب — كما يصلح الصبية المفطم
ويخلطها بصميم العيال — بمن له حب هو المحرم
مشاربها الصافيات العذاب — ومطعمها فَهُوَ المطْعَمُ

Marfat.com

فهنَّ بأكناف أبياتنا صَوَافِنُ يصهلن أو حُوَّم

ومال محمد بن يزيد فى كلمته هذه إلى أنه لا حَظَّ للثامن ، وجعل للسابع حظًا فى السبق ، والهندسة إجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية ، وإنما سميت الحَلْبة حلبة لأن العرب تحلب إليها خيولها من كل مكان .

قال المتقى : أثْبِتَا ما يجرى فى هذه الأوقات ودَوِّنَاهُ ، فلم يزالا معه فى ذلك يجدِّدُ لهما البر إلى أن كان من أمرهِ ما قد اشتهر .

وقد تناهى بنا الكلام إلى هذا الموضع من خلافة المتقى ؛ فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره فى هذا الوقت واستفاض فى الناس وظهر .

أبو نصر الخبز أرزى

فنهم أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزى[1] ، وهو أحد المطبوعين المجودين فى البديهة المعروفين بالغزل ؛ فمن جيد شعره قوله :

أنضى الهوى جسدى وبدَّلَنِي به جَسَداً تكوَّنَ من هوى متجسد[2]
ما زال إيجاد الهوى عدمى إلى أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر ، وهو :

لم لا تَرَى لصداقتى تصديقا فينا ، ولم تَدْعُ الصديق صديقا ؟
ذو العقل لا يرضى بوَسْمِ صداقة حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجِّى الحق أن يدعى أخا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا[3]
إن غاب غاب محافظاً ، أو حَلَّ كان مداعباً ، أو قال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول :

---

(١) فى ا ، ب « أبو نصر القاسم » وهو خطأ تسويبه عن ابن خلكان ، وفى ب « الحرورى » محرفا عما أثبتناه عن ا وابن خلكان .
(٢) فى ب « أضنى الهوى » وفى ا فى آخره « مستجسد » .
(٣) فى ا « فلمن توخى » .

Marfat.com

ويكاد مَنْ عَلِقَ الهوى بفؤاده ... مما تفكر أن يُرَى زنديقا

وقوله :

أعليك أعْتِبُ أم على الأيام ؟ ... بَدَأتْ ، وكنت مؤكداً بتمام
قطع التواصُلَ قربنا بتواعد ... وَقَطَعْتَ أنت تواصل الأقلام
هلا ألفت إذ الزمان مُشتَّت ... والإلف للأرواح لا الأجسام

وفى هذا الشعر يقول :

عذراً أبا عيسى عَسَى لك فى القِلاَ ... عُذْرٌ ، وذا علم بلا إعلام[1]
من غابتِ الأخبارُ عنه وَدِينُهُ ... دِينُ الإمامةِ قال بالأوهام
خذ من فرائدك الذى أعطيتنى ... فالدرُّ درك والنظام نظامى
حِكَمٌ معانيها معانيك التى ... فَصَّلْتَهَا لى ، والكلام كلامى

وشعره فى الغزل[2] وغيره أكثر من أن نأتى عليه ، وأكثر الغناء المحدَثِ فى وقتنا هذا من شعره ، وقد أشيع بموته وأن البريدى[3] غرَّقَهُ لأنه كان هجاه ، وقيل : بل هرب من البصرة ولحق بِهَجَرَ وَالأحْسَاء[4] بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين .

قال المسعودى : وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والأحداث على الشرح والإيضاح فى الكتاب الأوسط الذى كتابُنَا هذا تالٍ له ، وإنما نذكر من أخبارهم فى هذا الكتاب لمعاً لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز ، وكذلك أتينا على خبر مقتل بَجْكم[5] التركى ، وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وما كان من أمره مع الأكراد بناحية واسط ، وما كان من كورتكين[6] الديلمى واستيلائه على جيش بَجْكم[5] ، وانحدار محمد بن رائق من الشام

مقتل بجكم

(١) فى ا « فهل لك فى القلا عذرا » محرفا (٢) فى ب « فى الهزل »
(٣) فى ب « اليزيدى » (٤) فى ب « بهجر ولجأ بأبى طاهر »
(٥) فى ب « يحكم » محرفا (٦) فى ب « كونكار » محرفا

Marfat.com

ومحاربته كورتكين[1] بعكبرا ، ومخاتلته إياه ، ودخوله الحضرة ، وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة إلى أن انهزم كورتكين[1] ، واستولى محمد بن رائق على الأمر ، وما كان من البريديين[2] وموافاتهم الحضرة ، وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلى ، فى كتابنا المترجم « بأخبار الزمان » فأغنَى ذلك عن إعادته فى هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

(١) فى ب « كورنكار » وانظر الهامشة رقم ٦ فى ص ٣٥٣ .

(٢) فى ب « اليزيديين » .

Marfat.com

ذكر خلافة المستكفى بالله

موجز

وبويع المستكفى بالله ، وهو أبو القاسم عبدُ الله بن على المكتفى ، يوم السبت لثلاث خَلَوْنَ من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وخُلِعَ فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، لسبع بَقِينَ من هذا الشهر ، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر إلا أياماً ، وأمه أم ولد .

Marfat.com

ذكر جمل من أخباره ، وسيره

ولمع مما كان فى أيامه

ذكر أول أمره

قد قدَّمنا عند ما ذكرنا خَلْعَ المتقى لله أن المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال بادوريا(١) بإزاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سُمِلَتْ فيه عينا المتقى ، بايع له أبو الوفاء توزون(٢) وسائر مَنْ حضره من القُوَّاد وأهل الدولة،وأهل عصره من القضاة منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبى الشوارب وجماعة من الهاشميين ، فصلّى بهم فى يومهم ذلك المغربَ والعشاء ، وسار حتى نزل فى يوم الأحد بالشَّمَّاسية ، فلما كان فى يوم الاثنين انحدر فى الماء راكباً فى الطيار الذى يسمى الغزل(٣) ، وعليه قلنسوة طويلة محدودة ، ذُكِرَ أنها كانت لأبيه المكتفى بالله، وعلى رأسه توزون(٢) التركى ومحمد بن محمد بن يحيى [بن] شيرزاد وجماعة من غلمانه ، وسُلّم إليه المتقى ضريراً ، وأحمد بن عبد الله القاضى مقبوضاً عليه ، وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين ، فبايعوا له ، واستوزر أبا الفرج محمد بن على السامرىَّ مدة ، ثم غضب عليه ، وغلب على أمره(٤) محمد بن شيرزاد ، وجلس للناس ، وسأل عن القضاة ، وَكَشَفَ عن أمر شهود الحضرة ، فأمر بإسقاط بعضهم ، وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لأشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة ، فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك ، واستقضى على الجانب الشرقى محمد بن عيسى المعروف بابن أبى موسى الحنفى ، وعلى الجانب الغربى محمد بن الحسين بن أبى الشوارب الأموى الحنفى ، فقالت العامة : إلى هُهنا انتهى سلطانه ، وانتهى فى الخلافة أمره وَنَهْيُه ، وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذى يسمى بالمطيع قبل ذلك

(١) فى ب « فاذور »
(٢) فى ب « نورون »
(٣) فى ب « يسمى الغزالة »
(٤) فى ا « وعول فى أمره على محمد »

Marfat.com

مجاورة[1] فى دار ابن طاهر ، وعداوة فى اللعب بالحمام وتطييرها ، واللعب بالكباش والديوك والسمان ، وهو الذى يسمى بالشام النفخ[2] . فلما حُمل المستكفى إلى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره ، وعلم أنه سيأتى عليه ، فلما استقرت للمستكفى طلب المطيع ، فلم يقف له على خبر ، فهدمَ داره ، وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره .

المستكفى وغلام ضمه له توزون

وذكر أبو الحسن على بن أحمد الكاتب البغدادى ، قال : لما استخلف المستكفى ضم إليه توزون[3] غلاماً تركيا من غلمانه يقف بين يديه، وكان للمستكفى غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ فى خدمته ؛ فكان المستكفى يميل إلى غلامه ، وكان توزون يريد من المستكفى أن يقدم المضموم إليه على غلامه الأول ؛ فكان المستكفى يبعث بالغلام التركى فى حوائجه ، اتباعا لمراضاة توزون ، فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه .

من أخبار الحجاج مع أهل الشام

قال : وأقبل المستكفى يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب ، فقال له : أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجْتَبَى قوما من أهل العراق وجدَ عندهم من الكِفاية مالم يجد عند مختصِّيه من الشاميين ؛ فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه ، فبلغ إليه كلامهم ؛ فركب فى جماعة من الفريقين ، وأوْغَلَ بهم فى الصحراء ؛ فلاَحَ لهم من بُعْدٍ قطارُ إبل ؛ فدعا برجل من أهل الشام ، فقال له : امْضِ فاعرف ماهذه الأشباح ، واسْتَقْصِ أمرها ، فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها إبل ، فقال : أمحملة هى ؟ أم غير محملة ؟ قال : لا أدرى ، ولكنى أعود وأتعرف ذلك ، وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق ، وأمره بمثل ما كان أمَرَ الشامىّ ، فلما رجع العراق أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون ،

---

(١) فى ب « محاورة » بالحاء مهملة (٢) فى ب « الفتخ »

(٣) فى ب « تورون » بالراء

Marfat.com

ما هى ؟ قال : إبل ، قال : وكم عددها ؟ قال : ثلاثون ، قال : وما تحمل ؟ قال : زيتا ، قال : ومن أين صدَرَتْ ! قال : من موضع كذا ، قال : [وأين قصدت ؟ قال : موضع كذا ، قال :] ومَنْ ربها ؟ قال : فلان ، فالتفت إلى أهل الشام ، فقال :

ألام على عمرو ، ولومات أو نأى   اقلّ الذى يُغنِى غَنَاءكَ يا عمرو

فقال ابن شيرزاد : فقد قال : يا أمير المؤمنين بعضُ أهل الأدب فى هذا المعنى :

شر الرسولين مَنْ يحتاج مرسلُه   منه إلى العَوْدِ ، والأمران سيّانِ
كذاك ما قال أهل العلم فى مَثَلٍ   طريقُ كلِّ أخى جهلٍ طريقان

قال المستكفى : ما أحسن ما وصف البحترى الرسول بالذكاء بقوله :

وكأنَّ الذكاء يبعث منه   فى سواد الأمور شُعْلَةَ نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفى لغلام توزون ؛ فأخبر توزون بذلك فأعفاه منه ، وأزاله عن خدمته .

مسامرة فى وصف الخمر

وَحَدَّثَ أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الوكيل البغدادى قال : كان أبى قديما فى خدمة المكتفى ، فلما كان من أمره ما اشتهر ، صرت فى خدمة ابنه[1] عبد الله بن المكتفى ، فلما أفضَتِ الخلافة إليه كنت أخَصِّ الناسِ به ؛ فرأيته فى بعض الأيام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر ، وقد تذاكروا الخمر وأفعالها ، وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم ، وما وصفت به ، فقال بعض مَنْ حضر : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أحداً وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر ؛ فإنه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه أنه ليس فى العالم شىء واحد أخذ من أمهاته الأربع فَضِيلتَها وابتزَّها أكرم خواصها إلا الخمرة ؛ فلها[2] لون النار ، وهو أحسن الألوان ، وَلُدُونَة الهواء ، وهى ألين المجسّاتِ ، وعذوبة الماء ، وهى أطيب المذاقات ، وَبَرْدُ

(١) فى ب « فى خدمة أخيه عبد الله بن المكتفى » تحريف
(٢) فى ب « فإنها لون النار »

Marfat.com

الأرض ، وهى ألذ المشروبات ، قال : وهذه الأربع وإن كُنّ فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر ، قال واصفها: قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها :

لست أرى كالراح فى جَمْعِهاَ لأربع هُنَّ قِوَامُ الورى
عذوبة المـاء ، ولينُ الهوا ، وسخنة النار ، وبرد الثرى

ولمـا كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به ، من الفضل على سائر ما ينال [من هذه الدنيا ، كانت الأوصاف أحسن لها من سائر ما ينال] ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما تبعث[1] من فنون الشهوات .

قال : فأما [شعاع] الخمر فإنه يشبه بكل شىء نورى ، من شمس وقمر ونجم ونار ، وغير ذلك من الأشياء النورية ، فأما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر فى العالم وأصفر ، من ياقوت وعقيق وذهب ، وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة. قال : وقد شبهها الأولون بدم الذبيح ، ودم الجَوْفِ[2] ، وشبهها غيرهم بالزيت والرازق وغيرهما ، وتشبيهها بالجوهر الأكرم أفضل لها ، وأحسن فى مدحها.

قال : فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء ، وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفائها :

* تُرِيكُ القَذَى من دونها وَهْىَ دونه *

وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الخمر ، قال : وقد أتى أبو نُوَاسٍ فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها فى النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدْنانِهاَ ، وحال المنادمات عليها ، والاصطباح ، والاغتباق ، وغير ذلك من أحوالها ، بما يكاد يغلق[3] به باب وصفها ، ولولا اتّساع[4] الأوصاف لها ، واحتمالها إياها ، وأنها لا تكاد تحصر ، ولا يبلغ إلى غاياتها ، قال : وقد وصف أبو نُوَاسٍ نورها فقال :

(١) فى ب « بما بنفع » (٢) فى ب « ودم الجون » تحريف
(٣) فى ب « بما يكاد يعلو به » (٤) فى ب « لولا اتضاع »

Marfat.com

فكأنها في كفه شمس ، وراحته قمر

وقال :

فعلت فى البيت إذ مُزِجَتْ مثل فعل الصبح فى الظُّلَمِ
فاهتدى سَارى الظَّلَام بهَا كاهتداء السَّفْرِ بِالعلمِ

وقال أيضا :

بنت عشر صَفَتْ ورقَّتْ ؛ فلو صُبَّـــتْ على الليل راح كل ظلام

وقال أيضا :

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خِلْتَهَ يُقَبِّلُ فى داج من الليل كَوْكَبَا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال أيضا :

وكأن شاربها افَرْطِ شعاعها فى الكأس يكرع فى ضيا مقباس

وقال أيضا :

فقلت له : ترفق بى ؛ فإنى رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجباً منى : أصُبْحٌ ولا صبح سوى ضوء العُقَارِ
وقام إلى الدنان فَسَدَّ فاها فعاد الليل مصبوغ الإزار(١)

وقال أيضا :

وحمراء قبل المزج صفراء دونه كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

وقال :

كأن ناراً بها مُحَرَّشــــة تهـــابها تارة وتخشاها

وقال أيضا :

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت نور النواظر من بين الحماليق

وقال أيضا :

ينقضُّ منها شعاع كلما مزجت كالشُّهْبِ تنقضُّ فى إثر العفاريت

(١) فى ا « فعاد الليل مسدول الإزار »

Marfat.com

وقال :

عُتِّقَتْ فى الدنان حتى استفادت ... نور شمس الضحى وبَرْدَ الظلام

وقال :

نُجوزُهَا عنى عُقَاراً ترى لها ... إلى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا[١]

وقال :

قال: ابغِنِى المصباح، قلت له: اتئدْ، ... حَسْبِي وحَسْبُكَ ضوؤها مصباحا

فسكبت منها فى الزجاجة شربة ... كانت لنا حتى الصباح صباحا[٢]

قال : وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة النار ومجانسة[٣] الأنوار والرفع للظلام ، وتصيير الليل نهاراً والظلم أنواراً ، مما هو إغراق الواصف واشتطاط المادح ، قال : وليس إلى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها ، إذ ليس بعد الأنوار شىء فى الحسن ، قال : فداخل المستكفى سرور وفرح وابتهاج بما وصف ، فقال : ويحك !! فرج عنى من هذا الوصف ، قال : نعم يا سيدى .

قال عبد الله بن محمد الناشى : وقد كان المستكفى تَرَكَ النبيذ حين أفضَتِ الخلافة إليه ، فدعا بها من وقته ، ودعا إلى شربها ، وقد كان المستكفى ــ حين أفضت الخلافة إليه ــ طَلَبَ الفضل بن المقتدر ، على حسب ما قدمنا ، لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا ، وغير ذلك مما عنه أعرضنا ، فهرب الفضل ، وقيل : إنه هرب إلى أحمد بن بُوَيْهِ الديلمى متنكراً[٤] ، وأحسن إليه أحمد ولم يظهره ، فلما مات توزون[٥] ودخل الديلمى إلى بغداد وخرج الأتراك عنها صار إلى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حَمْدَان ، وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن أبى العلاء ، فكان بينه وبين ابن بُوَيْهِ الديلمى من الحرب ما قد اشتهر ، وانحاز الديلمى إلى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مُخْتَفٍ ببغداد ، والمستكفى

(١) كذا فى ا و الديوان (ص ٧ ط أوربة) ، وفى ب « يجودها عنى عيانا يرى لها »

(٢) فى ا « كانت له حتى الصباح صباحا » (٣) فى ب « ومخالفة »

(٤) فى ب « منتصرا » (٥) فى ب « تورون »

Marfat.com

يطلبه أشدّ الطلب ، وأنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدُرْنا من الجانب الغربى .

فذكر أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الوكيل ، ومنزلتُه من خدمة المستكفى ما قدمنا ، قال : كان المستكفى فى سائر أوقاته فازعاً وجِلاً من المطيع أن يلى الخلافة ، ويُسَلِّم إليه فيحكم فيه بما يريد ، فكان صدره يضيق لذلك ، فيشكو ذلك فى بعض الأوقات إلى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع ، إلى أن قال لهم فى بعض الأيام : قد اشتهيت أن نجتمع فى يوم[1] كذا كذا فنتذاكر أنواع الأطعمة وما قال الناس فى ذلك منظوماً ، فاتفق معهم على ذلك ، فلما كان فى اليوم الذى حضروا أقبل المستكفى فقال : هاتوا ما الذى أعدّه كل واحد منكم ؟ فقال واحد منهم : قد حضرنى يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة فيها سكارج كوامخ ، فقال : [هاتها ، قال :]

لابن المعتز فى وصف سلة كوامخ

أمتع بسلة قضبان أتتك وقد ... حَفَّتْ جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة ... حمر وصفر ، وما فيهنّ إنكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة ... وكامخ أحمر فيها وكبار[2]
أعطته شمسُ الضحى لوناً فجاء به ... كأنه من ضياء الشمس عطار[3]
فيهنّ كامخ مرْزَنجُوشَ قابله ... من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدارصينى فليس له ... فى الطعم شِبْهٌ ، ولا فى لونه عار
كأنه المسك ريحاً فى تنسمه ... حريف فى طعمه والريح معطار
وكامخ الزَّعتر البرىّ إن له ... لوناً حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به ... أبصرت عطراً له بالأكل أمّارُ
كأن زيتونها فيها ظلام دُجًى ... فى الجنب منه من المقور أسفار
إذا تأملت ما فيهن من بصل ... كأنهنّ لجين حَشْوُهُ نار

(١) فى ب « أن نجتمع فى مكان كذا » (٢) فى ب « وتيار »
(٣) وقع فى ا هذا البيت هكذا :
له روائح ترتاح النفوس لها ... كأنما فت فيها المسك عطار

Marfat.com

وسَلْجَمٌ مستدير القد خالطه طعم من الخل قد حازته أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره دراهم صففت فيهن دينار
فى كل ناحية منها يلوح لها نجم إلينا بضوء الفجر نَظَّارُ
كأنها زهرة البستان قابَلَهَا بدر وشمس وإظلام وأنوار

قال المستكفى : تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف ، وهاتوا ، فلسنا نأكل اليوم إلا ما تصفون ، فقال آخر من الجلساء : ياأمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم فى صفة سلة نوادر[1] :

في وصف سلة نوادر

متى نَنْشَطُ للأكل فقد أصلحت الجونه
وقد زَيَّنها الطاهى لنا أحْسَنَ ما زينه
لجاءت وَهْيَ من أطيـ ب ما يؤكل مشحونه
فمن جِدْيٍ شَوَيْناهُ وعصبنا مصارينه
ونضدنا عليه نعـ نع البقل وطرخونه
وفرخ وافر الزور أجَدْنَا لك تسمينه
وطيهوج وفروج أجَدْنَا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلو ة فى إثر طردينه
وحمراء من البيض إلى جانب زيتونه
وأوساط شَطِيرَاتٍ بزيت الماء مدهونه
يولدن لذى التخمة جوعا ويُشَهِّينَهْ
ترنج بكسور الند بالعنبر معجونه
وحريف من الجُبْنِ به الأوساط مقرونة
وطلع كاللآلى فى سموط الفيد مكنونه

(١) لعلها « بوارد » وقد اخترنا فى هذه القصائد عبارة ا ؛ إذ كانت الثقة بها أشد ، إلا أن يكون ما فى ب واضح الصحة ، ولم نكثر بذكر اختلاف عبارات الأصلين ، فنبهنا هنا على ذلك .

Marfat.com

وخـــــل ترعف الآنا ف منه وهى مختونه
وباذنجـــــان بوران به نَفْسُــــك مفتونه
وهليون وعهدى بـــك تستعذب هليونه
ولوزينجــــــة فى الدهــــن والسكر مَدْفُونَهْ
[وعندى لك رستيجــــة مطبـــوخ وقنينه][1]
وســاق وَعَدَتْ بالوصـــل منه عطفة النونه
له شـــدة ألحاظ وفى ألفاظه لينـه
وقُمْرِىُّ يغنيـــك لحوناً غير ملحونه
ألا يا من لمحزون نأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا ترى من سكره طينه

لابن الرومى فى وصف وسط

فقال المستكفى : أحسنت وأحسن القائل فيما وصف ، ثم أمر بإحضار كل ما يجرى فى وصفه مما يمكن إحضاره ، ثم قال : هاتوا ، مَنْ معه شىء فى هذا المعنى ؟ فقال آخر : فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط :

يا سائلى عن مجمع اللذات سألت عنه أنعتَ النُعَّاتِ
فهاك ما أنشأته من قصه مسلماً من شوبه ونقصه
خذ يامريد المأكل للذيذ جردقتىْ خبز من السميذ
لم تر عينا ناظرٍ مثليهما فقشر الحرفين عن وجهيهما
حتى إذا ما صارتا طفاطفا فاضفْ على إحداهما تفايفا
من لحم فروج ولحم فَرْخِ تذوب جوذاباهما بالنفخ
واجعل عليها أسطراً من لوز معارضات أسطراً من جوز
إعجامها الجبن مع الزيتون وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن مقسومة كأنها وَشْىُ اليمن

(١) هذا البيت لا يوجد فى ا

Marfat.com

واعمد إلى البيض السليق الأحمر ... فَدَرْهِمِ الوَسْطَ به وَدَنِّرِ
وَتَرِّبِ الأسطر بالملح ، ولا ... تكثر ، ولكن قدراً معتدلا
وَرَدِّدِ العينين فيه لحظا ... فإن للعينين منه حظا
وَمَتِّعِ العين به مَلِيًّا ... وأطبق الخبز وكل هنيا
وامسك بنابيك وأكدم كدما[1] ... نسرع فيما قد بنيت هدما
[طوراً ترى كحلقة الدولاب ... حروفه ودوره كالداب][2]
[وتارة مثل الرحى بِلاَ سَغَبْ ... قد شذبت عنها بنابيك الشذب][2]
[لهفى عليها وأنا الزعيم ... بعدة شيطانها رجيم][2]

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لإسحاق بن إبراهيم الموصلى فى صفة سنبوسج : فى وصف سنبوسج

يا سائلى عن أطيب الطعام ... سألت عنه أبصَرَ الأنام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر ... فَدُقَّهُ بالشحم غير مُكْثِرِ
واطرح عليه بصلا مدورا ... وكرنباً رطباً جنياً أخضرا
والق السذاب بعده موفراً ... ودار صينى وكف كزبرا
وبعده شيء من القرنفل ... وزنجبيلٍ صالح وفلفل
وكَفَّ كمون وشيء من مرى ... وملء كَفَّيْنِ بملح تدمر
فدُقَّهُ يا سيدى شديداً ... ثم أوْقِدِ النار له وقودا
واجعله فى القدر وَصُبَّ الماء ... من فوقه واجعل له غطاء
حتى إذا الماء فنى وَقَلاَّ ... ونشفته النار عنه كلا
فلفه إن شئت فى رُقَاقِ ... ثم احكم الأطراف بالإلزاق

(١) فى ا « املأ ثناياك وأكدم كدما »
(٢) هذه الأبيات الثلاثة لا توجد فى ا ، وفى ب أولها « طورا ترى حلقه الدولاب »

Marfat.com

أو شئت خذ جزءاً من العجين معتـــدل التفريك مستلين
فابسطه بالسويق مستديراً ثم اطفرن أطرافه تطفيرا
وَصُبَّ فى الطابق زيتاً طيباً ثم أَقْلِهُ بالزيت قلياً عجبا
وضـــعه فى جام له لطيف ووسطه من خردل حريف
وكله أكلا طيباً بخردل فهو أَلَذُّ المـأكل المعجل

فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الـكاتب فى وصف هليون :

فى وصف هليون

لنا رماح فى أعاليها أوَدْ مُفتَّلات الجسم فتلا كالمَسَدْ
مستحسنات ليس فيها من عُقَدْ لها رؤوس طالعات فى جَسَدْ
مكسوة من صنعة الفَرْد الصَّمَدْ منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق بَرَدْ قد أشربت حمـــرة لون يتقد
كأنها ممزوجة حمـــرة خد قد قرصت حمرتهُ كفُّ خرد
[نخالطته حمـــــرة خد وَيَدْ كأنها فى صحن جام أو بَرَدْ][1]
مُنَضَّدَات كتناضيد الزَّرَدْ نسائج العسجد حسناً منتضد
كأنها مطارف خـــز قد مهد لو أنهـــا تبقى على طول الأبد
كانت فصوصاً لخواتيم الخرد من فوقها مرى عليها يطرد
يجول فى جانبها جَزْر ومد مَـكْسُوَّة من زيتها ثوب زبد
كأنه من فوقه حين لبد شراك تبر أو لجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد أفطرَ ممـا يشتهيها وَسَجَدْ

فلما فرغ منها قال له المستكفى : هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد ، إلا أن نكتب إلى الإخشيد محمد بن طفج

(١) سقط هذا البيت من ا

Marfat.com

يحمل إلينا من ذلك البر من دمشق ، فأنشدونا فيما يمكن وجوده .

قال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمد بن الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية[1] :

فى وصف أرزية

لله در أرزَّةٍ وافى بها طاهٍ كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف نَسْجُه من صنعة الأهواء والأنداء
وكأنها فى صحفة مقدودة بيضاء مثل الدرة البيضاء
بَهَرَتْ عيون الناظرين بضوئها وتريك ضوء البدر قبل مساء
وكأن سُكَّرَها على أكنافها نُورٌ تجسَّدَ فوقها بضياء

فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، أنشدت لبعض المتأخرين فى هريسة :

فى وصف هريسة

ألَذُّ ما يأكله الإنسان إذا أتى من صيفه نيسان[2]
وطالت الجديان والخرفان هريسة يصنعها النسوان
لهنَّ طيب الكف والإتقان يُجْمَع فيها الطير والحملان
وتلتقى فى قِدْرِهَا الأدهان واللحم والألية والشحمان
وبعـــــده إوزة سمان وَالْحِنْطَةُ البيضاء والجلبان
وبعد هــذا اللوز والإبان جَوَّدَهَا بطَحْنِهِ الطَّحان
وبعده الملح وخولنجان قد تعبت لعقدها الأبدان
تخجل من رؤيتها الألوان إذا بدت يحملها الغلمان
تضمها الصحفة والخِوَانُ وفوقها كالقُبْوِ خيزران
يمسكه سقف له حيطان مُقَبَّبٌ وماله أركان
أبرزها للآكل الولدان [تفتر من لهيبها الميدان]
[والمرء فيها فله مكان] يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الأهل والضيفان لها على أضرابها السلطان
تصفو بها العقول والأذهان وانتفعت بأكلها الأبدان

(١) فى ا « فى صفة أرزة » (٢) فى ا « إذا أتى من ضيفه نسيان » تحريف

Marfat.com

أبدعها فى عصره ساسان وأعجبت كسرى أنو شروان
إذا رآها الجائـع الغَرْثَانُ لم يُعطَ صبراً معها الجيعان

في وصف المضيرة

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لبعض المتأخرين فى صفة المَضِيرَة :

إنَّ المَضِيرَةَ فى الطعام كالبدر فى ليل التمـام
إشراقها فوق الموا ئد كالضياء على الظلام
مثل الهـــلال إذا بدا للناس فى خَلَلِ الغمام
فى صــحفة مملوأة للناس من جزع التِّهَام
قد أعجبت لأبى هريـــرة إذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها حَظًّا فبـادر بالقيام
ولقد تنكَّبَ أن يكو ن مؤاكلا عند الإمام
إذ ليس ثَمَّ مَضِيرَةٌ تشفى السقيم من السَّقام
لا غرْوَ فى إتيانهـا من غير إتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـــبة والعجيبة فى الأنام

في وصف جوذابة

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين فى صفة جوذابة :

جوذابة من أرز فائق مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونُهـا من كفِّ طاهٍ محكم حاذق
نسيجة كالتبر فى حُمْرَة وَرْدِية من صنعة الخالق
بســكر الأهواز مصبوغة فطعمها أحـلى من الرائق
غريقة فى الدهن رَجْرَاجَة تَدُور بالنَّفخِ من الذائق[1]
لينـــة ملمسها زبدة وريحها كالعنـبر الفائق
كأنها فى جامها إذ بَدَتْ تزهر كالـكوكب فى الغاسق

(١) فى ب « تزور بالنفخ من الرائق »

Marfat.com

عقيقة صــــفرتها فاقع في جيد خودٍ بَضَّــة عاتق
أحلى من الأمن أتى مؤمناً إلى فــــؤاد قلقٍ خافق

في وصف جواذبة

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، مي لبعض المحدثين في صفة جوذابة :

وجوذابة مثل لون العقيق وفي الطعم عندي كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة ومن خالص الزعفران السحيق
مُمَرَّقة بشــــحوم الدجاج وبالشحم ، أكْرِمْ بها من غريق
لذيذةُ طعمٍ إذا استعملت وفي اللون منها كلون الخلوق
[عليها اللآلىء من فوقها تضم جوانبها ضم ضِيقْ][(١)]
يُرَدِّدها في الإنا نفخــــة وما في حلاوتها من مُطِيق[(٢)]

في وصف قطائف

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين كشاجم في صفة قطائف :

عندي لأصحابي إذا اشتدَّ السَّغَبْ قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه إذا أبتدى من الكثب كَوَافر النحل بياضاً قد ثقب
قد مَجَّ دهن اللوز مما قد شرب وَأُبْتَلَّ مما عام فيه وَرَسَبْ
وجاء ماء الورد فيه وذهب فهي عليه حَبَبٌ فوق حَبَبْ
إذا رآه واله القلب طرب مدرج تدريج أبناء الكتب
أطيب منه أن تراه ينتهب كل أمرىء لذَّتُهُ فيما أحب

فأقبل المستكفي على معلم كان يعلمه في صباه طيب النفس ، وكان يضحك منه ويستظرفه ، فقال له : [هذ] أنشدنا ما سمعت ، فأنشدنا أنت ، قال : لا أدري ما قال هؤلاء ، وما أنشدوا ، غير أني مضيت في أمس يومنا هذا أدور حتى أتيت باطرنجا ، فرأيت رياضها ، فذكرت [قول أبي نُوَاس فيها ، فوالله لقد شجاني ، وذهب بي كل مذهب ، فقال له المستكفي : وما الذي قال أبو نُوَاس ، ووصف] من أمرها ؟ قال :

(١) سقط هذا البيت من ا (٢) في ا « يدور الإناء بها نفخة »

Marfat.com

لأبى نواس فى وصف باطرنجا

نومُ عينيك يا ابن وهب غِرَارُ ولنار الهـوى بقلبك نار
[باطرنجا بها ثَوَانِ ، ولى فيـها إذا دارت الكؤوس اعتبار][1]
من حديثى أنى مررت بها يَوْ ماً وقلبى من الهوى مُسْتَطَار
وبها نَرْجِسٌ ينادى غلامى قف فقد أدْرَكَتْ لدينا العقار[2]
وتغنّى الدرّاج واستمطر اللهـو وجادت بِنَوْرِهَا الأزهار
فانثنينا إلى رياض عيون ناظرات ما إنْ بهنَّ ٱحْوِرَارُ
ومكان الجفون منها ابيضاض ومكان الأحداق منها اصفرار
بينما نحن عندها صَرَخَ الوَرْ دُ : إلينا يا أيُّهَا السُّمَّارُ،[3]
عندنا قهوة تغافل عنها دهرها فالوجود منها خُمَارُ
وانثنينا للورد من غير أن تنـبو عَنِ النَّرْجِس المُضاعف دار
فرأى النَّرْجِس الذى صنع الوَرْ د ، فنادى مستصرخاً : يا بَهَارُ
ورأى الورد عسكرين من الـصفر فنادى فجاءه الجُلَّنَارُ
واستجاشا تُفّاحَ لُبنَان لمَّا حَمِيَتْ من وطيسها الأوتار
واستجاش البَهَارُ جيشاً من الأتـرُجّ فيه صِغَارُه والكبار
فرأيت الربيع فى عسكر الصفـر وقلبى يشـفه الأحمِرَارُ
ليس إلا لحمرة من خُدُودٍ من أناس بَغَوْا علينا وَجَارُوا

فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سروراً منه فى ذلك اليوم ، وأجاز جميع مَنْ حضر من الجلساء والمغنين والملهين ، ثم أحضر ماحضره فى وقته من عَيْنٍ وَوَرِقٍ مع[4] ضيق الأمر إليه ، فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوماً مثله ،

(١) سقط هذا البيت من ب
(٢) فى ب « وبها ترجعن ينادى علانا »
(٣) فى الأصلين « يا معشر السمار » وفى البيت على هذا عيب الإقواء
(٤) فى ب « عن ضعيف الأمر »

Marfat.com

حتى قَبَضَ عليه أحمد بن بُوَيْهِ الديلمى ، وَسَمَلَ عينيه ، وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان — وكان فى الجانب الشرقى ومعه الأتراك — وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ، وبين أحمد[1] بن بُوَيْهِ الديلَمِى فى الجانب الغربى، والمستكفى معه ، اتهم الديلمى المستكفى بمساءلة بنى حَمْدَان ومكاتبتهم بأخباره ، وإطلاعهم على أسراره ، [مع] ما كان تقدم له فى نفسه ؛ فَسَمَلَ عينيه ، وولّى المطيع ،وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم ؛ فحملهم فى السفن مع بوقات ودبّابات[2] فى الليل ، وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع إلى الجانب الشرقى ؛ فَتَوَجَّهَتْ له على بنى حَمْدَان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الأتراك وبينهم ببلاد تكريت ، واستوثق الأمر لأحمد بن بُوَيْهِ الديلمى ، وشرع فى عمارة البلد ، وسد البُثُوقَ ، على حسب ماينمو إلينا من أخباره، واتصل بنا من أفعاله ، على بعد الدار ، وفساد السبل ، وانقطاع الأخبار ، وكوننا ببلاد مصر والشام .

قال المسعودى : ولم يتأتّ لنا من أخبار المستكفى — مع قِصَرِ أيامه — غير ما ذكرنا ، والله الموفق للصواب .

---

(١) فى ب « وابن أحمد » محرفا (٢) فى ا « ودبادب » .

Marfat.com

ذكر خلافة المطيع لله

موجز مبدئه

وبويع المطيع لله — وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر — لسبع بَقِينَ من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل : إنه بويع فى جمادى الأولى من هذه السنة ، وَغَلَبَ على الأمر ابن بُوَيْهِ [الديلمى] ، والمطيع فى يده لا أمرله ولا نَهْيَ ، ولا خلافة تعرف ، ولا وزارة تذكر ، وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمى ، قيما بأمر الوزارة برسم الكتابة ، ولم يُخَاطَبْ بالوزارة إلى أن استأمن الحسين بن عبد الله[1] بن حَمْدان إلى الجانب الغربى ، وخرج معه عند خروجه إلى ناحية الموصل ، إلى أن اتَّهَمَهُ بتغريبته الأتراكَ عليه ؛ فسمل عينيه ، وقد قيل : إن أبا الحسن [على بن] محمد بن على بن مُقْلَة يعرض الكتب على الديلمى والمطيع ، ويتصرف برسم الكتابة[2] ، لا برسم الوزارة فى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع باباً مفصلا عن أخباره كإفرادنا لغيره مما سلف ذكره فى هذا الكتاب لأنا فى خلافته بَعْدُ .

قال المسعودى : وقد كُنَّا شرطنا [على أنفسنا] فى صَدْر كتابنا هذا أن نذكر مَقَاتل آل أبى طالب ، ومن ظهر منهم فى أيام بنى أمية وبنى العباس ، وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ، ثم ذكرنا ما تأتَّى لنا ذكره من أخبارهم ، من قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبقى علينا من ذلك مالم نورده ، وقد ذكرناه فى هذا الموضع ، وَفَاء بما تقدم من شرطنا فى هذا الكتاب .

طالبى يظهر بصعيد مصر أيام ابن طولون

فمن ذلك أنه ظهر بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[3] بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقتله أحمد بن طولون ، بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وذلك نحو سنة سبعين ومائتين .

---

(١) فى ب «برسم الكتبة» (٢) فى ب «الحسين بن على» وانظر ص ٣٧٠
(٣) فى ا « ابن الحسين بن على »

Marfat.com

وكان خروج أبي عبد الرحمن العجمي[1] على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره إلى أن قتل .

ظهور محسن ابن الرضا بدمشق

ومن ذلك ظهور ابن الرضا ، وهو محسن بن جعفر بن [محمد بن] على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين[2] بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم ، في أعمال دمشق سنة ثلثمائة ، فكان له مع أميرها أحمد بن كيغلغ [أحداث] فقتل صبراً ، وقيل : قتل في المعركة ، وحمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي .

ظهور الأطروش بطبرستان

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش ، وهو الحسن بن على بن محمد بن على [بن الحسن بن على] بن أبي طالب رضى الله عنهم ، وأخرج عنها المسودة ، وذلك في سنة إحدى وثلثمائة ، وقد كان أقام في الديلم والجبل[3] سنين ، وهم جاهلية ومنهم مجوس ؛ فدعاهم إلى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا إلا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأَوْدِيَة ومواضع خشنة على الشرك إلى هذه الغاية ، وبنى في بلادهم مساجد ، وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وشالوس[4] وغيرهما من بلاد طبرستان ، وقد كان بمدينة شالوس حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس ، يسكن فيه الرجال المرابطون بإزاء الديلم ، ثم جاء الإسلام فكان كذلك إلى أن هدمه الأطروش وقد كان بين الأطروش والحسن بن القاسم الحسنى الداعى حروب على بلاد طبرستان ، فكانت بينهم سجالا ، وكان الحسن بن القاسم الحسنى الداعى وَافى الرىّ ، وذلك في سنة سَبْعَ عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ومعه ما كان بن كاكى الديلمى أحد فتاك الديلم ووجوهها فأخرج عساكر نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحبه عنها ، واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم وأَبْهَرَ وغير ذلك مما اتصل بالرى ، فكتب المقتدر إلى نصر ابن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان يُنْكر عليه ذلك ويقول : إنى

(١) في ب « ابن عبد الرحمن العمرى » (٢) في ب « بن الحسن بن على »
(٣) في ب « الجيل والديلم » وفي نسخه « الجيل » بياء مثناة في كل موضع
(٤) في ب « سالوس »

Marfat.com

ضمنتك المال والدم ، فأهملت أمر الرعية ، وأضعفتها ، وأهملت البلد، حتى دخلته المبيضة ، وألزمه إخراجهم عنه ، فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على إنفاذ رجل من أصحابه من الجبل ، يقال له أسفار بن شيرويه ، وأخرج معه ابن المحتاج[١] ، وهو أمير من أمراء خراسان ، فى جيش كثير ليحارب مَنْ مع الداعى وماكان بن كاكى[٢] من الديلم لما [كان] بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر ، فسار أسفار بن شيرويه الجبلى فيمن معه من الجيوش إلى حدود الرى ، فكانت الوقعة بين أسفار بن شيرويه الجبلى وبين ماكان ابن كاكى الديلمى ، فاستأمن أكثر أصحاب ماكان بن كاكى الديلمى وقواده ، مثل مشير وتالجين وسليمان بن شركلة الأشكرى ومرد الأشكرى وهشونه بن أومكر فى آخرين من قواد الجبل ، فحمل عليهم ماكان فى نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ، وصبرت له عساكر خراسان ومن معه من الأتراك ، فولّى ماكان ودخل بلاد طبرستان ، وانهزم الداعى بين يديه ، وماكان على حاميته ؛ فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والأتراك ، فيهم أسفار بن شيرويه ، ومضى ماكان لكثرة الخيول وانحاز الداعى وقد لحق بقرب آمل قصبة بلاد طبرستان إلى طاحونة[٣] هنالك وقد تخلى عنه من كان معه من الأنصار ، فقتل هنالك ، ولحق ماكان بالديلم ، واستولى أسفار ابن شيرويه على بلاد طبرستان ، والرى ، وجرجان ، وقزوين ، وزنجان ، وأبهر ، وقم ، وهمذان ، والكرخ[٤] ، ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الأمور ، وعظمت جيوشه وكثرت عُدّته ، فتجبر وطغى ، وكان لا يدين بملة الإسلام ، وعصى صاحب خراسان وخالف عليه ، وأراد أن يعقد التاج على رأسه ، وينصب بالرى سريراً من ذهب للملك ، ويتملك على ما فى يديه مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان ، فسير المقتدر هارون ابن غريب فى الحال نحو قزوين فكانت لهم معه حروب ، فانكشف هارون

(١) فى ب « ابن النساج » (٢) فى ب « ماكان بن كلكى » محرفا
(٣) فى ب « إلى ناحيه هنالك » (٤) فى ب « والكرج »

Marfat.com

وقتل من أصحابه خلق كثير ، وذلك بباب قزوين . وقد كان أهل قزوين عاونوا أصحاب السلطان ، فقتلوا منهم عِدّة ، فكانت لهم بعد هزيمة هارون بن غريب مع الديلم حروب ، وسار إليهم أسفار بن شيرويه ؛ فأتى على خَلْق عظيم بها ، وملك القلعة[1] التي في وسط قزوين ، وتدعى بالفارسية : كشوين[2] وهو الحصن الذي كان للمدينة أولا في نهاية المَنَعَة ، لما كانت الفرس جعلته ثغراً بإزاء الدَّيلم وشحنته بالرجال ، لأن الديلم والجبل ـ مذ كانوا ـ لم ينقادوا إلى ملة ، ولا استحبوا شرعاً[3] ثم جاء الإسلام ، وفتح الله على المسلمين البلاد ، فجعلت قزوين للديلم ثغراً هي وغيرها ، مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة ؛ فرابطوا وغزوا ونفروا منها ، إلى أن كان من أمر الحسن ابن على العلويّ الداعي الأطروش ؛ وإسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره ، والآن قد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم ، وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم يدخلون في الإسلام ، وينصرون مَنْ ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب ، مثل الحسن ومحمد ابني زيد الحسيني ؛ وخَرَّب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله ، وقلع أبوابها ، وسبى ، وأباح الفروج ، وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع ، فأمر أن ينكس منها على أمّ رأسه ، وخرب المساجد ، ومنع الصلوات ، فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق ، واستفحل أمره ، وسار صاحب خراسان يريد الريّ لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى ، وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت ، وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور ، وسار أسفار بن شيرويه إلى الري ، وجمع عساكره ، وضم إليه رجاله من الأطراف ، وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره ـ وهو مطرف الجرجاني ، وكان يخاطب بالرئيس[4] ـ

(١) في ب « القاعة » (٢) في ب « مكثرين » .
(٣) في ب « ولا استهجوا شرعا ». (٤) في ب « بالوزير الرئيس » .

Marfat.com

أن يلاطف صاحب خراسان ، ويراسله ويطمعه فى المال وإقامة الدعوة ؛ فإن الحرب تارات ، وأوقاتها سجال ، والإنفاق عليها من رأس المال ، فإن جَنَح إلى ما دعوته [إليه] وراسلته به ، وإلا فالحرب بين يديك ، لأن من معك من الأتراك وأكثر فرسان خراسان إنما هم رجاله ، وإنما قد تملكتهم بالإحسان إليهم ، ولا تدرى لعله إذا قرب منك صاروا مع صاحبهم ، فقبل قوله ، وأمر بمكاتبته ، فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيئاً من ذلك ، وعزم على المسير إليه ، فأشار عليه وزيره أن يقبل منه ما بذل ، وأن يَرْضى منه بما حمل من الأموال وإقامة الدعوة ، فإن الحرب عَثَرَاتُها لا تُقَال ، ولا يدرى إلى ما تؤول ، لأن الرجل قوى بالمال والرجال ، فإن هزم لم يكن فى ذلك كبير فتح ، إذ كان رجلاً من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت إليه عساكرك وغلمانك ، تخالف عليك ، وإن كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك ، فشاوَرَ صاحب خراسان ذوى الرأى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسدَّدوا رأيه ، وصَوَّبوا قوله ، فجنح إلى قولهم ، وما أشير عليه ، فأجاب أسفار ابن شيرويه إلى ما سأل ، وأعطاه ما طلب ، من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك ، فلما ورد الكتاب على أسفار بن شيرويه قال لوزيره : هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ، ولا سبيل إلى إخراجها من بيت المال ، فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد ، فقال له وزيره : إن فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرة على أرباب الضياع ، وخراب البلاد ، وجلاء لكثير من أهل الضياع[1] قبل إدراك غلاَّتهم ، قال له أسفار : فما الوجه ؟ قال الوزير : الخراج إنما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة ، وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين ، وسائر أهل الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء ، من غير ضرر عليهم ولا كثير

(١) فى ب « وخلالا للكثير من أهل الخراج » .

Marfat.com

مؤنة ، بل إعطاء شيء يسير ، وهو أن تجعل على كل رأس ديناراً ، فيكون في ذلك ما اشترط علينا حمله من المال وزيادة عليه كثيرة ، فأمره أسفار بذلك ، فكتب أهل الأسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى وصل في الإحصاء إلى مَنْ في الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم ، وحشَرَ الناس إلى دار الخراج بالري وسائر أعمالها ، فطولبوا بهذه الجزية ، فمن أدى كتب له براءة بالأداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية في سائر الأمصار ، فأخبرني جماعة من أهل الري وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء من التجار وغيرهم — وأنا يومئذ بالأهواز وفارس — أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بأدائها ، فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط عليه ، وكان الباقي من ذلك ألف ألف دينار ونيفاً ، وقيل : أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالري وأعمالها ، ورجع صاحب خراسان إلى بخارى ، وعظم أمر أسفار على خلاف ما عهد ، وبعث برجل من أصحابه كان صاحب جيش من الجبل يقال له مرداويج بن زيار[1] إلى ملك من ملوك الديلم مما يلي قَزْوِينَ ، وهو صاحب الطرم من أرض الديلم ، وهو ابن أسْوَار المعروف بسلار[2] الذي ولده في هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ، ليأخذ عليه البيعة لأسفار ابن شيرويه والعَهْدَ والدخول في طاعته ، فسار مرداويج إلى سلار[2] فتشاكيا ما نزل بالإسلام من أسفار بن شيرويه ، وإخرابه البلاد ، وقتله الرعية ، وتركه العمارة والنظر في عواقب الأمور ، فتحالفا وتعاقدا على التظافر على أسفار والتعاون على حربه ، وقد كان أسفار سار في عساكره إلى قَزْوِين ، وقرب من نُحُوم[3] الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن أسوار منتظراً لصاحبه مرداويج بن زيار[1] وأنه إن لم يَنْعَقِدِ ابن أسوار إلى طاعته ورجع إليه رسوله بما لا يحب وطىء بلاده ، وسلار[2] هذا هو خَالُ علي بن وهوذان[4] المعروف بابن

(١) في ب « بن زياد »　(٢) في ب « سلام »
(٣) في ب « نحو الديلم »　(٤) في ب « علي بن دهشوذان »

Marfat.com

حسان ملك آخر من ملوك الديلم ، وهو الذى قتل بالرى ، قتله ابن أسوار هذا فى خبر يطول ذكره ، فلما ... مرداويج من عساكر أسفار راسَلَ قواده وكاتبهم فى ممارنته على الفتك بأسفار ، وأعلمهم مظاهرة سلار[1] عليه ، وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا أيامه ، وملّوا دولته ، وكرهوا سيرته ، فأجابوا مرداويج إلى ذلك ، فلما دنا من الجيش استشعر أسفار بن شيرويه البلاء ، وعلم توجُّهَ الحيلة عليه ، وأن لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته ، فهرب فى نفر من غلمانه ، فوافى مرداويج وقد فاته أسفار ، فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والأموال ، وأحضر وزير اسفار المعروف بمطرف الجرجانى[2] ، فاستخرج منه الأموال ، وأخذ البيعة على القواد والرجال ، وفرق فيهم الأموال من الأرزاق والجوائز ، وزاد فى أنزالهم ، وأحسن إليهم بما لم يكونوا يعرفونه من أسفار ، ومضى أسفار إلى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده ، وحار فى أمره ، فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت ، وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبى موسى مع عِدَّةٍ من الرجال قِبَلَهُ ذخائر أسفار بن شيرويه وكثير من خزائنه وأمواله ، وكان مرداويج لما توجَّه له ذلك وملك الجيش والأموال خرج بتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذى سلكه أسفار ليستعلم أمره[3] ، وأى البلاد سلك ، وإلى أى القلاع لجأ ، فمال إلى القلعة فنظر إلى خيل يسيرة فى بعض الأودية ؛ فأسرع أصحابه نحوها [ليأخذوا خبرها] فوجدوا أسفار بن شيرويه فى عِدَّةٍ يسيرة من غلمانه يؤمُّ القلعة ليأخذ ماله فيها من الأموال ويجمع الرجال من الديلم والجبل ويعود إلى حرب مرداويج بن زيار[4] فأتى عليه مرداويج . فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته ، وأقبل رجال الديلم والجبل نحو

(١) فى ب « سلام » حيث وقعت (٢) انظر ص ٣٧٦

(٣) فى ا « ليأخذ أخبار أسفار ويستعلم خبره »

(٤) فى ب « بن زياد » حيث وردت

Marfat.com

مرداويج ؛ لما ظهر من بَذْله وإحسانه إلى جنده ، وتسامع الناس بإدْرَاره الأرزاقَ على جنده ، فقصدوه من سائر الأمصار ، فعظمت عساكره ، وكثرت جيوشه ، واشتد أمره ، ولم يسَعْه مافى يديه من الأمصار ، ولا كفى رجاله ما فيها من الأموال ، ففرق قواده إلى بلاد قم وكرخ ابن أبى دلف والبرج وهمذان وأبهر وزنجان ، فكان ممن أنفذ إلى همذان ابن أخت له فى جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله ، وكان بها جيش للسلطان مع أبى عبد الله محمد بن خلف الدينورى السرمانى ، ومعه خفيف غلام أبى الهيجاء عبد الله بن حَمْدَان فى جماعة من قواد السلطان ؛ فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة ، وعاون أهل همذان أصحاب السلطان ، فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل [نحو] أربعة آلاف ، وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش والمعروف بأبى الكراديس بن على بن عيسى الطلحى ، وكان من وجوه قواد مرداويج ، وولت الديلم نحو مرداويج أوْحَشَ هزيمة ، فلما أتاه الخبر وضَجَّتْ أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الرى فى جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الأسد، وإنما سمى هذا البابُ بباب الأسد لأن أسداً من حجارة كان على رَبْوَة من الأرض على الطريق المؤدية إلى الريِّ وجَادَّةِ خراسان أعظم ما يكون من الأسد كالثور العظيم أو كالجبل[1] البارك كأنه أسد حى حتى يدنو الإنسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الأسد ، فكان أهل همذان يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضاً فيهم أن الإسكندر بن فيلبس بَنَى همذان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه[2] من الهند والصين وغيرهما ، وأن ذلك الأسد جعل طِلّسْماً للمدينة وسورها ، وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سورها والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الأسد وقَلْعه من موضعه ، وأن ذلك من وجهة الديلم والجبل ، وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة

(١) ربما كان « أو كالجمل البارك» (٢) فى ا « من مصافه »

Marfat.com

والمتولعة[1] من أحداثهم أن يقلبوا[2] ذلك الأسد أو يكسروا شيئاً منه ، ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره إلا بالخلق الكثير من الناس ، وقد كان عسكر مرداويج الذى سيره مع ابن أخته [إلى همذان] نزلوا على هذا الباب وانبسطوا فى تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان ، فقلب على ما ذكر هذا الأسد فكسر ، فكان من أمر الواقعة ما ذكرنا ، وذلك على طريق الولع من الديلم ، فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ، ونظر إلى مصارع أصحابه ، وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك ، فكانت بينه وبين أهل همذان ثورة ، ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان ، ورحلوا عنهم[3] ، فقتلوا فى اليوم الأول فى قول المقلِّل من الناس على ما ذكر لنا ممن أدركه الإحصاء ممن حمل السلاح فى المعركة ، نحواً من أربعين ألفاً ، وأقام السيف يعمل فيهم ثلاثة أيام والنار والسبى ، ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث ، وأمَّنَ بقيتهم ، ونادى أن تخرج البلد ومستوروه إليه ، فلما سمعوا النداء أمَّلوا الفرج ، فخرج من وثق بنفسه ، من الشيوخ وأهل الستر ، ومن لحق بهم ، فخرجوا إلى المصلى ، فدخل إليه صاحب عذابه ، وكان يقال له : السقطى[4] ، فسأله عن أمره فيهم ، فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيؤتى عليهم ، فأطافت بهم الرجل من الديلم ، فأتى على القوم جميعاً ، وألحقوا بمن مضى منهم ، وبعث منها بقائد من قواده ، يعرف بابن علان القزوينى[5] وكان يلقب بخواجه ، وذلك أن أهل خراسان إذا عظَّموا الشيخ فيهم سمَّوه خواجه ، فى عسكر من عساكره إلى مدينة الدينور ، ومن همذان إليها ثلاثة أيام ، فدخلها بالسيف ، وقتل من أهلها فى اليوم الأول سبعة عشر ألفاً فى قول المقال ، والمكثر يقول : خمسة وعشرين ألفاً ، فخرج إليه فى مستورى أهل الدينور وصوفيتها وزهادها رجل يقال له بن مشاد[6] وبيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه

(١) فى ب « والمتألهة »
(٢) فى ا « أن يقربوا » محرفا
(٣) فى ب « فدخلوا »
(٤) فى ب « الشقطيفى »
(٥) فى ا « القروى »
(٦) فى ب « يقال له مشاد »

Marfat.com

أيها الشيخ ، اتّقِ الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين، فلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون بها ما قد نزل بهم، فأمر بأخذ المصحف من يده، فضرب به وجهه ، ثم أمر به فذبح، وسبى وأباح الأموال والدماء والفروج، وبلغت عساكر مرداويج وجنوده إلى الموضع المعروف بالشجرتين(١)، وهو فرز بين [بلاد] الجبل وأعمال حلوان مما يلى العراق، وذلك بين بلاد طرزو المطامير ومرج القلعة، قتلا وسَبْيا، وغنم الأموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الأموال، وقتلت الرجال، وملكت الأولاد، وأخذوا الغلمان وتملّكوهم ، وسَبَوْا من بلاد الدينور وقرماسين والزبيديه(٢) إلى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الإحصاء من الجوارى العواتق والغلمان فى قول المقلل خمسين ألفاً، وفى قول المكثر مائة ألف، فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت إليه الأموال والغنائم بعث بها إلى أصبهان بجماعة من قواده فى قطعة من عساكره ، فملكوها ، وأقيمت لهم الأنزال والعلوفات ، وعمرت لهم قصور أحمد بن [عبد العزيز بن] أبى دُلَفَ العِجْلِيّ ، وهيئت له البساتين والرياض ، وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان فى آل عبد العزيز ، فسار مرداويج إلى أصبهان، فنزلها وهو فى نحو خمسين ألفاً ، وقيل : أربعين ، سوى ماله بالرى وقم وهمذان، وسائر أعماله من العساكر، وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبى الحسن محمد بن وهبان الفضيلى(٣) ، وهو الذى استأمن بعد ذلك إلى السلطان، ثم قصد بعد ذلك إلى محمد بن رائق ، وهو بالرقة من بلاد ديار مضر، قبل دخول الشام ومحاربته الإخشيد محمد بن طغج ، فاحتال عليه رافع القرمطى، وكان من قواد ابن رائق ، حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه فى الفرات، وذلك نحو رحبة مالك ابن طوق ، وقد أنبأنا على خبره ، وما كان من الحيلة فى أمره ، ومدة مقامه فى الماء مقيداً إلى أن خرج ، ثم قتل بعد ذلك، فى الكتاب الأوسط فى أخبار

(١) فى ب « المعروف بالسحوس » (٢) فى ب « وقد ساسين والربذة »
(٣) فى ب « الصنعانى » .

Marfat.com

محمد رائق ،وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر إلى صقع[(١)] كور الأهواز، وذلك على طريق مناذر وتستر وأيذج[(٢)] . واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها ، وحمل ذلك إلى مرداويج ، فطَغَى مرداويج وتكبر، وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره ،وضرب سريراً من الذهب ،رُصِّعَ له بالجوهر ، وعملت له بدلة وتاج من الذهب ، وجمع فى ذلك أنواع الجواهر ، وقد كان سأل عن تيجان الفرس وهيآتها، فصورت له ومُثِّلَتْ فاختار منها تاج أنو شروان ابن قباذ[(٣)] .

وكان نمى إليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه،من دُهَاةِ العالم وشياطينه، أن الكواكب ترمى بشعاعها إلى بلاد أصبهان ، فيظهر بها ديانة، وينصب بها سرير ملك، ويُجْبِي له كنوز الأرض،وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت ، وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا، ثم يتلوه من ولده من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا،وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا إليه بأشياء من هذه المعانى مما مال إليه هوَاه واستدعاه منهم واستهواه[(٤)] وأظهر أنه المصفر الرجلين الذى يتملك الأرض، وكان معه من الأتراك نحو أربعة آلاف مماليك له فى خاصته،دون مَنْ فى عسكره من الأتراك.مع ما عنده من الأمراء والأتراك،وكان سيىء الصحبة لهم ، كثير القتل فيهم،فعملوا على قتله، وتحالفوا وقد كان على المسير إلى مدينة السلام ، والقبض على الملك،وتولية أصحابه مدن الإسلام بأسرها فى شرق البلاد وغربها مما فى يد ولد العباس،وغيرهم،فأقْطَعَ الدور ببغداد لأهله،ولم يشك أن الأمر فى يده والملك له ، فخرج ذات يوم إلى الصيد وهو فرح مسرور ،وانصرف وهو كذلك لما قد تم له من الأمر وتأتى له من الملك،فدخل

---

(١) فى ب « أوسع كور الأهواز » (٢) فى ب « والعش ونوح »

(٣) فى ب « أبو شروان بن قتادة » محرفا عما أثبتناه

(٤) فى ا « واشتهاه »

Marfat.com

الحمام بعد رجوعه فى قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلَفَ العِجْلِيّ بأصبهان، فدخل إليه غلام من وجوه الأتراك ، وهو بجكم ، وكان من خواص الغلمان، ومعه ثلاثة نَفَرٍ من وجوه الأتراك أرى أحدهم توزون مدبر الدولة بعد بجكم ، فقتلوه ، فخرج بجكم ومن معه ، وقد كان أعلم الأتراك بذلك فكانوا له متأهبين دون سائر مَنْ فى العسكر ، فركبوا من فَوْرِهِم — وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى — وتفرق الجيش عند وقوع الضجة[1] وانتهب بعض الناس بعضاً ، وأخذت الخزائن وانتهبت الأموال ، ثم إن الجيل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا : إن بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس نتقاد إليه هلكنا ، فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج ، وتفسير وشمكير بالعربية الآخذ [وتفسير مرداويج معلق الرجال ، وقد يكتب مزداويج بالزاى] فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ، ففرق فيهم كثيراً مما بقى من الأموال ، وأحسن إليهم ، وتَوَجَّهَ فيمن معه من العساكر إلى الرى فنزلها ، وسار بجكم التركى فيمن معه من الأتراك وقد جمعوا أنفسهم إلى أن يخلصوا من الديلم ، وسار إلى بلاد الدِّينَوَرِ فجبى منها الخراج وأخذ كثيراً من الأموال، وسار إلى النهروان على أقل من يومين[2] من مدينة السلام ، فراسل الراضى ، وكان الغالب على أمره الساجية[3] وعدة من الغلمان الحجرية ، فأبوا أن يتركوه يصل إلى الحضرة خوفاً أن يغلب على الدولة ، فمضى بجكم لما منع من الحضرة إلى واسط إلى محمد بن رائق ، وكان مقيما بها ، فأدناه ، وَحَيَّاه ، وغلب عليه ، وقوى أمر بجكم واصطنع الرجال، وضعف أمر ابن رائق عنه ، فكان من أمره ما قد اشتهر ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا : من اختفائه وخروج بجكم مع الراضى إلى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباب إلى ديار بنى حَمْدَان من بلاد الموصل وديار ربيعة ، وظهور محمد بن رائق ببغداد ، ومعاونة الغَوْغاء له ، ومسيره إلى دار السلطان

(١) فى ا « الصيحه »   (٢) فى ا « أقل من يوم »

(٣) فى ب « الساحه »

Marfat.com

وقتله لابن بدر السيرافى[١] ، وخروجه عن الحضرة ومن تبعه من الجبل[٢] والقرامطه ، مثل رافع وعمارةوغيرهما ،وكانوا أنصاره،ومسيره إلى ديار مضر ، ونزوله الرقة وما كان بينه وبين نميرة ، ودخول يأنس المؤنسى فى جملته ، ومسيره إلى جند قنسرين والعواصم ، وإخراجه طريفا السكرى[٣] عنها وتوليته الثغر الشامى .

وقد أتينا فى الكتاب الأوسط الذى كتابُنا هذا تَالٍ له ،والأوسطُ[تال] لكتابنا « أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » على ما كان منه ، ومحاربته الإخشيد محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر ، وانكشافه ، ورجوعه إلى دمشق ، وما كان من قتله لأخى الإخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الأردن ، وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج ، وما كان معه من القواد ، وانكشافهم عنه ، واستئمان من استأمن منهم إليه مثل محمد بن تكين الخاصة وتكين الخاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما ،وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره ،وذكرنا مقتل طريف السكرى[٣] فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس ، وما كان من وقعته مع الثميلية ، وهم غلمان ثميل الخادم ، فأغنى ذلك عن إعادته مبسوطاً فى هذا الكتاب

وإنما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر أسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله ، وخبر الأطروش الحسن بن على الحسنى .

قال المسعودى : وقد أتينا على ذكر سائر الأحداث والكوائن فى أيام مَن

(١) فى ب « الشرابى »
(٢) فى ا « من الجند والقرامطة »
(٣) فى ب « طريفا اليشكرى » .

Marfat.com

ذكرنا من الخلفاء والملوك فى كتابينا «أخبار الزمان» والأوسط ، وذكرنا فى هذا الكتاب ما يكتفى به الناظرُ فيه ، وانتهى بنا التصنيف فيه إلى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، ونحن بفسطاط مصر ، والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد بن بُوَيْهِ الديلمى المسمَّى مُعِزَّ الدولة ، وأخوه الحسن بن بُوَيْهِ صاحب بلاد أصبهان وكُوَرِ الأهواز وغيرها المسمى ركن الدولة ، وأخوهما الأكبر ، والرئيس فيهم المعظم علىُّ ابن بُوَيْهِ الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس ، والمدبر منهم لأمر المطيع أحمدُ بن بُوَيْهِ مُعِزُّ الدولة ، وهو المحارب للبريديين(1) بأرض البصرة ، والمطيع معه على حسب ما ينمو إلينا من أخبارهم ، ودللنا فى كتابنا هذا بالقليل على الكثير ، وبالخبر اليسير(2) على الجليل الخطير ، وذكرنا فى كل كتاب من هذه الكتب مالم نذكره فى الآخر إلا مالا يسع تركه ، ولم نجد بدا من إيراده لما دعت الضرورة إلى وصفه ، وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدَث فيه من الأحداث ، وما كان فيه من الكوائن إلى وقتنا هذا ، مع ما أسلفناه فى هذا الكتاب من ذكرنا البر والبحر ، والعامر منهما والغامر ، والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها .

المؤلف يعد بتأليف كتاب فى الأخبار

وأرجو أن يَفْسَحَ الله تعالى لنا فى البقاء ، ويمد لنا فى العمر ، ويسعدنا بطول الأيام ؛ فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنوناً من الأخبار ، وأنواعا من طرائف الآثار ، على غير نَظْم من التأليف ، ولا ترتيب من التصنيف ، على حسب ما يَسْنَحُ من فوائد الأخبار ، ويوجد من نوادر الآثار ، ونترجمه بكتاب « وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار » تالياً لما سلف من كتبنا ، ولاحقاً بما تقدم من تصنيفنا .

وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يَسَعُ ذوى الدراية جهله ، ولا يُعذَرُ

---

(1) فى ب « لليزيديين » (2) فى ب « وبالجزء القليل »

Marfat.com

فى تركه والتغافل عنه ؛ فمن عدَّ أبواب كتابى هذا ولم يمعن النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ، ولا عرف للعلم مقداره ؛ فلقد جمعنا ما فيه فى عدَّة السنين باجتهاد وتعب عظيم ، وجوَلان فى الأسفار ، وطواف فى البلدان من الشرق والغرب فى كثير من الممالك غير مملكة الإسلام .

فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة، وليتفضل بهمته[1] بإصلاح ما أنكر منه مما غيّره الناسخ وصحّفه الكاتبُ ، وليرع لى نسبة العلم ، وحرمة الأدب ، وموجبات الرواية[2] ، وما تجشمت[3] من التعب فيها ، فإن منزلتى [فيه و] فى نظمه وتأليفه بمنزلة من وَجَدَ جوهراً منثوراً ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فَنَظَمَ منها سلكا ، واتخذ عقدا نفيساً، ثميناً باقياً لطلابه.

وليعلم من نظر فيه أنى لم أنتصر فيه لمذهب ، ولا تحيزت[4] إلى قولٍ ، ولا حكيت عن الناس إلا مجالس[5] أخبارهم ، ولم أعرض فيه لغير ذلك .

فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ماقدمنا الوَعْدَ بإيراده فى صدر هذا الكتاب [وبالله أستعين ، وعليه أتوكل] .

(١) فى ب « وليتفضل هو بإصلاح » وهى خير مما أثبتناه موافقا لما فى ا .
(٢) فى ا « ووجبات الدراية » .
(٣) فى ب « بما تجشمت » .
(٤) فى ا « ولا تحيزت إلى قوم » وأعتقده محرفا عما أثبتناه .
(٥) فى ا « محاسن أخبارهم » .

Marfat.com

ذكر جامع التاريخ الثانى
من الهجرة إلى هذا الوقت

وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب .

تقدمة

قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب باباً فى تاريخ العالم والأنبياء والملوك إلى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومَبْعثه إلى هجرته ، ثم ذكرنا هجرته إلى وفاته ، وأيام الخلفاء والملوك إلى هذا الوقت، على حسب ما يوجبه الحساب وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن[1] عُنِيَ بأخبار الخلفاء والملوك ، ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم ، على حسب ما يوجبه تاريخهم ، فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة إلى هذا الوقت المؤرخ ، ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب ، وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الأخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك .

المبدأ ومقابله من تاريخ الإسكندر

فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهلّ المحرم سنة إحدى للتروية ، وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين ، وكانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة سنة إحدى بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام ، فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً ؛ فذلك عشر سنين وشهران .

زمن أبى بكر

أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام .

---

(١) فى ا « ومن عنى » .

Marfat.com

زمن عمر — عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر[١] يوماً، فذلك اثنتان وعشرون سنة [وأحد عشر شهرا وخمسة وعشرون يوما][٢].

[وكانت الشورى بعد عمر ثلاثة أيام ، وذلك اثنتان وعشرون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما][٢] .

عثمان — عثمان بن عفان رضي الله عنه : إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة عشر يوماً [فذلك أربع وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وسبعة عشر يوما][٢].

علي — علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أربع سنين وسبعة أشهر[٣] ، فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً .

وإلى بيعة معاوية بن أبي سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام ، فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما .

معاوية — معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرون يوما، فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة[٤] وعشرون يوما .

يزيد بن معاوية — يزيد بن معاوية : ثلاث سنين وثمانية أشهر ، [فذلك ثلاث وستون سنة وشهران وخمسة عشر يوما][٢] .

معاوية بن يزيد — معاوية بن يزيد بن معاوية : ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما، [فذلك ثلاث وستون سنة وستة أشهر وسبعة أيام][٢] .

مروان — مروان بن الحكم : أربعة أشهر ، [فذلك ثلاث وستون سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام][٢] .

عبد الله ابن الزبير — عبد الله بن الزبير : ثمان سنين وخمسة أشهر ، [فذلك اثنتان وسبعون سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيام][٢] .

عبد الملك ابن مروان — عبد الملك بن مروان حتى قتل ابن الزبير : سنة وشهرين وستة[٥] أيام، [فذلك ثلاث وسبعون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام][٢] .

(١) ا « وسبعة عشر يوما »
(٢) زيادة في ا وحدها
(٣) في ا « وتسعة أشهر »
(٤) في ا « وخمسة عشر يوما »
(٥) في ا « وثلاثة أيام »

Marfat.com

ذكر أيام بنى مروان بن الحكم

عبد الملك بن مروان بن الحكم: اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام [١]

الوليد بن عبد الملك : تسع سنين وتسعة أشهر [٢] وعشرين يوماً .

سليمان بن عبد الملك : سنتين وسبعة أشهر وعشرين [٣] يوماً.

عمر بن عبد العزيز بن مروان : سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر [٤] يوماً.

يزيد بن عبد الملك : أربع سنين و يوماً واحداً .

هشام بن عبد الملك : تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك حتى قتل : سنة وشهرين وعشرين يوماً ، فذلك مائة سنة وخمس وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوماً ، وكانت الفتنة بعد مقتله شهرين وخمسة وعشرين [٥] يوماً ، فذلك مائة سنة وخمس وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوماً .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك : شهرين وسبعة [٦] أيام ، فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهراً ويوم واحد .

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك حتى خلع : شهرين وأحد عشر يوماً ، فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوماً .

مروان بن محمد حتى قتل : خمس سنين وشهرين ، فذلك مائة سنة وإحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوماً .

---

(١) فى ا ، ذكر مجموع مامر عقب ذكر أيام كل واحد من الخلفاء ، كما أثبتنا صورة منه فى أيام الخلفاء وبنى معاوية بن أبى سفيان

(٢) فى ا « وسبعة أشهر وتسعة وعشرين يوما »

(٣) فى ا « وتسعة وعشرين يوما » (٤) فى ا « وخمسة عشر يوما »

(٥) فى ا « وستة وعشرين يوما » (٦) فى ا « وتسعة أيام »

Marfat.com

ذكر الخلفاء من بنى هاشم

أبو العباس عبد الله بن محمد : أربع سنين وثمانية أشهر ويومين ؛ فذلك مائة [سنة] وخمس وثلاثون سنة وأحدعشر شهراً وأربعةعشر يوماً،وحتى انتهت البيعة إلى المنصور أربعةعشر يوماً ؛ فذلك مائة [سنة] وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وثمانية وعشرون يوماً .

أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور:إحدى وعشرين سنةوأحدعشرشهراً وثمانية أيام [فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وستة أيام] وحتى انتهى الخبر إلى المهدى اثنى عشر يوماً ؛ فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً .

المهدى : عشر سنين وشهراً واحداً وخمسة أيام ، فذلك مائة[سنة]وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وحتى انتهى الخبر إلى الهادى ثمانية أيام ، فذلك مائة [سنة] وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد .

الهادى : سنة واحدة وشهراً واحداً وخمسة عشر يوما ، فذلك مائة[سنة] وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوماً .

الرشيد: ثلاثا وعشرين سنةوشهرين وستةعشر[1] يوماً،فذلك مائة واثنتان وتسعون سنةوخمسةأشهر[وثلاثةأيام،وحتى انتهى الخبر إلى الأمين ابنه اثناعشر يوما ، فذلك مائة سنة واثنتان وتسعون سنة وخمسةأشهر]وخمسةعشر يوماً.

الأمين حتى خلع وحبس : ثلاث سنين وخمسةوعشرين يوماً،فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر [وعشرةأيام،ومكث محبوسا يومين،فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر] واثنا عشر يوماً ، وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

المأمون : عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً ، فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة[1] عشر يوماً .

---

(١) فى ا « وسبعة عشر يوما » .

Marfat.com

المعتصم : ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين[١] ؛ فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوماً .

الواثق : خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ؛ فذلك مائتان وإحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرون يوماً .

المتوكل : أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام ؛ فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد .

المنتصر : ستة أشهر ، فذلك مائتان وسبع وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد ، وإلى أن انْحَدَرَ المستعين إلى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة أيام[٢] [وإلى أن بويع للمعتز بسامرا عشرة أيام ، فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما] وإلى أن خطب للمعتز بمدينة السلام أحَدَ عشر شهراً وعشرين يوما ، فذلك مائتان وإحدى وخمسون سنة وأربعة أيام ، وإلى أن خلع المعتز ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ، فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما ، وإلى بيعة المهتدى يومين ، فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر[٣] .

المهتدى : أحد عشر شهراً وثمانية عشر[٤] يوما ، فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما .

المعتمد : ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام ، فذلك مائتان وثمان وسبعون سنة وستة أشهر وعشرون يوما .

المعتضد : تسع سنين وتسعة أشهر ويومين ، فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما .

---

(١) فى ب « ويوما » (٢) فى ب « وأربعة عشر يوما »
(٣) فى ا « وستة أشهر وتسعة وعشرون يوما »
(٤) فى ب « وثمانيه وعشرين يوما »

Marfat.com

المكتفى : ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما ، فذلك مائتان وأربع وتسعون سنة وعشرة أشهر واثنا عشر يوما .

المقتدر حتى خلع : إحدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام ، فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما .

ابن المعتز حتى خلع : يومين ، فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وأحد وعشرون يوما .

المقتدر حتى قتل : ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة عشر[1] يوما .

القاهر حتى خلع : سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فذلك ثلثمائة سنة وإحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام .

الراضى : ست سنين وأحد عشر شهراً وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما .

المتقى : ثلاث سنين وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما ، فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة أيام .

المستكفى : سنة وثلاثة أشهر ، فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام .

المطيع لله إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة : سنتين وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً ، فذلك ثلثمائة وخمس وثلاثون سنة وأربعة أشهر إلا ثلاث ليال.

* * *

قال المسعودى : وسِنُو الهجرة قمرية ، وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الأخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والأيام ، ومُعَوَّلنا ـ فيما ذكرنا

---

(١) فى ب « وعشرون يوما » ولم يذكر فيها الأشهر

Marfat.com

من التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت ـ على ما وجدنا فى كتب الزيجات ، إذ كان أهل هذه الصناعة يُرَاعُونَ هذه الأوقات ، ويحصلون علمها على التحديد ، والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد بن جابر البتانى[1] وغيره من الزيجات إلى هذا الوقت ، فأما ما قدمنا ذكره فى هذا الكتاب ـ من الهجرة إلى هذا الوقت ـ فإنا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الباب ، لكى يقرب تناوله على الطالب له ، ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات .

من مبعث الرسول

فالذى صح من تاريخ أصحاب السير والأخبار من أهل النقل والآثار ، أنه بعث صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر عشراً ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة ، صلى الله عليه وسلم

أبو بكر : سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام .

عمر بن الخطاب : عشر سنين وستة أشهر وأربع ليَالٍ .

عثمان بن عفان : اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام .

على بن أبى طالب : أربع سنين وتسعة أشهر وثمان ليَال .

الحسن بن على : ستة أشهر وعشرة أيام .

معاوية بن أبى سفيان : تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوما .

يزيد بن معاوية : ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليَالٍ .

معاوية بن يزيد : شهراً واحداً وأحد عشر يوماً .

مروان بن الحكم : ثمانية أشهر وخمسة أيام .

عبد الملك بن مروان : إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً .

الوليد بن عبد الملك : تسع سنين وثمانية أشهر ويومين .

سليمان بن عبد الملك : سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام .

(١) فى ب « البتانى » .

Marfat.com

عمر بن عبد العزيز : سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام .

يزيد بن عبد الملك : أربع سنين وشهراً ويومين

هشام بن عبد الملك : تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة.

الوليد بن يزيد : سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما.

يزيد بن الوليد : خمسة أشهر وليلتين .

مروان بن محمد : خمس سنين وعشرة أيام.

عبد الله بن محمد السفاح : أربع سنين وتسعة أشهر .

المنصور : اثنتين وعشرين سنة إلا تسع ليَال .

المهدى : عشر سنين وشهراً وخمسة عشر يوماً .

الهادى : سنة وثلاثة أشهر .

الرشيد : ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر .

الأمين : أربع سنين وستة أشهر .

المأمون : إحدى وعشرين سنة سَوَاء .

المعتصم : ثمان سنين وثمانية أشهر .

الواثق : خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

المتوكل : أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليَال

المنتصر : ستة أشهر .

المستعين : ثلاث سنين وثمانية أشهر .

المعتز : أربع سنين وستة أشهر .

المهتدى : أحد عشر شهراً .

المعتمد : ثلاثاً وعشرين سنة .

المعتضد : تسع سنين وتسعة أشهر ويومين .

المكتفى : ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما.

Marfat.com

المقتدر : أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً .

القاهر : سنة وستة أشهر وستة أيام .

الراضى : ست سنين وأحد عشر شهراً وثمانية أيام .

المتقى : ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وثلاثا وعشرين يوما .

المستكفى : سنة وثلاثة أشهر .

المطيع إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة : سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما .

ونحن نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة فى العمر ، لنزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم ، وما يكون فى المستقبل من دولتهم[1] .

فهذا جمل التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقد أوردنا فى الكتاب ما ذكر الفريقان جميعا ، لكى لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ، إن شاء الله تعالى .

مبدأ الأخذ بتاريخ الهجرة

والتاريخ من المولد إلى هذا الوقت معلوم ، ومن المبعث إلى الوفاة معروف غير مجهول ، ولا يتعذّرُ تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب ، إلا أن مُعَوّلَ الناس أن بَدْء التاريخ من الهجرة ، على حسب ما بينا فيما سلف من كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث أُمورٍ وجب تدوينها ، وما قاله الناس من كل فريق منهم ، وأخذه بقول على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن يؤرخ بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتركه أرض الشرك ، وأن ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة ، على حسب التنازع فى ذلك ، والله أعلم .

(١) فى ا « من دولهم » .

Marfat.com

ذكر تسمية من حج بالناس من أول الإسلام

إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

أول من حج بالناس نيابة عن الرسول

قال المسعودي : فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر رمضان، سنة ثمان من الهجرة ، ورجع إلى المدينة ، واستعمل عَتّابَ بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة ، فحج بالناس سنة ثمان ، وقيل : بل حج الناس أوْزَاعاً ليس عليهم أحد .

ثم حج أبو بكر

ثم كانت سنة تسع ، فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حين خرج من المدينة مع ثلثمائة[1] ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [معه] عشرين بَدَنَةً ، ثم أرسل على أثره علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فأدركه بالعَرْجِ ومعه سورة براءة ، فأذّنَ بها يوم النحر عند العقبة ، وأقام أبو بكر الحجَّ ؛ وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ، ويوم عرفة بعرفة ، ويوم النحر بمنى .

حجة الوداع

ثم كانت سنة عشر ، فحج بالناس سيد المرسلين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم [وفي هذه السنة توفي] .

أيام الخلفاء الراشدين

ثم كانت سنة إحدى عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
ثم كانت سنة اثنتي عشرة ، فحج بالناس أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه.
ثم كانت سنة ثلاث عشرة ، فحج بالناس عبد الرحمن بن عَوْف رضي الله عنه.
ثم كانت سنة أربع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
ثم كانت سنة خمس عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب[2] ، ثم كانت

---

(١) في ا « في ثلثمائة » .
(٢) بياض هنا في ب .

Marfat.com

ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة سبع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب [ثم كانت سنة تسع عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب](١) ، ثم كانت سنة عشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة ثلاث وعشرين ، فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم قتل رضى الله عنه آخر ذى الحجة .

ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف .

ثم كانت سنة خمس وعشرين ، فحج بالناس عثمان بن عفان ،إلى سنة أربع وثلاثين .

ثم كانت سنة خمس وثلاثين ، فحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان ، وهو محصور .

ثم كانت سنة ست وثلاثين ، فحج بالناس عبد الله بن عباس .

ثم كانت سنة سبع وثلاثين ، بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن العباس ، وبعث معاوية بن أبى سفيان يزيدبن شجرة(٢) الرهاوى ، فاجتمعا بمكة ، وتنازعا الإمارة ولم يُسَلِّم أحدهما لصاحبه ، فاصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان [بن أبى طلحة بن عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار صاحب البيت] الجحى(٣) ، ففعل ذلك .

ثم كانت سنة ثمان وثلاثين فحج بالناس قُثَمُ بن عباس نائب مكة

ثم كانت سنة تسع وثلاثين فحج بالناس شيبة بن عثمان .

---

(١) لم يذكر فى ب سنة تسع عشرة .

(٢) فى نسخة « سمرة » ولم يذكر فى ب « يزيد بن » .

(٣) فى نسخة « الحجبى » .

Marfat.com

ثم كانت سنة أربعين والتنازع بين معاوية والحسن بن على فى الخلافة، فحج بالناس المغيرةُ بن شعبة عن كتابٍ ، يقال : إنه افتعله عن معاوية .

في زمن بني أمية

ثم كانت [سنة] إحدى وأربعين فحج بالناس عُتْبَةُ بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ، فحج بالناس عُتْبَةُ بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة ثلاث وأربعين فحج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ، ثم كانت سنة خمسين حج بالناس يزيد بن معاوية ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين فحج بالناس معاوية بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ، حج بالناس سعيد بن العاص عامين ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ، حج الناس مروان بن الحكم ، ثم كانت [سنة] خمس وخمسين ، حج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة ست وخمسين فحج بالناس عتبة بن أبى سفيان ، ثم كانت سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ، حج بالناس عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد ابن العاص ، ثم كانت سنة إحدى وستين ، حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة اثنتين وستين ، حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ، حج بالناس عبد الله بن الزبير ، إلى سنة إحدى وسبعين ، ثم كانت سنة اثنتين وسبعين فحج بالناس الحجاجُ بن يوسف فأتوا مِنًى ولم يطوفوا بالبيت العتيق ، ثم كانت سنة ثلاث وسبعين فحج بالناس الحجاجُ أيضاً ، وقتل عبد الله بن الزبير ، ثم كانت سنة أربع وسبعين

Marfat.com

فحج بالناس الحجاج بن يوسف، ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك ابن مروان ، ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس إلى سنة ثمانين أبَانُ ابن عثمان بن عفان ، ثم كانت سنة إحدى وثمانين حج بالناس سليمان ابن عبد الملك بن مروان ، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبَانُ ابن عثمان بن عفان ، ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس إلى سنة خمس وثمانين هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباسُ بن الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة إحدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك [وقيل : بل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك] ، ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مَسْلَمَة بن عبد الملك ، ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس [بشر بن] الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حَزْم، ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حَزْم ، ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضاً ، ثم كانت سنة إحدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ، ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ، ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير بن سبيع بن عوف ابن نصر بن معاوية النَّصْرِىُّ ، ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ،

Marfat.com

ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك، ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس إبراهيم بن هشام المخزومي، إلى سنة اثنتي عشرة ومائة. ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك. ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن العاص بن أمية، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام ابن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة، ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وهو ولي عهد، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وقيل: مَسْلَمة بن عبد الملك، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مَسْلَمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر، وقيل: بل مسلمة بن عبد الملك، ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل، إلى سنة أربع وعشرين ومائة، ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخي الحجاج بن يوسف، ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك، ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجيُّ من الأزد داعيةُ المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة، فكلّمه الناس حتى نزل عبدُ الواحد يصلي بالناس ويخرج إلى منزله، ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، ثم كانت سنة إحدى وثلاثين

Marfat.com

ومائة حج بالناس [الوليد بن] عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان بن محمد .

في عهد بني العباس

قال المسعودى : فهذا آخر ماحج بنو أمية ، ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فحج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن [عبد] المطلب ، ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبيد الله بن عبد الله ابن عبد المدَان الحارثى ، ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وفيها بويع لأبى جعفر المنصور ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ، ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ، ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة إحدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن على ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس إسماعيل بن على ، ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور[1] ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة فحج بالناس السَّرِىُّ بن عبد الله بن الحارث [بن العباس بن عبد المطلب] ، ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس ، ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور[ثم كانت سنة ثمان وأربعين ومائة فحج بالناس جعفر بن أبي جعفر

(١) سقط من ب « أبو جعفر المنصور » وذكر فى السنة التى قبلها خطأ

Marfat.com

المنصور] وقيل : محمد بن إبراهيم الإمام ، وقيل : بل المنصور ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على ، ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد ابن على ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدى محمد بن عبد الله [المنصور] بن محمد بن على ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن على ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى أيضاً ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهير[1] بن يزيد بن مثوب الحميرى ، ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس [المهدى محمد بن المنصور ، ثم كانت سنة إحدى وستين ومائة فحج بالناس][2] الهادى موسى بن المهدى ، وهو ولى عهد ، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن [محمد بن][2] المهدى ، ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ، ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضاً ، ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن على ، ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة

(١) فى ب « بن شهر »

(٢) زيادة ليست فى ب

Marfat.com

حج بالناس على بن محمد المهدى ، ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبى جعفر المنصور ، ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة إحدى وسبعين ومائة حج بالناس [يعقوب بن المنصور ، ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة فحج بالناس] عبدالصمد بن على ، ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد : خرج محرما من عسكره إلى مكة ، ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هارون الرشيد إلى سنة تسع وسبعين[1] ومائة ، ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة إحدى وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ، ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة ، حج بالناس العباس بن موسى المهدى ، ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس إبراهيم بن المهدى ، ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس المنصور بن المهدى ، ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن محمد بن على ، وقيل : منصور بن المهدى ، ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هارون الرشيد، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس ابن موسى بن عيسى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد[2] ، ثم كانت سنة إحدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبدالله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور، ثم كانت سنة اثنتين وتسعين

(١) كذا فى ب ، وفى ا « ثم كانت سنة خمس وسبعين ومائة فحج بالناس سليمان ابن أبى جعفر المنصور ، ثم كانت سنة ست وسبعين ومائة ، فحج بالناس هارون الرشيد ، ثم كانت سنه سبع وسبعين ومائة ، فحج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد ابن على، ثم كانت سنه ثمان وسبعين ومائة، فحج بالناس هارون الرشيد، ثم كانت سنه تسع وسبعين ومائة فحج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن على »

(٢) كذا فى ا ، وفى ب « على بن الرشيد »

Marfat.com

حج بالناس العباس بن عبد الله أيضاً ، ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ، ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ، ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى ، إلى ثمان وتسعين ، ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ، ووثب ابنُ الأفطَسِ العلوىُّ بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ، وخرج الناس فوقفوا بغير إمام ، فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم [ابن] الأفطَسِ فأقام لهم باقى حجتهم ، ثم كانت سنة مائتين حج بالناس أبو إسحاق المعتصم ، ثم كانت سنة إحدى ومائتين حج بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن على ، ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو أول طالبى أقام للناس الحج فى الإسلام ، على أنه أقامه متغلباً عليه ، لا مُوَلّى من قبل خليفة ، وكان ممن سَعَى فى الأرض بالفساد ، وقتل أصحاب إبراهيم بن عبيد الله الحجبى[1] وغيره فى المسجد الحرام ، ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى وغيره من أهل العبادة ، ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس عبد الله بن جعفر بن سليمان بن على ، ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن بن عبد الله [ابن العباس بن على بن أبى طالب ، من قبل المأمون ، وهو واليه على الحرمين] ، ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضاً ، ثم كانت سنة ست وسبع[2] ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ، ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ، ومعه زبيدة ، إلى سنة عشر

(١) فى ا « الجحى »
(٢) فى ا أن الذى حج فى سنه ست ومائتين هو عبيد الله بن الحسن أيضاً

Marfat.com

ومائتين ، ثم كانت سنة إحدى عشرة ومائتين حج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن على ، ثم كانت سنة اثنتى عشرة ومائتين حج بالناس المأمون[١] ، ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ، ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس إسحاق بن العباس ابن محمد بن على ، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله ابن عبيد الله أيضاً ، ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس عبدالله ابن عبيد الله أيضاً ، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن سليمان بن على ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس سليمان أيضاً ، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح ابن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضاً صالح بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ثم كذلك إلى سنة ست وعشرين ومائتين ، ثم كانت سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر [بن المتوكل] ، ومعه جدته شجاع ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس على بن موسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين إلى سنة إحدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبدالله ابن عباس ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة

(١) فى ا أن الذى حج سنة إحدى عشرة ومائتين صالح بن العباس ، والذى حج بالناس سنة اثنى عشرة ومائتين هو عبد الله بن عبيد الله بن العباس .

Marfat.com

أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله ، ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ، ويلقب بشاشات[1] ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فوقف بالناس إسماعيل بن يوسف العلوى المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب ، وبطَلَ الحج إلا يسيراً ؛ لأن إسماعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفَةَ فى جموعه ، فقتل من المسلمين خلقاً عظيماً حتى زعموا أنه كان يسمع بالليل تلبية القتلى ، وكان شأنه فى الفساد عظيماً ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد [بن أحمد][2] بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان [بن عبد الله][2] الزينبى ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن على ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن أيضاً ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد ابن على ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس إبراهيم ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن بريّة[3] ، ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بريّة[3] أيضاً ، ثم كانت سنة إحدى

---

(١) فى ب « يلقب بسليمان » محرفا (٢) هذا الاسم لا يوجد فى ا

(٣) فى ب « بن بويه »

Marfat.com

وستين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة حجة[1] متوالية هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس إلى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى ، ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هارون بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ، ولم يزل يحج بالناس كل سنة إلى سنة خمس وثلثمائة ، ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس ابن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب[2] أم المقتدر بالله ، ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس إلى سنة إحدى عشرة وثلثمائة إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ، وكذلك سنة[3] أربع عشر وثلثمائة ، ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن سليمان بن محمد

(١) في ب « خمس عشرة سنة متوالية » (٢) في ب «شعب» بالعين مهملة

(٣) في ب أن الذي حج في سنة ٣١٤ هو عبد الله بن سليمان ، وجعل الذي حج في سنة ٣١٥ عبد الله بن عبيد الله بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق ، فجعل الاسم الواحد اثنين

Marfat.com

الأكبر عبد الله بن عبيد الله بن محمد المعروف بأبى أحمد الأزرق خليفةً للحسن بن عبد العزيز العباسى ، ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الأزرق أيضاً ، ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فدخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة ، وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبُ أبيه لإقامة الحج خليفةً لأبيه ، فكان من أمر الناس ما كان فيما قدَّمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ولم يتم حج فى موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرَامِطَة لعنهم الله إلا لقوم يسير غزوا[1] ، وأقيم حجهم دون إمام ، وكانوا رَجَّالة ، ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة فحج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى خليفةً لأبيه الحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن على بن سليمان خليفةً للحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفةً لأبيه أيضاً ، ولم يزل يحج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت ، وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وإليه قضاء مصر وغيرها .

المؤلف يختم كتابه بذكر صنيعه

قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى رحمه الله : قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعاً من الأخبار ، وفنوناً من العلم من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها ، وأخبار الأرض والبحار ، وما فيها من العجائب والآثار ، وما اتصل بذلك ، ليستدل به على ما سلف من كتبنا ، ومدخلاً إلى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدَّمنا ذكره ، ولم نترك نوعاً من العلوم ، ولا فنّاً من الأخبار ، ولا طريفاً من الآثار ، إلا أوردناه فى هذا الكتاب مُفَصَّلا ، أو ذكرناه مجملا ، أو أشرنا إليه بضرب

(١) فى ب « غدروا فتم حجهم »

Marfat.com

من الإشارات ، أو لوّحنا إليه بفحوى من العبارات ، من أخبار العجم والعرب والكوائن والأحداث فى سائر الأمم ، فمن حرّف شيئاً من معنى هذا الكتاب ، أو أزال ركناً من مَبْناه[1] ، أو طمس واضحة من معانيه[2] ، أو لبّس شاهرة من تراجمه ، أو غيّره ، أو بدّله ، أو انتحله[3] ، أو اختصره ، أو نسبه إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، أو أسقط منه ذكرنا ، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته[4] وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صَبْرُه ، ويَحار له فكره ، وجعله الله مُثْلَةً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض ، من أىّ الملل كان أو الآراء ، إنه على كل شىء قدير ، وقد جعلنا هذا التخويف فى أول كتابنا هذا وآخره ، وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ، ونظمناهُ من تأليفنا ، فليراقب امرؤ ربه ، وليحاذر منقلبه ؛ فالمدة يسيرة ، والمسافة قصيرة ، وإلى الله المصير .

تخويف المؤلف لمن يغير فى كتابه

معذرة المؤلف

وقد قدّمنا الاعتذار فيما سلف[5] من هذا الكتاب من سَهْوٍ إن عَرَضَ ، أو تصحيف أو تغيير من الكاتب إن وقع ، ولما قد دُفِعْنَا إليه ، من الأسفار المتواترة ، والحركة المتصلة : تارة مُشَرِّقين ، وتارة مغربين ، وطوراً متيامنين ، وطوراً متشائمين ، وما يلحقنا من سهو الإنسانية ، ويصحبنا من عجز البشرية ، عن بلوغ الغاية ، وتَقَصّى النهاية ، ولو كان لا يؤلف كتاباً إلا مَنْ حَوَى جميع العلوم إذاً ما ألف أحد كتاباً ، ولا تأتى له تصنيف ؛ لأن الله عز وجل يقول : (وَفَوْقَ كلّ

---

(١) فى ا « مبتناه »
(٢) فى ا « من معالمه »
(٣) فى ا « أو انتخبه »
(٤) فى ا « وسرعة نقمه »
(٥) فى ا « فى مواضع مما سلف »

Marfat.com

ذِى عِلْمٍ عَلِيم) جعلنا الله ممن يُؤْثِر طاعته ، وَيُوَفَّقُ لرشده ، ونسأله أن يمحو بخير شرًّا ، ويجد هَزْلاً ، ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ، ويتغمدنا بفَضْله ، إنه جَوَاد مَنَّان ، لا إلهَ إلا هو رب العرش العظيم [وصلى الله على سيد الأنام محمدٍ وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما](١) .

* * *

قال أبو أحمد ، وهو محمد محيي الدين : قد انتهيتُ بحمد الله تعالى من مراجعة أصول هذا الكتاب ، وترقيمه ، وضبط غريبه ، والتعليق عليه . وقد بالغت فى تجويده وتيسيره — بحسب طاقتى ، وما وسعه جهدى ومعرفتى — فإن كنت قد بلغت الغاية التى يرجوها المحقِّقُ فذلك توفيق الله وهدايته ، وإن تكن الأخرى فبحسبي أنى اجتهدت ، وإنى لأثنى هنا على عمال مطبعة السعادة ، وعلى رأسهم الشاب النابه على أفندى بن محمد إسماعيل مديرها ، الذين أسْهَمُوا فى تجويد هذا الكتاب واحتملوا فى سبيله من الجهد والمصاعب ما يستحقون عليه جزيل الشكر .

والله تعالى المسئول أن يجعل أحسن أعمالنا خواتمها ، وأن يحشرنا وآباءنا وذريتنا وإخواننا فى الله يوم القيامة مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً آمين ؟

(١) ليست فى ب .

Marfat.com

فهرس الموضوعات الواردة فى الجزء الرابع من كتاب

« مروج الذهب ، ومعادن الجوهر »

لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى

Marfat.com

ص	الموضوع
٤	ذكر خلافة المأمون
٤	مجمل تاريخه
٥	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
٥	الفضل بن سهل ، وبقية وزراء المأمون
٥	موت علي بن موسى الرضا العلوى بطوس
٥	إبراهيم بن المهدى (ابن شكلة) والمأمون يتلاحيان على التشيع والتسنن
٥	أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى والمأمون يستنشده بعض شعره
٧	بعض حكم المأمون
٧	المأمون يحضر إملاك بعض أهل بيته ، وخطبته في شأن ذلك
٨	يحيى بن أكثم وثمامة بن أشرس في حضرة المأمون ، وحديث لهما في أن الحق واحد أو متعدد بتعدد أهل النظر
٩	وفد الكوفة بين يدى المأمون
٩	المأمون والزنادقه من المانوية ، وحديث طفيلي دس نفسه بينهم
١٠	إبراهيم بن المهدى يسأل المأمون أن يعفو عن الطفيلي في مقابل أن يقص عليه قصة تطفيله ذات يوم ، والمأمون يتخذ ذلك الطفيلي نديما
١٤	العتابي ويحيى بن أكثم على باب المأمون
١٤	إسحاق الموصلي والعتابي ، وقد أغرى المأمون إسحاق على العبث بالعتابي
١٥	بعض أخبار العتابي
١٧	أبو العتاهية والمأمون
١٧	المأمون وبعض خواصه يتلهون
١٨	المأمون يحدث عن ثلاثة أجوبة أعيته
١٩	كان المأمون يناظر الفقهاء أنصف مناظرة
٢٠	بعض الخوارج يناظر المأمون في خلافته على الناس
٢١	ترجمة يحيى بن أكثم قاضي البصرة
٢٣	وفاة الإمام الشافعي محمد بن إدريس
٢٤	وفاة أبي داود الطيالسي
٢٤	وفاة هشام بن محمد الكلبي
٢٤	المأمون يؤتى بين يديه برجل موثق يدعى النبوة ، ويناظره
٢٥	المأمون ورجل يدعى بين يديه أنه إبراهيم الخليل
٢٦	بعض من خرج من العلويين وغيرهم على المأمون
٢٨	على بن موسى الرضا وبيعة المأمون له بالخلافة من بعده
٢٨	بنو العباس يغضبون، لمبايعة المأمون على بن موسى الرضا ، فيقررون بينهم خلع المأمون
٢٨	مقتل الفضل بن سهل

Marfat.com

ص	الموضوع
٢٨	وفاة على بن موسى الرضا
٢٩	من شأن إبراهيم بن المهدى
٢٩	خروج بابك الخرمى
٣٠	زواج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، ومقدار ما ما أنفقه الحسن بن سهل فى ذلك الإملاك
٣١	إبراهيم بن المهدى وحجام يؤويه فى بعض أيام اختفائه من المأمون
٣٣	موت يزيد بن هارون بواسط
٣٣	موت جماعة من العلماء : جرير ابن حزمة ، وشبية بن سوار ، والحجاج بن محمد الأعور ، وعبد الله بن نافع ، ووهب بن جرير ، ومؤمل بن إسماعيل ، وروح بن عبادة ، والهيثم ابن عدى
٣٣	موت الواقدى : محمد بن عمر بن واقد ، وحديث له فى الإيثار مع صديقين له
٣٤	موت يحيى بن الحسين بن زيد ابن على بن الحسين
٣٤	موت أزهر السمان ، وصلته بأبى جعفر المنصور ، وحديث عنه و كثرة تردده على المنصور
٣٥	مقتل ابن عائشة : إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ، العباسى
٣٥	المأمون ورجل من ولد العباس ابن على بن أبى طالب

ص	الموضوع
٣٦	موت أبى عبيدة معمر بن المثنى النحوى
٣٧	موت أبى العتاهية ، وبعض المختار من شعره
٣٩	زيادة علماء العروض على ما استنبطه الخليل بن أحمد من أوزان الشعر العربى
٤٠	أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء الكاتب
٤٠	المأمون يعلن سب معاوية بن أبى سفيان ، ويأمر به ، ثم يبدو له فيرجع عنه
٤١	موت جماعة من العلماء : أبى عاصم النبيل ، ومحمد بن يوسف الفاريابى ، وهوذة بن خليفة ، ومحمد بن عبد الله بن المثنى ، وإسحاق بن الطباع ، ومعاوية بن عمرو
٤٢	دخول المأمون مصر ، وقتله عبدوسا المتغلب عليها
٤٢	غزو المأمون بلاد الروم ، ومحاولة ملك الروم أن يرده عن بلاده بشق المغريات
٤٣	أول مرض المأمون
٤٥	موت المأمون . وما قيل فيه
٤٥	أبيات كان المأمون كثيراً ما ينشدها
٤٦	ذكر خلافة المعتصم
٤٠	مجمل تاريخه

Marfat.com

ص	الموضوع
٤٧	ذكر جمل من أخباره وسيره
٤٧	محمد بن عبد الملك الزيات
٤٧	حب المعتصم للعمارة
٤٧	قوة المعتصم وبأسه
٤٨	كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الإسكافى ، وحدث عنه
٥١	مر المعتصم بشيخ ضعيف قد زلق حماره ورمى بما حمله عليه ، وأعانه
٥١	موت جماعة من العلماء
٥٢	محمد بن القاسم العلوى
٥٢	ذكر بعض الفرق المهدوية
٥٣	اصطناع المعتصم للأتراك
٥٣	القاطول ، وقصر المعتصم عنده
٥٤	بناء سامرا (سر من رأى)
٥٥	بابك الخرمى
٥٩	زواج الحسين بن الأفشين بن ترجة بنت أشناس
٥٩	حرب المعتصم والروم
٦٠	فتح عمورية
٦٠	خروج العباس بن المأمون
٦١	الإيقاع بالأفشين
٦١	موت الأفشين ، وصلبه
٦٢	موت أبى دلف العجلى
٦٢	العداوة بين أبى دلف وابنه دلف
٦٣	موت جماعة من العلماء
٦٣	وفاة المعتصم
٦٥	ذكر خلافة الواثق

ص	الموضوع
٦٥	مجمل تاريخه
٦٦	ذكر لمع من أخباره وسيره
٦٦	صفات الواثق
٦٦	أعرابى يذكر لأبى تمام رأيه فى الواثق ورجال دولته
٦٨	أبو تمام الطائى ، وبعض خبره
٦٩	مقارنة بين أبى تمام والبحترى
٧٤	الحكمة ضالة العاقل ، يطلبها ممن يعرفها
٧٤	حماسة أبى تمام
٧٤	أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى
٧٥	رثاء أبى تمام للحسن بن وهب
٧٥	من شعر الحسن بن وهب
٧٦	موت على بن الجعد
٧٦	مقتل أحمد بن نصر الخزاعى
٧٦	جلس الواثق للشراب ، وطلب إلى جلسائه أن يقترحوا ما يختارونه من النقل ، فاختلفوا
٧٧	أبو جعفر العلوى
٧٧	عبد الله بن طاهر
٧٧	حوار بين الواثق وجلسائه فى التطبيب
٧٨	مبادىء التجربة
٨٠	آلات الغذاء وتفصيل الأسنان وأنواعها
٨١	حنين بن إسحاق يؤلف كتابا فى الطب للواثق
٨٢	الكلام على البيئة الطبيعية
٨٣	كلام ديوجانس على قبر الإسكندر ، ونظم أبى العتاهية له فى شعره
٨٤	مرض الواثق ووفاته

Marfat.com

ص	الموضوع
٨٥	ذكر خلافة المتوكل على الله
٨٥	مجمل تاريخه
٨٦	ذكر جمل من أخباره ، ولمع مما كان فى أيامه
٨٦	أمر المتوكل بترك الجدال والمباحثات
٨٦	كانت أيامه أنضر الأيام وأحسنها
٨٦	الفتح بن خاقان
٨٧	أحدث بناء سماه الحيرى
٨٧	بيعة المتوكل لأبنائه ، وما قيل فى ذلك من الشعر
٨٨	محمد بن عبد الملك الزيات
٨٨	بقية وزراء المتوكل
٨٩	المبرد وبعض المجانين
٩١	البحترى عند المتوكل يمدحه
٩٢	أبو العنبس يهجو البحترى أمام المتوكل
٩٢	حمار أبى العنبس الذى عشق أتانا فمات من عشقه
٩٤	وفاة محمد بن سماعة القاضى الحنفى
٩٥	موت جماعة من العلماء
٩٥	رجل سندى يحبس لقتله رجلا كان يشركه فى الفسق ، فيرى المتوكل رؤيا يخرجه بعدها من الحبس
٩٦	المتوكل يرضى عن يحيى بن أكثم ويغضب على ابن أبى دؤاد
٩٧	وفاة ابن أبى دؤاد
٩٧	المعتصم يصطبح يوما مع ندمائه بالجوسق
٩٩	المتوكل وجماعة من الملاحين يطبخون فيشتهى طعامهم فيأكل منه
٩٩	الجاحظ يذكر للمتوكل ليؤدب ولده فإذا رآه استبشعه ، فيأمر له بعطية ويصرفه
١٠٠	بعض قصص العشاق الذين قتلوا أنفسهم
١٠٠	رجل يرفع إلى يزيد بن عبد الملك أنه يريد أن يسمع بعض جواريه تغنى فيجيبه إلى ذلك ، فإذا سمعها قتل نفسه
١٠٢	غضب المتوكل على عمر الرخجى
١٠٢	هدية من الموبذان إلى المتوكل
١٠٢	وفاة أحمد بن حنبل
١٠٣	انقضاض الكواكب فى عهد المتوكل
١٠٣	وفاة جماعة من العلماء
١٠٦	إبراهيم بن العباس الصولى الكاتب ، وشىء من شعره
١٠٩	العباس بن الأحنف الشاعر
١١١	أبو ثور إبراهيم بن مخلد الكلبى
١١١	نفى المتوكل على بن الجهم ، وذكر ما قيل فى نسبه ، ومختار من شعره
١١٤	رثى أبو صاعد على بن الجهم
١١٥	تآمر الأتراك على قتل المتوكل
١١٧	تدبير مقتل المتوكل
١١٨	وفاة شجاع أم المتوكل
١١٩	تنفيذ مؤامرة الأتراك
١٢٢	نفقات المتوكل
١٢٣	محمد بن المغيث ، وعفو المتوكل عنه
١٢٤	رثاء الشعراء للمتوكل
١٢٤	محبوبة جارية المتوكل
١٢٧	وفاة جماعة من العلماء

Marfat.com

ص	الموضوع
١٢٩	ذكر خلافة المنتصر بالله
١٢٩	مجمل تاريخه
١٣٠	ذكر جمل من أخباره ، ولمع مما كان فى أيامه
١٣٠	الموضع الذى قتل فيه المتوكل
١٣١	طرب المنتصر ، وشعره
١٣٢	أحمد بن الخصيب أحد وزراء المنتصر
١٣٢	الوزير حامد بن العباس أحد وزراء المقتدر
١٣٣	عود إلى الحديث عن أحمد بن الخصيب وزير المنتصر بالله
١٣٣	موت المنتصر وقبره
١٣٣	مرض المنتصر وأسبابه
١٣٤	خلق المنتصر
١٣٥	خلق وزيره أحمد بن الخصيب
١٣٥	المنتصر بالله وآل أبى طالب
١٣٦	بيعة المتوكل لأولاده ، وما قيل فيها من الشعر
١٣٧	الخوارج الذين خرجوا على المنتصر بالله
١٣٧	حديث آخر عن خلق المنتصر بالله
١٣٩	حديث عن العشق فى مجلس المنتصر
١٤٤	ذكر خلافة المستعين بالله
١٤٤	مجمل تاريخه
١٤٥	ذكر جمل من أخباره ، ولمع مما كان فى أيامه
١٤٥	وزراء المستعين بالله
١٤٥	سعيد بن حميد (ترجمته ، وذكر مختار من شعره)
١٤٧	أبو على البصير (ترجمته ، وذكر مختار من شعره)
١٤٧	ظهور يحيى بن عمر العلوى ، ومقتله ، وما قيل فى رثائه
١٥٣	ظهور الحسن بن زيد العلوى ، بطبرستان ، وتفصيل حديثه
١٥٣	ظهور محمد بن جعفر العلوى بالرى
١٥٤	ظهور أحمد بن عيسى العلوى
١٥٤	ظهور الحسن بن إسماعيل الكركى العلوى ، بقزوين
١٥٤	ظهور الحسين بن محمد بن حمزة العلوى بالكوفة
١٥٤	المستعين يهم أن يقدلابنه وهوصبى
١٥٥	معرفة المستعين ، وعلمه بالأخبار
١٥٦	حديث للمستعين مع أبى البيضاء فى شأن عروة بن حزام العذرى
١٥٨	بعض أحاديث عن العشاق والمحبين
١٦٠	وفاة بغا الكبير التركى ، وبعض الأحاديث عنه
١٦٢	اضطراب الأتراك والفراغنة
١٦٢	عزل المستعين وتولية المعتز وأحاديث فى هذا الشأن
١٦٦	ذكر خلافة المعتز بالله
١٦٦	مجمل تاريخه
١٦٧	ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه
١٦٧	ما قيل فى خلع المستعين

Marfat.com

ص	الموضوع
١٦٧	وفاة جماعة من العلماء
١٦٨	قصة فص من الياقوت الأحمر تداوله كثير من الملوك
١٦٩	بعض ما قيل فى رجوع الأمر إلى المعتز من الشعر
١٦٩	وزراء المعتز
١٦٩	وفاة على بن محمد بن موسى بن جعفر ، العلوى ، وبعض أحاديث عنه
١٧٢	وفاة محمد بن عبد الله بن طاهر
١٧٢	مانى الموسوس ينادم محمد بن عبد الله بن طاهر
١٧٦	المعتز والمؤيد
١٧٦	جماع الحوادث فى عهد المعتز
١٧٨	مقتل المعتز
١٧٨	رثاء المعتز
١٨٠	أحدث المعتز الركوب بحلية الذهب
١٨٠	أحدث المستعين قبله الأكمام الواسعة
١٨٠	الخوارج على المعتز
١٨٠	بعض قتلى آل أبى طالب
١٨٢	ذكر خلافة المهتدى بالله
١٨٢	مجمل تاريخه
١٨٣	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
١٨٣	وزراء المهتدى
١٨٣	حمل المهتدى الناس على الجادة
١٨٣	كيفية قتل المعتز
١٨٤	موسى بن بغا والمهتدى
١٨٦	كيف قتل المهتدى ؟
١٨٦	تألم القوم بعد قتل المهتدى
١٨٧	سبب حنق الأتراك على المهتدى
١٨٧	أحمد بن المدبر والى خراج فلسطين
١٨٩	بعض أعمال المهتدى المحمودة
١٩١	سبب عدول المهتدى عن القول بخلق القرآن
١٩٣	جواب المهتدى وقد سأله بعض الناس عن السبب فى حب الناس للدنيا
١٩٤	خروج صاحب الزنج ، وعقيدته
١٩٥	الجاحظ ، وكتبه ، ومنزلتها
١٩٦	يموت بن المزرع (ترجمته ، وبعض شعره)
١٩٨	خلافة المعتمد على الله
١٩٨	مجمل تاريخه
١٩٩	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
١٩٩	وزراء المعتمد
١٩٩	وفاة الحسن بن محمد العلوى ، وذكر رأى القطعية من المعتزلة فى الإمامة
٢٠٠	خروج يعقوب الصفار
٢٠٢	سياسة الصفار ، وأثرها فى أتباعه
٢٠٦	وفاة موسى بن بغا
٢٠٦	موت المزنى
٢٠٦	موت ابن وهب ، وابن عبد الأعلى ، ويزيد بن سنان
٢٠٧	الموفق وصاحب الزنج ، وبعض أخبار عن الزنج

Marfat.com

ص	الموضوع
٢٠٩	صاعد بن مخلد ، يوجهه الموفق لحرب الصفار
٢٠٩	موت جارية لصاعد بن مخلد كانت الغالبة على أمره
٢٠٩	ثروة صاعد بن مخلد
٢٠٩	وفاة داود بن على الأصبهانى ، الفقيه (الظاهرى)
٢١٠	وفاة أحمد بن طولون
٢١٠	الموفق وأبو الجيش خمارويه
٢١٠	وفاة الربيع المرادى
٢١٠	الشافعى ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة
٢١١	بيعة المعتمد لابنه
٢١١	استيلاء ابن طولون على دمشق وحمص وأنطاكية
٢١٣	يازمان الخادم ، مولى الفتح بن خاقان
٢١٤	وفاة عمرو بن عبيدالله ، الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمنى
٢١٤	معاوية وبطريق من بطارقة الروم
٢٢٠	شغف المعتمد بالطرب
٢٢٠	أول من اتخذ العود ، وسببه
٢٢٠	أول من اتخذ الطبول والمعازف
٢٢١	آلات الطرب التى للروم
٢٢١	آلات الطرب التى للهند
٢٢١	الحداء عند العرب ، وسببه
٢٢٢	أول من غنى من العرب
٢٢٢	فضل الغناء ، وأثره
٢٢٣	صفة المغنى
٢٢٣	أنواع الطرب

ص	الموضوع
٢٢٤	أنواع الغناء ، وفنونه
٢٢٥	الرقص ، وأنواعه ، وصفات الراقص
٢٢٧	وفاة الموفق
٢٢٩	المعتضد
٢٢٩	كيف قتل المعتضد ؟
٢٣١	ذكر خلافة المعتضد بالله
٢٣١	مجمل تاريخه
٢٣٢	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٢٣٢	حال المملكة فى عهده
٢٣٢	بعض خصاله
٢٣٣	قسوته
٢٣٣	رسول خمارويه إلى المعتضد ، وزواج المعتضد بنت خمارويه
٢٣٤	الحسين بن الجصاص
٢٣٥	أبو العيناء الشاعر
٢٣٧	هدايا عمرو بن الليث الصفار
٢٣٧	عيسى بن على بن ماهان والخوارج
٢٣٨	أهل البصرة يفدون على المعتضد فيشكون له جور الزمان ومحنه
٢٣٩	أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى
٢٤٠	خروج محمد بن أحمد بن عيسى على المعتضد ، وشأنه
٢٤٣	شأن رافع بن ليث وخروجه على المعتضد
٢٤٣	محمد بن الحسن بن سهل يدعو الناس إلى البيعة لأحد العلويين فيؤخذ ويقتل
٢٤٤	فتح المراغة بأذربيجان
٢٤٤	فتح عمان

Marfat.com

ص	الموضوع
٢٤٥	بدر بن المعتضد يتزوج بنت أبى الساج
٢٤٥	مسير إسماعيل بن أحمد إلى أرض الترك وقتاله أهلها
٢٤٦	الحرب بين وصيف الخادم وعمرو ابن عبد العزيز ببلاد الجبل
٢٤٦	شأن حمدان بن حمدون
٢٤٦	مقتل أبى الجيش خمارويه
٢٤٧	حكم الخصيان فى الشريعة الإسلامية
٢٤٧	دفن أبى الجيش خمارويه ببلاد مصر
٢٤٨	بعض أخبار المعتضد وحزمه
٢٤٨	ذكر حادثة تدل على مهارته فى التحقيق الجنائى
٢٥٢	المعتضد ورجل مهرج يقص على الناس نوادر ومضاحك
٢٥٤	حرب جيوش المعتضد مع هرون الشارى
٢٥٥	بعض أخبار عن المحتالين وطرقهم
٢٥٧	القول فى الكيمياء ، واختلاف الناس فى شأنها
٢٥٩	وفاة أبى عمرو الرعينى المالكى
٢٥٩	المعتضد يولى يوسف بن يعقوب قضاء دار السلام
٢٥٩	شأن أحمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى، ومصادرة أمواله، وقتله
٢٦٠	خيال يظهر للمعتضد فى صور مختلفة
٢٦١	صالح بن مدرك يخيف حجاج البيت ويخرج عليهم

ص	الموضوع
٢٦١	وفاة إبراهيم بن محمد الحربى المحدث الفقيه
٢٦٣	مفاضلة بين الفقراء والأغنياء
٢٦٤	وفاة أبى العباس محمد بن يزيد المبرد
٢٦٤	وفاة محمد بن يونس المحدث أبى العباس
٢٦٤	أبو سعيد الجنابى
٢٦٤	أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمى ، وصالح بن مدرك الطائى
٢٦٥	موت إسحاق العبدى
٢٦٦	مسير الداعى العلوى من طبرستان إلى جرجان
٢٦٧	طلب المعتضد وصيفا الخادم
٢٦٨	وفاة ابن أبى الساج
٢٦٩	وفاة وصيف الخادم ، وصلبه
٢٧٠	صلب أبى الفوارس
٢٧٠	أراجيف أهل بغداد فى صلب أبى الفوارس
٢٧٠	آل أبى طالب وشأن المعتضد معهم
٢٧١	تأخر الخراج ، فأنعم المعتضد على الناس ، فمدحه كثير من الشعراء
٢٧١	وصول بنت خمارويه إلى المعتضد ، وما قيل فيها من الشعر
٢٧٢	وفاة جماعة من العلماء
٢٧٣	وفاة المعتضد
٢٧٤	وصية المعتضد فى شأن دفنه ، وحالته عند الموت

Marfat.com

ص	الموضوع
٢٧٥	ذكر خلافة المكتفى بالله
٢٧٥	مجمل تاريخه
٢٧٦	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٢٧٦	أمر بهدم مطامير العذاب التى بناها أسلافه
٢٧٦	تغلب القاسم بن عبيد الله على شؤون الدولة كلها
٢٧٧	مقتل بدر بن خير أحد غلمان المتوكل ، وما قيل فيه من الشعر
١٧٨	ذكر سبب مقتل بدر غلام المتوكل
٢٧٨	منزلة بدر عند المعتضد
٢٧٩	جود المعتضد
٢٧٩	حديث عن منزلة بدر عند المعتضد
٢٨٠	ظهور القرامطة بالشام
٢٨٠	تركة المكتفى
٢٨١	شره المكتفى
٢٨١	قسوة وزير المكتفى القاسم بن عبيد الله
٢٨٢	مقتل عبد الواحد بن الموفق ، وحديث عنه
٢٨٣	ابن الرومى أحد صرعى القاسم ابن عبيد الله
٢٨٤	وفاة عبد الله بن أحمد بن حنبل
٢٨٤	وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب
٢٨٥	وفاة محمد بن محمد الجدوعى القاضى

ص	الموضوع
٢٨٥	وفاة أبى حازم
٢٨٦	تغلب ابن الخليجى على مصر
٢٨٦	وفاة موسى بن هرون البزار
٢٨٦	وفاة أبى مسلم الكجى
٢٨٦	حديث مستفيض عن ثعلب ، وعن ابن الرومى
٢٨٩	بعض شعر المكتفى بالله
٢٨٩	المكتفى يسمع بيتين لابن الرومى فى وصف نبيذ الدوشاب ، فيأمر بإعداد الطعام والشراب
٢٩٠	هدية أبى مضر زيادة الله بن عبد الله (ابن الأغلب)
٢٩٠	آل الأغلب بإفريقية
٢٩٢	ذكر خلافة المقتدر بالله
٢٩٢	مجمل تاريخه
٢٩٣	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٢٩٣	عبد الله بن المعتز ، وشعره
٢٩٦	وفاة محمد بن داود الإصفهانى الفقيه الظاهرى ، وشعره
٢٩٧	على بن محمد بن بسام (ترجمة)
٣٠٢	محمد بن بسام (ترجمة)
٣٠٤	وزارة ابن الفرات
٣٠٤	وزارة ابن خاقان
٣٠٥	وزارة ابن الجراح
٣٠٥	وزارة ابن الفرات ثانيا
٣٠٥	وزارة حامد بن العباس

Marfat.com

ص	الموضوع
٣٠٥	وزارة ابن الفرات ثالثاً
٣٠٥	جملة من وزراء المقتدر
٣٠٥	مقتل المقتدر
٣٠٦	وفاة جماعة من العلماء
٣٠٧	أخبار الطالبيين
٣٠٨	وفيات وحوادث مختلفة
٣١٢	ذكر خلافة القاهر بالله
٣١٢	مجمل تاريخه
٣١٣	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٣١٣	وزراء القاهر بالله
٣١٣	أخلاقه
٣١٣	استوصف القاهر محمد بن على العبدى الخراسانى خلفاء بنى العباس ،فوصفهم له
٣١٤	وصف السفاح
٣١٤	وصف المنصور
٣١٥	وصف المهدى
٣١٦	وصف الهادى
٣١٦	وصف الرشيد
٣١٧	وصف أم جعفر زبيدة ، والأمين ابنها
٣١٨	وصف المأمون
٣١٩	وصف المعتصم
٣١٩	وصف الواثق
٣١٩	وصف المتوكل
٣٢٠	وفاة ابن دريد ، أبى بكر محمد ابن الحسن

ص	الموضوع
٣٢٠	مقصورة ابن دريد
٣٢١	ذكر من عارض مقصورة ابن دريد
٣٢٢	ذكر خلافة الراضى بالله
٣٢٢	مجمل تاريخه
٣ ٣	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٣٢٣	وزراؤه
٣٢٣	شعره
٣٢٤	اتصال الصولى الكاتب بالمكتفى ، وسببه
٣٢٤	اللعب بالشطرنج ، وبعض أخباره
٣٢٦	بعض ما قيل فى الشطرنج من الشعر
٣٢٧	اللعب بالنرد
٣٢٧	بعض ما قيل فى لعب النرد من الشعر
٣٢٨	الراضى وتأدبه بما يسمع من خلال الملوك
٣٢٩	معاوية وقيس بن سعد وقد أرسل ملك الروم يطلب سراويل أجسم رجل فى العرب
٣٣٠	الطول فى العباس بن عبد المطلب وأبنائه
٣٣٢	حديث عن عجائب البلدان فى حضرة الراضى
٣٣٢	سمر العروضى ليلة عند الراضى فرآه قلقاً ، فسأله عما به ، فوعده إن سرى عنه أن يعطيه جميع ما عليه وتحته من لباس وفرش ، ففعل

Marfat.com

ص	الموضوع
٣٣٤	العلة فى لبس المأمون الأخضر، ثم رجوعه إلى لبس السواد
٣٣٥	الراضى ومطالبته القاهر بأمواله
٣٣٦	صفات الراضى
٣٣٧	بجكم التركى والراضى
٣٣٩	ذكر خلافة المتقى لله
٣٣٩	مجمل تاريخه
٣٤٠	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٣٤٠	وزراء المتقى لله
٣٤٠	البريديون بالبصرة
٣٤٣	المتقى يطلب رجلا أخباريا يستريح إليه فى خلواته
٣٤٣	قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد الداعى العلوى
٣٤٥	ذكر الخيل ، ووصف الجياد ، وبعض ما قيل فى ذلك من الشعر
٣٤٨	خيل الحلبة وأسماؤها ، وما قيل فيها من الشعر
٣٥٢	أبو القاسم نصر بن أحمد الخبزأرزى وشعره
٣٥٥	ذكر خلافة المستكفى بالله
٣٥٥	مجمل تاريخه
٣٥٦	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان فى أيامه
٣٥٦	البيعة له
٣٥٦	توزون يضم إلى المستكفى غلاما تركيا ليراقبه ويقوم بشؤونه فيضيق به المستكفى ، فيحتال لإبعاده

ص	الموضوع
٣٥٨	حديث بين المستكفى وجلسائه فى الخمر ، وصفاتها ، وذكر بعض ما قيل فيها من الشعر
٣٦١	المستكفى والفضل بن المقتدر بالله
٣٦٢	حديث للمستكفى وجلسائه فى وصف الأطعمة ، وما قيل فيها من الشعر ، وأمره بإعداد ما يمكن إعداده مما يذكرون أوصافه من أنواع الطعام
٣٦٢	وصف سلة سكارج كوامخ
٣٦٣	وصف سلة نوادر (بوارد)
٣٦٤	لابن الرومى فى وصف وسط
٣٦٥	لإسحاق الموصلى فى صفة سنبوسج
٣٦٦	لكشاجم فى صفة هليون
٣٦٧	للحافظ الدمشقى فى وصف أرزية
٣٦٧	لبعض الشعراء فى صفة هريسة
٣٦٨	لبعض الشعراء فى وصف المضيرة
٣٦٨	لكشاجم فى وصف جوذابة
٣٦٩	لبعض الشعراء فى وصف جوذابة
٣٦٩	لكشاجم فى صفة قطائف
٣٦٩	لأبى نواس فى صفة مجلس بباطرنجا
٣٧٢	ذكر خلافة المطيع لله
٣٧٢	مجمل تاريخه
٣٧٢	ذكر مقاتل بعض الطالبيين
٣٧٢	قيام أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بصعيد مصر
٣٧٣	ابن الرضا فى دمشق

Marfat.com

ص	الموضوع
٣٧٣	الأطروش بطبرستان والديلم وأخبار الديلم والجبل وما كان من أسفار بن شيرويه ومرداويج
٣٨٥	طريقة المؤلف فى تصنيف كتبه
٣٨٥	المؤلف يعد فى بتصنيف كتاب فى طرائف الآثار يجعله تاليا لهذا الكتاب
٣٨٥	المؤلف يذكر ما أودعه فى هذا الكتاب من أنواع المعارف
٣٨٧	ذكر جامع التاريخ من الهجرة إلى جمادى الأولى من سنة ٣٣٦ الهجرية فى أيام المطيع
٣٨٧	ذكر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (الخلفاء الراشدين)
٣٨٧	ذكر أيام بنى أمية
٣٨٩	ذكر أيام بنى مروان بن الحكم
٣٩٠	ذكر الخلفاء من بنى هاشم إلى الزمان المذكور فى أيام المطيع لله
٣٩٣	رواية أخرى فى الأزمنة من عهد الرسول إلى الزمن المذكور فى عهد المطيع لله
٣٩٦	ذكر تسمية من حج بالناس من سنة فتح مكة إلى عام ٣٣٥ من الهجرة
٣٩٦	أول من حج بالناس بعد الفتح عتاب بن أسيد بن أبى العيص ابن أمية
٣٩٦	وحج بعده أبوبكر رضى الله عنه
٣٩٦	ثم حج سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهى حجة الوداع
٣٩٦	ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أيام أبى بكر
٣٩٦	ذكر بقية أمراء الحج فى عهد الخلفاء الراشدين وأيام بنى أمية
٤٠١	أمراء الحج فى عهد العباسيين
٤٠٨	تحذير المؤلف من التصرف فى كتبه أو انتحال شىء منها
٤٠٩	اعتذار المؤلف عما عسى أن يكون فى كتبه من التحريف أو التصحيف
٤١٠	خاتمة الكتاب

تمت فهرس الجزء الرابع من « مروج الذهب ، ومعادن الجوهر » للمسعودى والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وأزكى سلامه على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه

Marfat.com